الجمهـوريـة الجـزائريـة الديمقـراطيـة الشعبيـة
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
جامعة وهران
كليـة الآداب واللغات والفنون قسـم اللغـة العربيـة وآدابـها

ظاهـرة الإتبـاع في المستويـات اللسـانية

أطروحة مقدمة لنيـل شهـادة الدكتـوراه في اللـغة

إعداد الطـالبة :
منصـوري خيـرة

إشراف الأستاذ الدكتـور:
بكـري عبـد الكـريم

أعضـاء لجنـة المنـاقشـة

- أ. د.عشـراتي سليمـان رئـيسـا جامعة وهـران
- أ.د. بكري عبد الكريـم مشرفا ومقررا جامعة وهـران
- أ.د. بوخلخال عبد الله منـاقشـا جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة-
- أ.د. رابـح دوب منـاقشـا جامعة الأمير عبد القادر -قسنطينة-
- أ.د مجـاهد ميمون منـاقشـا جامعة سعيـدة
- د. مـليانـي محمـد منـاقشـا جامعة وهـران

السنـة الجـامعيـة : 2013/2012- 1434/1433هـ

مقــدمة

مقدّمة

لفتت الظّاهرة اللّغوية انتباه الإنسان منذ قديم الأزل، وجعلته يطرح الأسئلة حولها، محاولا استكشاف أسرارها والقوانين المتحكّمة فيها. واللّغة ظاهرة اجتماعية تكشف عن عادات وتقاليد الأمّة، بل هي من بين الظّواهر كلّها؛ دليل نشاطها ومستودع تجاربها، ومنها تُستقْصى الملامح المميّزة لها. والظّواهر اللّغوية اصطلاح واسع، يمتدّ ليشملَ الظّواهر المتعدّدة لكلّ مستوى من مستويات اللّغة على حدة؛ فالظّاهرة اللّغوية الواحدة، تتضمّن هذه المستويات، بمكوّناتها الصّوتية والصّرفية والتّركيبية.

في عصر ازدهار التّأليف المعجمي في القرن الرّابع الهجري؛ اهتمّ اللّغويون بجمع الغريب النّادر من كلام العرب. ومن بين الظّواهر التي لفتت انتباههم وأثارت اهتمامهم، ظاهرة الإتباع. فكان من مصنّفاتهم في تجميع عباراتها الشائعة على ألسنة النّاس؛ الغريب المصنّف في اللّغة، لأبي عبيد بن القاسم بن سلام، والأمالي للقالي والجمهرة لابن دريد والمخصّص لابن سيده؛ وقد خصّه كلّ منهم بباب مستقلّ ،"باب الإتباع. أمّا أبو الطيّب اللّغوي، فقد أفرده بمذكّرة، عنوانها "**الإتبـــاع**" وتبعه في ذلك ابن فارس في مؤلَّف، عنوانها "**الاتبـــاع والمزاوجة**". كما أنّ المعاجم الموسوعية؛ قد احتضنت المادّة اللّغوية لهذه الظّاهرة؛ فازْدادت بها ثراء.

و إذا كانت جهود اللّغويين القدامى تتمثّل في عنايتهم بما وصلنا من مادّة لغوية إتباعية تراثية، فإنّ النّحويين، استثمروا عبارات الإتباع في استشهاداتهم؛ وهذا بإيراد بعض المركّبات الإتباعية، متفرّقة على بعض أبواب النّحو، كاسم العلم، والظرف والحال، وأصل المركّب العددي؛ فجاء ذكره عرضا في ثنايا حديثهم، كظاهرة تركيبية ثانوية، مع الإشارة إليها، في قول بعضهم:"هناك ألفاظ...". وظلّ هذا التّهميش يلاحقها إلى أن وتوقّف رصدها، وتوارت إلى الظلّ من اهتمام اللّغويين، إلاّ أنّ استعمالها بقي مستمرّا إلى يومنا هذا على ألسنة العامّة خاصّة، يلجأ إليها ابن اللّغة كلّما دعت حاجة التّعبير عن موقف اللّحظة إلى ذلك .

ومن علماء اللّغة المُحدثين، من كان له فضل إثارة قضايا لغوية تتعلّق بالظّاهرة اللّغوية، وأعني الدكتور حسين نصّار الذي أفرد للإتباع فصلا في كتابه دراسات لغوية. والدكتور عبد الحميد الأقطش، في بحث، عنوانه "إتباع الإيقاع، مقاربة ألسنية" . كما أنّ للدكتور عطيّة سليمان أحمد كتاب عنوانه "الإتباع والمزاوجة في ضوء الدّرس اللّغوي الحديث"[1]. وسبق هؤلاء العلماء، الأب رفائيل نخلة، بجمعه للمادّة الإتباعية التراثية، ضمن غرائب اللّغة في "باب الإتباع" مضيفا إليها أخرى من بيئته، في كتابه "غرائب اللغة العربية". ورغم هذه الجهود؛ فإنّ ظاهرة الإتباع ظلّت في حاجة إلى المزيد من استكشاف خفاياها.

وبحكم فعالية النّشاط اللّغوي المتجدّد الحيّ على ألسنة المتكلّمين بهذه اللّغة، وتبعا لإشباع حاجاتنا التّعبيرية؛ فإنّ أسماعنا تتلقّى من حين لآخر، إتباعات تلفت انتباهنا، قد تكون مستمدّة من معين التّراث اللغوي الثري في مثل "حسن بسن" و"شيطان ليطان"؛ وقد تكون من قبيل اللّغة المحكية في الواقع اللّغوي؛ فتثير فضولنا . ولأنّ الظّاهرة هذه ذات أصول متجذّرة في مادّة التّراث اللّغوي العربي؛ فقد أدّى بي الفضول إلى اختيار هذه الظّاهرة اللّغوية مجالا للبحث لِما ظهر لي فيها، من إبداع لغوي متجدّد الاستعمال، معبّر عن موقف اللّحظة بكلمة، تُتبع بأخرى مرتجلة أو موجودة، تماثلها في الوزن والرويّ، فيتولّد عن تضامّهما، مركّب؛ يتشكّل وِفق قالب محفوظ، متماسك.

والظّاهرة اللّغوية هذه، وما تنطوي عليه من أسرار، وما تتضمّنه مركّباتها من مكوّنات صوت صرفية، وعلاقات تركيبية، وما تلمّح إليه عباراتها من دلالات، أثارت تساؤلات تواردت تباعا. منها ما تمَحْور خاصّة، حول اللّفظ التّابع، وكيف أنّه رمز صوتي، له رسم إملائي، ولا معنى له – في الأصل-؟. وإذا كان الغرض من الإتباع تقوية المعنى وتوكيده على حدّ قول العرب" شيء نتد به كلامنا"، فكيف أنّ اللّغة تسعى للاقتصاد في الجهد، وتتّخذ الزّيادة سبيلا من سبل التّعبير والإفصاح في الكلام؟ فما

[1] – لم أعثر على هذا الكتاب –على الشّبكة- إلاّ مؤخّرا .

تفسير الزّيادة في الإتباع؟ هذه التساؤلات وغيرها، دعتني إلى محاولة استكشاف أجوبة عنها من باطن الظّاهرة نفسها. هذا إضافة إلى تعدّد آراء العلماء واختلاف الرّؤى واضطراب ملحوظ في تصنيف الظّاهرة.

تتّضح أهمية هذا البحث الشّائق والشّائك في الوقت نفسه، في خدمة العربية وتراثها اللغوي؛ بتناول الظّاهرة الإتباعية، وجمع شتاتها في المستويات اللّغوية ومحاولة الرّبط بينها في شتى مظاهرها، ودراستها في ضوء التحليل اللّسانياتي، وجمع الملاحظات والآراء الواردة في الظاهرة واستخراج ما يمكن استخراجه من نظرات جامعة شاملة قدر المستطاع. ولا شكّ أنّ أهمّية إنجاز هذا العمل؛ تكمن فيما يضيفه من معرفه نظرية وتطبيقية؛ تشكّلان وحدة متكاملة تمكّننا من فهم أفضل للظّاهرة، موضوع البحث، بغية وصفها وتقصّي أسبابها ثم التنبّؤ بحدوثها، وصولاً إلى الغاية الأساس وهي التحكّم فيها.

يعدّ هذا الموضوع من الموضوعات الحيّة في مجال علم اللّغة الحديث؛ إذ من اهتماماته؛ اللّغة المحكية؛ بجعلها موضوع بحث أساسي، انطلاقا من اعتباره لهذه اللغة المحكية، طاقة جارية في مجال الاستعمال، ينعكس فيها الواقع الاجتماعي، بمختلف مظاهره. ولا يعني هذا ،السّعي إلى إحلالها محلّ الفصحى، وإنّما لدرسها والتعرّف على مختلف خصائصها، في إطار التعرّف على الظواهر اللّغوية، والإفادة من الكلام المولّد والتعابير الجديدة الجارية على الألسنة، ممّا يتّسع له صدر العامي ولم يتقبّله لسان الفصيح .

ويبقى بعد هذا، البحث في مكوّنات الظّاهرة؛ بالوقوف على أكثر الحروف مشاركة في توليد التّابع، والمباني الأكثر استيعابا للمعاني المتضمّنة في مركّباتها. ويلي هذا استكشاف العلاقات اللّغوية والنّحوية التي تجعل المركّب الإتباعي متماسكا، ثمّ النّظر في علاقة هذا المركّب الإتباعي؛ – نِتاج عملية التّوليد الصّوت صرفي–، بمركّبات أخرى، انتقالا إلى وضع العبارة الإتباعية في موضعها من أصناف العبارات،

ومنها التجمّعات المعجمية والمتلازمات اللّفظية. وكلّ هذا، في إطار معرفه نظرية وتطبيقية تشكّلان وحدة متكاملة؛ تمكّننا من فهم أفضل للظّاهرة موضوع البحث، قصد وصفها وتقصّي أسبابها ثم التنبّؤ بحدوثها وصولاً إلى الغاية الأساس وهي التحكّم فيها. وبعد تحديد إشكالية في الظّاهرة الإتباعية، اخترت لدراستها في هذا البحث العنوان التالي :

"ظاهرة الإتباع اللّغوية في المستويات اللّسانية "

هذا العنوان، مركّب من ثلاثة عناصر: ظاهرة – الإتباع اللّغوي– المستويات اللّسانية، ويأتي شرحها، لاحقا في مدخل البحث.

إنّ الظّاهرة التي أسعى إلى البحث فيها، هي الإتباع اللّفظي، ومنها المزاوَج والمتّصل والمنفصل، –مع التّركيز على المنفصل والمتّصل خاصّة –، في مظاهرها الصّوت صرفية؛ والتّركيبية والدّلالية. وهذا؛ حتّى تتمّ قراءة الظّاهرة الإتباعية، قراءة داخلية تكشف عن مكوّناتها التي تميّزها عن غيرها من الظّواهر، وقراءة خارجية تتواصل بها مع محيطها الاجتماعي .

هذه رؤية مختصرة، عمّا تقتضيه الدّراسة اللّغوية للظّاهرة في كلّ مستوياتها؛ تمكّننا من تفسير الظاهرة وتجلية مظاهرها المتماسكة، والكشف عن القوانين المتحكّمة في علاقاتها.

وبالنّظر إلى حاجة هذه الدّراسة وما تقتضيه، تجاوب بحثي مع ضرورة استيعاب هذه المعالجة للظّاهرة على المستويات الصّوتية والصرفية والتّركيبية والدّلالية؛ فتشكّل في أربعة فصول؛ يتقدّمها مدخل تمهيدي وتنتهي بنتائج، ختمت بها البحث. وفي بداية كلّ فصل من فصول هذا البحث؛ توطئة لمباحثه وعناوينه الفرعية.

تحدّثت في المدخل عن مفاهيم –ارتأيت أنّها ضرورية–، وقدّمت رؤية تاريخية؛ تصف مراحل تطوّر نظرة العلماء القدامى للإتباع والإشارة إلى اختلافاتهم في تصنيفهم للظاهرة، ثمّ التعرّض للمحدثين ونظرتهم لهذه الظّاهرة اللّغوية، المستمرّة الوجود واهتمامهم بتجديد البحث فيها.

وبعد المدخل، خصّصت الفصل الأوّل لدراسة بعض الظّواهر الصّوتية في مركّبات الإتباع؛ باعتماد مدوّنة أمثلة إتباعية مستمدّة من مادّة التّراث الإتباعي. وتضمّن هذا الفصل أربعة مباحث؛ أوّلها: كان لحروف البدايات؛ وقد تتبّعتها بالإحصاء والتّحليل، لاستكشاف حصيلة الحروف الأكثر مشاركة في تكثير الإتباعات. وخصّصت ثانيها: لحرف النّهاية في المركّب الإتباعي، وهو حرف الرويّ، ثمّ أتبعته بحديث موجز في الفاصلة القرآنية، والسّجع في الحديث النبوي الشريف، مع التعرّض لما تقتضيه المزاوجة من ملاءمة صوتية، تحقيقا للانسجام. ومن ثمّ كانت ضرورة التوقّف عند الوظيفة الصّوتية للإتباع، بالاستعانة بمُعطيات التّنظير، مرفوقا بالحسّ اللّغوي التذوّقي لموسيقى الإتباع. واستجابة لما اقتضاه التّطبيق، ألحقت ما سبق بمبحث ثالث؛ استوعب حديثا أكثر تفصيلا في حروف النّهايات في المركّبات الإتباعية، وهي الحروف الواردة رويّا؛ وتمّ هذا بتناولها بالإحصاء ثمّ التّحليل المدعّم بأمثلة متنوّعة. ثمّ جاء حديث اللّغة المنطوقة وأثرها في الإتباع، مدعّما بأمثلة واردة باللّسان الدّارج؛ فكان هذا من نصيب المبحث الرابع. وأنهيت الفصل بخلاصة رصدت فيها أهمّ ما استوقف الانتباه في ثناياه، وما أمدّنا به الإحصاء والتّحليل من نتائج.

انتهى حديث الفصل الأوّل بمباحثه، وأردفته بحديث الفصل الثاني الخاصّ بالمستوى الصّرفي وما يشمله من مظاهر صرفية. توزّع مضمون هذا الفصل على أربعة مباحث. تناولت في الأوّل منها؛ كيفية تشكّل الإتباع على مستوى الصّيغ وتوليدها. وخصّصت المبحث الثاني، للشّكل الصّرفي المورفولوجي للإتباعات؛ فقمت برصد أكثر المباني استعمالا، واستعنت في تصنيفها بجدول توضيحي لهذه المباني

الأكثر تواردا في الإتباع، أتْبعته بتحليل النتائج الإتباعية المحصّل عليها – اسمية، وصفية، فعلية–.

ثمّ انتقلت إلى المبحث الثالث، الذي تناولت فيه بالدّراسة والتّحليل، الدّلالة الصّرفية في المباني الإتباعية، بالاعتماد على التّطبيق على أمثلة متنوّعة، مع التوقّف عند ظاهرة آلية التّحويل الدّاخلي في بعض الصّيغ وانعكاسه على الدّلالة. وكان التعرّض لما تلجأ إليه اللّغة من تعديل في ألفاظها، لضرورة الملاءمة وتحقيق الانسجام في العبارة، في حديث المبحث الرّابع، المتضمّن لبعض مظاهر التحوّلات اللّغوية وأثرها في الإتباع. وأنهيت الفصل برصد أهمّ النتائج المستخلصة من المتابعة والتّحليل.

انتهى حديث المستوى الصّرفي، ثمّ تلاه الفصل الثالث، المخصّص للمستوى النّحوي. ونظرا لتشعّب مادّة هذا الفصل وثرائها؛ جاء في خمسة مباحث؛ خصّصت أوّلها لتأصيل المركّب الإتباعي وتحديد موقعه من أقسام المركّبات؛ فبدأتُ بالبحث في التّركيب النحوي وعلاقة المركّبات الإسنادية بغير الإسنادية ثمّ علاقة المركّبات غير الإسنادية ببعضها. ومنها إلى أشكال المركّب الإتباعي التي أسفر عنها الإحصاء في الفصل السّابق، مع التّركيز على أكثرها استعمالا، وكان هذا محْتوى المبحث الثاني من الفصل الثالث.

ثمّ استوقفت انتباهي ظواهر نحوية تركيبية، فخصّصت لها مبحثا رابعا، يشملها، وهي: الرّتبة والتّلازم –التضّام– تعدّد التّابع – التّنكير والتّنوين – وعلاقة الإتباع بأسلوب العطف –حذف واو العطف–. ثمّ كان لا بدّ من حديث في إعراب المركّب الإتباعي بنوعيْه؛ المنفصل والمتّصل، في المبحث الخامس؛ فاعتمدْتُ في التّطبيق على نماذج إتباعية متداولة في التّراث الإتباعي، مع الاهتمام بتوضيح الفرق بين الأَتْباع والتَّوابع، ورفع اللَّبس عن التّابع والتَّبَع. وانتهى الفصل الثالث، بخلاصة عمّا تمّ إنجازه.

ولما كان من الضّروري، اكتمال الدّوائر الثلاث للمستويات السّابقة، أتبعت الفصول الثلاثة السّابقة برابع، خصّصته للنّظر في دلالة العبارة الإتباعية المعرّضة لاحتمالات شتّى؛ نظرا لتعدّد المظاهر اللّغوية وتداخلها وتفرّعها في الظاهرة الإتباعية، نظرا لغياب الموقف الذي قيلت فيه العبارة. وتوزّع العمل في هذا الفصل الأخير على خمسة مباحث؛ محتواها كالآتي:

تناولت في المبحث الأوّل، تأصيل التّابع، قبل تناول العبارة بالتّحليل، ممّا دعاني للتمهيد بنبذة عن الكلمة ومفهومها، ثمّ اللّفظ "التابع" من حيث؛ أنواعه، ومساهمته في تكثير الثّروة المعجمية من خلال مسارب عدّة، منها: التّوليد والتعدّد والارتجال والتّفسير والتّصحيف وأثره، مع إيراد الأمثلة ومحاولة التّوفيق بين مختلف الآراء، خاصّة فيما يتعلّق بقضيّة "بمعنى أو لا معنى"، ومفهوم "الزّيادة" ودواعي تعدّد الألفاظ التّابعة. وفي المبحث الثاني، تطرّقت إلى بعض الظّواهر اللّغوية، وهي الإتباع والتّرادف، والارتجال، وظاهرة الغرابة في الإتباع.

من حديث التّابع، وما أثاره من قضايا، انتقلت إلى المبحث الثالث، وبدأته بالعبارة ومفهومها، ثمّ تناولت العبارة الإتباعية، من حيث أنماطها. وخصّصت المبحث الرّابع لنمط الإتباع المتّصل، فتناولت بعض عباراته بالتّحليل والنّظر في مكوّنات كلّ عبارة، وصولا إلى الدّلالة المُفادة منها. و كان عوْني في ذلك، اعتماد الحِسّ اللّغوي؛ في تذوّق العبارة ومحاولة استرجاع وتصوّر الموقف الذي قيلت فيه.

وفي مسار التّحليل، استوْقفت انتباهي بعض القضايا المتفرّعة عن المبحث الأساس؛ فكان لا بدّ من فتح مبحث خامس؛ ومنها علاقة العبارة الإتباعية، وما يصطلح عليه بالمتلازمة اللّفظية و"التجمّعات المعجمية". وكون العبارة الإتباعية مشحونة بطاقة تعبيرية، توقّفت عند الوظيفة الانفعالية لبعض العبارات، وأنهيت المبحث الأخير

بالتطرّق إلى الوظيفة الاجتماعية للإتباع. وكانت نهاية الفصل الرّابع بخلاصة تضمّنت أهمّ ما تمّ الكشف عنه من خلال استنطاق بعض الأمثلة.

وفي ضوء الهدف الأساسي من هذا البحث، المتمثّل في محاولة التعمّق في استكشاف التّشكيل اللّغوي للظّاهرة الإتباعية؛ وصولاً إلى استنباط القوانين التي تنظم الظّاهرة؛ بملاحظتها في صورها المختلفة؛ تحدّد المنهج الذي، اقتضته الدّراسة؛ من عرض ووصف قبل التّحليل والاستنتاج؛ فكان منْهجا وصْفيا تحْليليا؛ اتّجهت فيه إلى التّحليل؛ ثمّ محاولة تقديم تفسير مؤسّس في ضوء العودة إلى الأصول، والإلمام بالوسائل لدراستها على هدى من مفاهيم البحث اللّغوي في الظاهرة قديما وحديثا.

وكثيرا ما اعترضتني في بحثي هذا عقبات؛ منها ما تعلّق بافتقاد بعض المراجع، ومنها ما له علاقة بالمنهج؛ إذ تكمن صعوبة هذه الدّراسة الشّائقة والشائكة في الآن نفسه، في محاولة رسم الحدود بين المستويات اللغوية عند تفكيك الظّاهرة إلى مكوّناتها. وهذا ممّا أوقعني في بعض التكرار أحيانا. وكان اعتمادي في إنجاز العمل على مصادر ومراجع ودوريات، لها علاقة بموضوع البحث .

وبعد، فهذه ثمرة جُهد، أقدّمها. وكلّما أعدْت النّظرَ فيها، ودِدْتُ لو أبدلتُ هذا مكان ذاك، أومحوْت ذاك لأضيف هذا. وقطعاً لهذا، استعنت الله وختمت عملي وتقدّمت به إليكم، راجية أن يلقى قَبولاً واستحساناً إن شاء الله .

ولا يسعني إلاّ أن أتقدّم بالشّكر لأستاذي المشرف، على ثقته التي كانت حافزا لي على إنجاز هذا البحث، وعلى صبره ومتابعته. وأشكر كلّ من قدّم لي مساعدة من أساتذة وإداريين ومشرفين على المكتبات. وأتقدّم بالشّكر الخالص للأساتذة الأفاضل، أعضاء اللّجنة الموقّرة، على ما بذلوه من جهد في قراءة ودراسة هذا البحث، لنفيد من ملاحظاتهم وإرشاداتهم القيّمة. واللّه وليّ التّوفيق.

خيرة منصوري

مدخل

ارتأيت، أن أستهلّ البحث، بمدخل أتناول فيه، مفاهيم لغوية؛ أراها من دعائم البحث وركائزه ومنطلقاته. من أهمّها، التعريف بالظاهرة –موضوع البحث– والمستويات اللسانية التي تتضمّنها.

لفتت الظاهرة اللّغوية انتباه الإنسان منذ قديم الأزل، وجعلته يطرح الأسئلة حولها، محاولا استكشاف أسرارها والتّنقيب عن مكوّناتها. وقد تفطّن علماء اللغة إلى حاجة الناس في تلك الفترة، إلى ما يشرح غريب اللغة ويضبط ألفاظها ؛ فقاموا بوضع رسائل أو كتيبات يضم كل منها موضوعا مستقلا، –أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر–، خلق الإنسان، والشّجر، والنّبات، والإبل، والخيل، والغنم، والوحوش، والسّباع، والطير، لأبي عبيدة. لقد كانت هذه الأعمال اللبنة الأساسية في وضع المعاجم اللغوية عامة ومعاجم المعاني أو "الموضوعات" خاصة؛ لأنّها تمثل النواة الأولى لها، حيث اكتمل التّأليف فيها في منتصف القرن الخامس الهجري. وكانت لهذه الرسائل أهمية قصوى في البحث الدلالي العربي ثم تطورت إلى معاجم المعاني التي تعتبر مرحلة جديدة لهذا التأليف تتّسم بالدقّة والترتيب والشمول إذا ما قورنت بسابقتها ومن أشهر هذه المعاجم :الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ–834م)، ومبادئ اللغة للإسكافي ت(421هـ–1030م)، وتهذيب اللغة لابن السكّيتت(ت244هـ)، وفقه اللغة للثعالبي(ت961هـ–1038م)، وغيرها كثر. وتعدّ معاجم المعاني برهانا قاطعا على أصالة البحث الدلالي عند العرب"[1]".

وهذا البحث، يندرج في الدراسات اللّغوية التي تبحث في الظّاهرة اللّغوية؛ من الوجهة الصوتية والصرفية والتّركيبية والدلالية. ثمّ محاولة الكشف عن العلاقات الرابطة بين هذه المكوّنات والعالم الذي يحيط بالإنسان.

1 – ينظر، أحمد مختار عمر. البحث اللغوي عند العرب. ص 203. عالم الكتب. القاهرة. ط1. 1998.

والظّاهرة موضوع البحث، أسلوب من أساليب العرب في كلامها، وهي ظاهرة الإتْباع– بسكون التاء– ***Réduplication***"[1]"، فللعرب الإتْباعُ"[2]"، وهو من سنن العرب في تقوية كلامهم وتوكيده وتزيينه؛ فهو فنّ من فنون العربية وباب من أبوابها الطّريفة. وقد أُثر عنهم أنّهم يستعينون بهذا الأسلوب في كلامهم، للتّعبير عن رأيهم في موقف ما، في عبارة قصيرة، تحمل نغما ناتجا عن توافق كلمات العبارة في الوزن والرويّ. وقد تنبّه اللّغويون القدامى، لهذه الظاهرة اللّغوية؛ فسجّلوها في آثارهم.

ورد هذا الأصل ومشتقاته في القرآن الكريم، في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ولئِنْ أتَيْت الذين أوُتوا الكتابَ بكلِّ آيةٍ ما تبِعُوا قِبْلَتَك وما أنتَ بِتابعٍ قبلتَهم وما بعضُهُمُ بتابِعٍ قِبْلةَ بعضٍ ولئِنْ اتَّبَعْت أَهْوآءَهم منْ بعدِ ما جآءَك منَ العِلمِ إنّك إذا لَمِنَ الظّالِمين﴾"[3]" وقال تعالى: ﴿إنّا كنّا لَكُم تبَعا﴾"[4]"، وقال عزّ وجلّ:﴿ ثمّ لا تجِدوا لكم علينا تبيعاً﴾"[5]".

وللإحاطة بمفهوم الإتباع، وتتبّع مساره إيتمولوجيا ***Etymologie*** "[6]"؛ نتعرّف على الدّلالة اللّغوية للجذر الاشتقاقي "تبع"، ومنها إلى الدلالة الاصطلاحية. أما "تبع" لغة؛ فإنّ « التاء والباء والعين، أصل واحد ولا يشذّ عنه من الباب شيء، وهو التلوّ والقفوّ. يقال: تبِعت فلانا، إذا تلوْته، واتّبعته وأتْبعته، إذا لحِقْته»"[7]".

1- JEANS DUBOIS. dictionnaire de linguistique. p403. la Tipografica Varese. Italie. 2002

2- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. الصّاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. ص 209. تعليق أحمد حسن بسبح. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط1. 1997.

3 – الآية 145. سورة البقرة .

4– الآية21. سورة إبراهيم.

5-الآية 69. سورة الإسراء.

6 - هو علم التأثيل: يتتبّع أصل الكلمة تاريخيا من حيث ظهورها ويبيّن ما يطرأ عليها من تغيّرات في اللّفظ والمعنى. ينظر، مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص 19. دار الفكر اللّبناني. بيروت، ط1 . 1995.

7–ابن فارس. معجم المقاييس في اللغة. مادّة "تبع" ص177. تح. شهاب الدين أبو عمرو. دار الفكر للطباعة والنّشر. بيروت لبنان. دت.

وفي اللّسان، وردت مادّة "تبع" بمعنى، « تبِعْت الشيء، سرت في إثره، واتّبعه وأتْبعه وتتبّعه قفاه... والتّابع، التالي»"[1]". أفادت الدّلالة اللغوية التي يحملها الجذر الاشتقاقي، لمادّة "تبع"، المُلحَق به واللاّحق، والمتلوّ والتّالي، والمتبوع والتّابع؛ ويعني هذا، أنّ الإتْباع عملية إجْرائية، تقتضي طرفين، يقتفي الثاني أثر الأوّل، فيصبح تابعا له، متشكّلا بشكله، متلوّنا بدلالته. وبهذا يتحقّق الإتْباع متجسّدا في مركّب مميّز بمخالفته للمألوف من التراكيب؛ والحديث في هذا،سيأتي لاحقا في البحث.

يظهر لنا من خلال التعريف المعجمي، أن ّالإتْباع في اللّغة: مصدر أتْبع الشيءَ الشيءَ، ألحقه به وجعله تاليا ولكي يتحقّق الإتْباع، لا بدّ من وجود طرفين أحدهما متبوع والآخر تابع، وكأنّ الظاهرة في مفهومها العميق، متعلّقة بتتابع؛ يخضع لانجذاب أجزاء الكون ومكوّناته، في إحكام وتناسق وانسجام؛ إذ لا لاحق بدون سابق ولا سابق بدون لاحق.

والإتباع أنواع؛ منه إتباع الحركة الحركة، وقد وصف سيبويه هذه الظاهرة في اللّهجات العربية، في باب الحروف الستّة، إذا كان واحد منها عينا؛ ففي "فعيل"، لغتان: فَعيلٌ وفِعيلٌ، إذا كان الثاني من الحروف الستّة، إذا كان كذلك؛ كسرت الفاء في لغة تميم في مثل: "لِئيمٌ وسِعيدٌ ونِحيفٌ"؛ وكذلك في "فِعِلٌ"، إذا كان صفة أو فعلا أو اسما،في مثل: "رجل لِعِبٌ، وعِكٌ، و فِخِذٌ"؛ ويعلّل ظاهرة إتباع كسرة الفاء لكسرة العين، فيما أورده من شواهد؛ بغرض تحقيق الخفّة"[2]". واستعمل مصطلح "أتبعوا" «وأما الذين قالوا مِغيرة ومِعين؛ فليس من هذا ولكنّهم أتْبعوا الكسرة الكسرة، كما قالوا مِنْتِن وأُنْبُؤُك وأجوءُك»"[3]"، وتعليل الإتباع الحركي؛ بمعنى أن تؤثّر حركة في حركة سابقة

1- ابن منظور جمال الدّين أبو الفضل محمّد بن مكرم ابن منظور الأنصاري ت 711هـ. لسان العرب ج5. ص25 . تح. عامر أحمد حيدر. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط 1. 2005م .

2- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه. تح وشرح عبد السلام محمّد هارون. الكتاب. ج4. ص108. (باختصار). الناشر مكتبة الخانجي. القاهرة. ط3 . 1988م.

3 – سيبويه . الكتاب . ج4 ص. 108.

أو لاحقة، ذلك كقراءة من قرأ، "الحمدِ لِلّه" – بكسر الدال إتباعا لكسرة اللام، بإتباع حركة آخر الكلمة السابقة لحركة أوّل الكلمة بعدها. وفي قراءة من قرأ: "الحمدُ لُلّه"، بإتباع حركة أوّل الكلمة لحركة آخر الكلمة قبلها– بضمّ اللام إتباعا لحركة الدال"[1] ".

والإتباع في الحركات، يندرج في المماثلة الصوتية ***assimilation***؛ وهو «التغيير الذي يصيب الحرف وينتج من تجاور صوتين متجاورين مباشرة، أو أن يتغيّر حرف ليماثل حرفا آخر مجاورا له مباشرة..."[2]. و يعرّفها المحدثون بأنّها، التعديلات الكيفية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى، أو تحوّل الفونيمات المختلفة إلى مماثلة، تماثلا كلّيا أو جزئيا"[3]. وبيّنت الدراسات الحديثة على أنّ « الناطق حين يقتصد في الجهد العضوي يميل دون شعور منه أو تعمّد إلى الانسجام بين حركات الكلمات»"[4]".

أما ابن جني، فقد تعامل مع إتباع الحركات، مستعملا مصطلح "الإتباع"، في قوله « ومن حركات الإتباع، قولهم: أنا أجوُك وأنْبُؤُك..."[5]". ويظهر من كلام ابن جني، مقارنة بما ورد في كتاب سيبويه، أنّ كلامهما في إتباع الحركات، متقارب إلى حدّ كبير، غير أنّ سيبويه لم يضع للموضوع مصطلح "الإتباع"، واكتفى باستعمال "أتبعوا". والجدير بالذكر –هنا– أنّ الحديث عن إتباع الحركات، ورد في ثنايا وصف ظواهر صوتية؛ كالإدغام الأصغر، والساكن والمتحرّك وتقريب صوت من صوت، والقلب والإبدال والحمل على الجوار. وما يلاحظ؛ أنّه لم يفرد الإتباع بباب مستقلّ؛ إذ جاء عرضا.

1– ينظر، أبو عثمان بن جني. الخصائص. تح محمّد علي النجّار. ج3. ص. دار الكتب المصرية. د. ت. والسيوطي. الأشباه والنّظائر في النحو. ج1. ص31. دار الكتب العلمية. بيروت. د ت.

2– مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص31.

3 –أحمد مختار عمر. الصوت اللّغوي. ص 378. عالم الكتب. القاهرة. 1997. ***http://www. archive. org/details/dirassat-assawt***

4 – إبراهيم أنيس. في اللّهجات العربية. ص97. مط الرسالة. دار الفكر العربي. د. ت. ***lisaanularab. blogspot. com/. . . /blog-post_7041. htm***

5 – ابن جني. الخصائص. ج2 . ص143

كما أنّ "السيوطـــي"، استهلّ حديثه في كتابه "،الأشباه والنظائر، في حرف الهمزة، بإيراد مصطلح الإتباع « وهو أنواع؛ فمنه حركة آخر الكلمة لحركة أوّل الكلمة بعدها، كقراءة من قرأ: الحمدِ لِلّه؛ بكسر الدال إتباعا لكسرة اللام»"[1]"، وينهي "السيوطـــي" حديثه عن إتباع الحركات، بخلاصة مضمونها؛ أنّ العرب أكثرت من إتباع أحد الصّوتين الآخر، فشاع في استعمالهم، حتى صار كأنّه الأصل"[2]". ولا شكّ أنّ لشيوع الظاهرة الصّوتية، أسباب وغايات، تتحكّم فيها، منها ما هو متعلّق بأسباب عضوية، كالخفّة والاقتصاد في الجهد، إلى جانب المؤثّرات النّفسية والبيئية والاجتماعية.

وهذه الإجراءات التّنسيقية، على مستوى الحركات، يفسّرها "تمـــام حســـان" أنّها «ممّا يعود في الذّوق العربي إلى كراهية التنافر ما يسمّونه ظاهرة المناسبة ...ولقد لاحظ النحاة أنّ موقعا ما قد يتطلّب حركة معيّنة بحكم النظام، أي بحسب القاعدة ولكن هذه الحركة المطلوبة، قد تتنافر مع ما يجاورها أو على الأقلّ لا تناسبه ومن هنا يبدو السياق وقد اتّخذ في مكان هذه الحركة، حركة أخرى، تتناسب مع ما يجاورها»"[3]".

وكما هو بين الصوت والصوت من التأثير، يكون بين الكلمة والكلمة إذا تجوارتا؛ وهذا ما يعرف بالإتباع في الألفاظ. وقد عرّفه ابن فارس في قوله: « للعرب الإتباعُ، وهو أن تُتْبعَ الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويّها إشباعا وتوكيدا. وروي أنّ بعض العرب سئل عن ذلك، فقال: هو شيء نتِد به كلامنا وذلك قولهم "ساغب لاغب" وهو خبّ ضبّ، و خراب يباب...»"[4]". وردت في هذا النصّ، مصطلحات: إتْباع،

1 – السيوطي. الأشباه والنّظائر في النحو. ج1. ص 13.

2– م. س. ج1. ص13

3 – تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص273. عالم الكتب. القاهرة. ط3. 1998م

4– ابن فارس. الصاحبي في فقه اللّغة العربية. ص209.

الكلمة، الوزن، الرويّ، الإشباع، التوكيد، وهي منطلقات الباحث في تفسير هذه الظّاهرة والكشف عن مكوّناتها.

لفتت هذه الظاهرة الإتباعية الانتباه؛ فكانت موضوع سؤال "ابن الأعـــرابي" (ت230هـــ) « سألت العرب أيّ شيء معنى "شيطان ليطان"؟ فقالوا: شيءٌ نَتِد به كلامَنا: نشدُّه»"[1]"، ويفهم من الجواب؛ أنّ لإتْباع الكلمة الكلمة، في مثل المركّب المذكور"شيطان ليطان"؛ دواعٍ وأغراض؛ إذ « هو من سُنن العرب في كلامها...»"[2]"، ويبدو أنّها لم تأت به سدى؛ فقد جاء في المقاييس « السين والنون أصل واحد، مطّرد، وهو جريانُ الشيء واطّرادُه في سهولة، والأصل قولهم: سننْت الماءَ على وجْهي أسنُّه سنّا، إذا أرسلتُه إرسالا»"[3]".

وهذه السُّنن المتواترة في الاستعمال، من الأسرار الخفيّة للنّظام اللغوي، الذي «نسمّيه بالنظام البديع؛ لأنّه في ظاهره نوع من الفوضى؛ وذلك أنّهم يعتمدون في ضرب من كلامهم، على اللّمْحة الدّالة والإشارة التي تقع موْقعَ الوحي وعلى أضعف أثر يشير إلى وجه الكلام إطلاقا غير مقيّد بنظام، ولا متّبع لطريق غيره من سائر الكلام، ... وقد سماه علماؤنا "سنن العرب".»"[4]"؛ فالإتباع، إذن من سنن العرب في كلامها، غير مقيّد بنظام في ظاهره، ولا متّبع لطريق غيره من سائر الكلام؛ مما يرشّحه، أن يُعتبر في ظاهره، نوعا من الفوضى الممتعة، التي لا يؤْتى بها سدى.

1- السيوطي. المزهر في علوم اللّغة وأنواعها. ج1. ص326. تح. فؤاد علي منصور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط. 19981.

2- أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل الثعالبي. فقه اللغة وسرّ العربية. ضبط ياسين الأيّوبي. ص384. المكتبة العصرية. بيروت. ط 2. 1420هـــ.2000م ***al-mostafa. info/data/arabic/depot3/gap. php?. . . pdf***

3-ابن فارس. المقاييس في اللغة. ص 447.

4 - مصطفى محمود العقاد. تاريخ آداب العرب . ج1 . ص229. دار الكتاب العربي. لبنان. ط4. 1974

وكون المركّب الإتباعي "شيئا"، نجم عن تصوّر هذا الشيء وإدراك كنهه، اختلاف منظورات العلماء في تصنيفه وتحديد شروطه؛ فبعضهم، استبعد أن يكون للتابع معنى، « التابع لا يفيد معنى أصلا؛ ولهذا قال "ابن دريـــد": سألت أبا حاتم عن معنى قولهم "بسَن"، فقال: لا أدري»"[1]". وإن لم يكن للتابع معنى، فالإتيان به لا يخلو من مبتغى وقصد؛ تتمثّل خلاصته في تزيين الكلام وتأكيده وتقويته، وبهذا تجمع ظاهرة الإتباع بين الإثارة والإمتاع.

لقد تفطّن اللّغويون القدامى، منذ عهد مبكّر إلى ظاهرة الإتباع، فسجّلوها في آثارهم. فلأبي عمرو بن العلاء(ت 154هـــ) رأس مدرسة البصرة؛ أمثلة منها. جاء في كتاب أبي الطيّب « قال أبو عمرو: سمعت أعرابيا، يقول لآخر: إنّك لَتَحْسبُ الأرضَ عليّ، حِيصا بِيصا –بكسر أوّله– ... وقال أبو عمرو: يقال رجلٌ طبٌّ لبٌّ. وهو العالم»"[2]".

وذكر "أبـــو الطيّب" مثالا منه عن رأس مدرسة الكوفة، قال: « عن أبي جعفر الرؤاسي (ت 247هـــ)، أنّه يقال للرّجل: إنّه لمجنون مخنون»"[3]"، ومن الطبيعي أن ينقل تلاميذهم عنهم هذه الأمثلة، ويجتهدوا في جمع نظائرها، ثم تُنْقل عنهم وهكذا...؛ فتردُ في كتب الإتباع أسماء يونس بن حبيب (ت183هـــ) والكسائي(ت189هـــ)، وخلف الأحمر(ت180هـــ)، والأصمعي(ت216هـــ)، واليزيدي(ت202هـــ)، وقُطرب (ت206هـــ) والفراء(ت207هـــ) وأبي عبيدة (ت209هـــ) وأبي زيد الأنصاري (ت 215هـــ) وابن الأعرابي و غيرهم "[4]".

---

1 –السيوطي. المزهر. ج 1. ص325.

2–أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي. الإتباع. ص14. تح عزّ الدين التنوخي. دمشق. 1981. ***pdf. www. attaweel. com***

3– م. س. **ص. 37**

4- ينظر. أبو بكر محمد بن الحسن الزّبيدي الأندلسي ت379هـــ .طبقات النحويين و اللّغويين .تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .دار المعارف .مصر ط2. د.ت . ***www.4shared.com/file/96652592/a0d2100cl*** ، حسين نصار. دراسات لغوية. ص47–48. دار الرائد العربي . لبنان. د. ت.

وتعالج المعاجم بعض الأمثلة الإتباعية، منذ العين للخليل؛ ففي كتاب العين للخليل، تناثرت ألفاظ الإتباع « وتقول: "حيّاك اللّه وبيّاك"، أي: أفرحك وأضحكك، ويقال: بيّاك، تقوية لحيّاك ... ورجل حوّاس عوّاس: طلاّب باللّيل »"[1]".

كما أنّ سيبويه، أورد إشارات في الظاهرة الإتباعية « وهذا حرف لا يُتكلّم به مفردا إلاّ أن يكون على ويْلك، وهو قولك: ويْلَك وعوْلَك، ولا يجوز: عوْلك»"[2]" وفي قول سيبويه، نلمح إشارة إلى أنّه يشترط في التّابع"عوْلك" في هذه العبارة، أن لا يُفْردَ، بل يكون لاحقا لما قبله، متّصلا به. وعقد أبو عبيد في كتابه الغريب المصنّف، بابا للإتباع، نقل فيه أمثلة إتباعية عن أبي زيد والكسائي والفراء وغيرهم، منها « أحمق فاكّ تاكّ، وضالّ بالّ...»"[3]".

ويتّضح من تصنيف الإتباع في الغريب، أنّه يندرج ضمن اهتمام أبي عبيد بالغريب والنادر في كلام العرب. وقد عدّ لإتباع ظاهرة غريبة، اكتسبت غرابتها من كون التابع لا دلالة معجمية له، في الأصل؛ إذ هو مركّب من "متبوع"، له دلالة معجمية " + "تابع" ليس له دلالة معجمية، فكان مثيرا للسؤال « أيّ شيء معنى، "شيطان ليطان" ؟ فقالوا: شيء نتِد به كلامنا: نشدّه»"[4]".

فهذا الشيء المثير للتساؤل، أخذ نصيبه من النشاط المعجمي في القرن الرابع ق4هـــ، –عصر الازدهار اللّغوي–؛ إذ صارت صناعة المعْجمة، مجالا خصبا؛ ففيه أُلّف أكبر عدد منها، وفيه أُفردت لظاهرة الإتباع، أبواب خاصّة ضمن تلك المعاجم.

1– أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. كتاب العين مرتّبا على حروف المعجم. ج2. ص257.ترتيب و تح.عبد الحميد الهنداوي. منشورات محمّد علي بيضون .دار الكتب العلمية .بيروت لبنان .ط1. 2003م ***www.waqfeya.com/book.php?bid=1531***

2 –سيبويه. الكتاب. ج1. ص 160.

3– أبو عبيد القاسم بن سلام. الغريب المصنّف. تح محمد المختار العبيدي. نشر المجمع التونسي للعلوم ودار سحنون. ط 1996. تونس. ***http://www. kabah. info/uploaders/Algh. . . Musannaf_1. rar***

4 – م. س. ص326.

فقد خصّص ابن دريد في جمهرته، للإتباع بابا "باب جمهرة الإتباع"، مبديا رأيه في شروطه"[1]. وفي الأمالي لأبي علي القالي، باب واسع للإتْباع، أورد فيه أمثلة كثيرة من ألفاظه، اعتنى بتفسيرها وشرحها، وتصنيفها"[2]"، وابن سيده في مخصّصه"[3]".

وأمّا "أبـــو الطيّب" اللّغوي (ت351هـــ) فقد ألّف في الإتباع. وحذا حذوه ابن فارس(ت395 هـــ)، فقد ألّف هو الآخر كتابا في الإتباع، وقد سمّى الكتاب"الإتباع والمزاوجة". وجمع "السيوطـــي"(ت911 هـــ) جهود السابقين في كتاب أسماه "الإلماع في الإتباع" وإلى ذلك الحين، توقّف رصد الظاهرة، ولا نجد بعد القرن الرابع عملا مميّزا في بحث الموضوع. وأحسن ما يذكر في هذا المجال ما قدّمه "السيوطـــي" في المزهر"[4]"؛ إذ قدّم عرضا شاملا لآراء العلماء في الإتباع، مدعوما بأمثلة ثريّة ومتنوّعة.

2- ومن علماء اللّغة من جاء بألفاظ من الإتباع، وقام بشرحها كأبي العباس ثعلب(291هـــ) في مجالسه، وإسحاق بن ابراهيم الفارابي (350هـــ) في ديوان الأدب، وابن الدهان(ت569هـــ) في الغرّة، وتاج الدين السّبكي (717هـــ -771هـــ) في منهاج البيضاوي، والتاج القيسي(682هـــ -749هـــ) المعروف بابن مكتوم في مذكّرته، ومن المتأخرّين أحمد فارس الشّدياق (1805م-1887م) في كتابه ، سرّ اللّيال وغيرهم"[5]".

3- ومنهم من أفرد بحث الإتباع بكتاب خاص، فعل ذلك "أبـــو الطيّب"، وقد رتّبه على حروف المعجم، مراعيا الصّامت الأول الذي يتصدّر التابع؛ فرتّب المادة

1- ينظر، أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد. جمهرة اللغة. ج. 3ص. 208 تح رمزي البعلبكي. دار العلم للملايين. بيروت. ط1. 1987.

2- أبو إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي . الأمالي. ج2. 211-212. تح . كمال مصطفى. مكتبة الخانجي. د. ت

3 - ينظر. أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي بن سيده . ت 458 هـــ. ج 14 باب الإتباع . ص 28. دار الكتب العلمية . بيروت. ***http://www. archive. org/details/almoksasfialnahow***

4 - جعل السيوطي النوع الثامن والعشرين من أنواع اللّغة، للإتباع في المزهر. ج1 ص. 323.

5 - ينظر أبو الطيّب. الإتباع. مقدّمة المحقّق. عزّ الدين التنوخي. ص12-13

الإتباعية، حسب الصّامت الأول في التابع، موضّحا ذلك في قوله: « ونحن نجمع في كتابنا هذا، ما يحضرنا من الإتباع على ترتيب الحروف كلّها، إلا ما لم يجئ مبتدأً به في شيء من ذلك من الحروف»"[1]"؛ وهذه الحروف التي لم يجد لها "أبـــو الطيّب" إتباعا، يبتدِئ بها، هي: الذّال والزّاي والغين. وأما الضاد والطّاء والظّاء « لم نجد في الإتباع ولا في التوكيد حرفا أوّله، ضاد ولا طاء ولا ظاء»"[2]". ثمّ حذا حذوه ابن فارس في ترتيب كتابه الموسوم ب"الإتباع والمزاوجة"، على حروف المعجم، مراعيا الصّامت الأخير في التابع، ويُعرف بحرف الرويّ. وقد نصّ عليه في تعريفه للإتباع « للعرب الإتباعُ، وهو أن تُتْبعَ الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويّها إشباعا وتوكيدا...»"[3]".

لقد مهّد ابن فارس بنبذة، تضمّنت، ظاهرتيْ "الإتْباع والمزاوجة"، قائلا: « هذا كتاب الإتباع والمزاوجة؛ وكلاهما على وجْهين: أحدهما أن تكون كلمتان متواليتان على رويّ واحد. والوجه الآخر أن يختلف الرويّان، ثمّ يكون بعد ذلك على وجهين: أحدهما أن تكون الكلمة الثانية، ذات معنى. والثاني أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بيّنة الاشتقاق، إلاّ أنّها كالإتباع لما قبلها»"[4]". يتبيّن من قول ابن فارس، أنّه لم يفرد كتابه للإتباع فحسْب، كما يتبيّن من عنوانه "الإتباع والمزاوجة"، وهو لا يعدّهما شيئا واحدا، إلاّ أنّه لم يعطينا الصورة الواضحة لكلّ من الظّاهرتين اللّغويتين.

وممّا نلحظ في مادّة الكتاب؛ أنّها جامعة لأنواع من العبارات؛ فمنها الأسجاع والأمثال وما سماه تأليفا للكلام، دون توضيح صلتها بالإتْباع. واجتهد فيه أن يضع معنى للفظ التابع، مخالفاً مذهب الجمهور فيما ذهبوا إليه، من أنّ التابع إذا كان له معنى، لم يكن من الإتْباع. ومع أنّه لم يشترط في الإتباع، اتفاق حرفيْ الرويّ في

1- أبو الطيّب اللغوي. الإتباع. مقدّمة المؤلف.

2 – م. س . ص 61

3- ابن فارس. الصاحبي في فقه اللّغة. ص209

4- ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص 28. تح وضبط كمال مصطفى. مكتبة الخانجي. مصر، مكتبة المثنى بغداد. 1947م. ***mostafa. info/data/arabic/depot3. . pdf*** . وينظر. السيوطي. المزهر. ج1. ص. 324 .

ركنيْ الإتْباع –التابع والمتبوع–، إلاّ أنه حرص، ألاّ يدرج في معجمه إلا ما اتّفق رويّاه"[1]". ويفهم من قول ابن فارس، أنّ كلاّ من الإتباع والمزاوجة، يشتركان فيما ذكره من خصائص، قال: « قال الأصمعي: "رجل خيّاب تيّاب". خيّاب :من خاب. وتيّاب تزويج. وهو يصلح أن يكون إتباعا»"[2]". ويستنبط من قوله أنّ تزويج اللّفظ بلفظ؛ إتباع؛ فالصورة غير واضحة المعالم.

ولا يجد الباحث حدودا مميّزة واضحة بين ظاهرتيْ الإتباع والمزاوجة؛ فقد اكْتفى ابن فارس، بسوْق بعض الأمثلة، « ومن المزاوج، ما له هاربٌ ولا قاربٌ، أي ماله صادرٌ عن الماء ولا واردٌ. ومنه قولهم عند المبالغة: لا شوْبَ ولا رَوْبَ، ولا شيْبَ ولا عيْبَ، والشوّب: العسل والرّوْبُ: اللّبن ... ومن المزاوجة، قولهم فيمن ينفع مرّة ويضرّ مرّة: هو جيشٌ مرةً وعيشٌ مرةً»"[3]". وهكذا يورد ابن فارس عباراتٍ، ينص أحيانا على كونها إتباعا أو مزاوجة، ولا يعلّق أحيانا أخرى. وقد ذكر "**السيوطـــي**" الكتاب وقال: « وفاته أكثر ممّا ذكره، وقد اختصرت تأليفه وزدت عليه ما فاته في تأليف لطيف سمّيته "الإلماع في الإتباع"»"[4]".

ويذكر عزّة حسن أنّ طائفة من عبارات الإتباع، أوردها العالم اللّغوي في كتابه "النوادر في اللّغة" واستخرجها أحد العلماء من كتاب الأصمعي وجمعها في أوراق وسمّاها "إتباعات العرب"، ولكنّ كتاب الأصمعي لم يصلنا، ويبدو أنّه ضاع فيما ضاع من أسفار العرب"[5]".

1– ينظر حسين نصار. دراسات لغوية. ص49

2–م. س. ص 29.

3 – ابن فارس. الإتباع و المزاوجة. ص31، 51.

4 – السيوطي. المزهر. ج1. ص324.

5 – ينظر، عزّة حسن. إتباعات العرب. ص 2،1. مجلّة مجمع اللّغة العربية بدمشق. المجلة 83. ج1.

www. reefnet. gov. sy/booksproject/mojama/. . . /1. pd .

ويقول: « و قد عثرت على نسخة من هذه الأوراق في مجموع مخطوط برقم 3730، في خزانة شيخ الإسلام أسعد أفندي المحفوظة في المكتبة السليمانية في مدينة إستانبول، وهي مكتوبة بخطّ فارسي جميل على ورق أزرق صقيل، فنقلت هذه الإتباعات»، نقلها وشرح أكثرها معتمدا على لسان العرب، قصد نشرها، علما أنّ مجموعة إتباعات العرب هذه، موجودة، ومتناثرة في كتب المهتمّين بالإتباع .

وإذا تتّبعنا مسار اهتمام اللغويين من المحدثين، بهذه الظاهرة المعجمية المتميّزة؛ نجد لها تعريفات من بينها، ما جاء في معجم المصطلحات، يعرّف الإتباع أنّه يتمثّل في « إتباع كلمة لأخرى توافقها في وزنها وعدد حروفها ومعظم ذواتها، كقولهم: "حسنٌ بسنٌ" وهو من قولنا: "أبْسن الرّجل"، إذا حسنت سحنته، ويقال كذلك: قبيح شقيح ومقبوح مشقوح، وقبحا له وشقحا، وشيطان ليطان، وعفريت نفريت وهكذا»"[1]".

والملاحظ، أنّ هذا التعريف يتضمّن تعريف ابن فارس للظّاهرة الإتباعية، في موافقة الكلمة التابعة لسابقتها، في عدد حروفها، ومعظم مكوّناتها، وهو لا يرى مانعا من أن يكون للتّابع معنى. كما أنّ عنصر الغرابة، منذ أن تنبّه له القدامى، ضمن اهتمامهم بمعجمة المفردات. وكان لهذا الجمع، أثره في مكتوباتهم، بإيراد أمثلة إتباعية متداولة في أوساط العامّة، في إطار انشغالهم بالغريب والنّادر من كلام العرب. ويُذكر فضل ابن عبيد بن سلاّم الهروي، في هذا المجال؛ إذ كان أكثر الشخصيات اهتماما بحقل الغريب"[2]".

وظلّ عنصر الغرابة مصاحبا للمركّب الإتباعي إلى العصر الحديث؛ فقد تناولها رفائيل نخلة، هو الآخر، من منظور الغرابة، قائلا: « في القاموس العربي عجائب وغرائب عديدة، قلّما نجد أمثالها في قواميس أشهر اللّغات، فرأينا أن نذكر شيئا منها، ببعض التفصيل لفائدة أصحاب لساننا المجيد ولتفكهتهم»"[3]"، ولا شكّ أنّ الغرابة في الظاهرة المخالفة للمألوف –في مظهر من مظاهرها– تستوقف انتباه السّامع المتدبّر

1– محمّد سمير نجيب اللّبدي. معجم المصطلحات النحوية والصرفية. مؤسّسة الرسالة. ص33. دار الثقافة. مط أمزيان. الجزائر. دت.

2– الأقطش عبد الحميد . إتباع الإيقاع في اللغة العربية. مقاربة ألسنية في حركية اللغة. مجلة أبحاث اليرموك. ص143. المجلد 12. العدد2. 1994.

http://img832. imageshack. us/content_round. php?page=done&l=img832/1149/66975207. pdf

3–رفائيل نخلة اليسوعي. نصوص ودروس. غرائب اللّغة العربية. مقدّمة المؤلّف. مط. الكاثوليكية. بيروت. ط2. 1960.

المتذوّق؛ فغرابة المركّب الإتباعي، لم تسقط، إذ لا زالت ترافقه لتثير استطلاع الباحثين إلى يومنا هذا.

وقد أفادنا "رفـــاييل نخلة"، في مستهلّ تقديمه للإتباع، بمفهوم توضيحي يقول فيه: « الإتباع هو الإتيان بكلمة على وزن كلمة سابقة لتعزيز معناها، وكثيرا ما تكون الثانية لا معنى لها ؛يتّضح ذلك للقارئ إذا أهملنا شرحها في الجدول الآتي وفي الحواشي .أما الكلمة الأولى بلا معنى، فهو نادر»"[1].

ومضمون هذا القول؛ يفسّر وصف ظاهرة الإتْباع اللّفظي بـــ: "الغريب والعجيب""[2]؛ فالكلمة التابعة، توافق الأولى في الوزن، وهذا لا خلاف فيه، فالبنية مطّردة ثابتة، وكثيرا ما تكون الثانية لا معنى لها، تنحصر وظيفتها في تقوية الكلمة السابقة لها. ورفائيل نخلة، صنّف المادّة الإتباعية من حيث: اختلافُ التّابع والمتبوع في الصّامت الأوّل، وقد أورد أمثلة من بينها: "ذهبوا أناديد وتناديد": أي متشتّتين، "جيء به من حيث أيْسَ وليْسَ": أي من حيث هو، وليس هو، و"بلْقع سلْقع": مكان قفر. ثمّ يأتي بالإتباع بكلمتين تختلفان بحرف غير الأوّل، في مثل: "أخرس أضرس": شديد الخرس" "جوّالة جوّابة"، وهكذا يأتي بأنواع الأمثلة، مهتمّا بالتلوين الصّوتي في المركّبات الإتباعية؛ إثراء لمعجمه.

ثمّ يختم رفائيل نخلة، بملحق يسمّيه "شبه الإتباع" لا فرق بينه وبين الإتباع إلا بدلالته على معنيين متضادين، ممثّلا له بـــ"حِرّة على قِرّة": عبارة، تقال لمن يظهر خلاف ما يضمر. "السامّة والعامّة": الخاصة والعامة. "السرّاء والضراء ": الرغد والشدّة" "عامله بالهواء واللّواء: "باللّين والعنف. "العاجلة والآجلة": الدنيا والآخرة"[3]". وهذا النوع من المركّبات الإتباعية الجامعة بين كلمتين متضادتين، أقلّ من حيث العدد.

1 – رفائيل نخلة.غرائب اللّغة . ص54

2 –نظرا لغموض اللّفظ التّابع، والغريب من الكلام هو الغامض، ينظر ابن منظور. لسان العرب. ج1. ص587.

3– رفائيل نخلة.غرائب اللغة. ص 62. 63

أمّا "**رمضـــان عبد التوّاب**"؛ فيقدّم تعريفا واضحا، للظّاهرة في قوله: « الإتباع عبارة عن تأكيد الكلمة، بضمّ كلمة أخرى إليها، لا معنى لها في ذاتها، غير أنّها تساويها في الصيغة والقافية، بغرض الزينة اللّفظية وتأكيد المعنى. والكلمة الثانية تسمى كلمة "الإتباع"»"[1]" ويدعّم مفهومه للإتباع بعرضه لتقسيم اللّغويين العرب للإتباع، كالآتي:

أ- كلمة الإتباع لها معنى واضح، مثل: هنيئا مريئا"[2]".
ب- كلمة الإتباع لا معنى لها على الإطلاق، ولا تُستعْمل وحدها؛ مثل: "شيطان ليطان"، و"حسنٌ بسنٌ".
ج- كلمة الإتباع لها معنى مُتكلّف، مُستخرج من الأولى .مثل :"خبيثٌ نبيثٌ" .

ويرى "رمضـــان عبد التوّاب"، كسابقيه من اللّغويين، أنّه لا يظهر من مقدّمة كتاب ابن فارس، أيّ فرق بين الإتباع والمزاوجة، غير أنّ برونو"[3]" ***Brùnnow***، النّاشر الأوّل لكتاب"الإتْباع والمزاوجة"؛ يرى، « أنّه يظهر من أمثلة ابن فارس بوضوح، أنّ كلاّ من الإتباع والمزاوجة، يفترقان عن التعبيرات المماثلة كالسّجع مثلا ؛في أنّ الكلمة الثانية في الإتباع والمزاوجة، لا ترد فيما عدا ذلك من التراكيب، أو على الأقلّ بهذا المعنى .كما يبدو أنّ اصطلاح الإتباع، يقصد به الصّيغ الوصفية، التي تتبع الكلمة الأولى بلا رابط، على حين أنّ الصّيغ الفعلية، التي ترتبط بالكلمة الأولى برابط، أو تكون وحدها جملا مستقلّة، تسمى بالمزاوجة»"[4]". وما يستوقفنا في هذا القول، هو: القصد من

1- رمضان عبد التواب. فصول في فقه اللّغة. ص246. الناشر مكتبة الخانجي. القاهرة . ط3. 1983.

2 - ﴿ فإن طِبْن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾ الآية4. سورة النساء .

3- رودولف برونو ***Rudolf E. Brunnow*** 1858 م- 1917 م هو مستشرق أميركي، من أصل ألماني، نشر بالعربية "الاتباع والمزاوجة" لابن فارس، في مدينة ***Giessen*** بألمانيا سنة 1906م. ينظر تصدير الكتاب.ص4.

4- رمضان عبد التواب. فصول في فقه اللّغة. ص247. عن برونو. ***R. Brunnow.***

اصطلاح الإتباع في نظر ناشر الكتاب"[1]"؛ إذ بنى تمييزه بين الإتباع والمزاوجة على أساس الصيغ الوصفية والصّيغ الفعلية. وفي هذا نظر، سيأتي في موضعه من هذا البحث.

أما الأقطش، فيرى أنّ الدلالة الاصطلاحية عند القدماء لم تكن متوحّدة، ويعلّل هذا الاختلاف بإمكانية حدوث تطوّر تاريخي في الرّؤية الإتباعية، مما أدّى إلى تعدّدية اصطلاحية؛ فالإتباع في نظره مرّ بثلاث مراحل:

- ✓ **مرحلة أولى:** تتوافق الدّلالة اللّغوية مع المصطلح في الإشارة إلى أنّ الإتباع «عملية كلامية بها تكرار يحاكي العبارة المسموعة نغما لا دلالة. ويكاد القياس يكون مطّردا على أن يُصنَّف من الإتباع كلُّ مركّب لغوي متكوّن من دالّين لهما دلالة أحادية، مفادة من اللّفظ الأوّل، فأمّا اللّفظ الثاني؛ فمُفرَغ من أيّة دلالة معجمية، ولكنّه على نسق وصياغة الأوّل شكليا»"[2]".
- ✓ **مرحلة ثانية:** لوحظ بعض التوسّع في مفهوم معنى التلازم بين الدالين، فأدخل في باب الإتباع أمثلة إتباعية، كان للتابع فيها دلالة معجمية مستقلّة عن متبوعه"[3]". وهكذا تفهم مرويات الإتباع عند ابن دريد في مثل "مليحٌ قزيحٌ "؛ فالقزيحُ، مأخوذ من القزح، وهو الأبزار"[4]".
- ✓ **مرحلة ثالثة:** تابعٌ، له دلالة معجمية، و تابع لم يحظ بها أو يكاد يكون له معنى.

1- يحسن التّنبيه إلى أنّ حسام البهنساوي في كتابه "التوليد الدلالي"هامش ص49، وقع في خلط بين الإتباع لأبي الطيّب والإتباع والمزاوجة لابن فارس، من حيث أنّ ناشر الكتاب هو "برونو"سنة 1906م. والصّواب، أنّ برونو، نشر كتاب "الإتباع والمزاوجة" لابن فارس وليس كتاب "الإتباع" لأبي الطيّب.

2 – الأقطش. إتباع الإيقاع في اللغة العربية. ص 148.

3-م. س. ص 144 .

4 – ابن دريد الجمهرة . ج3. ص429.

كانت هذه خلاصة اختلاف القدامى، في تصنيف التابع من حيث المعنى في هذه المرحلة. فما كان بلا دلالة معجمية، فهو باق تحت مصطلح "الإتباع" محافظا على مساره منذ المرحلة الأولى. أما ما كان واضح المعنى أو يمكن أن يكون له معنى مسخرج من الكلمة الأولى؛ فهذا الصّنف كان محلّ انشغال واختلاف عند القدماء؛ فمن مدرج إيّاه في الإتباع، ومن مخرج له إلى أبواب أخرى غير إتباعية مثل التوكيد والمشاكلة ونحو منها"[1]".

هذه كانت رؤية في التوزيع الاصطلاحي للمراحل التي مرّت بها الظاهرة الإتباعية. ويستخلص من هذا التدرّج، في توسّع الإتباع ما يلي:

أ- **مرحلة أولى:** لقد كان مفهوم التابع بلا دلالة معجمية، هو السائد: متبوع + تابع بلا دلالة معجمية = مركّب إتباعي في مثل: "تاعسٌ واعسٌ"؛ فالدال الثاني، صورة سمعية، ورسم صوتي، لا دلالة معجمية له، على نسق الدال الأوّل شكليا.

ب- **مرحلة ثانية:** تابع له دلالة معجمية مستقلة، متبوع +تابع = مركّب إتباعي، في مثل« "شحيح بحيح"، وقالوا: نحيح، فيمكن أن يكون بحيح من البحّة ونحيح من قولهم :يأْنحُ بحمله، لأنّهم يقولون: نحّ بحمله وأنحّ بحمله، إذا ضعف عنه، فلم يحمله، فيمكن أن يكون نحيح من قولهم :نحّ بحمله»"[2]"

ج- **مرحلة ثالثة:** تابع له معنى أو يمكن أن يكون له معنى: متبوع + تابع= في مثل "قسيمٌ وسيمٌ"، "عطشان نطشان"، "حسن بسن"، وهذا النوع من الإتباعات، كان مبعث توتّر واختلافات عند القدماء، فمن مدرج إيّاه في الإتباع، وآخرون في التوكيد، والمشاكلة، والمماثلة ...الخ. نلاحظ تداخل كلّ مرحلة

1- ينظر الأقطش. إتباع الإيقاع. ص 145. وينظر حسين نصار. دراسات لغوية. ص48.

2-ابن دريد. الجمهرة. ج3. ص429. 430

لاحقة في سابقتها من خلال تتبّع الأمثلة الواردة؛ ولا نكاد نجد فرقا فاصلا بين "إتباعات""[1]" مرحلة عن أخرى.

وممّن اهتمّوا بالإتباع من المحدثين، من حيث جمع المادّة عزّة حسن ؛ فعرّفه في قوله: « حقيقة الإتباع أن يُؤتى بكلمتين متواليتين على رويّ واحد ؛أي مسجوعتين على حرف واحد»"[2]".

وما يلاحظ عند استقراء أمثلة الإتباع، أنّ أغلبها، تلقّفها السّلف عن الخلف، فجاءت مكرّرة في تصنيفاتهم. فالأمثلة الواردة عند ابن دريد، نجدها عند أبي الطيّب ثمّ عند القالي، ثمّ عند ابن فارس، ثمّ عند ابن سيده، أمّا "السيوطـــي"؛ فقد جمع جهود من سبقه من العلماء في مزهره.

وبناء على ما ورد من أقوال ونقاشات؛ يمكن توضيح اختلافات القدامى في تصنيفاتهم للظاهرة كالآتي :

أ- **من حيث المعنى**"[3]":

لقد أثيرت قضيّة؛ التابع له معنى أو لا معنى له، وكانت هذه القضيّة محلّ جدال ونقاش بين العلماء. فذهب فريق من القدامى إلى أنّ اللفظ التابع لا معنى له أصلا. «قال ابن الأعرابي: سألت العرب، أيّ شيء معنى شيطان ليطان؟ فقالوا: شيء نتِد به كلامنا: نشدّه»"[4]". وتبعه الآمدي (ت361هـــ) قائلا: « التابع لا يفيد معنى أصلا؛ ولهذا

1 – هذه صيغة، يوظّفها البحث في حال جمع "التابع" اللّفظي، تفاديا للّبس، للتفريق بين التابع النحوي، جمعه "توابع". ينظر. سمير اللّبدي. معجم المصطلحات . ص 32.

2 –عزّة حسن. إتباعات العرب. ص 2،1.

3– صنّف السيوطي الإتباع، من بين الأنواع الثلاثة عشر الراجعة إلى اللغة من حيث المعنى . وقد تناول أنواعا قبلها تماثلها عددا راجعة إلى اللغة من حيث الألفاظ. المزهر. ج1. ص. 493، 494.

4 – السيوطي. المزهر. ج1. ص326.

قال ابن دريد: سألت أبا حاتم عن معنى قولهم بسن. فقال: لا أدري ما هو»"[1]". تتجسّد حيرة بعض العلماء في المعنى أو لا معنى للتابع؟ وهذه الإشكالية شغلت الكاتبين في الإتباع؛ فعلى أساسها بنيت تصنيفاتهم.

وقال السّبكـــي: « والتحقيق أنّ التابع يفيد التقوية؛ فإنّ العرب لا تضعه سدى، وجهل أبي حاتم بمعناه لا يضرّ،بل مقتضى: قوله "إنّه لا يدري" معناه أنّ له معنى، وهو لا يعرفه»"[2]". هذا القول ينفي ألا يكون للتابع معنى، وهو يربط بين الوضع والمعنى؛ ويذكر الغرض من الإتباع، وهو إفادة التأكيد، إلاّ أنّه لا يتعرّض لصورة التابع، وتشكّله.

ولم يشترط بعضهم عدم المعنى، فكان رأيهم، أنّه قد يكون له معنى وقد لا يكون. ومن هؤلاء العلماء، "أبـــو الطيّب" اللغوي وأبو علي القالي وأحمد بن فارس، وابن بريّ والتاج السّبكي. وقال القالي: « الإتباع على ضربين: فضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأوّل، فيؤتى به تأكيدا؛ لأنّ لفظه مخالف للفظ الأول، وضرب فيه الثاني غير معنى الأوّل»"[3]". كان هذا تقسيم القالي للإتباع، وقد قصره على المعنى، ولم يتعرّض للمظاهر المميّزة له من حيث المبنى.

أعمال القالي في الإتباع:

أما الصورة المفصّلة، فيفيدنا بها "أبـــو الطيّب"، مفرّقا بين الإتباع والتوكيد «ونحن بحمد اللّه نذهب إلى أنّ الإتباع ما لم يختصّ به معنى يمكن إفراده، والتوكيد ما اختصّ بمعنى وجاز إفراده، والدليل على صحّة قولنا هذا، أنّهم يقولون هذا جائع نائع، فهو عندهم إتباع، ثمّ يقولون في الدعاء على الإنسان: جوعا ونوعا، فيدخلون الواو

1 – السيوطي.المزهر.ج1. ص325 .

2 – م. س. ص325

3 – القالي. الأمالي. ج2 . ص 208.

وهو مع ذلك إتباع، فقد وضح أنّ الاعتبار ليس بالواو وثبت ما حددناه به»"[1]". وهو يسرد مركّبات إتباعية، لا معنى للتّابع فيها، لأنّها الأصل في الإتباع. يقال: بسْلاً وأسْلا"[2]". ومركّبات أخرى، للتابع فيها، معنى معروف، غير أنّه لا يستعمل بصيغته وبمعناه منفردا، بل من شرطه كي يكون تابعا، أن يجتمع مع اللّفظ الذي يتبعه. وفي هذه الأمثلة قسمان:

–قسم يكون فيه التابع مرادفا للفظ المتبوع. « يوم عكيك أكيك، ويوم عكّ أكّ: إذا كان شديد الحرّ. والأكيك بمعنى العكيك، إلا أنّه لا يفرد. وإنّه لكثير بثير. والبثير من قولهم: ماء بثْر: أي كثير. إلا أنّه لا يقال: شيء بثير أي كثير إلا على وجه الإتباع»"[3]" هذا القسم من الإتباع أثار نقاش القدامى في مسألة:الإتباع والترادف.

قرن القدامى الإتباع بظاهرة الترادف في اللغة؛ إذ « ظنّ بعض الناس، أنّ التابع من قبيل المترادف لشبهه به، والحقّ الفرق بينهما؛ فإنّ المترادفين يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت، والتابع لا يفيد وحده شيئا .بل شرط كونه مفيدا تقدّم الأوّل عليه، كذا قال الإمام الفخر الرازي»"[4]". والقسم الثاني لا يرادف فيه التابع متبوعه بل يختلف معناهما. غير أنّه لا يفرد أيضا بصيغته ومعناه المرادين في الإتباع. قال و« يقال: شحيح أنيح: من قولهم :أنح بحمله يأنح أنوحا: إذا تزحّ ربه من ثقله، ولا يفرد الأنيح ... و يقال إنّه لشحيح بحيح، وهو من البحّة. و لكن لا يجوز إفراده ... تقول العرب: لا بارك الله فيه ولا تارك. ولا يقولونه إلا هكذا. فهو – وإن كان مأخوذا من الترك– فلا معنى له في هذا الموضع إلا الإتباع»"[5]" نستشفّ من مقارنة الإتباع بالترادف،

1 – أبو الطيّب. الإتباع. مقدّمة المؤلّف.

2 – م. س. ص 5.

3– م. س. ص13

4 – السيوطي. المزهر ج1. ص. 325

5 –أبو الطيّب. الإتباع. مقدّمة المؤلّف .

محاولة رسم الملامح المميّزة للتابع، والنّظر في مدى مطابقتها للشروط الموضوعة له.

ب- من حيث الصورة:

ونظرا لكثرة استعمال العرب للإتباع، قرنه القالي بخاصّية أسلوبية، تتدرج في البلاغة الفطرية للعرب في كلامها؛ إذ كان « مذهبهم في الإتباع أن تكون أواخر الكلم على لفظ واحد مثل القوافي والسّجع»"[1]". مضمون هذا القول هو تشبيه المركّب الإتباعي، الذي من مميّزاته الشكلية، التوافق في الوزن، واتّحاد حرف الرويّ. وهذا ما منح الإتباع، من ملامح الشعر وموسيقاه. – ويأتي الحديث عن هذا لا حقا-.

ولكنّ أبا الطيّب وابن فارس، رويا إتباعا لم يلتزم الرويّ الواحد. قال "أبـــو الطيّب": « يقال في الدعاء جوعا وجودا وجوسا. فالجود هو الجوع بعينه. وقولهم جوسا إتباع»"[2]". ولم يشترط ابن فارس الرويّ الواحد « ومما لم يجئ على روي الأول جوعا له وجودا وجوسا»"[3]"، فاتّحاد الرويّ ليس شرطا في الإتباع، وهذا يوافق تعريفه للظاهرة –المذكور سلفا-.

أما من حيث الوزن؛ فإنّ التابع والمتبوع، يتماثلان في الوزن، وهذا في أكثر الإتباع. إلاّ أنّ هذا التوافق في الوزن ليس شرطا. يقال"[4]": "جوعا ديقوعا"، دعاء بالجوع. وقد أكثر "أبـــو الطيّب" من أمثلة الإتباع غير المتماثل في الوزن « فليس من شرط التأكيد أن يكون التابع على زنة المتبوع، كقولك :لمن تحبّه أنا لك أبدا سرمدا»"[5]".

1 – القالي. الأمالي. ج2. ص 217.

2 – أبو الطيّب. الإتباع. ص 37

3 – ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص 54.

4 – أبو الطيّب. الإتباع. ص42

5 – عزّ الدين التنوخي. مقدّمة. الإتباع. ص5 .

ج- من حيث التعبير:

أثيرت مسألة الوصل بالواو أو الفصل؛ برابط أو دون رابط :

✓ **الإتباع والعطف بالواو:**

كانت مسألة ما ورد من أمثلة الإتباع بالواو، مثار اختلاف ونقاش؛ فمن العلماء القدامى من قال بإمكانية الفصل، وبعض آخر اشترطوا الوصل، ومنهم أبو عبيد الذي نفى أن يكون الإتباع بالواو، في غريب الحديث « وأما حديث آدم عليه السلام حين قتل ابنه، فمكث مائة سنة لا يضحك، ثمّ قيل له :حيّاك الله وبيّاك. قال: وما بيّاك؟ قيل: أضحكك.فإنّ بعض الناس يقول في بيّاك، إنّه إتباع، وهو عندي على ما جاء تفسيره في الحديث، إنّه ليس بإتباع»"[1]".

أما "**أبـــو الطيّب**"؛ فالاعتبار عنده ليس بالواو، فالفصل بالواو، بين التابع ومتبوعه وارد عند القدامى. ويأتي عرض هذه القضيّة لاحقا في موضعها من هذا البحث.

د-إفراد التابع:

ومن بين المسائل الواردة في نقاشات القدامى الذين تناولوا الإتباع؛ مسألة إمكانية إفراد التابع أو عدمها؛ وأنّ اللّفظ التابع لا ينفصل عن المتبوع، سواء كان له معنى أو لم يكن، ولا يؤتى به في الاستعمال، منفردا. وقد اتّخذ "**أبـــو الطيّب**" من إفراد التابع أو عدمه، مقياسا في الفصل بين الإتباع والتوكيد، وذهب « إلى أنّ الإتباع ما لم يختصّ بمعنى يمكن إفراده به، والتوكيد ما اختصّ بمعنى وجاز إفراده»"[2]".

1 – السيوطي. المزهر. ج1. ص324

2 – أبو الطيّب. الإتباع . مقدّمة المؤلّف .

هكذا أوجد "**أبـــو الطيّب**"، للخلاف مخرجا؛ بأن سمّى ما لم ينفرد فيه اللّفظان، إتباعا. وما انفرد فيه اللفظ الثاني سماه توكيدا.

هـــ-من حيث الغرض:

اختلف القدامى في الشروط التي وضعوها للإتباع، وبناء على هذه الاختلافات كان تصوّرهم للغرض منه. فأبو الطيّب، اكتفى بتصنيف المادة إلى صنفين؛ ما لا ينفرد إتباع وما ينفرد توكيد ولم يكشف عن الغرض. أما ابن فارس، فرأى أن الإتباع لا يقصد إلى التأكيد وحده، بل إليه وإلى ما سماه الإشباع دون أن يحدّده، كما نستبين في قوله.

ونخلص من كلّ هذا إلى أنّ العلماء لم يتّفقوا على تصور واحد للإتباع، فبعضهم منحه صفات، حرمه بعضهم الآخر إيّاها. وكانت النتيجة أن اختلفت الأقسام التي وضعوها له"[1]".

فقد قدّم القالي تقسيما، رأى فيه أنّ الإتباع على ضربين: « فضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأوّل، فيؤتى به تأكيدا ؛لأنّ لفظه مخالف للفظ الأول، وضرب فيه الثاني غير معنى الأوّل»"[2]". ويتّضح من هذا التقسيم، أنّه أهمل ما لا معنى له من الإتباع وهو الأصل، كما أنّه لم يتعرّض لصورة التابع"[3]".

وأما "**عزّ الدين التنوخـــي**"؛ فجاء بتقسيم مخالف؛ إذ لم يبن تقسيمه على أساس معنى أو لا معنى للتابع؛ وإنّما تناول الإتباع في ضوء رؤية شمولية، وهو في هذا،

1 -حسين نصار. دراسات لغوية. ص 57.

2 – أبو علي القالي. الأمالي. ج2. ص. 217

3 – ينظر حسين نصار. دراسات لغوية . ص 57

على منهج من يفرّق بين الإتباع والتوكيد؛ فأقرّ أنّ الإتباع يقع في الأسماء وفي الأفعال؛ ويأتي بسط هذا، لاحقا في عرض البحث. ولعباس حسن، خلاصة رأي في التابع، مفادها؛ أنّ هذه الكلمات الزائدة المسموعة ونظائرها، تُسمّى "الأَتْباع" –بفتح الهمزة –، جمع "تَبَع"، بمعنى التّابع. فالأتْباع في: "حسن بسن" و"شيطانٌ ليطانٌ"، و"عفريتٌ نفريتٌ"، هي "بسنٌ، ليطانٌ، نِفْريتٌ"، وليس لهذه الكلمات الزّوائد المسموعة، معان تفيدها ولا حكم إعرابي خاصّ بها، توصف معه، بأنّها مبتدأ أو فاعل أو نعت أو مفعول أو غير ذلك. والملاحظ، الجدير بالذّكر؛ أنّ آراء العلماء، الواردة، مضطربة في تعريف الإتباع وأحكامه. وقد كثر الكلام في كلّ ذلك قديما وحديثا، ووضعت كتب خاصّة في الإتباع، تتقارب أحيانا وتتباعد أخرى. ولا يفوت عباس حسن التّنويه بكتاب أبي الطيّب؛ إذ هو من أشهر الكتب المؤلّفة في الإتباع، وأحسنها"[1].

ودفْعا لِلَّبس بين الأَتْباع –جمع "تَبَع"، "تابع"– والتّوابع، يتحتّم التوّضيح، أنّ هذه التّبَعية العارضة في التّبَع –التابع–، وما تتماز به من صفات، لا علاقة لها "بالتّوابع"؛ إذ التّابع في الاصطلاح، « يطلق على مجموعة من الأسماء، تلازم ما قبلها ولا تنفكّ عنه وتتبعه في أمور كثيرة. والتابع الاصطلاحي، يجمع على "توابع". والتوابع هي: النعت والعطف بنوعيه،البيان والنّسق وكذلك البدل والتوكيد»"[2]. والتّوابع الأصلية الأربعة المعروفة، وهي النّعت –التوكيد– العطف بنوعيْه– البدل، وأوصاف هذه التوابع الأربعة، لا ينطبق شيء من أحكامها على التابع الذي جاء تعريفه الاصطلاحي في قول ابن فارس « للعرب الإتباعُ"[3]، وهو أن تُتْبعَ الكَلِمةُ الكَلِمةَ على وزنها أو رويّها إشباعا وتوكيدا»"[4]. ومن اللاّفت للنّظر أنّ مصطلح "الإتباع"–بكسر الهمزة–، قد ورد في معجم المصطلحات النحوية والصرفية، باللّفظ نفسه، في تعريف،"إتباع" ، فهو مستعمل

1 – حسن عباس. النحو الوافي. ج3. ص471. دار المعارف . مصر. ط2. 1963 .
http://ia350619. us. archive. org/3/items/nawa4/nawa0. pdf

2 – محمد سمير نجيب اللّبدي. معجم المصطلحات النحوية والصرفية. ص32.

3– أما مصطلح "الإتباع"، فقد ورد في تعريف، إتباع التوابع الأربعة، وفي الإتباع اللفظي، إتباع الكلمة الكلمة، وفي إتباع الحرف للحرف والحركة للحركة. ينظر. م. س . ص33.

4 – ابن فارس. الصاحبي في فقه اللّغة. ص209

في التوابع الأربعة"، وفي الإتباع اللفظي "حسَنٌ بسَنٌ"، أي إتباع الكلمة الكلمة، وفي الإتباع الصّوتي؛ الحرف للحرف والحركة للحركة"[1]".

وننتقل إلى توضيح مصطلحات، الازدواج أو المزاوجة والمحاذاة وعلاقتها بظاهرة الإتباع؛ إتماما للفائدة.

الازدواج:

من حيث الدلالة المعجمية، الزّوج يعني خلاف الفرد، والزوج هو الذي له قرين"[2]". فدلالة الاقتران بين شيئين، واضحة. قال عزّ وجلّ: ﴿ و من كلّ شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذّكرون﴾"[3]". أما في الاصطلاح، فهو تغيير اللّفظ عن هيئته التي يجب أن يكون عليها في أصل الوضع، ليشابه لفظا آخر ورد معه في السّياق نفسه، وقد يكون التغيير صوتيا أو صرفيا أو نحويا أو دلاليا"[4]". « والمزاوجة والازدواج، بمعنى ازدوج الكلام وتزاوج، أشبه بعضه بعضا في السّجع أو الوزن»"[5]"؛ ميلا إلى الانسجام اللّفظي، نظرا لحرص اللغة العربية على ألسنة متكلّميها، على الحسّ الجمالي، عن طريق إمتاع الأذن بما تحقّقه من جمال لفظي وتراكيب موسيقية"[6]".

والمألوف في الإتباع، أن يتبع الثاني الأوّل، « وهناك ما يتبع فيه الأوّل الثاني، ويتساهل بعضهم فيسمّيه إتباعا، وبعضهم يسمّيه ازدواجا، وهو أولى منعا للالْتباس»"[7]".

---

1 – محمد سميرنجيب اللّبدي. معجم المصطلحات النحوية والصرفية. ص33.

2 – ينظر ابن منظور. لسان العرب . ج 2. ص 83.

3 – الآية 49. سورة الذاريات .

4–جزاء مصاروة. ظاهرة الازدواج في العربية. المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها. ص18. المجلد1. العدد1. 2005. ***www. pdffactory. com***

5 – ينظر ابن منظور. لسان العرب. ج2. ص84،83

6– رجب عبد الجواد إبراهيم. موسيقى اللغة. ص3. دار الآفاق العربية. ط2003

7– عزّ الدين التنوخي. مقدّمة الإتباع. ص9.

وفي قول الرسول **صلى الله عليه وسلم** للنساء اللّواتي تبعن الجنازة: « ارْجعن مأزورات غير مأجورات»"[1]". يلاحظ أنّ اقتران الكلمة الأولى "موزورات"، بكلمة مهموزة، "مأجورات"، صيّرها مهموزة مثلها ؛«و العلّة في ترك الأصل، المشاكلة»"[2]" وهذا، حرصا على الانسجام اللفظي، والحسّ الجمالي، حتى لو أدّى إلى مخالفة القاعدة. فاللّغة تعمل على تحصيل التشاكل والفرار من نفرة الاختلاف وتحافظ على أن تجري الأبواب على سنن واحد"[3]". وسمّى بعض العلماء هذه الظاهرة "المحاذاة"؛ قال ابن فارس « و من سنن العرب المحاذاة؛ وذلك أن تجعل كلاما بحذاء كلام، فيؤتى به على وزنه لفظا، وإن كانا مختلفين، فيقولون: الغدايا والعشايا لانضمامها إلى العشايا»"[4]".

وبعد، فإنّ المتتبّع لهذه الظواهر اللّغوية، يجد الأمثلة نفسها مكرّرة في معالجة الظاهرة الإتباعية؛ فمن اللّغويين من خصّ، ظاهرة المحاذاة بدراسة شاملة للمستويات؛ الصوتي والصرفي والنحوي"[5]". وعدّ الإتباع صورة من صور المحاذاة الصرفية، ويعنى بها « تغيير يطرأ على بنية الكلمة وصيغتها لكي تتّفق مع كلمة سابقة عليها أو لاحقة بها في الوزن ...»"[6]". ويستثني من حديثه عن هذا النوع من الإتباع، ذاك الذي تمّ دون تغيير صرفي للكلمة التابعة للسابقة عليها « وإنّما يهمّنا الكلمة التي خالفت القاعدة أو القياس الصرفي من أجل أن تحقّق المحاذاة مع الكلمة السابقة عليها»"[7]".

---

1 – عزّ الدين التنوخي. مقدّمة الإتباع لأبي الطيّب . ص11.

2– أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. لبنان. ط1. 1983

3– كمال الدين أبو البركات عبد الرّحمن بن محمّد بن أبي سعد الأنباري النحوي. الإنصاف في مسائل الخلاف عند النحويين البصريين والكوفيين. ص 09. مطبعة السعادة. ط4. 1961.

http://www. 4shared. com/get/EeYNDfQt/. . . __-____-_. html

4 – ابن فارس. الصاحبي في فقه اللغة. ص 174.

5 – ينظر. رجب عبد الجواد إبراهيم. موسيقى اللغة. ص 7.

6– م.س. ص44.

7– م. س. ص45.

وجمع "**عبد الحمـــيد السيّد**"، تحت عنوان المشاكلة، منثورات هذه الظّواهر اللّسانية وغيرها من الظواهر؛ موضّحا ؛أنّ المحاذاة والمزاوجة والإتباع، في حقيقتها؛ تجمعها في الواقع المشاكلة وتندرج في دائرتها. فالمشاكلة ظاهرة عامّة، ويتفرع عنها، مالا ينحصر من الصور اللّغوية التي لجأ إليها العربي في كلامه؛ لما يتطلبّه نظم الكلام وسياقه[1]. والشكل في اللغة، الشّبه والمِثل، وتشاكل الشيئان وشاكل كلّ واحد منهما الآخر: شابهه وماثله ويقال: هذا على شكل هذا، أي مثاله، والمشاكلة، الموافقة والمماثلة والمشابهة، والتشاكل، مثله"[2]".

فلفظة المشاكلة، تعني الموافقة أو المماثلة أو المشابهة"[3]"، ومن هذا المعنى، «يمكن إطلاق لفظ المشاكلة في اللغة على الظاهرة التي يراعى فيها تماثل أو توافق أو تشابه شيئيين، أيّا كان: صوتين أو لفظين أو لفظا ومعنى أو غير ذلك، فيجري أحدهما مجرى الآخر، وإن كانا مختلفين»"[4]"؛ فأبرز مظاهر التّشاكل، يتجسّد في سعي اللغة ونظامها إلى تحقيق الانسجام الصوتي أو المناسبة الصوتية. وكما يجري هذا بين الصوت والصوت، لما بينهما من التأثير، يكون بين الكلمة والكلمة في حال المجاورة. ومن هذا، ما يسمّيه اللغويون: المحاذاة أو المزاوجة. وهو باب واسع، كثير في كلام العرب؛ فالإتباع؛ أن تتبع الكلمة بكلمة على وزنها لتزيين الكلام لفظاً وتقويته معنىً . أما المزاوجة فهي: تعديل يلحق إحدى الكلمتين لتناسب أختها في الحركة والوزن. الموازنة فنّ أصيل في العربية، تغيّر به الكلمات من وضع إلى وضع رغبة في الوزن،

---

1 – عبد الحميد السيّد. دراسات في اللّسانيات العربية . المشاكلة – التنغيم–رؤى تحليلية. ص7. دار الحامد للنّشر والتوزيع. الأردن. ط1 .2004م.

2 – ينظر ابن منظور. لسان العرب. ج 6. ص 446.

3–ورد ت بعض هذه المصطلحات منها المشابهة عند رومان يكبسون في حديثه عن التّوازي. ينظر رومان ياكبسون. قضايا الشعرية. ترجمة محمّد الولي ومبارك حنوز. ص 45. سلسلة المعرفة الأدبية. دار توبقال للنّشر. الدار البيضاء المغرب.ط1. 1988 ***http://www.4shared.com/get/BlfauY2F/____.html*** .

4 –عبد الحميد السيّد. اللّسانيات العربية. دراسات في اللّسانيات العربية. ص8.

في مثل، حُدث وقدُم –ضمّ الدال لتحقيق الموازنة، والغدايا والعشايا، وهذه الملاءمة أو التعديل، تهدي إلى تصوّر ذوق العرب في هندسة الألفاظ"[1]".

وفي إطار مقاربة ألسنية، يتناول "عبد الحميد الأقطش"، الإتْباع من حيث العلاقات اللغوية الرّابطة بين التابع والمتبوع. فيصنّف الأنماط الشكلية، التي تتدرج تحتها المركّبات الإتباعية، إلى نمطين"[2]":

أ–نمط فيه العلاقات اللغوية قائمة على مبدأ المساواة بين المعاني:

وهو "إتباع المزاوجة". وأمثلة هذا الصّنف، قليلة في مصادر الإتباع، كما أنّ صياغته سهلة؛ إذ يكفي ذكر الكلمة الأولى، ليستدعي الذّهن الثانية لحاقا، مع التزام أواخر الكلم في الكلمتين لرويّ واحد ولسجعة واحدة. وقد يقتضي الذّوق اللّغوي الموسيقي في هذا المركّب، إجراء ملاءمة في الصياغة الصّرفية للكلمة الثانية، حتى يتحقّق التوازن؛ وهذا النّوع من الإتباع، لا إشكالية فيه"[3]".

ومن المزاوَج قولُهم لقيتُه أوّلَ صوْك وعوْكٍ ويقولون: "لم يَبْقَ منهم ثبيتٌ ولا هبيتٌ" أي جبان ولا شجاع"[4]"، طرفا المركّب المزاوَج؛ متلازمان ؛ إذ وردت الكلمة الثانية في ذهن السامع أو القارئ، قبل التصريح بها، أي أنّ هذا التلازم، متلازم إيقاعي، في مثل، العبارات المتداولة "أهلا وسهلا""، ويرى تمام حسان، أنّه في إتباع المزاوجة، تخضع إحدى الكلمتين إلى التعديل، لتحقيق الملاءمة، نظرا لأنّ « الكلام المسموع يتّسم أحيانا بطابع التضارب بينه وبين الأنظمة اللّغوية أي القواعد؛ صوتية

1– زكي مبارك. النّثر الفنّي في القرن الرابع. ج1. هامش ص 112. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. القاهرة د. ت.

2– الأقطش. إتباع الإيقاع. ص148.

3 – ينظر م. س. ص148

4 – ينظر ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص 33.

كانت أو صرفية أو نحوية. وعند ظهور مشاكل تطبيق الأنظمة على الكلام المنطوق، تعمد اللّغة إلى تقديم طائفة من الحلول، تسمى الظواهر الموقعية أو المعالم السياقية، وإن اختصاص النطق دون الكتابة بهذه الظواهر، يجعل الكلام المسموع أغنى وأكثر تنوّعا من الكلام المكتوب»"[1]"، وممّا يُفاد من هذا القول؛ أنّ اللّغويين أخضعوا الكلام المنطوق للقاعدة، وأنّه أُهمل الكثير من كلام العامّة"[2]"؛ لأسباب عدّة؛ مما يبرّر تصنيف ظاهرة الإتباع في الغريب. والغريب من الكلام، هو الغامض، فالغموض ضدّ الوضوح، أي عدم الظهور والبيان[3]. و« غرابة الكلمة وكونها وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة الاستعمال، إنّما هو بالنسبة للعرب الخلّص من سكان البادية بالقياس إلى غيرهم خاصّة المولّدين؛ لأنّ كثيرا ممّا في متن اللّغة غريب عندهم؛ فما عدّه العرب غريبا؛ فهو غريب والعكس صحيح »"[4]"، ومفهوم الغرابة في الإتباع، منطلقه من الإتيان بتابع، وهو اللّفظ الزّائد الذي قد يكون مجرّد زينة صوتية، مفرغة من المعنى. وقد يكون معنى الغرابة، أنّه خرج عن المألوف، غير مسبوق؛ فيقال: «طريف غريب، إذا كان فردا قليلا، فإذا كثر لم يسمّ بذلك»"[5]". والنّمط الثاني هو إتباع الإيقاع.

ب-إتباع الإيقاع:

هذا النوع من الإتباع، العلاقات اللّغوية في مركّبه؛ قائمة على مبدأ التّضمين بين المعاني، وسمّي "إتباع الإيقاع"[6]"؛ لأنّه ظاهرة من الظواهر الإيقاعية في نهايات الجمل العربية، كالقافية والسّجع والجناس –حين يكون آخر الجملة–"[7]".

---

1 –تمام حسان.اللغة العربية معناها و مبناها. ص47.

2 – وقد أكّد التنوخي – وهو بصدد التّقديم للإتباع–على الاهتمام باللّسان الدّارج في أوساط العامّة، قائلا « لقد آن لنا أن ندرس لغتنا العامية، دراسة علمية » عزّ الدين التنوخي. مقدّمة الإتباع . ص. 15.

3 – ابن منظور. لسان العرب. ج1. ص587 .

4–عبد الواحد حسن الشيخ. ظاهرة الغريب، تاريخ وتطبيق. ص8،7. مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنّية. ط1. 1999م.

5– م. س. ص 8

6 – ينظر الأقطش. إتباع الإيقاع . 142.

7 – السيّد خضر. فواصل الآيات القرآنية. دراسة بلاغية دلالية. ص1. مكتبة الآداب . القاهرة . ط2. 2009. ***www. sayedkhedr. net/articles/Fawasel. pdf***

وترد مصطلحات إتباعية عند البلاغيين والنقاد والقراء والمفسّرين، كإتباع التسجيع. فقد كان السّجع سمة أصيلة من سمات الكلام العربي منذ العصر الجاهلي؛ لأنّه « من مميّزات البلاغة الفطرية، فهو في أكثر اللّغات يجري باطّراد ... وأمثال العامّة تأتي غالبا مسجوعة»"[1]"، والسّجع في الأصل حِلْية يتزيّن بها النّثر، وهي مقبولة، ما دامت تجري في حدود الاعتدال والقصد"[2]". وفنّ الازدواج قريب من فن السّجع؛ «فقد صار السجع من خصائص النّثر الفني في القرن الرابع، و كان كُتّابه لا يتحرّرون من السّجع إلا إلى فنّ قريب منه، هو الازدواج»"[3]".

والمتتبّع لرصيد التراث اللّغوي، يصادف أشكالا تعبيرية توافرت فيها سمات الإتباع؛ في كتب الأمثال والغريب والعبارات اللّغوية المتواترة"[4]"؛ ممّا يدل على أنّ ظاهرة الإتباع ظاهرة لغوية واسعة النطاق، متنوّعة الأشكال والألوان، لتعدّد دواعيها وغاياتها"[5]".

وفي ظلّ ما عرفته الدراسات اللّغوية من تطوّر؛ تطرّق الدارسون إلى شتّى المسائل المتعلّقة بالمعجم وقضاياه المختلفة. فقد تناول اللّغويون العرب في مؤلّفاتهم وبحوثهم، ما يتّصل بالكلمة والعناصر المعجمية على اختلاف أنواعها. ومن هذه

---

1 – زكي مبارك. النّثر الفنّي في القرن الرابع. ج1. ص 75،76.

2 – م. س. ص71

3 – م. س. ص137 .

4 – ينظر–على سبيل المثال– أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، مجمع الأمثال. تح محمد محيي الدين عبد الحميد. مط السنّة المحمّدية. 1965.

http://www. 4shared. com/file/70588802. . . /__online. html

والمفضّل بن سلمة بن عاصم 291هـــ. الفاخر في الأمثال. تح عبد العليم الطّحاوي. مراجعة محمد النجّار. الهيئة المصرية للكتاب. 1974م. ***ebooks.roro44.com/4834–الفاخر–للمفضل–بن–سلمة.html***

5 – ينظر حسين نصار. دراسات لغوية. ص58

العناصر المعجمية التي شغلت اهتمام الباحثين؛ ما يعرف بالمتلازمات اللّفظية"[1]"، وما يندرج في فلكها ***les collocations*** "[2]"« وهو أن تتابع الكلمات في جملة، وفقا لنظام اللّغة التي هي منها»"[3]"، والتلازم اللّفظي هو « عبارة عن كلمتين أو مجموعة من الكلمات ترد مع بعضها بعضا، بشكل دائم وثابت في مختلف السياقات»"[4]".

وانطلاقا من تصنيف ما توفّر في العربية من رصيد، أفرز كثيرا من أنماط المتلازمات"[5]"، التي تميّزت بخصائص، هي: التركّب والتواتر في الاستعمال وتلازم المكوّنات؛ يندرج فيها الأنماط التالية"[6]": الأمثال، والعبارات التقليدية، والأقوال السائرة، والحكمة...واللَّسْنيات"[7]" ***les expressions idéomatiques*** ، وهي تعبير اصطلاحي، أي استعمال التعبير أو الكلمة بطريقة خاصّة، تخالف الاستعمال العادي، وهي العبارات الاصطلاحية أو العبارت المسكوكة، ومنها قولهم: "فلان في مثل حدقة البعير"، وهي تختلف عن الأمثال، لأنّها لا تحتاج إلى قصّة تشرحها.

أما التجمّعات المعجمية، وهي لا تبتعد كثيرا عن المركّبات الشائعة، وهي كثيرة، تتوارد في مركّبات نحوية، أهمّها المركّب التّوكيدي، ومن هذه التجمّعات

1- تعدّدت المصطلحات-عدا المتلازمات-: المتضامّات والعبارات المتلازمة والتعابير التلازمية والعبارات المسكوكة والاصطلاحية والجاهزة والمتكلّسة والتجمّعات اللّفظية وما إليها؛ ممّا اختلف لفظه وتقاربت معانيه. ينظر عبد الزاق بن عمر. المتلازمات اللّفظية في اللغة والقواميس العربية . ص 22. نشر مجمّع الأطرش. تونس 2007.

2-on appelle collocation,la distribution etablie entre les morphemes lexicaux d'un enoncé, abstraction faite des relations grammaticales existant entre ces morphemes…J. dubois. dictionnaire linguistique. p93

3- مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص52 .

4-عبد الزاق بن عمر. المتلازمات اللّفظية في اللغة والقواميس العربية. ص 22.

5 -هذه المتلازمات يحدث أن تتداخل مع مفاهيم أخرى قريبة. فمن الباحثين، من لا يرى فرقا بين المتلازمات والعبارات الاصطلاحية وبين التجمّعات اللّفظية، التي منها مركّب الإتباع، وهي تتمتّع إلى حدّ ما بحرّية التركيب ينظر م. س. ص19.

6 - م. س. ص23

7 - مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص138.

المعجمية، اللاّزمة اللّفظية، "الإتْباع""[1]". والعبارة أشمل من المتلازمة"[2]"، وهي ترد في اللّغة على أنماط كثيرة، أبرزها المثل والعبارة التقليدية"[3]" ***Expression ideomatique***

مفهوم العبارة الإتباعية:

يعرّف أحمد مختار عمر الوحدة الدلالية، قائلا: « تعدّ الكلمة المفردة أهم الوحدات الدلالية، لأنّها تشكّل أهمّ مستوى أساسي للوحدات الدلالية، حتى اعتبرها بعضهم الوحدة الدلالية الصّغرى، أما الوحدات الدلالية الأكثر شمولية، وهي المتركّبة من وحدات على مستوى الكلمة، فنعني بها تلك التي لا يفهم معناها الكلّي بمجرّد فهم معاني مفرداتها وضمّ هذه المعاني بعضها إلى بعض»"[4]"، فعلى المستوى الإفرادي، تعدّ الكلمة هي أهمّ الوحدات الدلالية، أما الوحدة الدلالية الأكثر شمولية، فالمقصود بها المركّب اللّغوي المميّز بمعناه الخاصّ. وفي هذه الحالة يوصف المعنى بأنّه تعبيري ***Idéomatique***"[5]"، ويدخل تحت هذه الوحدة الأنواع الثلاثة الآتية:

أ-**التّعبير *Idiome***"[6]": في مثل التعبير العربي: "ضرب كفّا بكفّ""[7]".

ب- **التركيب الموحّد:** مثل البيت الأبيض، لا يشير إلى مبنى ولكن إلى مؤسّسة سياسية.

ج- المركّب ***compose*** أو التعبير المركّب ***expression composée***

---

1 -عبد الرزاق بن عمر. المتلازمات اللّفظية في اللغة والقواميس العربية. ص26،27.

2- المتلازمات اللّفظية من المسائل اللّغوية التي أخذت تشغل بال المحدثين من العرب على الأقلّ في السنوات الأخيرة. ينظر. م. س. ص21.

3-تعبير اصطلاحي، وهو استعمال التعبير أو الكلمة بطريقة خاصّة تخالف الاستعمال العادي. ينظر مبارك مبارك. معجم المصطلحات ص138.

4- أحمد مختار عمر. علم الدلالة. ص 33،34. عالم الكتب. القاهرة. ط5. 1998 .

5- شكل نحوي اصطلاحي، لا يكون معنى العبارة ناجما عن تركيبه من وحدات لغوية ولا يدخل في تركيب تعبير أكبر. ينظر مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص137.

6- هو تعبير يختلف معناه عن المعنى الكلّي لأجزائه. ينظر م. س. ص137.

7 - أي في حيرة من أمره.

وتختلف المركّبات، أو التعبيرات المركّبة، عن التركيبات الموحّدة في أنّ الكلمة الرئيسية، فيها ما تزال تنتمي إلى المجال الدّلالي نفسه"[1]"، والتّعبير المركّب بهذا المفهوم، يشمل العبارة الإتباعية؛ فهي نوع من الأنواع التعبيرية، وهي ظاهرة لغوية موجودة في كلّ المجتمعات، وكلّ العصور وكلّ اللّغات"[2]".

- الإتباع ظاهرة عامّة في اللغات:

لقد اتّجه أخيرا بعض المحدثين من اللّغويين إلى نوع من المقارنة، تنظر إلى لغات البشر كوحدة تتضمن من المعاني العقلية أمورا مشتركة بين جميع اللّغات"[3]"، وترتبط ارتباطا وثيقا بالفكر الإنساني، وذلك لأنّ اللغات في كلّ العالم، ليست في الحقيقة إلا وسيلة للتعبير عن الفكر الإنساني، وعما يدور في أذهان البشرية. فالمرء في كلّ مكان يفكّر، وتختلج في ذهنه عمليات عقلية ؛ فيجد في اللّغات متنفّسا لتلك العمليات الذهنية المعقّدة التي يحسن التعبير عنها حينا ويقصر دون مداها حينا آخر، ووسيلة هذا التعبير في غالب الأحيان هو ما نسمّيه باللغة . ونتصوّر أنّ عملية التفكير تسبق الكلام والنطق لدى الإنسان العاقل"[4]". والإتباع ظاهرة لغوية عامّة لا تنفرد بها اللغة العربية؛ وقد تنبّه من عرف غير العربية من القدماء إلى وجودها في هذه

1- أحمد مختار عمر . علم الدلالة. ص34.

2-عطيّة سليمان أحمد. الإتباع والمزاوجة في ضوء الدرس اللّغوي الحديث. ص5. دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع. القاهرة.2004

http://www. wikiwebia. com/files/0ML9AFLB/aletbaa wa almozawgah. pdf

3- « La réduplication se manifeste dans les langues les plus diverses…». Kaboré Raphaël. La réduplication. In: Faits de langues n°11-12, Octobre 1998 pp. 359-376. doi: 10. 3406/flang. 1998. 1220
http://www. persee. fr/web/revues/home/prescript/article/flang_1244-5460_1998_num_6_11_1220

4 -إبراهيم أنيس. من أسرار اللغة. ص128. مكتبة الأنجلو المصرية. ط8. د. ت.

اللغات"[1]"، وفي هذا قال أحمد بن فارس: « وقد شاركت العجمُ العربَ في هذا الباب»"[2]"؛ ذلك أنّه من طبيعة النفس الإنسانية أن تنجذب للإيقاع الناتج عن التّوافق والانسجام بين كلمات العبارة الواحدة.

و نخلص من هذا، إلى أنّ اللغة البشرية ذات صلة وثيقة بالفكر الإنساني العام، ممّا يؤدّي إلى ارتباط بين لغات البشر والمنطق. وفي حدود هذا القدر المشترك، تنسجم اللغة مع المنطق أو يلتقيان، ولنا في التركيب الثنائي في مثل المتلازمات والتجمّعات المعجمية، شاهد على الاشتراك في بعض القوالب المحفوظة المتماسكة"[3]". ولكنّ اللغات طورا يساير بعضها المنطق في ظاهرة ما، وحينا تستقلّ الظاهرة عنه وعن مبادئه وأحكامه"[4]".

واللغة العربية بصفتها لغة ؛ تنتمي إلى مجموعة من اللغات الطبيعية، تشترك مع هذه الأخيرة في عدد من الخصائص؛ الصوتية والتركيبية والدلالية. وقد ثبت أنّ اللغويات التاريخية المقارنة، نصّت على أنّ هناك عناصر لغوية مشتركة بين لغات البشر؛ سواء على مستوى المفردات، أو على مستوى التراكيب وفي هذا الأخير، يتجسّد ذاك الميل العام إلى تكرير الكلمات، أو مقاطع منها. ويعرف هذا النمط في الفكر اللّغوي العالمي بظاهرة الإتْباع ***Réduplication***[5]، أو ***Redoublement***[6] .

---

1 – ينظر حسين نصار. دراسات لغوية. ص47.

2 –ابن فارس. الصاحبي. ص209. الثعالبي . فقه اللّغة. ص209. السيوطي. المزهر. ج1 ص 323.

3 – ينظر إبراهيم أنيس. من أسرار اللغة. ص21–25.

4 – ينظر. م.س. ص128 –بتصرّف –

5 – الأقطش. إتباع الإيقاع في اللغة العربية. ص164

6-« ***On appelle redoublement: la répétition d'un ou de plusieurs élements "syllabes" d'un mot ou du mot entier[6] à des fins expressives "fifi, mémére …» JEANS DUBOIS. dictionnaire de linguistique. p403.*** يتمثّل في تكرار مقطع أو أكثر في كلمة، أو تكرار للكلمة نفسها ؛ لأغراض تعبيرية في مثل : ***"c'est très très petit"***

ويقابل في العربية ، "جيّد جدّا"، وهي في هذه الحال ، ظاهرة أسلوبية جمالية .

أما في معجم المصطلحات الألسنية، فكلمة "***Allitération***"، جاءت بمعنى «إتباع، مجانسة، جناس استهلالي: هو تكرار الحرف نفسه في أوائل الكلمات المتتالية بغية إحداث نغمة موسيقية أو تكرار صوتي في كلمات متتالية»"[1]".

وما يلاحظ في التعريف الاصطلاحي، هو التداخل بين المصطلحات، نظرا لما يوجد من الظواهر المشتركة بين السّجع والإتباع والمزاوجة، والجناس. والجامع بينها، هو عامل التكرار في الأصوات أو بعض مقاطع الكلمات، لتحقيق التوازن وإحداث نغم موسيقي.

فالإتْباع، ظاهرة لغوية عامّة لا تنفرد بها اللغة العربية، وقد تنبّه من عرف غير العربية من القدماء إلى وجود الظاهرة في لغات أخرى « للعرب الإتباعُ، وهو أن تُتْبعَ الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويّها إشباعا وتوكيدا. وروي أن ّ بعض العرب سئل عن ذلك، فقال: هو شيء نتِد به كلامنا. وذلك قولهم "ساغب لاغب" وهو خبّ ضبّ، وخراب يباب. وقد شاركت العجمُ العربَ في هذا الباب»"[2]". يفهم من قوله "للعرب الإتباع"، لأوّل وهلة، أنّ الإتباع أسلوب من أساليب العرب، خاصّا بهم، إلاّ أنّ ابن فارس، بعد تعريف الظاهرة، يفاجئنا بكون الظاهرة عامّة، لا ينحصر استعمالها في أفق محدود على العرب وحدهم؛ إذ للعجم فيها نصيب في لغاتهم. ويمكن إدراج تحت "العجم" من نعرف لغته من الشعوب الأوروبية مثل الانجليز والفرنسيين"[3]"؛ ذلك أنّ الإنسان بطبعه يميل إلى تكرار الكلمات، أو مقاطع منها.

وفي لغة الأطفال نماذج، تتجسّد في الصوت والحركة مثل: "رِنْ رِنْ" للجرس و"طاخ طاخ "للرصاص و"تك تك" للساعة. وللتفكّه والمزاح" نونو" و"توتو"و "لولو" وأمثالها، في مثل صيغ ألفاظ الصوت والحركة مثل: "بش بش " للقطّ، و"تيك تاك"

1- مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية . ص 19.

2 – ابن فارس. الصاحبي في فقه اللّغة. ص209

3 – حسين نصّار. دراسات لغوية. ص47.

لدقّات الساعة، و"كوكو" للدّيك؛ والطفل في تجاربه اللّغوية الأولى « يحاول، أن يتكلّم في عبارات تملك قافية وإيقاعا...»"[1]".

فالميل إلى التكرير، يتّضح في النماذج التي تتّخذ آلية واحدة في اللّغات المختلفة، في مثل صيغ الصوت والحركة. وهذا النوع من الإتباع، يقوم على تكرار أو إعادة منطوق صوتي بعينه ثانية. « ففي الألمانية قولهم عن القروش "***PINKE-PINKE***"، وعن الديك "***KUK-KUK***" وعن السيارة "***PUFFE-PUFFE***"، وللتعبير عن الفوضى "***techtel-mechtel***"، وعن صوت الدمدمة "***rumble-bumble***"، وللحكواتي "***walke-talke***"»"[2]" وقد يتعدّد التكرار في الفرنسية و الانجليزية – مثلا– ، في مثل :

.Il est beau, beau, beau, mon pays"
may country –"It is nice, nice, nice.
pretty pretty"-very very good".

وتكرار الكلمة كاملة، الغرض منه التوكيد والتّثبيت. وفي تكرار بعض المقاطع في الفرنسية والانجليزية، أغراض تعبيرية، كالتأكيد والمبالغة ، في مثل :

footy-footy , chop- chop, blah-blah.

وتعني الأمثلة باللغة الانجليزية تباعا، اللّعب بالرجل والسّرعة والثرثرة .

و كذا في مثل :

bla bla, go go, kif-kif , Cri cri "bye-bye"[3]

ومن خلال بعض النماذج « نرى أنّ اللغة البشرية ترتبط بعض الارتباط بالفكر الإنساني العام، ممّا يستتبع ارتباطا بين لغات البشر والمنطق ... »"[4]".

1– فاطمة الطبال بركة. النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون. ص74. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت. ط1. 1993.

2 – ينظر الأقطش. إتباع الإيقاع. ص165 .

3 -Henri van hoof. Rime et allitérrations dans les langues française et anglaise. p6.
www. erudit. org/revue/meta/2008/v53/n4/019654ar. pdf

4 –إبراهيم أنيس. من أسرار اللغة ص. 129

ولعلّ السؤال الذي يتبادر إلى الذهن؛ ما صلة شكل الظاهرة الإتباعية، بالمنطق؟، وهل هو يعكس، قالبا من القوالب المهيّأة، في عقولنا، نصبّ فيها ما يتوافق وأشكالها من تعبيراتنا؟

ففي اللغة الفرنسية، مثلا، تقوم بعض الظواهر الصوتية، كالسجع والجناس والقافية، بوظائف منها الإيقاع، وتحقيق الانسجام، كما أنّها وسيلة للحفظ، كما يظهر جليّا في هذه الأمثلة المتداولة التي كتب لها البقاء محفوظة في ذاكرة الجماعة اللّغوية، بفضل ما تمتلكه من خصائص تؤهّلها للتواتر.

-"Comparaison n'est pas raison"," l'intention vaut l'action"

-"coucher de poule et lever de corbeau, écartent l'homme du tombeau",bien faire et laisser braire"[1]

في المثال الأوّل والثاني، توافقت الكلمتان في القافية ***Rime***"[2]"، فإضافة على ما تحقّقه من إيقاع موسيقي ؛ فهي وسيلة للحفظ، و التثبيت ***memotechnique*** . وفي العبارة الثانية والثالثة؛ اجتمع السّجع والجناس. "***alliteration et assonance***[3]".

ولمّا كانت الظاهرة اللّغوية تحمل خصائصها في ذاتها؛ فتحليل ودراسة المادّة اللغوية الإتباعية المستقاة من بعض مصادر الإتباع في التراث اللّغوي العربية؛ يتمّ بناء على معطيات الظاهرة نفسها؛ إذ يتناول ظاهرة الإتِباع من الوجهات الصوتية والتركيبية والدلالية، ثم علاقة هذه المكوّنات اللغوية بالعالم الذي يحيط بالإنسان.

---

1 -Henri van hoof. Rime et allitérrations dans les langues française et anglaise . p2.

2 – قافية، تقفية. ينظر مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص255.

3 – تجانس صوتي، سجع . ينظر م. س. ص31.

الإتباع في المستويات اللّسانية:

إنّ المادّة الإتباعية، التي وصلتنا، هي في صورتها المركّبة، ولكن الاعتبارات العملية لدراسة هذه المادة اللّغوية، تفرض على هذا السياق المركّب أن ينحلّ إلى أصغر مكوّناته وعناصره حتى يمكن الوصول إلى الخصائص التحليلية لهذه العناصر»"[1]" .

وفي ضوء الدراسات الحديثة؛ يعدُّ الإتباعُ ظاهرةً صوتيّةً صرفيّةً نحوية، معجميّة، من مقاصدها تحقيق التأكيد والتثبيت للفظ الأوّل، ومن المقاصد أيضاً المقصد البلاغيّ والجمالي.

ومن اللّغويين المحدثين؛ "**عبد الحميـــد السيّد**"، الذي تناول الإتباع اللّفظي، كأسلوب من أساليب العرب ترد في مركّبه كلمة زائدة، تماثل في وزنها وفي ضبط آخرها، وفي أكثر حروفها كلمة أخرى، تسبقها. ولم يفُته، أن يذكر أنّ تسمية « هذه الكلمة، هي ونظائرها "الأتْباع"... ومن ذلك قولهم عفريت نفريت، شيطان ليطان، وحسن بسن... وظاهر هذه الصورة أنّ التّبع يزاد لمجرّد التلميح ... وهذا مطلب تركيبي؛ يفيد توكيدا اكتسبه من التماثل الصوتي بين التابع والمتبوع»"[2]"، وفي هذا القول، توضيح لبنية الظاهرة، وما تقتضيه من دراسة في ضوء التّحليل اللّساني على مستوياته المختلفة.

وهذا، نظرا لكون اللغة منظّمة كبرى، مكوّنة من أنظمة هي النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي"[3]"؛ لا يقوم أيّ تحليل لساني أو دراسة لسانية للّغَة، إلا بعد تعيين مستوياتها؛ أي جهاتها وعناصرها المكوَنة لها. وتحليل الظّاهرة اللغوية

1 – تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص17

2 –عبد الحميد السيّد. دراسات في اللّسانيات العربية. ص20 .

3- تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 6 .

الإيقاعية، يستدعي التعرّض للأصوات والصّرف والنحو والمعجم والدّلالة، وهذه المكوّنات، تمدّ الدراسة الأسلوبية بعناصرها الأولى. و ينبغي الاهتمام به عند دراسة النظام اللغوي، بما هو عامّ ومطّرد، دون إهمال بعض الاستثناءات "غير المطّرد"، لأنّها تعتبر شواهد على مراحل سابقة أو بدايات لتطوّر جديد"[1]". « إنّ أيّة دراسة على أيّ مستوى من مستويات البحث تعتمد في كلّ خطواتها على نتائج الدراسات الصوتية. وذلك بالطبع أمر يمكن إدراكه إذا عرفنا أنّ الأصوات هي المظاهر الأولى للأحداث اللّغوية»"[2]". وقد كان "الخليل"، أوّل من التفت إلى صلة الدرس الصوتي بالدراسات اللغوية الصرفية والنحوية؛ ولذلك كان للدراسة الصوتية من عنايته نصيب كبير؛ ذلك أنّ الأصوات في اللغة، « هي مادّة الألفاظ، وأساس الكلام المركّب والعمدة في تلوين الأداء، وإعطائه رنينا إضافيا يزيد من وضوح التعبير وصدقه في حمل فكرة المتكلّم أو التأثير بها في السامع»"[3]".

أما من حيث الصّرف ***La morphologie***؛ فالظواهر الصوتية تلعب دورا بارزا في تحديد الوحدات الصرفية وبيان قيمتها؛ « ذلك لأنّ مباحث الصرف مبنية في أساسها على ما يقرّره الأصوات من حقائق وما يرسمه من حدود ... وفي النحو، وهو الهدف الأساسي الذي يسعى اللّغويون إلى تحقيقه عند النّظر في اللغة المعيّنة ... فهذه المادّة بكلّ بساطة إنّما تتألف من عناصر صوتية وأخرى صرفية. وهذا يعني من الناحية المنهجية ضرورة ربط النحو ربطا وثيقا بعلم الأصوات والصرف. فعلوم اللغة تعتمد كلّها على الأصوات، « ولا يمكن أن تقوم دراسة نحوية صحيحة دون أن يدخل في منهجها علم الأصوات وعلم التّشكيل الصوتي وعلم الصّرف»"[4]"، ولا شكّ أنّ استغلال الظواهر الصوتية، في تحليل المادّة اللّغوية، يمدّ الباحث ببيان قيم المركّبات

1- عمار الساسي. اللّسان العربي وقضايا العصر. ص5، 6. دار المعارف للإنتاج والتوزيع. البليدة الجزائر. ط2001.

2 -كمال محمد بشر. علم اللغة العام . الأصوات. ص 239. ط9 . دار المعارف. مصر. 1986.

3 – حسن ظاظا. كلام العرب. ص11. ط2. دار القلم. دمشق. الدار الشامية. بيروت. 1990.

4- تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص203. مكتبة الأنجلو المصرية .1990 ***http://waqfeya.com/book. php?bid=5159***

ودلالتها؛ خاصّة وأنّ « المعجم عادة، يقنع بتسجيل المعاني العامّة، مهملا في أكثر الأحايين تلك الظلال المعنوية الكثيرة التي قد تفيدها الكلمة في السياقات المختلفة للكلام. هذه المعاني الأخرى، إنّما يتمّ إدراكها إدراكا دقيقا في الكلام المنطوق في المواقف اللغوية الحيّة. هذه المواقف وما يرتبط بها من ظروف وملابسات»"[1]".

فالبحث يسعى إلى إبراز العلاقة الوثيقة بين حروف الإتباع، وآلية توليد البنية الصرفية الثانية، والتي عبّر عنها العرب بأنّها « شيء نتِد به كلامنا»"[2]"، فيتمّ الكشف عن العلاقات اللّغوية في المركّب الإتباعي المتولّد؛ فمكوّنات الإتباع متماسكة؛ وعليه لا يمكن النّظر في مستوى دون آخر، مكمّل له. وبهذا يتمّ إدراك دلالة الشكل، وتجسّده في مركّب مميّز.

وللعربية في تنمية ثروتها اللّفظية وتوليدها، خصوصيات، و هاذان المستويان الصوت صرفي لا انفصال بينهما؛ إذ تكشف الدراسة عن آلية توليد مركّبات الإتباع؛ فالإجراء الذي تمّ على المستوى الصوتي، بتكرار يسمح بتغيير في الصامت الأوّل، وبآلية سهلة، تتشكّل الصيغة الصرفية للتابع، على نسق متبوعه، فيكون الناتج مركّبا إتباعيا، "حسن بسن". ويدلّ مصطلح التّركيب، في اللسانيات، على المستوى اللغوي الذي يدرس الوحدات اللغوية داخل الجملة من حيث علاقة بعضها ببعض، ومن حيث ترتيبها وإعرابها. كما أنّ ثنائية التركيب في الإتْباع، ظاهرة أسلوبية جمالية؛ إذ التتابع تعزيز لتأدية صفة حسّية، في مثل "قضّ بضّ"، تعني "جميل"؛ فامتزاج المعنيين الأصليين نتج عنه معنى واحد.

فالإتْباع، أسلوب ثنائي مميّز في جمعه بين البنية التي تتّسم بالوضوح من جهة في مثل "حسن بسن" وبين الدّلالة الملوّنة بالغموض من جهة أخرى "بسن". ويرى ادوارد سابر، أنّ أفضل وسيلة لدراسة اللّغة، تكون عن طريق دراسة التركيبات الشّكلية

1 – كمال محمّد بشر. الأصوات. ص255.

2 – السيوطي. المزهر في علوم اللّغة وأنواعها. ج1. ص326.

للّغة، « وهي تقتضي دراسة الأنماط في الصوت والكلمة والجملة»"[1]"، ولما كانت اللّغة ظاهرة اجتماعية، فهي سلوك ثقافي ذو نماذج أو أنماط. وممّن تناول الأنماط الشكلية لكلام العرب، من المحدثين، جلال شمس الدّين، فمعظمها في نظره، ينطلق من فكرة النّسق أو البناء أو العلامة أو النّمط أو الشّكل، ومعانيها متقاربة"[2]". ومن هذه الأشكال التركيبية، مركّب الإتباع، فهو نمط تركيبي مثنى، مكوّناته: كلمة أساس + كلمة زائدة؛ فهو قالب مختلف عن الكلام العادي، يميّزه نوع من التأليف اللّغوي الموسيقي، الغاية منه تعبيرية وجدانية، تريح المتكلّم من جانب، وتمتع السّامع بموسيقى الكلمات مثل القوافي والسجع"[3]"، من جانب آخر.

وهذه الميزة الشكلية الثنائية في بناء مركّب الإتْباع، لم تعالج كثيرا، من حيث ثنائية التركيب والظلال التي يوحي بها هذا القالب المتنامي. وهي تستحقّ أن تدرس مع بعض الإجراءات البلاغية، بوصفها وسيلة جمالية من وسائل اللّغة"[4]". وهذا مع مراعاة النّظر إلى اللغة، كوظيفة اجتماعية، تصوّر معاني التّماسك وتؤدي الدور التواصلي. والتجزئة تحيل اللغة فتاتا؛ إن لم يراع هذا التماسك بين مكوّناتها الذاتية؛ فالأصوات أولا؛ ومعطياتها ضرورية للولوج في علم الصرف، ومعطيات العلْمين ضرورية ومهمّة لعلم النحو. ولأنّ طبيعة هذه العلوم مرتبطة ارتباطا وثيقا بعضها ببعض؛ فإنّ طبيعة الدراسة للظاهرة متشابكة ذات علاقات متماسكة فيما بينها.

1- عبده الرّاجحي. النحو العربي والدّرس الحديث. بحث في المنهج. ص 31. دار النّهضة العربية للطباعة والنشر. 1979. ***http://www. archive. org/details/naho_dars_manheg***

2-جلال شمس الدين. الأنماط الشكلية لكلام العرب نظرية وتطبيقا. دراسة بنيوية. ج1. ص 11. توزيع مؤسّسة الثقافة الجامعية. الاسكندرية. 1995. ***www. 4shared. com/rar/. . . /____1. html***

3 – ينظر. القالي. الأمالي. ج2. ص216.

4- ينظر ديفيد جستس. محاسن العربية في المرآة الغربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللّغات الأوروبية. ص132. ترجمة حمزة بن قبلان المزيني. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الرياض.

The Semantics of Form in Arabic in The Mirror of European Languages, 1987 David Justice John Benjamins Publishing Company. lisaanularab. blogspot. com/. . . /blog-post_4210. htm

وفي مقدّمة المهتمّين من القدماء، بدراسة الأصوات « سيبويه، والفارسي، وابن جني»"[1]". بدأ سيبويه؛ كتابه بدراسة النحو وأتبعه بدراسة الصّرف، وأخيرا دراسة الأصوات؛ فالنظام اللّغوي يؤلّف كلاّ واحدا؛ وهذا الكلّ المتكامل، تجسّد في كتاب سيبويه؛ فالكتاب يشمل دراسة نحوية وصرفية صوتية ؛لأنّ طبيعة هذه العلوم مرتبطة ارتباطا وثيقا ببعضها. ومن المعلوم أنّ ابن جني، قد استهلّ كتابه، "سرّ صناعة الإعراب[2]" بالحديث في الأصوات.

أما المحدثون ، فبدأوا بالأصوات أوّلا ومعطياتها ضرورية لعلم الصّرف، ثمّ الصّرف، ومعطيات العلمين ضرورية ومهمّة لعلم النحو؛ ونظرا لترابط هذه العلوم وتداخلها، فلا حدود فاصلة بينها"[3]"؛ فالترتيب إذن بين هذه العلوم « ليس ترتيب أهمّية أو أفضلية، إنّما هو ترتيب يقتضيه منطق الأشياء»"[4]". ومن هنا؛ فإنّ دراستي لظاهرة الإتباع اللّفظي، تنطلق من الدراسة الصوتية للأصوات الأكثر شيوعا في توليد الإتباع – وهذا المظهر؛ مظهر صوت صرفي–، إلا أنّنا لضرورة الدّراسة، سنتناول الأصوات ثمّ الصّرف. تليه دراسة للأصوات الأواخر في الإتباعات –حرف الرويّ–؛ ثمّ التعرّض للتعديلات في الألفاظ لتحقيق التوازن؛ وهذا في إتباع المزاوجة. وتتبعهما دراسة المستوى النحوي التركيبي. « وإذا جاز الفصل بين جانبي هذا الكلّ، فإنّما هو فصل موقوت، تفرضه أحيانا ضرورة البحث ...»"[5]".

ونظرا، لصعوبة رسم الحدود بين مستويات اللغة في دراسة الظاهرة، ينبغي الحذر المنهجي؛ إذ قد تتكرّر النصوص المستشهد بها، مثلا. فالظواهر الصوتية

1–عبد الصبور شاهين. المنهج الصّوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصّرف العربي. ص9. مؤسّسة الرّسالة. 1980. ***http://www. archive. org/details/almanheg_alsouty***

2 – ينظر. ابن جني. سر صناعة الإعراب. ج1. دراسة وتح حسن هنداوي. دار القلم. دمشق ط2. 1994.

3–أحمد عفيفي. ظاهرة التخفيف في النحو العربي. ص8. دار النشر: الدار المصرية اللّبنانية. ط1. 1996. ***majles. alukah. net***

4 – كمال محمد بشر. الأصوات. ص 240.

5 – م. س. ص242،240.

ومعطياتها، في الإتباع، أساسية للولوج في دراسة الصّياغة الفنّية للظّاهرة ومبانيها. والمعطيات الصوت صرفية، ضرورية في دراسة المركّب الإتباعي؛ إذ هو نتاج تفاعلهما.

وفي مقام الحديث عن منهج معالجة الظاهرة؛ يجدر بنا أن ننبّه، أنّه إذا كان "**أبـــو الطيّب**"، قد رتّب مادّة الإتباع، حسب أصوات البدايات – أفقيا– فابن فارس، قد انصبّ اهتمامه على الأصوات الأواخر–حرف الرويّ–. ويمكننا أن نستخلص من هذا؛ أنّ أبا الطيّب، انطلق من اهتمامه بآلية توليد البنية التابعة، التي تتكاثر بها مادّة الإتباع؛ وتتدرج هذه الرؤية من منظور لساني محدث – يفيد من معطيات علم الأصوات بنوعيه؛ الفونيتيكي والفنولوجي– في علم الصّرف صوتي"[1]"***Morpho-phonologie***."[2]"؛ فطبيعة هذه العلوم مرتبطة ارتباطا وثيقا ببعضها؛ لأنّ العلاقة وثيقة بين علم وظائف الأصوات؛ ***Phonologie***، وبين الدرس الصرفي والنحوي"[3]". وهذا ما يصطلح عليه "[4]"***Morphosyntaxe***. ومن هنا عدم الفصل بحدود فاصلة بين المستويات، ولا بدّ من مراعاة التماسك في تحليل أيّ مستوى من مستويات النّشاط اللّغوي؛ إذ لا بدّ من أن يوضع في الاعتبار نتائج وخلاصات المستويات الأخرى"[5]". وتبقى الحقائق المتوصّل إليها بواسطة التّحليل على هذه المستويات، جزئية بالنسبة إلى المعنى الدّلالي؛ ويلتحق الفصل الدلالي، للنّظر في الجانب المعجمي للّفظ "التابع"، ثمّ تناول العبارة الإتباعية

1–عبد القادر عبد الجليل. علم الصّرف الصّوتي ***morpho-phonology***. ص30. شركة الشرق الأوسط للطباعة. ط1. 1998

2– عبد القادر عبد الجليل .علم الصرف الصّوتي. ص 29. – بتصرّف– ينظر. مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص188.

3 – أحمد عفيفي. ظاهرة التخفيف في النحو العربي. ص8 .

4– ينظر مبارك مبارك . معجم المصطلحات الألسنية. ص188

5–علي أبو المكارم. الظواهر اللّغوية في التراث النّحوي: الظواهر التركيبية. ص 21،22. دار غريب للنشر. ط1. 2006.

لمحاولة استحضار المقام"[1]"، الذي قيلت فيه، أو المعنى الاجتماعي؛ وصولا إلى المعنى الدّلالي.

يعدّ المستوى الدّلالي من أسمى مستويات اللّغة؛ إذ هو غاية كلّ دراسة لغوية. ومن الضروري الوقوف على المعنى اللّغوي والاصطلاحي له، كمنطلق لإيضاح المفاهيم. والدّلالة في مفهومها اللّغوي: مصدر من الفعل "دلّ "، مادّته "د.ل.ل"، ومعناها «دلّه على شيء، يدلّه دلالة، فاندلّ: سدّده إليه، وقد دلّه دلالة ... و الجمع أدلّة وأدلاء والاسم الدَّلالة –بالكسر والفتح–»"[2]". ومن معاني الدلالة ما أورده الزّمخشري « أدللت الطريق: اهتديت إليه، ومن المجاز، الدّال على الخير كفاعله، ودلّه على الصّراط المستقيم»"[3]"، فالدّلالة في مفهومها اللّغوي، لا تخرج عن كونها الهداية إلى الطريق والإرشاد إليه بمعنى التسديد إليه.

أمّا علم الدلالة في الاصطلاح، فقد أطلقت عليه عدّة أسماء في اللغة الإنجليزية، أشهرها الآن ***Semantics***، وبالفرنسية ***Semantique***. وفي العربية، يسمّيه بعض العلماء، علم الدِّلالة"[4]"–بفتح الدال وكسرها– وبعضهم يسمّيه العلم الذي يدرس المعنى"[5]"؛ وبهذا يكون اهتمام موضوع علم الدّلالة بأيّ شيء أو بكلّ شيء يقوم بدور

1–المقصود بفكرة المقام،أنّه يضمّ المتكلّم والسامع أو السامعين والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة في الماضي والحاضر والتراث والفلكلور والعادات والتقاليد والمعتقدات والخزعبلات. ينظر. تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص352.

2– ابن منظور. لسان العرب. ج5. ص250

3– أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزّمخشري جار اللّه. أساس البلاغة. تح محمد باسل عيون السود. ص103 .منشورات محمد علي بيضون . دار الكتب العلمية. بيروت. ط 1 . 1998م.

4– قدّم فايز الدّاية دراسة تاريخية تأصيلية "علم الدّلالة العربي"، برهن فيها على أصالة "علم الدّلالة العربي" عند الباحثين العرب من اللّغويين والفلاسفة والأصوليين والفقهاء والنّقاد والأدباء. وبعد أن درس معالم هذا العلم في إنجازات العلماء في اللّغات المعاصرة "الفرنسية والإنكليزية والألمانية "، ثمّ بحث عمّا يقابلها في الكتابات العربية. ينظر فايز الدّاية. علم الدّلالة العربي. النّظرية والتّطبيق. دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية. ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر . د. ت.

5– ينظر أحمد مختار عمر. علم الدلالة. ص11.

العلامة أو الرّمز، هذه العلامات أو الرّموز، قد تكون علامات على الطّريق وقد تكون إشارة باليد كإشارة التحيّة بتحريك اليد، في حال بعد المسافة بين شخصين، أو إيماءة بالرّأس للدّلالة على الموافقة، كما تكون كلمات وجملا. ورغم اهتمام علم الدّلالة، بدراسة الرّموز وأنظمتها – ما كان خارج نطاق اللّغة–؛ فإنّه يركّز على اللّغة من بين أنظمة الرّموز؛ لأنّها تكتسي أهمّية خاصّة بالنسبة للإنسان"[1]".

وفي تصوّر "دي سوسير"، للّغة ***De Saussure*** ، أنّها تعمل بوصفها نظاما من العلامات ***système de signes***، فهو يرى أنّ هذه العلامة تتكوّن من جانبين الدال ***signifié*** والمدلول ***signifiant***"[2]"، ويعني الدال الجانب المادّي للّغة ويعني المدلول، الجانب الذّهني منها ولا يمكن الفصل بينهما.

ولما كان النشاط الكلامي الحامل للدلالة الكاملة، لا يتكوّن من مفردات فحسب؛ وإنّما من أحداث كلامية؛ فإنّ علم المعنى، لا يتوقّف اهتمامه عند معاني الكلمات المفردة؛ لأنّ الكلمات، ما هي إلاّ وحدات بناء، يوظّفها المتكلّمون في كلامهم، ولا يمكن اعتبار كلّ منها حدثا كلاميا مستقلاّ قائما بذاته"[3]"؛ ولا يمكن للكلمة المفردة أن تكون سلسلة كلامية؛ فعلم الدّلالة يبحث في دلالة الألفاظ وفي معانيها التي تكتسبها في السّياق"[4]" الذي ترد فيه وعلاقة بعضها ببعض في التركيب الواحد لأنّ «...الظاهرة اللّغوية لا تحمل قيمة بمعزل عن بنائها وتركيبها ولا يمكن أن تستوضح في حدود جزئية سابقة

1– ينظر م. س–بتصرّف بسيط– ص 13.

2–FERDINANd DE SAUSSURE .cours de linguistique generale. p10. edition Talantikit. Bejaia. 2002 .

3– ينظر أحمد مختار عمر. علم الدلالة. ص13.

4 - ننبّه إلى سبب تجنّب تصنيف البحث للمادّة اللغوية الإتباعية في حقول؛ لأنّ العبارة الإتباعية –في نظر الباحثة – لا يمكن ربطها بعبارات أخرى من مثيلاتها، لأنّ كلّ عبارة مستقلّة عن الأخرى، ثمّ البحث عن العلاقات بين الكلمات يكون على مستوى العبارة الواحدة؛ أي بين كلمتيْ العبارة –التابع ومتبوعه– لا على مستوى مدوّنة الأمثلة؛ لأنّ كلّ مثال مستقلّ بذاته؛ فتصنيف المادّة على حقول والوقوف على العلاقات، يناسب النصّ المشتمل على علاقة موجودة فعلا بين عناصره، ومن ثمّ إمكانية تصنيفها في حقول.

أو أن تدرك منفصلة عن حدّة المعنى وقوّته ونشاط السياق وكثافته»"[1]". وفيما يلي نبذة عن السّياق ومفهومه:

السّياق لغة من الجذر اللّغوي "س وق"، مصدر ساق يسوق سوقا وسياقا، فالمعنى اللّغوي يشير إلى دلالة الحدث، وهو التتابع"[2]" وذكر التهانوي"[3]" : أن « السياق في اللغة بمعنى الإيراد»"[4]"، ويقول تمام حسان تأكيداً لهذه المعاني اللّغوية التي تدل على "التّتابع أو الإيراد": « المقصود بالسياق، التوالي، ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين أولاهما: توالى العناصر التي يتحقق بها التركيب والسّبك، والسّياق من هذه الزاوية يسمّى "سياق النص". والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمى السياق "سياق الموقف»"[5]".

فالبحث يتناول، ظاهرة الإتباع اللّغوية؛ المتمثّلة في المركّب الإتباعي–العبارة الإتباعية–؛ من حيث كونه ظاهرة صوتيّة صرفيّة معجميّة؛ بالوصف والتحليل والدّراسة"[6]"، في مستويات؛ اقتضتها الخصائص المميّزة لطبيعة الظاهرة؛ في كيفية صياغتها وتشكّلها، والوقوف عند الأغراض المبتغاة من استعمال عباراتها؛ وبناء على المعطيات اللّسانية والخصائص اللغوية لهذا النّمط من التّعبير، تشكّل عنوان البحث في العبارة الآتية:

1– تامر سلوم. نظرية اللّغة والجمال في النّقد العربي. ص9. دار الحوار. ط1. 1983.

2– ينظر ابن منظور. لسان العرب. ج 5 . ص 906.

3– محمد علي بن شيخ علي بن محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي السني الحنفي التهانوي، ت بعد 1745م . باحث هندي وعالم موسوعي ولغوي من أئمة القرن الثاني عشر للهجرة. والتهانوي نسبة إلى مسقط رأسه « تهانة بهون» من ضواحي دلهي، وقبره فيها اليوم. الموسوعة العربية ENCYCLOPEDIA .

4– محمّد علي. التهناوي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. مراجعة رفيق العجم. تح. علي دحروج. ص86. مكتبة لبنان ناشرون. ط1. 1996 . ***www. 4shared. com/office/. . . /____2. html***

5–ينظر تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها . ص 20.

6 – وصلت إلينا المادّة اللّغوية الإتباعية، مكتوبة، وبهذا تفقد بعض خصائصها النّطقية .

ظاهرة الإتباع اللّغوية في المستويات اللّسانية؛ وبسط عناصره، وتناولها، سينجز في مقدّمة يليها مدخل تمهيدي وأربعة فصول ،مشفوعة بخاتمة :

الفصل الأوّل: المستوى الصّوتي.

الفصل الثاني: المستوى الصّرفي.

الفصل الثالث: المستوى النحوي التركيبي.

الفصل الرابع: المستوى الدّلالي.

الفصل الأول

المستوى الصوتي

توطئة:

الأصوات في اللغة، هي مادّة بناء الألفاظ، وأساس الكلام المركّب والأداة في تلوين الأداء ومنحه رنينا إضافيا يزيد التعبير وضوحا في حمل فكرة المتكلّم أو التأثير بها في السامع"[1]". واللّغة « أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم»"[1]". والكشف عن الظّواهر الصوتية، في تحليل المادّة اللّغوية الإتباعية، يمدّ البحث ببيان قيم المركّبات ودلالتها، والظلال المعنوية الكثيرة التي يتمّ إدراكها إدراكا دقيقا في الكلام المنطوق في المواقف اللّغوية الحيّة، وما يرتبط بها من ظروف وملابسات"[1]" – وإن كان التراث الإتباعي وصلنا مكتوبا–.

حروف البدايات في الإتباع :

تبيّن من خلال استقراء الأمثلة الإتباعية وتتبّعها بالإحصاء؛ أنّ أصواتا معيّنة، كان لها الحضور الأوفر في تكثير هذه الأمثلة، وهي كالآتي: الباء، واللام والميم والنون والدال والوا و والهمزة.

1 – حسن ظاظا. كلام العرب. من قضايا اللغة العربية. ص11.

1– أبو الفتح عثمان بن جني. الخصائص. ج1. ص33 .

1 – كمال محمّد بشر. الأصوات. ص255.

المبحث الأوّل :

الحروف الأكثر استعمالا في توليد الإتباعات

أ- التحليل الصوتي

كانت الصّدارة للإتباع الذي أوّله الباء، بأربعين مركّبا-40-، أذكر بعضا منها: قالوا: "هو في حلّ وبلّ". وجاء في الحديث « إنّي لا أحلّها لمُغتسِلٍ، وهي لشارِبٍ حِلٌّ وبِلٌّ»"[1]. و"إنّه لحسنٌ بسنٌ" وجميل بكيل، وإنّه لكثيرٌ بثيرٌ، بذيرٌ بجيرٌ، ويقال: إنّه لقليل بليل "رجل حُطائط بُطائط": في وصف الرّجل القصير العريض، وفي هذا قالت امرأة من العرب:

إنّ حِري حُطائط بُطائطْ * كأثر الظّبيِ بجنْب الحائطْ "[2]".

وصوت الباء، شفوي انفجاري مجهور، من حروف القلقلة، التي تتّصف باضطراب الحرف وتحرّكه بحركة عند النطق به وهو ساكن؛ حتى يسمع له نبرة قويّة، مميّزة"[3]".

ويمكن تفسير وفرة صوت الباء، في بدايات الإتباعات، لما في الباء من خاصّية الجهر والشدّة، والسهولة في النّطق، ممّا يرشّحها للاستعمال في تكثير أمثلة الإتباع. كما أنّ لعنصر الفجأة، الناتج عن الصّوت الانفجاري***plosive***، وهي « صفة للصوت اللغوي الذي ينحبس معه تيار للنفس، ثمّ الهواء بشكل انفجار»"[4]"، أثره في إبراز التابع

1- ينظر. أبو الطيّب الإتباع ص24،23. السيوطي: ومن ذلك قول العبّاس في "زمزم": "هي لشاربِ حلٌّ وبِلٌّ". المزهر. ج1. ص 325.

2- ينظر. أبو الطيب. الإتباع. ص13. وابن منظور في اللّسان: الحطاطة والحطائط والحطيط: الصغير: ج4 ص697.

3 – صبحي الصالح. دراسات في فقه اللّغة. ص. 283. دار العلم للملايين. لبنان. ط1. 1986

4 - مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص 228

المبدوء به. وقد حرص القدماء على إظهار كلّ ما في هذا الصوت من جهر، فأوجبوا في الباء القلقلة، في حال السكون، حتى لا يلتبس « بنظيره المهموس، الذي يرمز إليه في الكتابة الأوروبية بالرّمز "***P***"»"[1]".

وصوت الباء، كثيرا ما يرد صوت بداية، في إتباع العامّة، ومما يجري على ألسنتهم: "شْلولْ بْلولْ"، "سارة بارة"، "لاش باش"، وفي تلاعب الأطفال بالألفاظ،: "بحْ بحْ"، "خرْميطة برْميطة"، "حُطْ بُطْ"، وبصيغة الفعل "خاطيني باطيني"، ونلاحظ، أنّه تحقّق في هذه الأمثلة الارتجالية، ظاهرة التأليف بين الحروف المتباعدة في المخرج «وأحسن التأليف ما بوعِد بين الحروف، فمتى تجاور مخرجا الحرفين؛ فالقياس ألاّ يأتلفا»"[2]"، ممّا يدلّ على أنّ الإتباع البسيط تلقائي، يمليه الميل الفطري إلى عذوبة النغم، واستحسان الإيقاع الموسيقي.

ويليه في الرّتبة، صوت اللام، بأمثلة، بلغ عددها أربعا وعشرين–24– مثالا، واللاّم صوت مجهور، متوسّط بين الشدّة والرخاوة. يقال: هو "شيطان ليطان"، "طعام سائغ لائغ"، و"هوكزّ لزّ"، و"إنّه لعوِز لوِز"، وشكِس لكِس، وما لي فيه حوْجاء"[3]"، ولا لوْجاء، أي ما لي فيه حاجة..."[4]"، ولصوت اللام، نصيب من توتيدات العامّة لكلامها في عمّيتنا، في مثل: "صامط لامطْ"، "شايط لا يط"، باش لاش"، "حوْجي لوْجي".

1 – إبراهيم أنيس. الأصوات اللغوية. ص45. دار الطباعة الحديثة. الناشر مكتبة الأنجلو المصرية. ط5. 1979.

2 –ابن جني. سرّ صناعة الإعراب. ج2. ص814.

3 – في العامّية الجزائرية: كلمة تجري على ألسنة النساء:"حوْجي"، وهي للتحسّر، والحاجة إلى المواساة.

4– الأمثلة واردة في الغريب المصنّف لأبي القاسم الهروي ص 407، والإتباع لأبي الطيّب، وفي الأمالي للقالي ج2 ص209–217. وعند ابن سيده، في المخصّص. ج 14.ص28. المطبعة الأميرية. بولاق. مصر. ط1. 1333هـ .

ثمّ يتلوه صوت النون، ب –19– تسعة عشر مثالا منها: "رجل جائعٌ نائعٌ"، من ناع الغصن، إذا تمايل"[1]". وفي وصف الحركة، قال الراجز: ميّالةٌ مثلُ القضيب النّائع. وفي تحقير الشيء: "إنّه لتافه نافه". ويقال: إنّه "لسهْد مهْد نهْد": أي حسن[2]. وإنّه "لعطشانٌ نطشانٌ"، مأخوذ من قولهم: ما به نطيش أي حركة"[3]"، و"إنّه لخبيثٌ نبيثٌ"، للذي يظهر شرّه"[4]".

وصوت النون، صوت مجهور، متوسّط بين الشدّة والرّخاوة"[5]". مخرجه من الخيشوم، يلوّنه بغنّة، تمنحه عذوبة في السّمع. وفي العامّية مثل: "ليلة فْراشْ وليلة نْعاشْ"، في عشْنا وينشْنا"، أمثلة النون، نادرة، لا تلجأ إليها العامّية، كثيرا مقارنة مع قريبتيْها، ذلك أنّ النون قد تتأثر بنوعية الأصوات المجاورة، فتفنى فيها، ولها في هذا التأثّر درجات"[6]". والعامّة في تلعّبها بالكلمات، تؤثْر الإظهار والمبالغة .

وأقلّ منهما الميم بأربعة عشر–14– مركّبا، مثل: "هو شهْد مهْد"، أي حسن"[7]" ورُطب ثعّد معْد"، وجاءنا بالكلام "سهْوا مهْوا"[8]" يقال: "إنّه لهذِر مذِر"، وعند اختلاط القوم: "إنّهم في هِياط ومِياط"، "ذهب ماله شِذَر مِذَرَ"، أي تفرّق. وفي وصف اللّحم،

1 – ينظر. أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، الغريب المصنّف. ص 407. ابن دريد. الجمهرة. ج 3. ص 430. القالي. الأمالي ج2. ص213 .

2 – ينظر السيوطي. المزهر . ج1. ص326

3 –"تطشان" مأخوذ من قولهم: ما به نطيش، أي مابه حركة. أي عطشان قلق. انظر: أبا الطيّب. الإتباع. ص94. ابن دريد، الجمهرة. ج3 ص 429. القالي. الأمالي ج2. ص 217 .

4 – ينظر القالي. الأمالي. ج2. ص217. ابن سيده المخصّص. ج14. ص28.

5 – إبراهيم أنيس. الأصوات اللّغوية. ص66،67.

6 –ينظر م. س. ص68: خصّت كتب القراءات "النون" بالبحث الخاصّ، وأفردت لها فصول، درست فيها: أحكام النون من إظهار وإخفاء، وإدغام وقلب.

7 – أبو عبيد. الغريب المصنّف. ص407.

8 – ينظر. القالي. الأمالي. ج2. ص213 وابن سيده. المخصّص. ج14ص 28.

الذي لا طعم له: "لحم سليخٌ مليخٌ""[1]". قال الشاعر: سليخٌ مليخٌ كلحمِ الحُوار * فلا أنت حُلْ و ولا أنت مُر"[2]".

وصوت الميم: صوت شفوي مجهور، وخروجه من الخيشوم، يطبعه بغنّة تستهوي السامعين، لا هو بالشديد ولا هو بالرخو، من الأصوات المتوسّطة. وإظهار الميم، هو الغالب، لأنّه أقلّ تأثّرا من النون بما يجاوره من الأصوات، فاحتمال فناء الميم في غيرها، نادر"[3]".

وكثيرا ما تقع في أسماعنا عبارات من لغة العوامّ، يزاوجون فيها، بين كلمات مبدوءة بصوت الميم، في مثل: "لا حَسْ لا مَسْ"، "ساهلْ ماهلْ"، "راشي ماشي"، "حيطْ ميطْ"، ""حْلالي مْلالي". والميم، « تكاد تشكّل نسبة عالية من الموروث الصيغي في العربية، على سنن القياس المطّرد "ملعب محارب، معاكس، مجروح»"[4]"؛ نظرا لما يتوافر فيها من صفات السّهول. وقال جرجي زيدان: « أنّ الميم في العربية القديمة، كانوا يستعملونها للتنكير، كما نحن نستعمل التنوين للتنكير، وكانوا كذلك يوردونها في آخر الكلمة للتوكيد، كابتم وزرقم»"[5]"، ولعلّ شيوعها في الاستعمال، لسهولة نطقها، استُثمرت في التنكير والتوكيد، وفي صياغة إتباعات قياسية، مبدوءة بالميم، وهذا ما أشار إليه عليه رفائيل نخلة في أنّ « الإتباع القياسي قائم بتحويل أوّل حرف من الكلمة الأولى إلى ميم في الثانية، وهو مقتبس من التركية"[6]"، من أمثاله: "لا كتاب عندي ولا متاب"»"[7]".

---

1 – ينظر أبو الطيّب. الإتباع ص89. ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص75.

2–هو الأشعر الرَّ قَبان الأسدي، شاعر جاهلي. والشاهد من أبيات ستة في النوادر. ينظر. م. س. هامش. ص 90.

3 – ينظر إبراهيم أنيس. الأصوات اللغوية. ص 45. وعبد الغفار حامد هلال. أصوات اللغة العربية. ص155. مطبعة الجبلاوي. القاهرة. ط2. 1988.

4 – عبد القادر عبد الجليل. علم الصرف الصوتي. ص85. نشر دار أزمنة. عمان. الأردن. ط1 . 1998 .

5– جورجي زيدان. الألفاظ العربية والفلسفة اللّغوية. مطبعة القديس جارجيوس. بيروت. 1886م. د. ت.

6 – أكثر الحروف استعمالا في توليد الإتباع، حرف الميم في نظر عزّ الدين التنوخي. ولعلّه قصد الإتباع القياسي. ينظر مقدّمة الإتباع، أبو الطيّب ص 4.

7 –رفائيل نخلة. غرائب اللّهجة اللّبنانية السورية. ص57. مط. الكاثوليكية بيروت 1959م. د. ت .

وفي حضور صوت الميم في الإتباع، كان لعزّ الدين التنوخي، رأي يقول فيه، أنّه « يكثر أن تكون الكلمة التابعة مبدوءة بميم، نح وصقر مقر، وشذر مذر، وهياط مياط ...»"[1]". غير أنّ استقصاءنا للمادّة الإتباعية"[2]"، أسفر عن غير هذه النتيجة، إذ، كانت الميم، أقلَّ إسهاما في تكثير المركّبات الإتباعية، من الأصوات الواردة السابقة، وهي: الباء، واللام والنون. واللام والنون، يجمعهما، قرْب مخرجيْهما، واشتراكُهما في نسبة الوضوح الصّوتي، فهما من أوضح الأصوات الساكنة في السّمع"[3]". وتواليهما من حيث مجموع الأمثلة الإتباعية الواردة، يؤكّد تقاربهما وتشابههما من خلال الاستعمال.

أما صوت الرّاء، وهو صوت مكرّر، مجهور، متوسّط كاللام، فقد تخلّف عن الصّوامت السابقة، إذ لم يتعدّ مجموع أمثلته، تسعا 09. ويمكن تفسير انحسار مساحة انتشاره، في موقعية بداية التابع، لأنّه « شبيه بالحركات، لما يوجد عند النّطق به من نوع من حرّية للهواء، بسبب الاتّصال والانفصال المتكرّرين. وهذا السلوك، يعطي هذا الصّوت نوعا من الوضوح السّمعي أقوى مما يحدث مع بقيّة الأصوات الصّامتة»"[4]". فميزة التّكرار في هذا الصّوت، وحريّة الهواء حين النّطق به تجعله يُؤْثر موقعية النّهاية، فيكون الأنسب له، أن يحدثَ في آخر الكلمة لا في بدايتها، ليجد متّسعا وفسحة، تمكّنه من تحقيق صفاته. ولعلّ هذا، يشفع لصوت الراء ندرة جريانه في إتباعات العامة، إلاّ من أمثلة قليلة، مثل : "سايح رايح"، "ماشي راشي". وتجمع هذه الأصوات الثلاثة، اللام والنون، والراء، علاقة صوتية، جعلت بعض القدماء يصنّفونها تحت اسم واحد، وهو، الأصوات الذّلقية[5]، لخروجها من ذلق اللّسان، أي طرفه"[1]".

---

1 – عزّ الدين التنوخي. مقدّمة الإتباع. ص14

2 – اعتمدت كتاب الإتباع لأبي الطيّب اللغوي، والإتباع والمزاوجة لابن فارس، وباب الإتباع لابن دريد، الجمهرة ج3، باب الإتباع للقالي في أماليه ج2، والغريب المصنّف للهروي، وابن سيدا في المخصّص ج14، وباب الإتباع، المزهر للسيوطي ج1، ومن غرائب اللغة، رفائيل نخلة و غيرها .

3 – إبراهيم أنيس. الأصوات اللّغوية. ص63 وما بعدها. باختصار.

4 – كمال محمّد بشر. الأصوات. ص168.

5 –إبراهيم أنيس. الأصوات اللّغوية. ص63

أما الواو الشفوية، فكان لها اثنى عشر–12– مركّبا، منها: "قليل وتيح"، و"إنّه لفقيرٌ وقيرٌ"، "رجل مليٌّ وفيٌ"، و"عاشق وامقٌ"، والوامق، المحبّ. وبالتكرار الصوتي في مثل: "قسيم وسيم"، والتلعّب بإحلال صامت مكان آخر، وكأنّ اللّفظ يكرّر نفسه، «لأنّ اللفظَ المكرَّر بوجه عام ــ هو مصدرُ الإثارة وقانون رئيس من قوانين تداعي المعاني»"[2]"، وفي الإتباع، تكون الإثارة بإحداث إيقاع موسيقي، يمتع السّامع ويثبّت العبارة. وصوت الواو من الأحرف الشفوية، مجهور، رخو ويأتي على ألسنة العامة، في مثل: "الشاري واري، وفي الأصوات المكرّرة، في مثل: "وايْ وايْ"، "واوا"، "واه واه"، وكثيرا ما يصدر الأطفال هذه الأصوات في ألعابهم ومحاكاتهم لأصوات بعض الحيوانات.

وكان لصوت التّاء، مساهمة، في تكثير أمثلة الإتباع؛ إذ تردّدت في أمثلة إتباعية بلغ تعدادها –12– اثنى عشر مثالا. وبهذا تعادلت مع الواو الشفوية المجهورة، من حيث مجموع الإتباعات منها: يقال للأحمق: "إنّه لفاكّ تاكّ". وفي الدعاء على الإنسان: "جوسا له وبوسا وتوسا"، وللسّريع: "إنّه لولِع ترِع"، و"أفّا له وتُفّا"، والتاء « صوت أسناني، لثوي، انفجاري مهموس»"[3]"، و« المهموس، هو الصوت الذي لا يهتزّ معه الوتران الصوتيان نتيجة انبساط فتحة المزمار واتّساع مجرى الهواء وابتعاد الوترين الصوتيين، بحيث لا يؤثّر الهواء فيهما، بالاهتزاز كالثاء والحاء والخاء والسين والشين وغير ذلك من الحروف المهموسة»"[4]"، ويبدو أنّ صفة الانفجار في صوت التاء، هي التي مكّنته من أن يحظى بهذا الحضور في تكثير الإتباع.

---

1 –صبحي صالح. دراسات في فقه اللّغة. ص279.

2 – السيد علي عزّ الدين. التكرير بين المثير والتأثير، ص 137. دار الطباعة المحمدية، القاهرة. ط2. 1978.

3 – كمال بشر. الأصوات. ص 129.

4–عبد الغفار. أصوات اللّغة العربية. 59. 60. إبراهيم أنيس. الأصوات اللّغوية ص 61.

وفي العامّية، قلّما ترد إتباعات تتصدّرها التاء. ويمكن تفسير الأمثلة المدوّنة، بمسألة التّصحيف، بسب الكتابة، كما في ضالّ تالّ"[1]"، و"لا بارك اللّه فيه ولا تارك"، "لاصلة بين تارك وبارك في المعنى ولا مناسبة، و إنّما أتوا به بغرض الإتباع للتقوية والتوكيد"[2]".

وتعادل صوت الدال المجهور مع نظيره المهموس التاء، في نصاب الإتباعات في مثل الدعاء: "لا باركَ الله فيه ولا تاركَ ولا داركَ"! وفي هذا المثال، « لا معنى لإتباع "دارك"، في هذا الموضع ولا مناسبة، إلاّ أنّهم وتَدوا به، لا بارك اللّه، فهو إتباع للتوتيد والتوكيد»"[3]"، يصحبه إمتاع الأذن بنغم عذب. وفي مثل: "إنّه لخاسرٌ دامرٌ"، وخسرٌ دبِرٌ؛ وهوالهالك، وإذا قيل"خاسرٌ دابرٌ"، « فلا وجه له إلا أن يكون إتباعا أ وتكون الباء مبدلة من الميم.»"[4]"؛ ويتبيّن من هذا، أنّه قد يقع التّداخل بين الإتباع والإبدال الصوتي.

فالدال إذن صوت أسناني، لثوي، مجهور، انفجاري، ولا يفرق بين التاء والدال إلا صفة الهمس"[5]". والمجموع نفسه في عدد الأمثلة الواردة في كليهما، يوضّح، أنّ المرجّح في نشاط أصوات الإتباع، هو صفة الانفجار التي أهّلت كلاّ منهما، لتتصدّر إتباعات، أثْرت المعجم العربي.

أما الهمزة، فقد تجمّع لها تسعة –09– مركبات إتباعية: في وصف القويّ: إنّه لشديد أديد"[6]"، ويقال:جيء من عيصِك وإيصِك"، أي من حيث كان ولم يكن. و"بسْلا

1 – ينظر. أبو الطيب. الإتباع. ص 28

2 – عزّ الدين التنوخي. هامش الإتباع. ص28.

3– ينظر أبو الطيّب. الإتباع. هامش. ص 41.

4 – ينظر م. س. ص 45.

5 – ينظر إبراهيم أنيس. الأصوات اللّغوية. ص61. باختصار

6 – ينظر ابن دريد، الجمهرة. ج3. ص. 428.

وأسْلا"، أي حرام، محرّم"[1]"، ويقال: بلد عريض أريض"[2]" ويقال في وصف صوت يردّده من يبخل على السائل: "شحيح أنيح"، وفي الجمهرة: "شحيح بحيح" « وقالوا نحيح، فيمكن أن يكون بحيح من البُحّة، ونحيح من قولهم يأنح بحمله»"[3]"، هذه ثلاثة أوجه: "أنيح، بحيح، نحيح"، و« النون أعلى»"[4]" في رأي ابن منظور.

والرّأي الرّاجح لكمال بشر في صوت الهمزة، أنّه « صوت حنجري انفجاري، لا هو بالمهموس ولا بالمجهور»"[5]"، ويدرك النّاطق بالهمزة، أنّها، وقفة حنجرية تنطق عند إغلاق الوترين الصوتيين، إغلاقا تاما، وهذا يسمح بحدوث الضغط اللازم لصفة الانفجار، نتيجة الفكّ بعد الإغلاق في نطقها. ورغم أنّ صوت الهمزة، لا تنطبق عليه صفة الجهر، إلا أنه ساهم في إنتاج الإتباع بمجموع لم يتجاوز العشرة، مثل: "بلدً عريض أريضٌ" "، وفي هذا قال الشاعر امرؤ القيس"[6]" :

بلادٌ عريضةٌ أريضةٌ * مَدافعُ غيْثٍ في فضاء عريض .

وهذا في وصف البلد الواسع، الذي حسُن نباته. و"يوم عكٌّ أكٌّ وعكيكٌ أكيكٌ"، يقال في وصف يوم شديد الحرّ. ويرى الأقطش، أنّ حضور صوت الهمزة، مع أصوات الإتباع رغم مخالفته في صفة الجهر، مردّه إلى تأثير المجانسة الصوتية التي تستدعيها حروف الحلق. ذلك أنّ حروف الحلق، تُستحسن حركة الفتحة معها، نظرا لقرب الهمزة في السماع من نطق الفتحة"[7]". وأرى، أنّ هذا المنظور، يتماشى وبعضا

1 – ينظر أبو الطيّب. الإتباع. ص37

2 – ينظر. م. س. ص10

3 –ابن دريد. الجمهرة. ج3. ص429

4 – ابن منظور. لسان العرب. ج2. ص189.

5 –كمال بشر. الأصوات. ص142

6 –امرؤ القيس. 80ق – 560م. الديوان. البيت السادس من قصيدة، مطلعها: "أعني على برق أراه وميضا". ص32. ***php.majles.alukah.net/showthread?...الديوان...ديوان-امرؤ-القيس-Pdf***

7 – الأقطش. إتباع الإيقاع في اللّغة العربية. ص 156.

من أمثلة الإتباع، في مثل: "شحيح أنيح"، و"عكيك أكيك"، قد تكون الهمزة جاءت بتأثير الحاء والعين، ولكن ما تفسير مجيئها في، "بسْلا وأسْلا "؛ أي حرام محرّم، وهو في الدعاء على الإنسان، مثله تعْسا ونكسا"[1]"، لعلّه النّبر اللازم لصفة الانفجار، والفكّ بعد الإغلاق في نطق الهمزة، فالجامع بينهما صفة الانفجار. وعلى كلّ فأمثلة الإتباع بالهمزة، نادرة.

ب- **الحروف الأقلّ استعمالا في الإتباع:**

حرف الصاد المطبق، إذ لم يرد له إلاّ ثلاثة أمثلة هي :"تركنا الدّيارَ بلاقِعَ صلاقِعَ" أي خالية من أهله، "أكل طعاما قفارا صفارا"، أي لا أُدْمَ معه، "أخذت الشّيء عفْاً صفْوا " أي بسهولة، " وإنّه لعافٍ صافٍ"[2]"، وثلاثتها تدلّ على الفراغ والخلوّ، في الدلالة الحسّية والمعنوية.

وليست الزاي بأوفرَ حظّا من سابقتها، إذ « ليس في الإتباع كلمة، أوّلها الزّاي، ولا في التوكيد إلاّ قولهم: رجل أحمْق أزْبق... والأزبق الذي ينتف لحيته من حمقه»"[3]".

أما عن مشاركة صوت الذّال، فقد قال فيها أب والطيّب « ولم نجد من الإتباع حرفا، أوّله الذّال المعجمة، فنذكره»"[4]"، ولم ترد فيه، إلا كلمة واحدة، اعتبرها توكيدا، استُعملت في وصف السريع: "إنّه لخفيف ذفيف".

وصوت الخاء، هو الآخر لم يستَسِغْه ذوق الاستعمال في الإتباع، إلاّ مرّة واحدة، كصامت بداية في التّابع، وهذا في المثال: "إنّه لمجنونٌ مخْنون"، والأرجح أن

1 – ينظر. أبو الطيّب. الإتباع. ص5.
2 – ينظر. أبو الطيّب. م.س. ص61.
3 – ينظر. أبو الطيّب. م.س. ص 45، 50، 69.
4 –ينظر. أبو الطيّب. م.س. ص45

يكون في إتباع الحاء "مجنون محْنون"[1]": وممّا عدّه أب والطيّب، توكيدا"[2]" "ما عنده خلّ ولا خمرٌ"، ويقال: "ما هو بخلّ ولا خمرٍ"، لمن لا خير فيه ولا شرّ؛ لأنّه بالوا و. وقد ورد هذا المركّب، في قول الشاعر"[3]":

هلاّ سألتِ بعادياءَ وبيتِه * والخَلِّ والخَمْرِ الذي لم يُمْنَعِ.

كما أنّ صوت الغين، لم يحظ بالحضور في ساحة الإتباع « ولم نجِدْ في الإتباع حرفا أوّله الغيْنُ»"[4]". أما فيما اعتبره مندرجا في باب التوكيد الذي أوّله الغين، فجاء بمركّب فريد، فيما يقال: "ما له ثلٌّ وغُلٌّ"، إذا دُعي عليه بالهلاك ؛ فالثّل هو الهلاك والغلّة، والعطش.

ج-**الحروف الغائبة:**

وهي: الضّاد والطاء والظاء، يقول أب والطيّب: « لم نجد في الإتباع ولا التوكيد حرفا أوّله ضاد ولا طاء ولا ظاء»"[5]" يؤكّد التنوخي غياب هذه الحروف، مُسْتثنيا مثالين « وفي مراجع الإتباع لم أجد من هذه الأحرف الثلاثة إلاّ حرفين، أوّلهما ضاد: ورجل أخرس أضْرس، وما له ثُلٌّ وضَلٌّ»"[6]".

د- **نتائج التّحليل الصّوتي لحروف الإتباع:**

1- هذا المثال "مجنون محنون"، وارد في باب الحاء كذلك. ص37. رجل محنون، الحِنُّ دون الجنّ، يفزع عند النّوم، ينظر ابن فارس. الإتباع. هامش ص67.

2 – أبو الطيّب. الإتباع. ص40.

3 – هو النّمر بن تولب يخاطب زوجته، ويأتي بعده، البيت:

لا تجْزعي إنْ مُنْفِسا أهْلكْتُه وإذا هلكْتُ فعند ذلك فاجْزعي.

ينظر. أبو الطيّب. الإتباع. هامش ص40.

4 – أبو الطيّب. م.س. ص68.

5 – أبو الطيّب. م.س. ص 61

6 – ولم يذكر المثال الثالث. ينظر. م. س. هامش. ص 61.

بعد استقراء الأمثلة لإتباعية، تبيّن أنّ الصامت الأوّل من التابع، من مركّب الإتباع، قد جاء مجهورا في أكثر الأمثلة، « والحرف المجهور هو الذي يهتزّ معه الوتران الصّوتيان نتيجة انقباض فتحة المزمار وضيق مجرى الهواء واقتراب الوترين الصوتيين، اقترابا يسمح للهواء بالتأثير فيهما بالاهتزاز»"[1]. وصفة الجهر، تمنح للصامت الأوّل من الكلمة التابعة، وضوحا في السمع، حين الأداء. وممّا يلاحظ أنّ صفة الجهر في الأصوات، ليست هي وحدها العامل الأساس في تكاثر الإتباعات، إذ أمثلة التاء المهموسة، فاقت بعض الأصوات المجهورة، من حيث نشاطها في تكثير الإتباعات. وأضاف الأقطش، إلى هذه الأصوات التي تتكاثر بها أمثلة الإتباع، صوت الياء"[2]، إلاّ أنّ ما لاحظناه من خلال تتبّعنا للأمثلة، أنّ الياء، لم تحضر في إتباع أبي الطيّب، إلاّ في ثلاث أمثلة، هي: في الدعاء على الإنسان: جوعا يُرقوعا، ورجل حرّان يرّان، وأرض خراب يباب"[3]. وفي غريب الحديث"[4]" في قوله –صلى الله عليه وسلم– في الشّبرم « إنّه حارّ يار"[5]"»"[6]"، أنّ الصامت الأول الحاء، قد استُبدل بالياء لتتولّد صيغة جديدة "يارّ"، تابعة للأولى في الوزن وحرف الرويّ، توكيدا لها، بالتكرار الصوتي .

1 –عبد الغفار حامد هلال. أصوات اللّغة العربية.ص 61.

2 – الأقطش. إتباع الإيقاع في اللغة العربية. ص. 154.

3 – أبو الطيّب اللغوي. الإتباع. ص 110– 112.

4 – المراد بغريب الحديث: الألفاظ اللغوية البعيدة المعنى والغامضة التي تحتاج إلى شرح وإيضاح، وعلم غريب الحديث فن قائم بذاته ألفت فيه مؤلفات عديدة ينظر علي بن عمر بن محمّد السّحيباني. التأويل في غريب الحديث من خلال كتاب النّهاية لابن الأثير. مكتبة الرشد ناشرون. ط1. المملكة العربية السعودية. الرّياض. 2009م. ***www. waqfeya. com/book. php?bid=3815***

5– في حديث أمّ سلمة–ض–، أنّها شربت الشبرم، فقال (إنّه حارّ يار) الشبرم: حبّ يشبه الحمص، وقيل إنه نوع من الشّيح . ينظر السيوطي. المزهر. ج1. ص324. .

6 – مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمّد الجزري ابن الأثير. النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق طاهر أحمد الزاوي– محمود محمد الطناجي. ط1. الناشر الحلبي. 1963. ***http://www. waqfeya. com/book. php?bid=3241.***

وتجدر الإشارة إلى ملحوظة هامّة، لا تخطئها الأذن، في أكثر أمثلة الإتباع، هي، أنّ الكلمتين؛ الأولى والثانية؛ تشتركان في غالبية أحرفها، مثل: "سائغ لائغ"، للسهل من الأمور، و"فقير وقير"، "جديد قشيب"[1]"، ممّا يثبّت أثر الأوّل ويؤكّد معناه.

ونخلص من تدبّرنا في نشاط حروف الإتباع، أنّ المتبوع في كلّ مركّب إتباعي، وهو الكلمة الأساس، يمثّل نقطة محورية، ومنطلقا ارتكازيا في عملية صياغة التابع وتشكّله، إذ نلاحظ، أنّه بآلية التغيير، تمّ استبدال الصامت الأوّل في المتبوع، –الكلمة الأولى – بصامت آخر من صوامت الإتباع. والفارق بين الكلمتين، صامت بعينه، وهو الصامت الذي يتصدّر التابع، ممّا يؤدي إلى ولادة مبنى ثان جديد، على نسق الأوّل، يحاكيه شكلا ويماثله في النّغم. ومن هنا، ترتسم الصورة السمعية ***image acoustique***"[2]" المكوّنة من كليهما، تمثّل المقصود والمبتغى من منظور الاستعمال اللّغوي.

كان هذا حديث، الصّوامت في تكاثر مركّبات الإتباع، بعد رصد الأمثلة، وقد تبيّن الآتي:

أ– أنّ أصواتا معيّنة، تميّزت بكثرة الاستعمال ووفْرة المادّة الإتباعية .
ب– ندرة أصوات أخرى.
ج– غياب بعض منها، غيابا تامّا من ساحة الإتباع"[3]" .

كانت هذه صورة من صور حركية اللغة ونشاطها وتناميها، متمثّلة في توليد صيغ جديدة، وننتقل بعدها، إلى دراسة أصوات النّهايات، التي تلوّن المركّبات الإتباعية بلون إيقاعي خاصّ، وهي الحروف الأواخر في كلمات الإتباع.

1 –ابن دريد الجمهرة. ج3. ص430

2 – ينظر. مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص138،11. .

3 – عدد أبواب كتاب الإتباع 35 بابا: صنّفها أبو الطيّب إلى صنفين؛ منها :17 بابا للإتباع. و18 بابا للتوكيد.

المبحث الثاني:

حرف الرويّ في الإتباع

إنّ ما تتميّز به لغتنا العربية حرصها على الحسّ الجمالي،عن طريق إمتاع الأذن بما تحقّقه من جمال لفظي وتراكيب موسيقية"[1]". وقد عني العرب بموسيقية الكلام «لأنّهم لم يكونوا أهل كتابة وقراءة، بل أهل سماع وإنشاد...، وكثيرا ما تشغفهم موسيقى الكلام عن مراميه وأهدافه»"[2]"، وقد اتّضح من خلال تتبّع عبارات الإتباع، أنّها تخدم معان عاطفية وجدانية، في حلية سجعية عذبة.

المادّة اللّغوية لكلمة "الرويّ"، « الراء والواو والياء، أصل واحد، ثمّ يشتقّ منه... فالأصل روِيت من الماء»"[3]". وقد ورد عن سيبويه، هذا المثال في « قولك: خَليلُها، فاللاّم، حرف الرويّ، وهي بمنزلة خليل»"[4]"، فالحرف الأخير في هذه الكلمة، هو اللام، والوا وللإشباع الصّوتي.

والمراد بالرويّ « الحرف الآخر من حروف القافية، إلاّ ما كان تنوينا، أو بدلا من التنوين، أو كان حرفا إشباعيا مجلوبا لبيان الحركة، مثل "المنْزِلا"، "المنْزِلو"، "المنْزِلي"، أو قائما مقام الإشباعي في كونه مجلوبا لبيان الحركة، مثل: كتابيَهْ، حسابيَهْ»"[5]"، فهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، ويلزم في كلّ بيت منها في موضع واحد"[6]"؛ وهو عند الخوارزمي « الرويّ، هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة من

1- رجب عبد الجواد إبراهيم. موسيقى اللغة. ص3.

2- م. س. ص4.

3 -ابن فارس. معجم المقاييس في اللغة. ص428.

4 -سيبويه. الكتاب. ج4. ص197

5 - السكّاكي. مفتاح العلوم. ص571

6 - ينظر. ابن منظور. لسان العرب. ج. ص 326

القافية، مثل الميم من قوله: عفتِ الدّيار مَحلُّها فمُقامُها»"[1]"، فالميم في "مُقامُها"، حرف رويّ، والقصيدة، تسمى بحرف رويّها، فهي –هنا– ميمية.

ومن الملاحظ في عبارات الإتباع أنّ اتّحاد الرويّ، ليس شرطا، فقد روى أبو الطيّب وابن فارس، إتباعا لم يلتزم الرويّ الواحد، في مثل الدعاء على الإنسان: "جوعا وجودا وجوسا": فالجود هو الجوع بعينه. و"جوسا": إتباع"[2]"، وفي مثل "جديد قشيب" و"قليل وتيح "[3]"، نلحظ توافق طرفيْ الإتباع وزنا واختلافهما رويّا، فالتابع صيغ على نسق متبوعه "فعيل"، وهذا كفيل بمنحه لونا موسيقيا عذبا. وأكّد "**ابن فـــارس**" ذلك في قوله « وممّا لم يجئ على رويّ الأول جوعا له وجودا وجوسا»"[4]"، موفّقا بين تعريفه للظاهرة « للعرب الإتباعُ، وهو أن تُتْبعَ الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويّها إشباعا وتوكيدا»"[5]". ويفهم من هذا التعريف، أنّه إذا كان اتّحاد الرويّ غير لازم، واتّحاد الوزن غير مشترط، فإنّ الإتباع لا يخل ومنهما معا. وقد لا يوافق التابع متبوعه في حرف الرويّ، فيأتي مختلفا، إذ مطابقته غير لازمة، فيستغني عنه، مكتفيا بالوزن. وقد قال في خاتمة كتابه « وقد ذكرت ما انتهى إليّ من هذا الباب وتحرّيت ما كان منه كالمقفّى، وتركت ما اختلف رويّه»"[6]"، وعدم اشتراط الروي في الإتباع، فرضه الاستعمال؛ إذ لو كان اتّحاد الروي شرطا، لضاق مجال الإتباع. وعلى كلّ حال، لا يخلوالإتباع من أحدهما: الوزن أو حرف الرويّ، حسب ما يقتضيه السّياق، وتستدعيه المؤثّرات الذّوقية والنّفسية، وكذا للضرورة اللّغوية أحيانا في الاستعمال التطبيقي .

---

1 –الخوارزمي. مفاتيح العلوم. ص111. البيت مطلع معلّقة :

عفتِ الدِّيارُ محلّها فمُقامُها بمنىً تأبّد غَوْلُها فرِجامُها

ينظر أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك العامري. 41هـ –661م . الديوان .ص 3، 59. ***www. imamu. edu. sa/DContent/. . . /page_2178. pdf***

2 – أبو الطيّب. الإتباع. ص 37.

3 –ابن دريد. الجمهرة. ج3. ص 430

4 – ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص4 .

5– ابن فارس. الصاحبي في فقه اللّغة. ص209

6– ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص 70.

وما روي من النثر في الخطب والوصايا، في العصر الجاهلي، قريب الشبه بما روي من النّظم، ففيه تلتزم القافية بين عدد من العبارات، كتردّد أصوات بعينها في نهاية العبارات والجمل، « وكان القصد التأثير في العاطفة، وسرّ هذا التّأثير يمكن أن يكون عن طريق الجمال في المعنى أ وعن طريق الإيقاع والنّغم في اللّفظ، والأمّي المرهف الأذن، يستجيب أوّلا لرنين اللّفظ ونغمه، وقد ينفعل له ويتأثّر به تأثّرا قويّا وإن خلا من جمال في مضمونه ومعناه»"[1]". والحديث عن أواخر الكلم، يحيلنا إلى استهلاله بنبذة عن الفاصلة القرآنية.

أ-الفاصلة في القرآن الكريم:

ورد في تعريف الزركشي للفاصلة، أنّها « كلمة آخر الآية كقافية الشّعر وقرينة السّجع»"[2]"، وهي عند أبي عمروالداني: « كلمة آخر الجملة»"[3]". وقد فرّق الإمام أب وعمر والداني، بين الفواصل ورؤوس الآي: « أما الفاصلة فهي الكلام المفصّل مما بعده...وكلّ رأس آية فاصلة وليس كلّ فاصلة رأس آية»"[4]". وفي تعريف آخر، أنّها « لفظ آخر الآية، ينتهي بصوت قد يتكرّر، مُحدثا إيقاعا مؤثّرا في صورة السّجع، وقد لا يتكرّر. ولكن الفاصلة تحتفظ دائما بإحدى صور التّوافق الصّوتي مع الفواصل السابقة واللاّحقة»"[5]". و« حين نتتبّع الفواصل القرآنية، نراها بوجه عام، قد بُنيت في السورة الواحدة أو في معظم آياتها على حرف واحد، يتكرّر ويتردّد مع كلّ آية، فكأنّما هو بمثابة الرويّ في القوافي الشعرية»"[6]".

---

1 -إبراهيم أنيس. دلالة الألفاظ. ص197. ط5. مكتبة الأنجلوالمصرية. 1984.

2 - بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي. البرهان في علوم القرآن. ج1ص20. تح محمد أبو الفضل إبراهيم. ط دار التراث. مصر. د. ت. ***www. waqfeya. com/book. php?bid=1493***

3- أبو عمرو الداني الأندلسي ت444هـ. البيان في عدّ آي القرآن. تح غانم قدوري الحَمد. ص 109. منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق. ط1. 1994. ***http://www. archive. org/details/bayan_354***

4 - أبو عمرو الداني. م س. ص 109.

5 -رجب عبد الجواد موسيقى اللّغة. ص1.

6 - إبراهيم أنيس. من أسرار اللغة. ص 200. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. ط8. 2003

فإذا قرأ القارئ سورة كالرّحمن، أحسّ بجمال الوقف على رؤوس الآيات، وأحسّ بموسيقى الفواصل حين يقف عليها جميعا بما يسمى السكون»"[1]"، ففي سورة الرحمان: ﴿ الرّحمنْ، علَّمَ القرآنْ، خلَقَ الإنسان، علَّمَهُ البيانْ، الشّمسُ والقمرُ بحُسْبانْ، والنَّجْمُ والشَّجرُ يسْجُدانْ﴾"[2]"، هذه الآيات الكريمة، كما نلاحظ، اختتمت كلّها بحرف النون، لغاية معيّنة، وكان هذا تحقيقا لجمال وعذوبة الموسيقي في الفواصل « فكأنّما كانت رؤوس الآيات قوافي شعرية تطمئنّ إليها الأذن، وتجد النفوس لذّة في تردّدها وتوقّع هذا التردّد»"[3]"، فالفواصل القرآنية « حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعنى»"[4]"، فالفاصلة من الظواهر الإيقاعية في العربية، كالقافية والسّجع والجناس- حين يكون آخر الجملة"[5]". و« تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب، لتحسين الكلام بها، وهي الطريق التي يباين القرآن بها سائر الكلام»"[6]" والشائع، استعمال مصطلح الفاصلة في القرآن الكريم والسّجع في غيره، مع التنبيه أنّه ليست كلّ الفواصل القرآنية مسجوعة بل منها المسجوع ومنها المرسل"[7]".

والسّجع من، سجع، بمعنى استوى واستقام وأشبه بعضه بعضا، سَجَع، تكلّم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن، فكلّ كلمة تشبه بعضها"[8]". وفي تعريف العلماء له، يعنى به، الكلام المقفّى، أو موالاة الكلام على رويّ واحد. والجامع بين هذه المفاهيم، هو خاصّية التشابه بين أواخر الكلمات، ممّا يجعلها متناسبة منسجمة.

---

1 -إبراهيم أنيس. من أسرار اللّغة. ص194

2 -الآيات 1-5. سورة الرّحمن.

3 - إبراهيم أنيس. من أسرار اللّغة. ص 193

4 - الزركشي. البرهان في علوم القرآن. ص20. وتسمّى "فواصل، لأنّه ينفصل عندها الكلامان". . . ومناسبة فواصله، لقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ الآية 3 من سورة فصّلت.

5 -السيّد خضر. الفواصل القرآنية. دراسة بلاغية. ص 11.
www. sayedkhedr. net/articles/Fawasel. pdf

6 - الزركشي. البرهان في علوم القرآن. ص20.

7 - م. س. ص 20

8- ابن منظور. لسان العرب. ج5. ص139.

ويفهم من موالاة الكلام على رويّ واحد، أن تأتلف أواخر الكلم على نسق كما تأْتلف القوافي، وهذا التآلف في أصوات النّهايات في العبارات، يستأنس به المتكلّم والسّامع، ويستحسنه الذّوق، لأنّه يعدّ سمة أصيلة من سمات الكلام العربي منذ العصر الجاهلي، ومن مميّزات البلاغة الفطرية. ويرى زكي مبارك أنّ السّجع « في الأصل حِلية يزدان بها النّثر، وهي مقبولة، ما دامت تجري في حدود الأعتدال والقصد»"[1]".

ويتبيّن من هذا، أنّ السّجع فيه خواص الشّعر؛ وأظهر ما يسِم الشّعر ويميّزه، الوزن والقافية. ولذا بقي منه أضعاف ما بقي من النثر؛ وتعليل ذلك عند مؤرخي الآداب، أنّ الشعر موزون مقفّى، يسهل حفظه"[2]". ونخلص مما سبق، أنّ القافية والسّجع والجناس، ظواهر صوتية، تؤدّي وظيفة موسيقية إيقاعية الشعر، ففي الإتباع أيضا.

ب- **السّجع في الحديث النبوي:**

وقد وردت بعض الأحاديث النبوية مسجوعة، في مثل: « يا أيّها الناس، أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلّوا باللّيل والناس نيام، تدخلوا الجنّة بسلام»"[3]"، يتّسم نصّ الحديث بتوازن الجمل وتوازيها، مع تكرار بعض الأصوات، فصوت الميم، جاء بعد مدّ في "السلام، الطعام، الأرحام، بسلام"، ممّا أنتج إيقاعا عذبا، تميل إليه النّفس، فتتأثّر به. وهذا ما يؤكّده مضمون، ما رواه الجاحظ، أنّه « قيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي، لِمَ تُؤْثر السَّجعَ على المنثور، وتلازمُ نفسك القوافي وإقامةَ الوزن؟ قال: إنّ كلامي ل وكنت آملُ فيه إلا سماع الشاهد لقلّ خلافي

1 – زكي مبارك. النّثر الفنّي في القرن الرابع. ج1. ص 71.

2- م. س. ج1. ص. 42 ص،. 103

3 – أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي. عجالة الراغب المتمنّي في تخريج عمل اليوم والليلة لابن السنّي. ط1. دار ابن حزم. بيروت. 2001م. ***www. waqfeya. com/category. php?cid=52&s*** .

عليك، ولكن أريد الغائب والحاضرَ والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع، والآذانُ لسماعه أنْشط، وهو أحقّ بالتّقييد وبقلّةِ التفلّتِ، وما تكلّمتْ به العربُ من جيّدِ المنثور أكثرُ مما تكلمت من جيّد الموْزون، فلم يُحفظ من المنثور عُشْره، ولا ضاع من الموزون عشره»"[1]". فالعبارة المسجوعة –في حدود الاعتدال– يبقى أثرها ساريا ممتدّا إلى مدى، لما تحمله من موسيقى لفظية، تتلقاها الآذان، لتخاطب الوجدان. ومن أجل تحقيق التوازن والانسجام في الحديث « أعوذ بكلمات الله التامّه، من كل شيطان وهامه، ومن كل عين لامّه»"[2]"، قد أُجري تعديل في أصوات الكلمة "اللاّمة"[3]"، المُلمّة"؛ وهذا من أجل مشاكلة اللّفظ اللّفظ؛ مراعاة لنظم الكلام وسياقه، فاللّغة تسعى إلى تحقيق الانسجام الصوتي أو المناسبة الصوتية، وتعدّ هذه من أبرز مظاهر التّشاكل، وهذا مبدأ عام تحققه اللغة ما استطاعت إلى ذلك سبيلا"[4]".

وفي إتباع المزاوجة، في مثل قولهم، "مُهْرَة مأمورة" وسِكّة مأْبورة"[5]"، وإنيّ «لآتية بالغدايا والعشايا»"[6]"، ففي إتباع "مأمورة"، قالوا "مُهْرَة مأمورة، لأنّهم أتبعوها مأبورة "آمرها الله، فهي مُؤْمَرَة"، أي أكثرنتاجها، وكان القياس يقتضي أن يقال: مُؤْمَرَة، وإنّما أتى بها: "مأمورة"، للازدواج؛ لأنهم أتبعوها: "مأبورة"، فلما ازدوج اللّفظان جاءوا على وزن مأبورة"[7]"، خضعت إحدى الكلمتين للتّعديل، تحقيقا للملاءمة بين ركنيْ العبارة، نظرا لأنّ « الكلام المسموع يتّسم أحيانا بطابع التضارب بينه وبين الأنظمة اللّغوية أي القواعد؛ صوتية كانت أو صرفية أو نحوية. وعند ظهور مشاكل

---

1 – عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (150هـ–205هـ).البيان والتبيين. ج1. ص 196. وضع حواشيه. ط2. موفّق شهاب الدين. دار الكتب العلمية. لبنان. 2003 .

2– محمد التونجي. المعجم المفصّل في تفسير غريب الحديث. ص 317. ط1. منشورات علي بيضون. دار الكتب العلمية. بلبنان. ط1. 2002 3821 ***www. waqfeya. com/book. php?bid***

3 – اللامة: المصيبة، أو ما يخاف منه من مسّ أ وفزع. ينظر م. س. ص317.

4 –محمد حماسة. العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث. ص345. مكتبة أمّ القرى. ط1. 1984.

5 –"خير المال مهرة مأمورة وسكّة مأبورة" ينظر، محمد التونجي، المعجم المفصّل في تفسير غريب الحديث. ص248، وينظر ابن الأثير. النهاية في غريب الحديث. ج1. ص38 .

6 –القالي. الأمالي. ج2. ص 214

7 – ابن منظور. لسان العرب. ج3. ص26،27.

تطبيق الأنظمة على الكلام المنطوق، تعمد اللّغة إلى تقديم طائفة من الحلول، تسمى الظواهر الموقعية أو المعالم السياقية. وإن اختصاص النطق دون الكتابة بهذه الظواهر، يجعل الكلام المسموع أغنى وأكثر تنوّعا من الكلام المكتوب»"[1].

ففي الكلام المسموع، هذه الصور الإيقاعية المتوازنة بألوانها، تساعد على تذكّر المادة اللّفظية، وكلّ ما يعطي نغما موسيقيا لفظيا، يحقّق الانسجام والتناسق بين الأصوات والألفاظ. « وعبارات الإتباع كثيرة معروفة ومسجوعة ومزاوَجة على طريقة الإتباع، قالوها لتقوية كلامهم وتأكيده»"[2]. واللّغة العربية، هي اللّغة الشاعرة، لأنّها « لغة بُنِيت على نسق الشعر في أصوله الفنّية والموسيقية، فهي في جملتها فنّ منظوم منسّق الأوزان والأصوات، لا تنفصل عن الشّعر في كلام، تألّفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء»"[3]، وهذه من الملامح المميّزة لظاهرة الإتباع، فهي ظاهرة صوتية جمالية، منسّقة الأصوات، فيها من خواصّ النثر والشعر، وأبرز مكوّناتها الإيقاعية، حرف الرويّ. ونخلص، من حديث هذه الظواهر الصوتية إلى أنّ الإتباع، استمدّ بعض خواصّ القوافي والسّجع، فاكتسب لونا موسيقيا إيقاعيا.

ج-الوظيفة الصّوتية للإتباع:

لقد تنبّه أبوعلي القالي إلى توافق أواخر الإتباع، – وهو بصدد تأصيل التابع– في المركّب الإتباعي "حسنٌ بسنٌ"؛ فقال: « كان مذهبهم في الإتباع أن تكون أواخر الكلم على لفظ واحد، مثل القافية والسّجع»"[4]. مضمون، هذه الملاحظة، يتركّز في ظاهرة اطّرادية، تتمثّل في اتّحاد صامتي موقعية النّهاية في طرفيْ الإتباع، في مثل،

1 –تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص47.

2 – عزّة حسن. إتباعات العرب. ص 2،1.

3 – عباس محمود العقاد. اللّغة الشاعرة. ص 9. مط الاستقلال الكبرى. القاهرة. دت.

4 – القالي. الأمالي. ج2. ص 217.

"كثير بثير"، "رُطَبٌ ثَعْدٌ معْدٌ"[1]، "عطشان نطشان"، "وسيم قسيم"، نظرا لما في التزام الرويّ، من تأليف لغوي موسيقي، الغاية منه سرعة الحفظ وإمتاع السّامع، بموسيقى الكلمات مثل القوافي .

وبهذه الإشارة، كان القالي، أقدم من تناول جانب الشكل في الظاهرة، إذ فطن إلى اتّحاد الحرف الأخير في التابع والمتبوع"[2]، وقد قرنه بخاصّية صوتية أسلوبية فنّية، تندرج في البلاغة الفطرية، وهي السّجع. وبهذا يكون قد حدّد، أهمّ الملامح الصّوتية الشكلية للمركّب الإتباعي الإيقاعي. وهي تتمثّل في نهايات الإتباعات، ذات الإيقاع الموسيقي، فهي تجري على لفظ واحد، مثل القوافي والسّجع. وانطلاقا من هذا الملمح الصّوتي الهامّ، الذي يعدّ من مكوّنات الإيقاع في ظاهرة الإتباع، نخلص إلى مفهوم القوافي والسّجع.

وإذا ما نظرنا في الدلالة اللغوية لكلمة "القافية"، نجدها مأخوذة من: قفا، يقفو، أي، يتبع الشيء. وجاء في قوله تعالى: ﴿ولا تَقْفُ ما ليس لك به عِلمٌ﴾"[3]. قد اختلف العلماء في تحديد مفهوم القافية –وليس هذا مجال التوسّع فيه–، ففي تعريف الخليل لها «القافية ، الحرف الذي يلزمه الشاعر آخر كلّ بيت حتى يفرغ من شعره ... و إنّما سمّي الحرف قافية ؛لأنّه يقفو ما تقدّم من الحروف .»[4] وهي في عرف الخوارزمي «الحرف الأخير من البيت»"[5]. ونجد للسكّاكي تعريفا شاملا، في قوله: « فهي عند

1–الثّعد: الليّن والمعد: الكثير اللّحم الغليظ. ينظر. االقالي. الأمالي. ج2. ص 216، واشتقت المعدة من هذا ينظر. ابن دريد. الجمهرة ج3 ص429 .

2 – حسين نصّار. دراسات لغوية. ص52.

3 –الآية 36 من سورة الإسراء.

4 –أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت215هـ). كتاب القوافي. ص 43. تحقيق. عزة حسن مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم دمشق .1390هـ –1970م.

majles.alukah.net/showthread.php?8849...القوافي...الأخفش،–pdf،...

5– ابن عبد الله محمّد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي(ت387هـ). مفاتيح العلوم. تح. إبراهيم الأنباري. ص 111. دار الكتاب العربي. بيروت. دت ***al-mostafa. info/data/arabic/depot3/gap. php. . . pdf***

الخليل، من آخر حرف في البيت إلى أوّل ساكن يليه، مع المتحرّك الذي قبل الساكن، مثل: تابا، من: أقلّي اللّومَ عاذلُ والعتابا[1]، وعند الأخفش، آخر كلمة في البيت، مثل: العتابا، بكمالها، وعند أبي قطرب"[2]" وأبي العباس ثعلب"[3]"، الرويّ ... وعند بعضهم القافية، هي البيت، وعن بعضهم، هي القصيدة»"[4]".

وهذه تعريفات جامعة للقافية ، أتبعها السكّاكي بخلاصة مفادها مستمدّ من الدلالة اللّغوية لكلمة "قافية" « وتسمى قافية لمكان التناسب، وهو أنّها تتبع نظم البيت، مأخوذة من: قفوت أثره، إذا اتّبعته»"[5]"، والميل إلى ما جاء في تعريف الخوارزمي، أنّها الحرف الأخير من البيت، وعند أبي العباس ثعلب، هي الرويّ، فالرويّ إذن هو الحرف الذي تبنى القصيدة عليه، وهو المسمّى رَوِيّاً، ويسمّى القافية. كما أنّ القافية تعني القصيدة"[6]"، وجاءت بهذا المعنى في قول حسان بن ثابت "[7]":

فنُحْكِمُ بالقوافي من هجانا* ونضربُ حينَ تخْتلِطُ الدّماءُ .

ويؤكّد رمضان عبد التواب، الوظيفة الصّوتية للإتباع وأثره في تزيين الكلام، في قوله: « الإتباع عبارة عن تأكيد الكلمة، بضمّ كلمة أخرى إليها، لا معنى لها في

---

1 – أقِلّي اللّوْمَ عاذلَ وَالعِتابَا *وقولي، إنْ أصَبتُ، لقَد أصَابَا". البيت مطلع قصيدة للشاعر جرير بن عطيّة بن كليب التميمي653م- ت733م . الديوان .ص 52 .شرح محمد بن حبيب .تحقيق نعمام محمد أمين طه .ط3 دار المعارف .مصر***majles.alukah.net/showthread.php?26008 ..ديوان-جرير...Pdf*** .

2 – هو محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي النحوي، المعروف: قطرب اللغوي البصري. ت206هـ

3 – هو أحمد بن يحي يزيد الشيباني، أبوالعباس. المعروف : بثعلب ، إمام الكوفيين في النحو واللغة. ت291هـ

4 –السكاكي. مفتاح العلوم. ص 569،568.

5 –م.س. ص569

6 –ابن منظور. لسان العرب. ج8. ص630.

7 –حسّان بن ثابت الأنصاري. الديوان. ص 17. شرحه وقدّم له :عبدا علي مهنا. دار الكتب العلمية بيروت. ط 2. 1994.***www.waqfeya.com/book.php?bid=3100*** . البيت من قصيدة مطلعها:

"**عفَتِ ذاتُ الأصابع، فالجِواءُ إلى عذْراءَ منزِلُها خلاءُ**".

ذاتها، غير أنّها تساويها في الصيغة والقافية، بغرض الزينة اللّفظية وتأكيد المعنى»"[1]". والذي يهمّنا في هذا القول، أنّ الكلمتين المتضامتين، متساويتين في الصيغة والقافية، والمقصود بالقافية–هنا– حرف الرويّ، بناء على ما جاء في تعريف "**ابن فـــارس**" للإتباع، فالانسجام الصّوتي، يسهّل النّطق بالكلمة، كما أنّه يعمل على تثبيتها في أذن السّامع، إذ يخيّل له أنّها تكرار للكلمة الأولى، في مثل: "خفوتٌ لفوتٌ، وعفريتٌ نِفريتٌ، مُعْفِتٌ مُلْفِتٌ"[2]".

وكان اهتمام "**ابن فـــارس**" في تناوله مادّة الإتباع، مركّزا في الجانب الموسيقي الإيقاعي، الذي يحدثه توافق أصوات النّهايات في الإتباع. وقد ظهر في تجميع، كلّ ما عثر عليه من بابي الإتباع والمزاوجة وغيره وبعض العبارات المتآلفة والمسجوعة؛ معتمداً في ترتيب المادّة اللّغوية، على الحرف الأخير من التابع والمتبوع. فقولهم: "خراب يباب"، و"ساغب لاغب"، تجدها في باب الباء و"ما عليه سيفة ولا ليفة"، تجدها في باب الفاء"[3]"، وهكذا مع بقيّة الأصوات في نهايات الإتباعات. وهذا النظام المتّبع، بالاعتماد على أواخر الكلمات الإتباعية، تجلّى فيه بصورة أوضح، تعريفه للإتباع، –المذكور سلفا–.

1 – رمضان عبد التواب. فصول في فقه اللغة. ص 246. مكتبة الخانجي. القاهرة. 1980

2 –القالي. الأمالي. ج2. ص216،217. العفر، هو التراب. نفريت من النفور. المُعفت، من يكسّر شيئا. والملفت: من يلوي الشيء.

3– ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص29.

المبحث الثالث:

الحروف الأكثر استعمالا في رويّ الإتباع

أ-الإحصاء :

بعد إحصاء الحروف المستعملة رويّا في مركّبات الإتباع ؛ تبيّن أنّ مجموع أمثلتها ، قد بلغ اثنى عشر وثلاثمائة 312 مركّب إتباعيّ"[1]".

عند تتبّع مادّة الإتباع في كتاب ابن فارس، نجدها، موزّعة على حروف المعجم جميعها، دون استثناء ، غير أنّ الأصوات تفاوتت من حيث عدد مرّات انتشارها في مساحة الإتباع. يلاحظ أنّ أكثر الأصوات -الواردة رويّا-، التي فاق مجموع مركّباتها العشَرة، هي: الرّاء 46 مركّبا، واللام: 26، والسّين 23، والميم والعين: لكلّ منهما 20، والحاء: 16، والقاف: 15 والدال :14، والباء والفاء: لكلّ منهما12، والنون والجيم11 مركّبا، لكلّ منهما .

أما بقيّة الأصوات، فكان مجموع أمثلتها دون العشرة، وهي: الشين والطاء والصاد، والضاد: 08، والياء: 09، والزاي والكاف: لكليهما :06 والثاء: 05 والذال والظاء الغين والهمزة: لكل منها:03. ولم تحظ الهاء إلا باستعمالين02، وكان آخر الأصوات مرتبة، هو صوت الخاء، إذ لم يرد فيه، إلا مركّب إتباعي واحد لا غير.

1 - اعتمدت في الإحصاء، "كتاب ابن فارس. الإتباع والمزاوجة.

ب-**التحليل الصّوتي**"[1]":

انتشرت إتباعات الرّاء، في ستّة وأربعين 46 مركّبا إتباعيا، بُنيت أمثلتها على نغمة صوت الرّاء، في نهاية كلّ مركّب، وهو الصوت الأخير في كلمتيْ الإتباع. وحرف الراء هو الصوت المكرّر، والتكرار الصوتي، يعدّ عنصرا من عناصر تكوين الإيقاع في الإتباع. فصوت الراء مكرّر أفقيا في كلّ مركّب، ورأسيا في باب الراء من كتاب الإتباع، ستّا وأربعين مرّة-46-، فهو يمثّل نسبة 14,74 ٪ من مجموع المادّة الإتباعية"[2]".

ولتكرير صوت الراء خاصّية سمعية، لها وقع موسيقي يساهم في تردّد العبارة الإتباعية في وجدان المتلقّي. وصوت الراء هو صوت تكراري، يتمّ بأن تتكرّر طرقات اللّسان على اللّثة تكرارا سريعا، ولذا سمّيت الراء بالصوت المكرّر، والأوتار الصوتية، تتذبْذب عند النّطق به، فهو صوت مجهور"[3]". و« إذا جاء آخر الكلمة، دلّ على الاستمرار، نحو: خرْخَرَة السّاقية، كَرْكَرَة الجمل، ما دام مستمرّا في ذلك»"[4]"، وقد وصف ابن جني حرف الرّاء، بأنّه « حرف مجهور مكرّر، يكون أصلا لا بدلا ولا زائدا، فإذا كان أثلا، وقع فاء وعينا ولاما .فالفاء نح ورُشْدٍ ورَشَدَ، والعين نح وجُرْح وجَرَحَ، واللام نح وبِدْرٍ وبَدَرَ»"[5]"، كما أنّ خاصّية التكرير في الراء، تحصنها عن الإدغام، إذ « لا يجوز إدغامها فيما يليها من الحروف، لأنّ إدغامها في غيرها، يسلبها

1- في التّحليل الصوتي، اعتمدت في الغالب على كتاب الأصوات. لكمال محمد بشر. الأصوات الاحتكاكية عنده، تقابل الأصوات الرّخوة عند علماء العربية القدامى. ينظر ص156.

2- مدوّنة المادّة اللّغوية مصدرها " كتاب ابن فارس"الإتباع والمزاوجة".

3- كمال بشر. الأصوات. ص166 -باختصار-

4 - شوقي حمادة. معجم عجائب اللّغة. ص23. دار صادر. بيروت. ط1. 2000.

5- ينظر، ابن منظور. لسان العرب. ج1. ص 587.

6 -ابن جني. سر صناعة الإعراب. ج1. ص191.

ما فيها من الوفور بالتكرير»"[1]". وبسبب حريّة مرور الهواء وارتعاد اللّسان وتعثّره، يتلوّن صوت الراء بلون من الوضوح السّمعي، « أقوى مما يحدث مع بقيّة الأصوات الصامتة»"[2]"، وعندما تتكرّر الرّاء في طرفي المركّب الإتباعي، بجرس موسيقي موحّد، يتجسّد في ترديد الصّوت نفسه، وفي هذا لفت للانتباه، وإثارة للأسماع، وكأنّ الكلمة الأولى – المتبوع – قد كرّرت، وبهذا التكرار الصّوتي، يتقوّى المعنى، ويؤكّد.

ولصوت الراء، في مثل: "عين حدْرة بدْرة"، أي ممتلئة. و"إنّه لفقير وقير"، والوقير، هو المثقل بالديون. وفي الخلق والصّوت، "هو شهيرْ جهيرْ". و"إنّه لصقِر صحرِ"، و"تفرّقوا شغَرَ بغَرَ وشذَرَ بذَرَ". ويقال "لا أفعله ما اختلف السَّمَرُ والقمر"، "وهو بَطِر أشِر"[3]". وبصيغة الفعل "أيْسرْتِ وأذكرْتِ"، يقال للمرأة عند إنجابها ذكرا. لا شكّ أن يكون لمجيء هذا الصّوت المتكرّر في طبيعة نطقه، حرف رويّ– بهذه الكثرة– في أمثلة الإتباع، وقعا في النّفس وأثرا مستمدّا من سجعة الرّاء في موقعية النّهاية، إذ توافرت فيه، ميزة الجهر والتكرار معا. فالرّاء حرف منفرد، لا يشاركه في صفة التّكرير، حرف سواه"[4]". وكثيرا ما تجري على ألسنة العامّة، عبارات، تنتهي بحرف الرّاء، في مثل: "لا دار لا دّوار"، لمن لا يملك مأوى يأويه، وفي وصف المشتري "عين الشاري واري"، والشكل: "سايرْ دايرْ"، والراء بتكرارها المضاعف، في المركّب الإتباعي، تترك أثرا إيقاعيا عذبا، وتقوي ّ المعنى وتثبّته.

ولصوت الرّاء مكانة من بين الأصوات التي يوقف عليها في آخر الآيات، وهي الأصوات الفواصل في القرآن الكريم، وقد تبيّن من إحصاء سيّد خضر، أنّ صوت

1 –ابن جني. سر صناعة الإعراب. ج1. ص193.

2 – كمال بشر. الأصوات. ص166

3 –ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص4.

4 –ينظر. سيبويه. الكتاب. ج4. ص136، 435.

الراء في القرآن الكريم، قد بلغ مجموع فواصله؛ 690 فاصلة، من مجموع الآيات – 6247 آية–، بنسبة 11,04%"[1]".

ففي سورة القمر، التي تجلّى فيها التّماسك، في عرض قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهي « بمثابة إنذار لجميع المكذّبين ... اتّخذت نغم الراء في نهاية كلّ آية منها، وهو النّغم الأخير من لفظة القمر، وبه سمّيت، وهي بهذا تشبه سورة القدر، والعصر، والكوثر»"[2]".

وفي قوله –**صلـــى الله عليـــه وسلـــم**– ورد في غريب الحديث في قوله – صلى الله عليه وسلم– في الشّبرم « إنّه حارّ يار»"[3]"، أنّ المتبوع، "حارّ"، وهي الكلمة الأساس، تشكّل التابع "يارّ" على نسقها. وجاءت الرّاء بطبيعتها التكرارية، حرف رويّ، مما يمنح هذا المركّب، نغما خاصّا وإفادة للتوكيد.

وتأتي اللام في المرتبة الثانية بعد الراء في 26 مركّبا. وفي تحديد مخرجها، يقول ابن جنّي « من حافّة اللّسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ممّا فويق الضّاحك والنّاب والرّباعية والثنية»"[4]"، وفي موضع آخر، يصف انحرافها، قائلا: «اللسان ينحرف فيه، مع الصّوت وتتجافى ناحيتا مستدقّ اللّسان عن اعتراضهما على الصّوت»"[5]"، فهو « صوت لثوي، جانبي مجهور، وهو أحد الأصوات المتوسّطة التي تتميّز بقوّتها الإسماعية العالية،... وله خاصّية التفخيم والتّرقيق»"[6]" وتبرز ميزة وقع

1 – السيّد خضر. الفواصل القرآنية. دراسة بلاغية. ص3.

2- خليل خلف بشير. من الظواهر الأسلوبية في سورة القمر. ص2. مجلة آداب البصرة. كلية الآداب جامعة البصرة. العدد44 .2007 . ***aldhiaa. com/arabic/magazine/maab/03/1. pdf***

3– سبق ذكره– في هذا الفصل –.

4 – ابن جني. سرّ صناعة الإعراب. ج1. ص 47.

5 – م.س. ج1. ص 63.

6– عبد القادر عبد الجليل. علم الصرف الصوتي. ص89.

اللام في الأسماع بقوّة، خاصّة حين وقوعه رويّا، في مثل، قول امرأة في وصف ابنتها:

سِبَحْلة رِبَحْلَة * تنْمي نباتَ النّخلة .

جاء صوت اللام حرف رويّ، مسبوق بالحاء الحلقية المهموسة، الساكنة، مُجسّدا ضخامة الصّورة في "سِبحْلة رِبحْلة "، التي تعني الجارية الضخمة اللّحيمة"[1].

ويأتي صوت اللام زائدا –كما ورد في بعض اللّهجات– في زيْد = زيْدل، عبدُ =عبْدلُ، وهذه الزيادة كيفية تمليها الأمزجة وحالات الانفعال"[2]. وفي العامّية الجزائرية، مثل: "رزقي حْلالي مْلالي"، للمبالغة والتأكيد والإثبات. و" شلول بلول"، في انتشار إشاعة ما، والمبالغة فيها.

ويأتي صوت السّين، مواليا لصوت اللام في حصيلته من الإتباع، بثلاث وعشرين–23– مركّبا. والسّين صوت أسناني لثوي، مهموس، ينتمي إلى عائلة الأصوات الصفيرية"[3]" –وهي السين والزاي والصاد– ذات الإيقاع المنغّم"[4]". ولوقوعه رويّا، عذوبة صوتية ورقّة، تحرّك الوجدان. ومن أمثلته: "لا يدالس ولا يوالس"، والمدالسة: الخيانة والدّلس هو الظلمة والموالسة: من الألَس، وهو الخداع، وهذه الأفعال، تنسب للظلام، لأنّها تتمّ في الخفاء. وللأحمق: "إنّه لولوس ممْسوس". ولطالب اللّيل: "إنّه لجوّاس عوّاس"، ولمن يعالج الأمور برويّة ويزاولها: "إنّ فلانا لمرِس ضرِس""[5]"، فالانتهاء بالسين، له دلالته المعنوية على ما يتمّ في باطن النّفس البشرية، وعلى ما يمكن رؤيته كالظّلمة. وفي لغة العامّة ترد عبارات، نهاياتها صوت السّين،

1 – "جارية سبحلة ربحلة ": ضخمة لحيمة، وبعير ربحل: عظيم. ينظر ابن منظور. لسان العرب. ج6. ص361.

2 – عبد القادر عبد الجليل. علم الصرف الصوتي. ص89.

3– يؤْثر إبراهيم أنيس تسميتها بالأصوات الأسلية. وتسميتها في معظم كتب القراءات "أصوات الصفير". ينظر إبراهيم أنيس. الأصوات اللغوية. ص 74 .

4– عبد القادر عبد الجليل. علم الصّرف الصّوتي. ص87 .

5 – ينظر، ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص47.

مثل: "لا حَسْ لا مَسْ"، "بوس ولا تمسّو"، "حارْدوسْ مارْدوسْ"، تنقل هذه العبارة للسّامع، طاقة تعبيرية، تكمن في تركيبها الصّوتي، المطرّز بحروف المدّ، الموحية بالتباطؤ في الزّمن، وصفا لسعة مساحة الفوضى وانتشارها. كما ترد كثيرا في ألفاظ لعب الأطفال، ومحاكاة الأصوات، لما تتّسم به من صفير، يستميل أذواقهم، ويعبّر عن حاجاتهم. وهكذا، فإنّ توالي الأصوات، في سِياق صوتي مركَّب، بغير صنعة، يعطي دلالة مركَّبة من أصوات دالّة .

ونجد لصوت الميم عشرين مثالا إتباعيا –20– وصوت الميم، شفوي أنفي مجهور، ينضمّ إلى الأصوات الشبيهة بالحركات في قوّة الوضوح السّمعي، وهي الراء واللام والنون"[1]. و« قد سماها القدامى بالأصوات الذّلقية وعدّوها من الأصوات المتوسّطة بين الشدّة والرخاوة »"[2].

وصوت الميم ذ وقوّة إسماعية عالية"[3]"، بلغ مجموع فواصله في القرآن الكريم –حسب إحصاء سيّد خضر– 775 مرّة، بنسبة حوالي 12,5٪، وصوت الميم من أهمّ حروف الترنّم، إذ جاءت تالية للنون في نسبة الفواصل؛ لما فيهما من غنّة وعنصر الإيقاع والتطريب"[4]". ولهذه الخاصّية الموسيقية، تستوقفنا الملحوظة التي لا يخطئها سمع بشر، وهي ما فُطر عليه الطّفل البشري في أيّ مكان من الدّنيا من مناغاته لأمّه، بالمقطع "ما"، أو "م و"مام أ ومم أ ومامي أو ماما "، أو ما شابهه في معظم اللّغات.

والجاحظ لم تفُته هذه الالتفاتة اللّطيفة، في ثنايا حديثه عن الأسنان واللّسان، إذ توقّف عند نطق بعض الحيوان، معلّقا: « وأمّا الغنم، فليس يمكنها أن تقول إلاّ "ما"»"[5]"،

1 – كمال بشر. الأصوات. ص167. وينظر إبراهيم أنيس. الأصوات اللّغوية. ص26

2 –إبراهيم أنيس. الأصوات اللّغوية. ص 64

3 –عبد القادر عبد الجليل. علم الصرف الصوتي. ص85.

4 – السيّد خضر. الفواصل القرآنية. ص2.

5 – الجاحظ. البيان والتبيين. ج1. ص 52.

ويريد من هذا، التّأكيد على سهولة نطق صوت الميم، وأنّه من الفطرة. و يقول أيضا « والميم والباء أوّل ما يتهيّأ في أفواه الأطفال، كقولهم: ماما وبابا، لأنّهما خارجان من عمل اللّسان، وإنّما يظهران بالتقاء الشفتين»"[1]"، فالصّوت مرفوق بحركة الشفتين الظّاهرة، ممّا يسهّل إدراك الصوت عن طريق البصر، فهو يدلّ على الانغلاق، في مثل "مصّ"، شمّ، ضمّ"[2]". ومن إتباعاته : "نادمٌ سادمٌ"، وفي الجمال، إنّه لوسيم قسيم، و"علْجم خلْجم" للطويل الضّخم. وفي دعاء الاستعاذة" اللّهمّ أعِذه من السامّة، والهامّة"، جاء في اللّسان: السامّة واللاّمة. وإنّه لمتمّ ملمّ" إذا كان واصلا كريما.

وتعادل صوت العين الحلقية، مع صوت الميم الشفوية في رصيد الأمثلة الإتباعية، إذ تجمّع لصوت العين الحلقية 20 مركّبا. وصوت العين، هو النظير المجهور للحاء المهموسة، فالعين صوت حلقي احتكاكي مجهور، يصعب نطقه على غير العرب، وتكوينها فيه غموض، لم يتّضح بعد"[3]" ومن أمثلتها: "جائع نائع"، وللفقير "إنّه لصْقع بلْقعْ"، و"امرأة طُلَعة قُبَعة"، وفي إتباع قُبعة لـــ "طُلَعة"، تصوير، لخفّة حركة امرأة، تطلع مرّة، فتظهر وتختبئ أخرى، فتختفي. و"هو سنيع فنيع"، أي جميل فاضل"[4]"، مبالغة في الوصف، مقصودة، تعبيرا عن صدق الشعور.

ويأبى صوت الحاء، إلاّ أن يبقى قريبا من صوت العين، فيأتي تاليا له بمجموع ستّة عشر–16 إتباعا. والحاء « صوت احتكاكي حلقي مهموس... من الأصوات العربية ذات الصّعوبة على غير العرب، وكثير منهم ينطقونها كما لو كانت خاء، أو هاء»"[5]" واتّفاق العرب في استخدام أصوات الحلق، مع قلّتها في اللّغات العالمية، علّله بعض اللّغويين، بعلّة نوعية الجو والمناخ، حيث يتيسّر للعربي أن يفتح فاه للهواء، ولا

1 –الجاحظ. البيان والتبيين. ج1. ص52.

2–(ومن فاء الفتح وميم الغلق جاء لفظ فم؛ أي كما الفم يتحرّك..) شوقي حمادة. معجم عجائب اللّغة. ص24.

3 –كمال بشر. الأصوات. ص 155. باختصار–

4 – ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص 56.

5 –كمال بشر. الأصوات. ص155

يتيسّر ذلك لأهل البلاد الباردة"[1]". وكون مخارج هذه الأصوات من أصعب المواضع وصفا وتحديدا، وخل والحلق من أيّ عض وإضافي يعمل في تحديد الصّوت وتلوينه، يجعل وصف هذه الأصوات وصفا ترتيبيا فقط"[2]".

أما صوت العين فاصلة، في القرآن الكريم، فقد أسفر إحصاء سيّد خضر في دراسته للفواصل القرآنية، عن33 فاصلة لصوت العين، ولصوت الحاء 05 فواصل"[3]". وتفسير ضآلة هذه النسب مقارنة مع أصوات أخرى، ذات الرّصيد الوافر في مجموع الفواصل،« أنّ حروف الحنجرة والحلق، أقلّ استعمالا من الحروف الشفوية والأسنانية، ولهذا كلّه علاقة بسهولة النطق والوضوح السّمعي»"[4]".

ويتّضح من حديث العلماء عن الصعوبة والسهولة في نطق الأصوات، أنّ للاستعمال اللّغوي قوانينه في اقتصاد الجهد وتوفير الطاقة. ومن أمثلة صوت الحاء في الإتباع: "هو مليح قزيح "، والقزيح من أقزاح القدر، وهي الأفحاء التي تمنح نكهة للطّعام. وقالت امرأة من العرب: "إنّي لأبغض من الرّجال الأمْلح الأقْلَح" والمُلْحة، بياض الشّيب والقلْح، صفرة الأسنان"[5]". ونجد للحاء في لغة العامّة أمثلة: "صحيحْ فصيحْ"، للشيئ الواضح، و"الريح فرّيحْ"، تعبيرا عن لا شيء.

نجد لصوت القاف، 15- خمسة عشر مركّبا، والقاف، مخرجها « من أقصى اللّسان، ممّا يلي الحلق وما يحاذيه من الحنك الأعلى من منبت اللّهاة»"[6]". وصوت القاف، من بين الحروف التي يختلف نطقنا لها عمّا ذكره العلماء القدامى، إذ أصبح

1 -عباس محمود العقاد. اللّغة الشاعرة. ص61

2 -مكي درّار. الحروف العربية وتبدّلاتها الصّوتية في كتاب سيبويه. رسالة ماجستير. ص 304. 1986.

3 - سيّد خضر. الفواصل القرآنية. ص 3.

4 -م.س. ص3

5 - القالي. الأمالي. ج2. ص214.

6 - عبد الغفار حامد هلال. أصوات اللّغة العربية. ص153.

ينطق من اللّهاة قبل الحلق"[1]". ومن أمثلته: "رفيق وفيق"، و"رجل حاذق باذق"، و"لقْلاقْ بقْباقْ""[2]"، لمن كثر كلامه"، وكثيرا ما تستعمل في الدلالة على الصوت، في مثل: "باق باق"، ولصوت المدّ وظيفة موسيقية هنا، في تنويع النّغمة، وتصوير المعنى، في مثل، "قاقْ قاقْ"، في محاكاة صوت نوع من الحيوان، ولا شكّ أنّ صوت القاف قيمة تعبيرية موحية، معبّرة عن غرض. والقاف من أصوات القلقلة « وهي اضطراب الحرف وتحرّكه بحركة عند النّطق به، وهو ساكن حتى يُسمعَ له نبرة قويّة»"[3]"، فالقاف توحي بحدوث شيء في كلّ من: "رفيق وفيق"، فهذه الصّفة ملموسة واقعة، أمكنت من ملاحظتها في سلوك هذا الموصوف، وفي بقيّة الأمثلة، أجدها موحية بحدوث شيء، يلفت الانتباه، ورجل عوِق لوِق، ذا احتباس في أمره، وندرك الفرق بين البطْء الزّمني في الألفاظ، الملوّنة بأصوات المدّ، والتسارُع وقصر الزّمن في حدوث التّعويق في أمر ما، في "عوِق لوِق".

ويسهم الدّال بـــ-14- أربعة عشر، مثالا إتباعيا. وهو الصّوت النّظير المجهور للتاء، صوت أسناني لثوي انفجاري"[4]". ومن أمثلته :"خالد تالِد"، "بقْل ثعْد معْد"، إذا كان غضّا، "سهْد مهْد"، بمعنى حسن. وصوت الدال، كثيرا ما نسمع كلمات في ملاعبة الأطفال، في مثل :"دادا"، و"دودو" كناية عن النّوم. الآتية من اللغة الفرنسية، تكرار لمقطع في "***do do***""[5]".

ونجد صوت الباء حاضرا، في اثنى عشر-12- موقعَ نهاية في الإتباعات، في مثل: "خبّ ضبّ"، والضبّ البخيل، ورجل "طبٌّ لبٌّ"، والطبّ: العالِم الحاذق. ما عنده

---

1 – هذه الحروف هي: القاف، الضاد، الصاد، السين. ومردّ ذلك إلى تطوّر النّطق على مرّ الأجيال والعصور. ينظر كمال بشر. الأصوات. ص113. وعبد الغفار حامد هلال. أصوات اللّغة العربية. ص152.

2 –ينظر رفائيل نخلة. غرائب اللّغة. ص61.

3 –صبحي صالح. دراسات في فقه اللّغة. ص283.

4 – م. س. ص129.

5-***Henri van hoof. Rime et allitérrations dans les langues française et anglaise. p2. www. erudit. org/revue/meta/2008/v53/n4/019654ar. pdf***

شوْبٌ ولا روْب"[1]"، والرّوب اللّبن والشّوب العسل"[2]". وصوت الباء، كثيرا ما نجده مجاورا لصوت القاف، في الدّلالة على لون من ألوان الأصوات، كما جاء في الحديث « منْ وُقِي شرّ قبْقَبِه، دخل الجنّة »"[3]" فكلمة "قبْ قبْ"، ما هي إلا صوت يسمع من البطن كالقَرْقرة. وللتكرار الصّوتي، جرْس موسيقي، وإيقاع متوازن، يجمع بين الفكاهة والإمتاع.

ويلتحق صوت الفاء بصوت الباء، ليماثله في عدد مرّات الحضور. وصوت الفاء أسناني، شفوي، لا تتذبذب الأوتار الصوتية خلال النطق به، فهو صوت مهموس. وينجم الخطأ في نطق ***v*** بالفرنسية، في مثل: ***veranda***"[4]"، فينطقه بعض من العامّة، مهموسا –لا مجهورا– فِرَنْدة، تبعا لعاداتهم النّطقية للفاء المهموسة، إذ لا نظير مجهور للفاء في اللّغة العربية"[5]". ومن أمثلته في الإتباع: "ثقف لقف"، "ضعيف نعيف"، و"فلان يحفّنا ويرفّنا"، من الحديث « من حفّنا أورفّنا، فلْيقْتصِدْ»"[6]"، ويوحي تكرار صوت الفاء، في المركّب بالوفرة والكثرة في البذل في، ممّا نتج عنه في المقابل، إسداء النّصح والإرشاد إلى الاقتصاد.

ويليه في الرّتبة، صوت الجيم بأحد عشر(11)مركّبا، و« الجيم الفصيحة المعاصرة كما ينطقها القراء اليوم، صوت لثوي حنكي مركّب = "انفجاري احتكاكي" مجهور»"[7]"، ومن أمثلته، "هو سميجٌ لميجٌ، وسمِجٌ لمِجٌ"، و"سمْهجٌ لمهجٌ"، للبن إذا كان حلْوا دسِما، و"ما لي فيه حوْجاء ولا لوْجاء"، وفي عبارة "حَدارِجْ مدارِج"، دلالة على حركة ملاعبة الطفل وترقيصه. ولا تخل وعاميّتنا من أمثلة بصوّت الجيم – وإن كانت

1 – ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص. 31 .

2 –م س. ص. 30 .

3 – محمّد ألتونجي. المعجم المفصّل في تفسير غريب الحديث. ص 380.

4 – toit en pente sur le côté ou la façade d'une maison
www. lexilogos. com/francais_langue_dictionnaires. htm

5 – كمال محمد بشر. الأصوات. ص151. 152 –بتصرّف–

6 –حفّنا: مدحنا، والحفّة الكرامة. ينظر. محمد التونجي. المعجم المفصّل في تفسير غريب الحديث. ص 408.

7 – م. س. ص 161

نادرة–، في مثل "هاج داج"، "لونجة غونجة"، وهي تجري في سياق التفْكِهة والمزاح وتلعّب العامّة، بابتكار مفردات غريبة.

وقد تجمّع لصوت النون من المادّة الإتباعية، ما تجمّع للجيم، وصوت النون «أسناني لثوي أنفي مجهور»"[1]"، ذو وضوح سمعي. والمقصود بالوضوح السمعي، وصول صوت الحرف، واضحا إلى السمع، إذ « لكلّ مجموعة متقاربة المخارج نسبة وضوح سمعي»"[2]"، كما يقول رمضان عبد التواب و« ليست كلّ الأصوات الإنسانية على السّواء في نسبة الوضوح السمعي، فبعضها أوضح من بعض»"[3]".

وممّا لاحظه علماء الأصوات أنّ « الراء واللام والميم والنون، تشبه الحركات في أهمّ خاصّة من خواصّها، وهي قوّة الوضوح السمعي»"[4]"، وقوّة الوضوح السمعي للصوت، تتحكّم فيها عوامل، مثل عل والصوت أو طوله، ويمكن وصف هذه الأصوات، بالأصوات الجهْورية"[5]"، ***sonorité***"[6]" وميزتها تكمن في أنّ « هواء اللام والميم والنون، يخرج حرّا طليقا كالحركات تماما. ولكنّه مع الحركات يخرج من وسط الفم، ومع اللام من جانبي الفم ومع الميم والنون من الأنف، فالشبه إذن ينحصر في حرّية مرور الهواء، ولكنّ هذه الأصوات لم تعد حركات، لأنّ هواءها الحرّ لم يخرج من وسط الفم، ولهذا سمّيت أشباه حركات، ولكنّها ليست بحركات»"[7]".

---

1 –كمال بشر. الأصوات. ص 168.

2 السيّد خضر. الفواصل القرآنية. ص2.

3– رمضان عبد التواب. المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث. ص101. ط3. مكتبة الخانجي. القاهرة 1997.
majles. alukah. net .

4 – كمال بشر. الأصوات. ص 168

5– مبارك. مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص268

6 - ينظر م. س. ص268

7 – كمال بشر. الأصوات. ص 168

وفي القرآن الكريم، وردت النون فاصلة في حوالي 50,93٪، وهي من أهمّ حروف الترنّم، فهي تمثّل أكثر من نصف فواصل القرآن الكريم لما فيها من الغنّة الجميلة في السّمع"[1]". وهكذا يجتمع في صوت النون غنّة موسيقية وقوّة إسماعية، تؤدّى بها وظيفة صوتية ترنّمية، مرفوقة بأثر نفسي.

ومع هذا، لم تبلغ النون في مجموع أمثلتها في الاستعمال – في معجم "**ابن فـــارس**"–، ما تجمّع في حصيلة الرّاء واللام والميم، إذ لم يتجاوز نصيبها من المركّبات، أحد عشر(11) إتباعا، في مثل: و"إنّه لحَزْنٌ شزْنٌ"، للأمر الصّعب الوعر، و"هو حسنٌ بسنٌ قسنٌ". وفي هذا المركّب ، النون مسبوقة بالسين المهموسة، المفتوحة وكأنّ بالمتكلّم في حال هدوء واسترخاء، يعبّر عن شعور بالارتياح والرّضى. و"هو جارنٌ مارنٌ"، إذا قدُم، و"مهين وهين"، أي ضعف من الوهن، وفي الأمر الصّعب "إنّه لحزْنٌ شزْنٌ"، والنون مسبوقة بالزاي الساكنة، تستوْقِف السّمع، فتصوّر شدّة وعورة الأمر، وتوقّع ما يأتي بعده.

الحروف الأقلّ تواردا في النّهايات–حروف رويّ–

وممّا يستوقف الباحث في حروف الإتباع، أنّ الأصوات التي لم تحظ بحضورها ضمن صوامت البدايات، في تكثير الإتباع –كما سلف ثبته سابقا– وهي، الصاد والضاد والطاء والظاء. أبت هذه الأصوات المطبقة، إلاّ أن تُسهِم، في موقعيات النّهايات، وهذا في ثمانية (08) أمثلة، لكلّ منها.

ففي مادّة الصاد، ترد عبارة "تركته في حيْصَ بيصَ" أي في ضيق وشدّة، "وهو عيِص هيِص"، للنّشيط. ومن أمثلة الضاد، بلد عريض أريض، هو غضّ بضّ. ومن

1– مجموع آيات القرآن الكريم 6247. مجمل حرف النون في القرآن الكريم كلّه: 27265 مرّة. ونسبة استعماله فاصلة إلى نسبة استعماله الكلّية 67. 11. ينظر السيّد خضر. الفواصل القرآنية. ص3.

أمثلة الطاء "أصابته خبْطة ونبْطة "، وهي الزّكمة، ويقال: "الهياط والمياط"، وهو بذل الجهد ومعالجة أمر ما"[1]".

وللصبيّ إذا درج :"حَطائطْ بطائِطْ"، ويبد وهذا المركّب الإتباعي، الملوّن بتكرار صوت الطاء المطبقة، المنفتحة، أنّه جرى على الألسنة، ارتجالا في وصف وقْع قدمي الطفل على الأرض، في خطواته الأولى، وفي هذه العبارة، يدرك السّامع، تباطُؤَ الحركة وامتداد الزّمن الذي تستغرقه، فكان لصوت المدّ "الألف" في الكلمتين، وظيفة فنّية موسيقية، إضافة إلى الدّلالة المعنوية. والعبارة «نرى الحطائِط ونرِد المطائط»"[2]"، دلالة على امتداد المساحة وشساعتها، والحطيطة، هي الأرض التي مطُر بعضها. وفي "خَبْطَه ولَبْطَه"؛ يستشعر السّامع السرعة التي تمّ فيها الحدث، والخبطة باليد واللّبطُ بالرّجل"[3]"، هذا عن صوت الطاء.

واكتفى صوت الشين بثمانية (08) أمثلة، نذكر منها: "عطشان نطشان""[4]"، وفلان ذو"هشاشْ وأشاشْ"، و"أمشى فلان وأفشى"، إذا كثرت ماشيته، و"هشٌّ بشٌّ، أي مسرور". وصوت الشين؛ « لثوي حنكي احتكاكي مهموس، والشين أحد أصوات ثلاثة عدّها علماء العربية أصوات وسط الحنك، وهذه الأصوات هي: الشين والجيم والياء، وبعضهم يسمي هذه الأصوات الثلاثة بالأصوات الشّجرية»"[5]"، ونظرا لتفشّي وانتشار الصوت حين النّطق بالشين، فإنّه كثيرا ما ترد، بمثابة منبّهات صوتية، في مثل "اشْ اشْ"، بمعنى صِهْ، وكثيرا ما يردّد الأطفال، صوت الشين في وشْوشاتهم وألعابهم.

1 – ينظر. ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص 53.

2 –محمّد التونجي. المعجم المفصّل في تفسير غريب الحديث. ص107.

3 – ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص53.

4 – هذا المثال"عطشان نطشان" أورده ابن فارس في باب الشين وفي باب النون.

5 –كمال بشر. الأصوات. ص154.

ومجموع أمثلة الياء تسعة (09): في مثل، "إنّه لشقيّ لقيّ"، لمن يلقى شرّا، و"ما زكت له ثاغية ولا راغية"، والثّغاء للشّاء، والرّغاء للإبل. و"حيّاه اللّه وبيّاه، بيّاه، بمعنى أضحكه." وإنّه لغريّ شهيّ"، أي تهواه العين"[1]".

ولم يتعدّ صوت الزاي 05 أمثلته، منها: "فزٌّ نزٌّ"، وهو الرّجل الخفيف الذّكي الظّريف، ويقال: "ما زيْد إلاّ خَبْزٌ أو لَبْزٌ"، أي شديد الأكل، وفي وصف صوت الذّباب: "الخازِ بازِ""[2]"، وصوت الزّاي « هو النظير المجهور للسين، فهو صوت لثوي احتكاكي مجهور»"[3]" نلاحظ أنّ إتباعات صوت الزّاي، تجمعها الدّلالة على صفة بارزة من خلال صوت تدركه الآذان أو حركة، بادية للعَيان.

والمركّب الإتباعي الذي، شدّ انتباهنا، ورد في وصف سلوك مُشين: "هو هُمَزَةٌ لُمَزَة"، والهُمَزة: الذي يهْمِز النّاس بالألقاب. واللُّمَزة: العَيّاب"[4]". هو "هُمزة لمُزة"، إذ يحيلنا إلى الآية الكريمة ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لمُزَةٍ﴾"[5]"، وممّا جاء في اللّسان: « همزْته ولمزْتُه ولهزْته، إذا دفعته»"[6]"، ولم ترد كلمة "هُمزة" في اللّسان، إلاّ وهي متبوعة بقرينتها "لُمَزة"، ولم يذكر ابن منظور، أنّ "لمُزة" إتباع. ويتّضح ممّا جاء في الدلالة اللّغوية، لهذا المركّب، "رجلٌ هُمزةٌ لمُزةٌ""[7]"، و"امرأة هُمَزة لمُزة""[8]": أنّهما تمثّلان وحدة دلالية، متميزّة بخصائص معيّنة""[9]".

---

1 –ابن فارس الإتباع والمزاوجة. ص69.

2– الخاز باز: ذباب يظهر في الرّبيع، فيدلّ على خصب السّنة. ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. هامش. ص47

3 – كمال بشر. الأصوات. ص103

4– ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص46.

5 – الآية :1. سورة الهمزة.

6 – ابن منظور. لسان العرب. ج4. ص97

7 – الذي يغتاب النّاس ويغضّهم. ينظر م. س ج4. ص 97.

8– التاء ليست للتأنيث، إنّما لحِقت لإعلام السامع، أنّ هذا الموصوف بما هي فيه، قد بلغ الغاية والنّهاية، فجعل تأنيث الصفة أمارة لما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة. ينظر ابن منظور. لسان العرب. ج4. ص97.

9 – ويمكن معالجة العبارة الإتباعية ضمن "المتلازمات اللّفظية، ويأتي الحديث في هذا، لاحقا.

ونجد لصوت الكاف حضورا، في ستّة (06) أمثلة، منها: "سنامٌ سامِكٌ تامِكٌ"، و"ما ذاق عبْكَة ولا لبْكة، أي لم يأكل شيئا، وبصيغة الفعل في العبارة "لا بارك الله فيه ولا تاركَ ولا داركَ". والكاف، صوت حنكي انفجاري مهموس"[1]".

أما صوت الثاء، فقد انحسر انتشاره في خمسة 05 أمثلة: نذكر منها، "تركت الخيل أرضا حوْثا بوْثا"، و"خبيثٌ نبيثٌ"، و"بثٌّ ونثٌّ، و"عاثَ وهاثَ"، والثاء « صوت مما بين الأسنان احتكاكي مهموس»"[2]".

وأمثلة الذال: "بذّ وفذّ"، إذا تبرّز. و"شيء فذّ وشذّ"، بمعنى خارج عن أمثاله. وصوت الذّال « هو النظير المجهور للثاء، فلا فرق بينهما إلا أنّ الأوتار الصوتية تتذبذب في حال النطق بالذال، صوت مما بين الأسنان، احتكاكي مجهور»"[3]"، هكذا أفاد صوت الذّال، في موقعية النّهاية، معنى الخروج.

وكان لصوت الظاء، نصيبه المتمثّل في ثلاثة (03) أمثلة: "هو كظّ لظّ"، إذا كان مُلِحّا في طلبه. وبصيغة الفعل "حظِيتْ المرأة عند زوجها وبظِيتْ"، و"إنّه لفظّ بظّ". وصوت الظاء ينطق « ممّا بين الأسنان، احتكاكي مجهور مفخّم –مطبق– »"[4]".

واكتفى صوت الواو بأمثلة ثلاثة، منها: "خِلْ وعِرْو"، ونلاحظ الفرق بين استعمال الواو بوفرة، صامت بداية في الإتباع، وبين مجيئه نادرا، حرف رويّ، ذلك أنّ « جميع حروف المعجم تكون رويّا إلا الواو والياء والألف اللواتي يكنّ للإطلاق

1 – ينظر. كمال بشر. الأصوات. ص138

2 –م. س. ص152

3 – م .س. ص102

4 –م. س. ص153

وهاء التأنيث وها الإضمار إذا ما تحرّك ما قبلها، وألف الاثنين و واو الجمع إذا انضمّ ما قبلها »"[1]"؛ فالواو والياء والألف، يلائمها المدّ.

لهذا، لا نجد للألف إلا 04 أمثلة، منها: "لا يعرف القطاة من اللّطاة"، والقطاة موضع الرِّدف، واللّطاة: الجبهة. قال:

وأبوك لم يكُ عارِفا لوِطاته * ما فرّق بين قطاتِه ولِطاتِه[2]،

و"هو ذو حصاة وأصاة"، والحصاة العقل والرزانة. أما لفظ "الأصاة"، فيقول "**ابن فـــارس**" «ما سمعتُ لها باشتقاق»"[3]"، فهي إذن، صورة صوتية على نسق المتبوع، ومجرّد رسم إملائي، مفرغ من الدلالة، اُستعمِل للزينة والتوكيد، بالتكرار الحاصل عن طريق التّماثل الصّوتي في ركنيْ المركّب.

أما صوت الهمزة، فكان مجموع أمثلتها، لا يتجاوز ثلاثة 03، منها، "أنا من هذا الأمر البراءُ والخلاءُ"، أي بريئ منه ومتخلّ عنه.

وفي الإتباعات الواردة **بصيغة الفعل**، المنتهية بصوت الهمزة، يقولون: هنأني الطعامُ ومَرَأَني"[4]"، وهذا المركّب في إتباع المزاوجة، أتبعه "**ابن فـــارس**" بقوله: «وإذا لم يقولوا: هَنأني، قالوا: أمْرأني»"[5]"، فالإتباع على المزاوجة، يقتضي التعديل والملاءمة، حتى يتحقّق الانسجام والتوازن في العبارة.

ولا يفوتنا أن نستْحضر، ما جاء به القالي في أماليه، في المثال: « ويقولون: "هنِئٌ مرئٌ"، وهو من قولهم: هنأني الطعامُ ومرأني، فإذا أفردوا لم يقولوا إلا أمرأني،

1 – الأخفش الأوسط . كتاب القوافي. ص 43 .

2 – ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص68.

3 – م. س. ص69

4– والهنيء: السائغ. مرأ الطعام صار مريئا طيّبا هنيئا. أكلته هنيئا مريئا: بلا مشقة. ينظر ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص 69.

5 –ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص69، وينظر ابن منظور. لسان العرب. ج 1. ص156.

ولم يقولوا مرأني»"[1]". ويهمّنا في هذا القول، المركّب الإتباعي "هنِئٌ مرِئٌ""[2]"، الذي يذكّرنا بما جاء في القرآن الكريم، في الآية: ﴿ فإِنْ طِبْنَ لكم عن شيءٍ منه نفْساً، فكُلوه هَنيئاً مَريئاً﴾"[3]".

وجاء في اللّسان « مرُؤَ الطعام ومرأَ: صار مريئا... ومرَأني الطعام وأمْرَأني: إذا لم يثقل على المعِدة وانحدر عنها طيّبا ... والمريء: مجرى الطعام والشراب من الحلْق ... وأصل المريء: رأس المعدة المتّصل بالحلقوم، ومنه اسْتمْراءُ الطّعام»"[4]"، ونلاحظ هنا، أنّ كلمة "مريئا"، ذات دلالة معجمية واضحة، وأصل اشتقّت منه، وما اندرج في هذا الصّنف من الإتباعات، كان محلّ نقاش وتوتّر عند القدماء، فمن مدرج إيّاه في الإتباع، ومن مخرج له إلى أبواب غير إتباعية، كالتوكيد، والترادف والمشاكلة"[5]".

وفي هذا الصّدد، تستوقف انتباهنا العبارة القرآنية "هنيئا مريئا"، وذلك لأنّها لم ترد في أمثلة الإتباع، كما هي، إلا نادرا. وقد أوردها رمضان عبد التواب في حديثه عن ظاهرة الإتباع « كلمة الإتباع لها معنى واضح، مثل: هنيئا مريئا»"[6]"، فهو يعتبرها

---

1 –القالي. الأمالي. ج2. ص209.

2 – هذا المثال: هنئٌ مرئٌ"، وارد عند القالي في الأمالي. ج 2. ص209. وعند ابن سيده. في المخصّص. ج14. ص29. ينظر أبو الطيّب. الإتباع. ص126.

3– ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً﴾ الآية4. سورة النساء. وجاء في تفسير الفخر الرازي (الهنيء والمريء: صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ، إذا كان سائغا لا تنغيص فيه، وقيل: الهنيء ما يستلذه الآكل، والمريء ما يحمد عاقبته، وقيل: ما ينساغ في مجراه، وقيل: لمدخل الطعام من الحلقوم إلى فم المعدة: المريء لمروء الطعام فيه وهو انسياغه. قوله: ﴿هنيئا مريئا﴾ وصف للمصدر، أي أكلا هنيئا مريئا، أ وحال من الضمير أي كلوه وهو هنيء مريء، وقد يوقف على قوله: ﴿ فكلوه ﴾ ثم يبتدأ بقوله: ﴿هنيئا مريئا﴾ على الدعاء وعلى أنهما صفتان أقيمتا مقام المصدرين كأنه قيل: هنأ مرأ.) محمّد الرّازي فخر. التفسير الكبير. مفاتيح الغيب. ص189. دار الفكر. بيروت. ط1. 1401هـ. 1981م.
islamport. com/d/1/tfs/1/37/1866. html

4 – ابن منظور. لسان العرب. ج1. ص 156

5 – ينظر ص 16،17. من مدخل البحث.

6 – رمضان عبد التواب. فصول في فقه العربية. ص246

مركّبا إتباعيا، التابع فيه "مَريئا"، له معنى واضح. ولا يفوتنا أن نستحضر رأي عبد الحميد الأقطش الذي قال –في سياق حديثه عن الإتباع الفنّي– « ومنه في العربية نمطان، "المزاوج والإيقاعي"، ووجودهما خاصّ بالعامّيات، وليس باللّغة الثقافية، إذ لم تسجّل كتب التراث الإتباعي، سوى سبعة شواهد موثّقة في نصوص عملية أدبية ... ولم نعثر على شواهد للإتباع في القرآن الكريم أ والحديث الشريف »"[1]".

ونستخلص ممّا سبق سوْقه من أمثلة، في هذا السّياق، أنّ المركّب "هنئٌ مرئٌ"، إتباع عند القالي وابن سيده، وأمّا عند رمضان عبد التواب، فالعبارة القرآنية "هنيئا مريئا"، مركّب إتباعي، مصنّف في التابع الذي له معنى واضح، أي أنّه يوافق من تساهلوا في تصنيف مثل هذه الإتباعات التي لها معنى، في الإتباع. بينما الأصل فيه، أنّه « عملية كلامية بها تكرار، يحاكي العبارة المسموعة نغما لا دلالة، ويكاد القياس يكون مطّردا على أن يصنّف من الإتباع كلّ مركّب لغوي، متكوّن من دالين لهما دلالة أحادية مفادة من اللّفظ الأوّل؛ فأما اللّفظ الثاني، فمُفرَغ من أيّة دلالة معجمية، ولكنّه على نسق وصياغة الأوّل شكليا»"[2]"؛ فاللّفظ الثاني، كان يشترط فيه، –تابعا–، أن يكون مفرغا من أيّة دلالة لغوية، فهو مجرّد صورة سمعية، ورسم صوتي، وهذا لا ينطبق على كلمة "مريئا"، وأرى أنّه يمكن تصنيف عبارة "هنيئا مريئا"، ضمن "المتلازمات اللّفظية""[3]".

وصوت الغين:–02– مثالان فقط، في وصف الطعام الذي يسوغ في الحلق، "طعام سيْغٌ ليْغٌ"، وفي وصف الأحمق و"أحْمقُ بِلْغٌ مِلْغٌ"، يمكن أن يبلغ بحماقته ما يريد. وصوت الغين، « هو النّظير المجهور للخاء، فهو صوت من أقصى الحنك احتكاكي

1 –الأقطش. إتباع الإيقاع. ص165.

2 – م. س. ص144.

3– ويأتي الحديث في هذا لاحقا ، في موضعه.

مجهور»"[1]"، وحسب إحصاء السيّد خضر للفواصل القرآنية، فإنّ صوت الغين، لم يرد فاصلة، إلاّ مرّة واحدة .

الهاء 02: "تافهٌ نافه"، و"ما له عليّ قاه، ولا له عندي جاه". والهاء صوت «حنجري احتكاكي مهموس» والهاء عند علماء العرب القدامى من بين الأصوات الستّة، المعروفة بالمصطلح المشهور "الأصوات الحلقية"، وهي مجموعة في قول بعضهم:

همزة فهاء ثم عين حاء* مهملتان ثمّ غين خاء .

ونتوّج هذه الأصوات، بالحديث عن صوت الخاء، الذي لم يثبُت له، إلا مركّب واحد، ورد فيه رويّا: "سليخ مليخ". و« الخاء صوت من أقصى الحنك احتكاكي مهموس»"[2]". وقد يكون لغياب الخاء، دواع وأسباب، لم يُكشف عنها بعد، وفي ضوء هذه النتيجة المُسْتخلصة، الخاصّة بصوت الخاء، تتّضح أصالة أسلوب إتباع الإيقاع في كلام العرب.

نتائج الإحصاء والتحليل الصوتي لحروف الرويّ:

يخلص البحث في صوامت النّهايات، من خلال تتبّع أمثلتها، إلى ما يلي:

أ- أنّه استُثْمِرت الأصوات الصامتة جميعها، في مواقع نهايات الإتباع، فجاءت رويّا مكرّرا. وكان أكثرها استعمالا صوت الرّاء التّكراري المجهور. وآخر الأصوات رتبة من حيث مساحة الانتشار؛ صوت الخاء، بمركّب واحد فقط .

ب- ويرى كمال بشر، « أنّ الهمزة والهاء من الحنجرة، والحنجرة جزء من جهاز النّطق سابق للحلق، والعين والحاء من الحلق وهو في موضع تال

1 -كمال بشر الأصوات. ص155.

2 - م. س. ص155.

للحنجرة، والغين والخاء من أقصى الحنك، وهو يقع في منطقة تالية للحلق من جهة الأمام ...؛ فالأصوات الحلقية صوتان اثنان فقط، هما العين والحاء»"[1]". والحاء إذا وقع في آخر الكلمة دلّ على الظّهور والتفرّق والامتداد، في مثل، "باح بالسرّ، ساح الماء""[2]". وبناء على هذه الحقائق العلمية، يمكن التعليق عما أسفر عنه إحصاء حروف الرويّ في الإتباع أنّ:

أ- استعمال العين والحاء، حرفيْ رويّ في الإتباع، بمجموع 20مثالا للعين، وللحاء16 مثالا، ويتبيّن من هذا، أنّ نشاط العين والحاء، جار على الألسنة. أما الهمزة والهاء، وهما من الحنجرة، فنشاطهما منحصر في مثالين أ وثلاثة، واستعمال كلّ منهما حرف رويّ نادر.

ب- الإيقاع في المركّب الإتباعي في مثل: "عطْشان نطْشان"، و"سِبحْل رِبحْل"، ينتجه التكرار للأصوات، التي تكاد تكون مكرّرة في مجموعها، لو لم يستبدل صامت العين في "عطشان "بصوت، النون لتوليد صيغة التابع، "نطشان". فالتّكرار الصّوتي للمقاطع، يؤدّي دوراً بارزاً في هندسة المفردات، وإيقاعها، وطبعها بطابعه، لأنه يسهم في تجانس وتلاحم المكوّنات الصّوتية المتآلفة. وكأنّ الإيقاع في الإتباع، بديل عن المكانة التي يشغلها الوزن في الشعر؛ فالتّكرار عنصر أساس في بناء نظام إيقاعي، وهو يقوم على توقع المتلقّي للتكرار الموالي، وحرف الرويّ، بمثابة تنبيه عن نهاية هذه الموالاة الصّوتية.

وبالتأمّل في الدّلالة اللّغوية للتّكرير، نجد أنّ الكرّ في اللغة: الرّجوع، وكرّ عنه رجع، وكرّر الشيء أعاده مرة بعد أخرى"[3]"، فالدّلالة اللّغوية للتّكرار لا تخرج عن مفهوم، الرّجوع والإعادة التي تتجسّد في تشكّل المركّب الإتباعي، بإعادة غالبية أصوات الكلمة الأساس، -وهي المتبوع-، فيُهيَّأ للسّامع، أنّها كُرّرت بكامل أصواتها.

1 -كمال بشر. الأصوات. ص157

2 - ينظر. شوقي حمادة. معجم عجائب اللّغة. ص23.

3- ينظر، ابن منظور. لسان العرب. ج1. ص 587.

فالانسجام الصوتي أوالتوافق الصّوتي،بين طرفيْ الإتباع؛ يُسهّل النّطق بالكلمة ويُثبّتها في أذن السّامع، وكأنّها تَكرار للكلمة الأولى، فيتحقّق الغرض من هذا الأسلوب.

ويذهب "**محمد مفتـــاح**" بمقولته في التكرار إلى: « أنَّ تكرارَ الأصوات والكلمات والتراكيب ليس ضرورياً لتؤدِّي الجمل وظيفتها المعنوية والتّداولية، ولكنّه شرطُ كمال، أ و"محسِّنٌ" أو "لعبٌ لغويّ»"[1]"، في مثل هذه العبارة التي تعدّ من نوادر العرب المحفوظة، أنّه صنع رجل لأعرابي ثريدة، يأكلها"[2]"، ثمّ قال: « لا تصقَعْها"[3]"، ولا تشْرِمْها، ولا تَقْعَرْها، قال: فمن أين آكُلُ لا أبا لك؟ !»"[4]"، فقوّة العبارة المسجوعة، تكمن في هذا التكرار الذي ولّد توازنا مناسبا بين الكلمات وتوازيا ناتجا عن التّأليف بين الجمل، القائم على مبدأ التوازي.

والموازاة تعني المقابلة والمواجهة"[5]"، يقول رومان ياكبسون: « يتميّز التوازي في فنّ النثر باعتماده على بنية قائمة على مبدإ المجاورة»"[6]"، والمحاذاة والمزاوجة والإتباع، في حقيقتها، تجمعها في الواقع المشاكلة وتندرج في دائرتها. فالمشاكلة ظاهرة عامّة، ويتفرع عنها، مالا ينحصر من الصور اللّغوية التي لجأ إليها العربي في كلامه، لما يتطلبّه نظم الكلام وسياقه"[7]". والشكل في اللغة، الشّبه والمِثل، وتشاكل الشيئان

1 – محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري. استراتيجية التناص. ص 39. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. ط 2. 1986 ***pdf www. mediafire. com***

2 – الرّاوي هو أبو أحمد يونس بن حبيب الضبّي، إمام نحاة البصرة في الصرة، أخذ عنه عمر وبن العلاء وأخذ عنه سيبويه وعنه أخذ الكسائي والفراء وأبو عبيدة وأبوزيد، ولد 80 هـــ ت 182 هـــ. ينظر مجالس ثعلب. ص7،8 . تح عبد السلام هارون. القسم الأوّل. نشر. دار المعارف. مصر. د. ت.

3 – لا تصقعها: لا تأكل من أعلاها، وتشرمها: تخرقها، وتقعرها: تأكل من أسفلها. ينظر مجالس ثعلب. ص7،8. وينظر ابن منظور. لسان العرب. ج10. ص 69.

4 - ثعلب . مجالس ثعلب . ص 7،8.

5 – ينظر. ابن منظور. لسان العرب. ج 8. ص 809.

6– رومان ياكبسون. قضايا الشعرية. ترجمة محمّد الولي ومبارك حنوز. ص 45. سلسلة المعرفة الأدبية. دار توبقال للنّشر. الدار البيضاء المغرب. ط1. 1988 ***PDF created with pdfFactory Pro trial version www. pdffactory. com***

7– عبد الحميد السيّد. دراسات في اللّسانيات العربية. ص7.

وشاكل كلّ واحد منهما الآخر: شابهه وماثله ويقال: هذا على شكل هذا، أي مثاله، والمشاكلة، الموافقة والمماثلة والمشابهة، والتشاكل، مثله"[1].

فلفظة المشاكلة، تعني الموافقة أو المماثلة أو المشابهة"[2]. و« الإتباع ضرب من التأليف اللغوي الموسيقي، الغاية منه سرعة الحفظ وإمتاع السامع بموسيقى الكلمات مثل القوافي والسجع»"[3]، ولذا يمكن إدراج المركّب الإتباعي، بطبيعته التكرارية الصّوتية، في مثل: "قسيمٌ وسيمٌ"، سائغٌ لائغٌ"، و"ثقف لقِف" ضمن أنواع التلعّب اللّغوي، وهذا بإحلال صوت، مكان آخر في الكلمة الأولى، فتتولّد كلمة جديدة قد يكون لها معنى، أو تكون هذه الكلمة، زائدة بدون معنى، لمجرّد الزّينة وإحداث إيقاع موسيقي، فيبقى التّابع مجرّد رمز صوتي، ورسم إملائي. أمّا الصورة الذهنية، فتتبع بالاستفهام عنها، إذ، ما معنى "ليطان"، و"نطشان"، في "شيطان ليطان" و"عطشان نطشان"؟ مثلا .

ويمكن أن تكون بعض الألفاظ المصنّعة، مجرّد إتباع صوتي؛ أي تتمّة صوتية، كما جاء تفسير "بيّاك" في عبارة "حيّاك اللّه وبيّاك""[4]"؛ وما هذه التمّة الصّوتية إلاّ استجابة للإجراء الإتباعي التّلقائي، الذي يسعى فيه المتكلّم إلى تحقيق التّوافق الصوتي. ويعود هذا إلى الذّوق العربي، في كراهية التّنافر، ويسمّى ***harmonie***"[5]"، في مثل العبارة" عفْشٌ نفْشٌ""[6]"، فهذه الموافقة الصوتية بين اللّفظين، توهِم بالتكرار، الذي هو

1 – ينظر ابن منظور. لسان العرب. ج 6. ص 446.

2– ورد ت بعض هذه المصطلحات منها المشابهة عند "**رومان ياكبسون**" في حديثه عن التّوازي. ينظر. رومان ياكبسون. قضايا الشعرية. ترجمة محمّد الولي ومبارك حنوز. ص 45. سلسلة المعرفة الأدبية. دار توبقال للنّشر

3–زكي مبارك. النثر الفني. ج1. ص95.

4–ينظر الفصل الثالث: مبحث تفسير التّابع .

5– توافق صفات الألفاظ من حيث النّبرات والنّغمات والأصوات، بحيث يكون ذا وقع حسن في نفس السّامع. ينظر مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص129.

6– أي سريع التحوّل من أمر إلى آخر. لا تستعمل "طيّور وحدها . ينظر رفائيل نخلة. غرائب اللّغة. ص60.

إلحاح على جهة هامَّة من العبارة، فهو بذلك ذ ودلالة نفسية قَيِّمة، تكشف عن الفكرة موضع الاهتمام.ولهذا تفسّر الظّاهرة الإتباعية في ضوء المناسبة الصّوتية الموسيقية"[1]".

وبناء على استفهام ابن الأعرابي « سألت العرب أيّ شيء معنى شيطان ليطان؟ فقالوا: شيء نتِد به كلامنا: نشدّه»"[2]"، عُدّ الإتباع ظاهرة غريبة، من غرائب اللّغة"[3]"، تتميّز بأنّها « عملية كلامية بها تكرار يحاكي العبارة المسموعة نغما لا دلالة»"[4]"، ففي عامّيتنا، إتباعات مثل: "شايطْ لايطْ"، و"ساهلْ ماهلْ"، وفي الدّلالة على جدّية المشتري" عين الشاري واري"، اعتمد المتكلّم على آلية الإتباع، بتكرار أصوات الكلمة الأولى، عدا الصّوت الأول، الذي يستبدل بآخر، فأنتج بأصوات اللام، والميم، والواو؛ ألفاظا إتباعية، ملوّنة بسجعة نغمية، وكأنّ المتكلّم، يسعى إلى تتمّة صوتية، إشباعا وتأكيدا لما في نفسه.

وبالتدبّر في إتباعات العامّة، يتبيّن، أنّ في بعض مفرداتها طاقة تعبيرية تمكّن من استثمارها، لإثراء الفصحى وتلقيحها"[5]". فكم من مفردة، يتمّ توليدها، لضرورة الاستعمال، ولا يُلقى لها بال، بدعوى أنّها عامّية لا ترقى إلى مصافّ الفصحى.

ج- أصوات الرويّ في الإتباع، حين الوقف عليها بالسكون، تظهر للسّمع جليّة واضحة، فتبرز موسيقاها؛ في مثل هذه الأمثلة: "شيْطانٌ ليْطانٌ، "حَسَنٌ بَسَنٌ"وسيمٌ قسيمٌ"، عند حذف التنوين يوقف على السّاكن "شيطانْ ليطانْ"، "حسَنْ بسَنْ"، "وَسيمْ قَسيمْ". فالتّنوين يحذف عند الوقف على أواخر كلمتيْ الإتباع، المنوّنة المرفوعة. والتّنوين لغة: نوّن الاسم، ألحقه التنوين، والتّنوين مصدر ؛أي ألحق نونا بالاسم. وفي

1- ينظر تمام حسان، اللّغة العربية، معناها ومبناها، ص274، عالم الكتب، ط 3، 1998 .

2 - السيوطي. المزهر. ج1. ص326.

3 - ينظر. رفائيل نخلة. غرائب اللغة. مقدّمة المؤلّف .

4 - الأقطش. إتباع الإيقاع. ص144.

5- عبد القادر عبد الجليل. الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي. ص9. دار صفاء للنشر عمان الأردن. ط1 1997م.

الاصطلاح، التّنوين« نون تثْبت لفظا لا خطّا»"[1]"؛ إذ « من الكلمات ما يقتضي أن يكون في آخره ضمّتان أو فتحتان أ وكسرتان ... وهذه الكلمات لا تكون إلا أسماء، وكان الأصل أن تكتب كما يكتبها علماء العروض ... أي بزيادة نون ساكنة في آخر الكلمة، تُحدث رنينا خاصّا وتنغيما عند النّطق بها، ولهذا يسمّونها "التنوين": أي التّصويت والتّرنيم، لأنّها سببه. ولكّنهم عدلوا عن هذا الأصل، ووضعوا مكان "النون"، رمزا مختصرا يغني عنها»"[2]". ويعرّف علم الأصوات التنوين بأنّه « عبارة عن حركة قصيرة، بعدها نون»"[3]"، وإذا كانت النون تكتب بلفظها، فالتّنوين لا يكتب بلفظه، وإنّما يدرك سماعا، لأنّه « نون ساكنة زائدة، تلحق آخر الأسماء لفظا لا خطّا ولا وقْفا»"[4]"، ولذا يكون المعتمد في إدراك التنوين على السّماع، أي اللّغة المنطوقة الحيّة لا المكتوبة"[5]"، وقديما، عرّف ابن جني اللّغة بأنّها « أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم»"[6]" ويتمّ توكيد الأثر، بزيادة نون التّنوين في آخر كلّ من التابع والمتبوع، في مثل "خبٌّ ضبٌّ"، "هُمَزةٌ لمزةٌ"، فالتّنوين المُكرَّر الغنّة، الملوّن للصّوت الأخير في كلّ من التابع والمتبوع، -حرف الرويّ في المركّب- بالإضافة إلى تكرار غالبية الأصوات، له وقْعُ ترنُّمٍ، يُطرِب السّامعَ، ويقويّ الأثر.

أمّا الوقف، فهو« انتهاء الكلمة عند النّطق بآخرها، فلا يلحقُها حينئذ تنوينٌ ؛إذ التنوين يأتي مُلْحقا بآخر الكلمة»"[7]" ويكون للوقف، وقع في السّمع، ففي توقّف الحركة، تنبيه ودعوة إلى التّركيز والسّكون، للفهم والاستيعاب. وهذا ممّا يساعد في تثبيت الفكرة وترسيخ العبارة في الذّهن، في مثل بعض الإتباعات التي تطرق أسماعنا من

1 – ينظر. السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج2. ص 79. تح أحمد شمس الدين. الناشر دار الكتب العلمية. لبنان. ط1. 1998 م. ***www. waqfeya. com/book. php?bid=4013***

2 –عباس حسن. النحو الوافي. ج1. ص26،27 .

3 –إبراهيم أنيس. من أسرار اللغة. ص 239.

4 – م. س. ج1. ص27.

5 – وصلتنا مادّة الإتباع في كتب التراث الإتباعي، مثبتة خطّيا.

6 – ابن جني. الخصائص. ج1. ص 33.

7 –عباس حسن. النحو الوافي ج1. ص56.

حين لآخر: لا حسْ لا مسْ، ساهلْ ماهلْ. وكأنّ بالمُخاطِب يسعى إلى لفت انتباه المتلقّي، والتأثير فيه، إذ يستوقف انتباه المتلقّي ويدعوه للاهتمام بمعنى العبارة السموعة: "شقْلَبْ بَقْلَبْ"، في وصف خفّة الحركة، وهي للتفكّه، "شْلولْ بْلولْ": للتّلميح بنشر خبر أو إشاعة وتفشّيه، سايَرْ دايَرْ: وصف لشكل دائري. وهذه الظاهرة شائعة في اللّسان الدّارج، فأغلب العامّة تميل إلى الوقف على السّاكن في كلامها، لخفّة النّطق والاقتصاد في الجُهد، وليس تجنّبا للوقوع في الخطأ.

أما في مركّبات التّراث الإتباعي المثْبَتَة بالشّكل، في مثل: "إنّه لثِقَةٌ نِقَةٌ""[1]، و"إنّه لقليلٌ نزيرٌ"، فنجد مواضع حذف التّنوين في حال استحضار بعض المركّبات في بعض المواقف والأحوال الدّاعية لذلك، بالوقف على الكلمة بالسكون، في مثل: "قشيبْ جديدْ"، "قسيمْ وسيمْ، "ما له دارْ ولا عَقارْ"، "رجلٌ عابِسْ كابِسْ"[2]، ذلك أنّ « الابتداء لا يكون إلاّ بمتحرّك والوقف لا يكون إلاّ بساكن، فإن وقفت على المرفوع والمجرور الصّحيح المنوّن، حذفت الحركة والتنوين»"[3] أما إن وقفْتَ على المنصوب المنوّن أبدلْت من التّنوين ألفا"[4]، في مثل هذه الأدعية، المعبّر عنها بهذه المركّبات الإتباعية: "قُبْحا له وسُحقا"، "جوعا ديْقوعا" "رغْما دغْما"، ولهذا أثرُه في رسم نغم موسيقي عذب، يشعر الدّاعي بالارتياح.

ونلاحظ في أسلوب الإتباع الجاري على الألسنة، أنّ المتكلّم يؤْثِر الوقوف على الساكن، ففي عبارات التّراث الإتباعي المثْبَتَة بالشّكل، نجد مواضع حذف التّنوين **في** حال استحضار بعضها، حين تدع والحاجة للاستعانة بها، في بعض المواقف والأحوال الدّاعية لذلك، في مثل: "قشيبْ جديدْ"، "قسيمْ وسيمْ، "ما له دارْ ولا عَقارْ"،

1 – الثّقة من يوثق به والنِّقة، إتباع لا معنى له. ينظر أبوالطيّب. الإتباع. هامش. ص98

2 –القالي. الأمالي. ج2. ص213.

3–أبو محمد سعيد بن المبارك بن الدهّان النحوي.الفصول في العربية. ص44. تح فائز فارس. مؤسّسة الرسالة للنّشر. بيروت. دار الأمل. إربد الأردن. ط1. 1988. ***www. 4shared. com/rar/J2Byg69F/____. html***

4 – ينظر م. س. ص44.

"رجلٌ عابِسْ كابِسْ""[1]"، ذلك أنّ « الابتداء لا يكون إلاّ بمتحرّك والوقف لا يكون إلاّ بساكن، فإن وقفت على المرفوع والمجرور الصّحيح المنوّن، حذفت الحركة والتنوين»"[2]".

وظاهرة الوقف بالسكون، روعيت في القرآن الكريم، و« لم تكن أمرا عابرا أو عارضا، يمثّل ناحية متواضعة من نواحي اللغة، بل كانت صفة من الصّفات التي انتظمت معظم القبائل العربية، وجرت على ألسنتهم جميعا، ولم تكن تقلّ أهمّية أو فصاحة عن ظاهرة تحريك أواخر الكلمات في حالة الوصل، بل لم تكن أقل شيوعا ودوارانا في أفواه الناس من ظاهرة الوصل»"[3]"؛ وتعليلها يكمن في أنّ « راحة المتكلِّم، ينبغي أن تكون عند الفراغ من الكلمة، والوقف عليها، والرّاحة في السكون لا في الحركة»"[4]"، وإضافة على أنّ السّكون راحة، فهو اقتصاد في الجهد، ومنبّه للسّامع.

د- وبإتباع اللّفظِ اللّفظَ، يميل المتكلّم إلى موافقة اللّفظِ لأصوات اللّفظ الذي قبله، وهذه الموافَقَة- أو التّوافُق -تُحدث انسجاما جماليا بلاغيا، مصدره، « توافق صفات الألفاظ من حيث النبرات والنغمات والأصوات، بحيث يكون ذا وقع حسن في نفس السّامع، ***Harmonie Rhétorique***"[5]" أو انسجاما صوتياً، ***Harmonie phonétique*** وهو الذي سمّاه العلماء بالمُزاوَجَة أو التّزويج»"[6]". والتزويج -هنا- بمعنى إتباع اللّفظ لمشابهته له.

---

1 -القالي. الأمالي. ج2. ص213.

2 -ابن الدهّان .الفصول في العربية.ص44.

3- إبراهيم أنيس. من أسرار اللّغة. ص201

4-عبد الرحمن بن محمد بن عبيد اللّه الأنباري. أسرار العربية . تح محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية. لبنان. ط 1. 1997م

5- ينظر مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص129. إيقاع، تناغم، نآلف، توافق: انسجام بلاغي ***Harmonie rhetorique***

6 - موقع منتدى اللّسانيات عبد الرحمن أبو درع. اسأل أ. د عبد الرحمن***www. alfusha. net*** .

تحقيق التأكيد والتثبيت للفظ الأوّل- يُراد منه توكيد اللفظ الأوّل وتثبيتُه في سمع السامع وذهن المُخاطَب، وهي من النّاحية الصّوتيّة ظاهرة جماليّة تُحدث إيقاعا حسنا لدى السّامع.

المبحث الرابع :
أثر اللّغة المنطوقة في ثنائية الإتباع :

الأداء اللغوي المنطوق، يميل إلى أن يكون إيقاعا بشكل ملحوظ، لأن الإيقاع من الناحية الفسيولوحية، يساعد على التّذكر، ولا تكون الكلمات إلا أصواتا، ولا يؤدي ذلك إلى التحكّم في أنماط التعبير فقط، بل إلى التحكّم في العمليات الفكرية أيضا؛ وذلك بفرض وقْع معيّن موزون، يصبح نسقا متّبعا. وما يصدر عن الإنسان عفوا من الأصوات والصّيحات، ليعبّر عن الفرح أو الفزع أو الدّهشة، هي كلمات انفعالية تقليدية، أسبق من الكلمات الإرادية الفكرية. فالكلمة تكون أحيانا من قبيل المحاكاة الصوتية ***onomatopée***"[1]"، وهي« وحدة لغوية ناتجة عن تقليد صوت طبيعي مثل الصّهيل للخيل، والخرير للماء، والحفيف للهواء، والهديل للحمام»"[2]"، وكاسم البلبل والكوك، وألفاظ الدقّ، والقطع وما جرى مجراها"[3]"، من ألفاظ، تصدر عن عفوية، تلوّنها البساطة والسّهولة، وكثيرا ما تستهوي الأطفال في لعبهم، إذ هي واضحة، شبيهة بارتجاع صوت الصّدى وتردّد النّغم. ودلالتها التعبيرية في جرْسها الموسيقي، وفي جرْس الكلام قال الزّمخشري: « الحروف كلّها مَجْروسة إلا حروف اللّين»"[4]"، وجرْس الكلام، أداؤه بنغم مميّز، وذلك « لأنّ الحروف تختلف باختلاف مقاطع الصوت، حتى شبّه بعضهم الحلق والفم بالنّاي؛ لأن الصوت يخرج منه مستطيلاً ساذجاً، فإذا وضعت الأنامل على خروقه، ووقعت المزاوجة بينها سمع لكل حرف منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم، بالاعتماد على جهات مختلفة، سمعت الأصوات المختلفة التي هي حروف»"[5]"، ونستشفّ من هذا القول، أنّ المزاوجة بين

1 مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص201.

2 –م. س. ص200

3– العقاد. أشتات مجتمعات في اللغة والأدب. ص116–117. دار المعارف. مصر. 1970م.

4 – الزّمخشري. أساس البلاغة. ج 1.ص133.

5 –عبد الله بن محمّد بن سعيد بن سنان الخفاجي. سر الفصاحة. ص26، 27. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ***http://www. archive. org/details/serrfsahah***1982

الأصوات المختلفة المتآلفة، ينتج عنها تناغم وانسجام، تميل إليه النفوس، وتطرب له الآذان، فالإتباع من الوسائل التي تخدم العملية الكلامية، فقدكان أسلوبا من أساليب سلفنا في كلامهم، ولا زال يجرى على الألسنة، – إلى يومنا هذا– وإن قلّ نشاطه.

وفي اللّسان الدّارج، تبدع العامّة ألفاظا، تلجأ إليها، لتَتِد بها كلامها، وتزيده قوّة وتوكيدا، بالتّضحيم والمبالغة، قصد التأثير وشدّ الانتباه، ومنها قولهم :"حُطْ بُطْ" لمن يتعجّل في قضاء أمر، و"ساهلْ ماهلْ"، تعبيرا عن السّهولة، وتهوين أمر ما، وبصيغة الفعل "شاطَ ولاطَ"، ومنه الصّفة، "شايَطْ لايَطْ "، فيمن شقي، طلبا لشيء. وفي وصفهم للطعام "صامطْ لامطْ"، وفي التأكيد على الرزق الحلال "حْلالي مْلالي"، وفي وصف شكل من الأشكال:"سايرْ دايرْ"، ومنه الكثير في نقل الصور الصوتية للتفكّه "زيطْ زيطْ"، في وصف نوعية الحذاء القديم، لما يحدثه من صوت، إعلانا بقدوم رجل، حتى يُفسح له الطريق، وتختفي النساء في أخْبِيتهن.

ويتبيّن من ألأمثلة، أنّ الإتباع أَلْيَق بأدب السّجع والصّنعة، وحاجة العامّة لمثله ظاهرة ملموسة، في مثل"ماشي غادي"، و"لا حسْ لا مسْ"، نظرا للطّاقة الجمالية الكامنة في التأليف اللّغوي الموسيقي بين مكوّناته .

وما الإتباع بين "شيطانٌ ليطانٌ "وحَيْصَ بَيْصَ" و"حسنٌ بسنٌ"، إلا دليل حرص اللغة على الإيقاع والاهتمام بالموزونات التي تبعث الارتياح في نفسية المستمع"[1]"؛ لما في التعبير، من مناسبة الأصوات وانسجامها مع بعضها. وفي ضوء ضرورة المناسبة، يفسّر تمّام حسان الظاهرة الإتباعية اللّفظية، بأنّه ليس « لهذا النوع من الإتباع مبرّر من القاعدة، ولهذا السبب، لا يمكن تفسير الإتباع على اللّفظ إلا في ضوء المناسبة الصوتية الموسيقية بين صوتين حين تتضافر القرائن على بيان المحلّ، فلا يحتاج إلى حركة التّابع بين القرائن الدالة عليه »"[2]"، فالظاهرة الإتباعية صوتية بطبيعتها، الغرض

1 –رجب عبد الجواد إبراهيم. موسيقى اللّغة. ص3.

2 –تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 274.

منها تحقيق الانسجام –كما تقدّم شرحه–، وإتباع اللّفظِ اللّفظَ، لا يمكن تفسيره، إلا في ضوء ما تقتضيه المناسبة الصوتية الموسيقية في العبارة الإتباعية"[1].

ولما كان السّجع من مميّزات البلاغة الفطرية، إذ هو في أكثر اللّغات، يجري باطّراد ... وأمثال العامّة تأتي غالبا مسجوعة"[2]، فالميل إلى العبارات المسجوعة من الفطرة. و« الكلام الموزون ذو النّغم الموسيقي، يثير فينا انتباها عجيبا، وذلك لما فيه من توقّع لمقاطع خاصّة، تنسجم مع ما نسمع من مقاطع، كما يساعدنا على تذكّره دون إرهاق للذّاكرة، ولذا كان حفظ الشعر وتذكّره، أيسر وأهون من النثر، لما في الشعر من انسجام المقاطع وتواليها، بحيث تخضع لنظام خاصّ في هذا التوالي»"[3]. وكثيرا ما تقع في أسماعنا عبارات إتباعية، ترسخ في ذاكرتنا، دون أن نبذل جهدا في حفظها، في مثل "ساهلْ ماهلْ"، "سايرْ دايرْ" حُطْ بُطْ"، "صامط لامط"، "باش لاش"، "شْلولْ بلولْ"...؛ وهكذا تقوم العامّة بتطريز عباراتها، للتّنفيس والتّخفيف، مراعية الجرْس الموسيقي والزينة اللّفظية. وهذا النّمط من المركّبات، يجري باطّراد فيما تبدعه العامّة من حكم وأمثال.

ونخلص ممّا تقدّم البحث فيه، في هذا الفصل إلى ما يلي:

1– حروف الصّدارة في كلمتيْ المركّب الإتباعي :

أ– إنّ أصواتا معيّنة، تميّزت بكثرة الاستعمال ووفْرة المادّة الإتباعية .

ب– ندرة أصوات أخرى.

ج– غياب بعض منها، غيابا تامّا من ساحة الإتباع"[4].

---

1 –تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص274.

2 – زكي مبارك. النثر الفني في القرن الرابع. ج1. ص 75،76– باختصار–

3 – رجب عبد الجواد إبراهيم. موسيقى اللّغة. مقدّمة الكتاب.

4– عدد أبواب كتاب الإتباع، خمسة وثلاثون– 35– بابا: صنّفها أبو الطيّب إلى صنفين؛ منها :17– سبعة عشر بابا للإتباع. و18 ثمانية عشر بابا للتوكيد.

د- أنّ الصامت الأوّل من التابع، من مركّب الإتباع، قد جاء مجهورا في أكثر الأمثلة وممّا يلاحظ أنّ صفة الجهر في الأصوات، ليست هي وحدها العامل الأساس في تكاثر الإتباعات، إذ أمثلة التاء المهموسة، فاقت بعض الأصوات المجهورة، من حيث نشاطها في تكثير الإتباعات. هـــ إضافة الأقطش، إلى هذه الأصوات التي تتكاثر بها أمثلة الإتباع، صوت الياء"[1]"، غير أنّ الملاحظ من خلال تتبّع الأمثلة، أنّ الياء، لم تحضر في إتباع أبي الطيّب، إلاّ في ثلاث أمثلة، هي: في الدعاء على الإنسان: جوعا يُرقوعا، ورجل حرّان يرّان، وأرض خراب يباب"[2]".

و-المتبوع في كلّ مركّب إتباعي، وهو الكلمة الأساس، يمثّل نقطة محورية، ومنطلقا ارتكازيا في عملية صياغة التابع وتشكّله، وهو صورة من صور حركية اللغة ونشاطها وتناميها، متمثّلة في توليد صيغ جديدة، ساهمت بنصيب وافر في إثراء المعجم .

2- خلاصة أصوات النّهايات، التي تلوّن المركّبات الإتباعية -بلون إيقاعي خاصّ، وهي الحروف الأواخر في كلمات الإتباع .

أ-كان أكثر الحروف التي استعملت رويّا في الإتباع، حرف الرّاء التكراري. وأقلّها، صوت الخاء، إذ لم يحظ إلاّ بمركّب واحد فقط. وإذا كان حظّها بهذه الضآلة في ظاهرة صوتية من إبداع بشري، فإنّها في القرآن الكريم، لم تحظ بشرف الحضور، كبقيّة الأصوات الفواصل في القرآن الكريم، لصعوبتها وصعوبة الوقف عليها"[3]".

ب- العين والحاء، أكثر استعمالا من الهمزة والهاء، في نهايات الإتباعات .

ج- الإيقاع في الإتباع، بديل عن المكانة التي يشغلها الوزن في الشعر؛ فالتّكرار عنصر أساس في بناء نظام إيقاعي، وهو يقوم على توقع

1 - الأقطش. إتباع الإيقاع في اللغة العربية. ص. 154.

2 - ينظر. أبو الطيّب اللغوي. الإتباع. ص 110-112.

3 - سيد خضر. الفواصل القرآنية. ص2.

المتلقّي للتكرار الموالي. وحرف الرويّ، بمثابة تنبيه عن نهاية هذه الموالاة الصّوتية. كما أنّ التّكرار الصوتي، قد يخدم أغراضا أخرى يقصدها المتكلّم، كالمبالغة والتّفخيم والتّثبيت، فالغاية منه سرعة الحفظ وإمتاع السامع بموسيقى الكلمات مثل القوافي والسجع"[1]".

د- الانسجام الصوتي أوالتّوافق الصّوتي، بين طرفيْ الإتباع، يُسهّل النّطق بالكلمة ويُثبّتها في أذن السّامع، وكأنّها تَكرار للكلمة الأولى، فيتحقّق الغرض من هذا الأسلوب، وهو التّقوية والإمتاع معا .

3- إتباع الإيقاع، نوع من القياس اللّفظي ***analogie***"[2]"، فهو عبارة عن عملية ذهنية فطرية، يقوم بها المتكلّم، ليتمكّن من التعبير عن أغراضه وأحاسيسه، تبعا لقوالب مهيّأة يعتمدها في ابتكار ألفاظ جديدة تابعة، إشْباعا لحاجته النّفسية. وهذه الظاهرة ؛عامّة في اللّغات، لا تختصّ بها لغة دون لغة. وهكذا تكون الصّورة الصّوتية المسْموعة من كليهما، موحية بالدّلالة في سياقها، ولذا يعدّ الإتباع من أدب الأذن؛ لأنّ الظاهرة تقوم على أساس صوتي، فالعامّة أوضح ما يتميّزون به، هو عنايتهم بجرس الألفاظ ووقعها. ولهذا، كانت عناية العرب بموسيقية الكلام « لأنّهم لم يكونوا أهل كتابة وقراءة، بل أهل سماع وإنشاد...، وكثيرا ما تشغفهم موسيقى الكلام عن مراميه وأهدافه »"[3]".

ويمكن التمثيل لولادة مركّب الإتباع بالنموذج التالي:

متكلّم ← مرحلة أولى فكرة +إدراك+عبارة لغوية= حارْدوسْ – شلْولْ

← مرحلة ثانية: فكرة +عفوية+ عبارة سمعية= مارْدوسْ – بلْولْ

1-زكي مبارك. النثر الفني. ج1. ص95.

2 -مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص23

3- م. س. ص204.

ويؤول بنا الحديث في حروف الإتباع –الآلية الفاعلة في توليد التّابع– وحروف النهايات –حروف الرويّ–؛ إلى الحديث عن المباني التي تمّ توليدها؛– إذ لا صرف بلا أصوات– وبهذا نأتي إلى الوسيلة الثانية من وسائل تشكّل وبناء المركّب الإتباعي، في الفصل الموالي الخاصّ بالمستوى الصّرفي.

الفصل الثاني

المستوى الصرفي

توطئة:

يعدّ المستوى الصرفي؛ المستوى الثاني من مستويات التّحليل اللّغوي. ولا يخفى ما لهذا العلم من أهمّية؛ إذ به تعرف أحوال بنية الكلم، حتى عدّه ابن جني أشرف شطري العربية، إذ يكشف لنا عن بنية الكلمة ووظيفتها، ويقول فيه « فهذا القبيل من العلم، أعني التصريف، يحتاج إليه جميع أهل العربية...؛ لأنّه ميزان العربية، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الدّاخلة عليه، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلاّ به...»"[1]".

ويقول "**ابن عصفـــور**" عن الصّرف: « التّصريف أشرف شطري العربية: فالذي يبين شرفه احتياج جميع المشتغلين باللغة العربية من نحوي ولغوي أيّما حاجة؛ لأنه ميزان العربية، ألا ترى أنه يُؤخذ جزء كبير من اللغة بالقياس، ولا يُتوصل إلى ذلك إلا عن طريق التصريف»"[2]". وقد اتّفق اللّغويون على أنّ نشاط اللغة وحركيتها، يظهران في هذه المجموعة من القوالب اللّغوية المتنامية؛ « ذلك أنّ التصريف، يعني التحويل والتّغيير والتصرّف، ولهذا يتناول الكلمات التي تستجيب لهذه الظواهر، ويتفادى الكلمات المجمّدة»"[3]"، فالإتباعات، مثل: "كزّ لزّ"، و"عاشق وامق"، "تافه نافه"، و"بلْع مِلْع"، و"جميل بكيل"[4]"، قد صُبّت معانيها في قوالب متصرّفة، اقتضتها؛ فاستجابت مطاوعة، لحركية اللغة وفعالية نشاطها. وقد تمّ هذا بعملية التّركيب الذي هو في اصطلاح الصّرفيين « جمع حرفين أو حروف، بحيث يطلق عليها اسم الكلمة»"[5]"،

1 –ابن جني. المنصف. ج1. ص34.تح. إبراهيم مصطفى وعبد المنعم أمين. الناشر مصطفى البابي الحلبي. إدارة إحياء التراث. ط1. 1954 م.***www.al-amen.com/vb/...php***

2– ابن عصفور الإشبيلي. الممتع في التصريف. تح. فخر الدين قباوة.ج1.ص28. الدار العربية للكتاب. ط5. 1984 .

3 – فخر الدين قباوة . تصريف الأسماء والأفعال. ص 13.مطبعة دار المعارف بمصر.1971 .

4– أبو الطيّب. الإتباع. ص12 .

5 – التهناوي. كشاف اصطلاحات العلوم والفنون. ص 23.

وبناء على هذا يكون المقصود بالمركّب هو الكلمة التي فيها حرفان أو أكثر، بينما التركيب"[1]" في مفهوم النحاة النحاة، هو مقابل الإفراد"[2]".

يعدّ المركّب الإتباعي، شكلا من أشكال التوليد الصّوت صرفي، تتعايش فيه صيغتان صرفيتان لمعنى دلالي واحد في مثل: "ساغب لاغب"، "وهوخبّ ضبّ"، و"خراب يباب""[3]".

وطبيعة الشّكل البنائي المميّز للإتباع، تدعونا للنّظر في كيفية تشكّله، وهذا بعد تتبّع وحصر الأصوات الأكثر مساهمة في توليد مبانيه – في الفصل السابق–

1 –يأتي بسط حديث التركيب، لاحقا في موضعه من هذا البحث.

2 –ينظر محمّد علي. التهناوي. م.س.ص423.

3– ساغب لاغب: جائع تعب إلى حد الإعياء، خبّ ضبّ: البخيل الممسك، خراب يباب: خالي من أيّ شيء.ينظر ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص 29.

المبحث الأوّل:
تشـكّـــــل الإتبـــــــــــــاع

توليد التّابع:

التوليد في اللغة، « ولّد الرجل غنمه توليدا، أي نتّجها»"[1]"؛ فالتوليد بمعنى الإحداث والإنتاج، بمعنى تولّد الشيء من الشيء وقد أطلق علماء العربية، لفظ "المُولّد"، على المُحدَث من كلام الناس، ممّا ليس له أصالة عتيقة في العربية. وفي هذا قال الجواليقي: « النِّحرير ضدّ البليد، وكان الأصمعي يقول: النِّحرير ليس من كلام العرب، وإنّما هي كلمة مولّدة»"[2]". فالمولّد من الكلام، يتمثّل فيما استحدث واكتسب طابع الجدّة والابتكار.

أما التّوليد على المستوى الاصطلاحي؛ « فيعني استخراج أو استحداث أوزان وكلمات جديدة، لها أصول عربية أو مقيسة على العربية. وكثيرا ما يرتبط بالصّيغ الصرفية وأنواع الاشتقاق، كقياس كلمة على أخرى، أو تتابع المفردات ونموّها أو البحث في الفروع المتحوّلة عن الأصول»"[3]"؛ وهذه العملية التوليدية، التي يطلق عليها مصطلح، ***Generative***"[4]"، في اللّغة الفرنسية، هي « عملية إيجاد كلمات جديدة في لغة ما، وذلك قياسا على صيغ موجودة في هذه اللغة، مع مراعاة الأنظمة والقواعد

---

1 –ابن منظور. لسان العرب.ج6.ص844.

2– أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمّد بن الخضر بن الحسن الجواليقي البغدادي. المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم. ص603. تح ف عبد الرّحيم. دار القلم. دمشق. ط1. 1990 م. وينظر. السيوطي. المزهر. ج1. ص 304.

3– إبراهيم محمد أنبب. ملامح التوليد في التراث اللّغوي. ص103. مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية. سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية. المجلّد27. ع.1. 2005 - ***shamela.ws/rep.php/book/2203 Égypte***

4– مصطلح "توليدية" باللّغة الفرنسية من الفعل " ***generer*** " «تسمية تطلق على نوع من القواعد الحديثة، وتعتمد على قوانين، هي التراكيب العبارية والمفرداتية، وقوانين الوحدات الصرفية، ويؤدي تطبيق هذه القوانين إلى توليد جمل صحيحة نحويا» مبارك مبارك.معجم المصطلحات الألسنية. ص118

الخاصّة بهذه اللغة»"[1]"، وفي نظر محمود عكاشة «المولّد هو اللّفظ الذي وضع للدلالة على معنى أصيل في العربية أو وضع للدلالة على معنى حديث في الوضع وسمّي مولّدا لحدوثه وقرب زمانه، كما سمي مُحدثا»"[2]". نجد لعنصر الزمان، حضورا في مسألة التوليد اللّغوي؛ فأيّ لفظ تمّ استحداثه، يسمّى مولّدا. ويتّضح في كلّ مركّب إتباعي، أنّ التابع، يتمّ توليده، قياسا على متبوعه ، فيأتي، موافقا له في الوزن والرويّ، وهذا الأسلوب، قد أكثر العربُ من استعماله، لتوليد الكلام، وهذه أهمّ وظيفة له. وقد عرّفه ابن فارس: « للعرب الإتباعُ، وهو أن تُتْبعَ الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويّها إشباعا وتوكيدا»"[3]".

وفي القياس الاستعمالي، يقول الأنباري: « القياس حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه»"[4]" وتوضيحا، لهذا القول، يعقّب أحد اللّغويين المحدثين؛ «يريد بغير المنقول كلامنا المستحدث الذي نحاكي به كلام العرب، ويريد بالمنقول الكلام العربي الفصيح، كأن تقول صِحافة وطِباعة على مثال قول العرب :تجارة وزراعة»"[5]"، وفي كثير من الإتباعات الجارية على الألسنة، نلاحظ سريان هذه الظاهرة واستمرارها، في مثل "حاضَرْ ناظَرْ"، "خْفيفْ ظْريف"، مع إجراء بعض التغييرات، مسايرة للنظام اللّغوي المميّز في اللّسان الدّارج.

ويتمثّل الإجراء التوليدي، في الإتيان بالكلمة التّابعة، في"لاغب"على وزن الكلمة المتبوعة "ساغب" وقد يتّحد المعنى، في مثل "وسيم قسيم" وقد تكون الثّانية لمجرّد الإتباع الصّوتي، في مثل "عفريت نفريت"، و"حسن بسن"؛ فالجانبُ الصّرفي يبدو في وزن الكلمة؛ أي في اتّحاد الوزن، ويبدو أيضاً في دلالتَي الكلمتين المعجميتيْن،

1- مبارك مبارك .معجم المصطلحات الألسنية . ص118

2 – محمود عكاشة. الدلالة اللّفظية. ص92. مكتبة الأنجلو المصرية. دت

3 – ابن فارس. الصاحبي في فقه اللّغة. ص209

4 –أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الأنباري. الإغراب في جدل الإعراب ولُمَعُ الأدلة في أصول النحو. ص 95، 96 تح سعيد الأفغاني. مطبعة الجامعة السورية.1957م ***www.4shared.com/rar/.html***

5- محمد حسن عبد العزيز. القياس في اللغة العربية. ص19.دار الفكر العربي.مصر. ط1. 1995م .

فمعنياهما المعجميان متقاربان. ففي كلّ مركّب إتباعي، تتعايش صيغتان، تخدمان معنى دلاليا واحدا، بعد أن تمّت ولادة مبنى جديد، مساوٍ للأوّل في النّغم، و مختلفٍ في الوقت نفسه عن أن يكون تكرارا لفظيا. والمزاوجة، هنا بمعنى الإتيان ببنية مناسبة، تتآلف مع البنية الأساس، فتتقبّلها، وما البنية الثانية إلاّ صورة للبنية السابقة، تلوّنت بلونها، فجاءت، مشاكلة لها في الوزن أو الرويّ. أما من حيث المعنى؛ فالبنية التّابعة لا تحمل معنى في الأصل، وهذا هو الأصل في الإتباع، وإذا كان للتابع معنى، فهي مسألة مصادفة محضة"[1]".

وهذا الإجراء البسيط، المتاح للنّاطق اللّغوي في إنتاج مركّبات إتباعية، يجعلنا نستنتج أنّ آلية توليد التّابع، تتّسم بالسّهولة والبساطة؛ إذ تؤخذ عبارة لغوية، ثمّ تُكرّر هذه العبارة، فيُغيّر الصّامت الأوّل منها إلى حرف من الحروف؛ ليكون الناتج إتباعا، هكذا في مثل: "عطشان نطشان"، "هرْج مرْج"؛ "وسيم قسيم"؛ فالفرق بين التابع ومتبوعه، يكمن في حرف بعينه، وهو الحرف الذي يتصدّر التابع، ممّا يؤدي إلى ولادة مبنى جديدٍ، مساوٍ للمبنى الأوّل- المتبوع- في النّغم، ومختلفٍ في الوقت نفسه عن أن يكون تكرارا لفظيا، كالتكرار اللّفظي في اللغة العربية.

هكذا، تحقّق الإتباع؛ بإجراء يتمثّل في المزاوجة بين بنية صرفية أساس، تحمل معنى دلاليا وأخرى على نسق البنية نفسها لا تحمل معنى – في الأصل-، بعد أن تمّ استبدال فاء البنية الأساس"[2]" بصامت من الصّوامت، وكان أغلبها صوامت ذلقية، -اللاّم، والنون الرّاء- تصدّرتها الباء والميم، فتمّ توليد مركّب من جزءين، بدون فصل بينهما، في مثل: "عفريت نفريت"، وأحيانا في مركّب عطفي؛ يفصل فيه بين التابع والمتبوع بالواو"[3]" في مثل: حِلٌّ وبلّ"، الواردة في حديث العباس وزمزم (لست أحلّها

1 – ينظر. الأقطش.إتباع الإيقاع. ص 144.

2 – م.س. ص 153

3 – يأتي حديث المركّب العطفي، لاحقا في موضعه من البحث –الفصل الثالث-

لمغتسِل، وهي لشاربٍ حِلٌّ وبلّ»"[1]"- وتأتي دراسة النّوعين، لاحقا في موضعه من هذا البحث-. وكما هو واضح، في المركّب الإتباعي، تتعايش صيغتان، تخدمان معنى دلاليا واحدا، بعد أن تمّت ولادة مبنى جديد، مساو للأوّل في النغم، ومختلف في أن يكون هو نفسه مكرّرا.

ففي المركّب "عطشان نطشان"، - كلمة "عطشان" هي البنية الأساس-، بعد أن تمّ استبدال العين الحلقية -فاء الصيغة- بصامت ذلقي، هو النون، الذي تصدّر التابع "نطشان"، كان الناتج مركّبا إتباعيا، ومثله "حسن بسن"، و"عاشق وامق"، وهكذا في بقيّة الأمثلة؛ ومن هنا، يتّضح أنّ توليد المركّبات الإتباعية، يتّخذ وسائل صوت صرفية"[2]" ***Morpho-phonologie***"[3]" والجانبان متلازمان، وقد سبقت دراسة الأصوات الشائعة المساهمة في توليد إتباعات"[4]". وللعربية في تنمية ثروتها اللّفظية وتوليدها، طرائقُ وأشكالٌ عدّة، تتفاوت في درجة الاستعمال وعموما ينقسم التوليد اللّغوي إلى قسمين: دلالي، ولفظي.

والقسم المتعلّق بموضوع هذا البحث، هو التّوليد اللّفظي، وهو ظهور لفظ جديد، ومبعثه عمليات صورية، ميدانها: صيغة صرفية أو صيغة صوت صرفية أو صيغ صرفية مركّبة، وعادة ما يحدث التوليد اللّفظي في اللّغة، وفق نظام داخلي موجود في تكوينها الذاتي، وقد يحدث في الضرورة تبعا لنظام خارجي، على منوال اللّغات الأخرى"[5]". وتشكّل المشتقّات خاصّةً، مادّةً غزيرة للتّوليد الدّلاليّ في الصّرف العربيّ؛

---

1 - المبارك بن محمد الجزري بن الاثير مجد الدين أبو السعادات.النهاية في غريب الحديث والأثر. تح . طاهر أحمد الزاوي -محمود محمد الطناحي. الناشر. المكتبة الإسلامية. ط1. 1963م. ج1. ص429.
http://www.waqfeya.com/book.php?bid=3241

2 - أردت بهذا، توضيح صعوبة الفصل بين المستويات اللّغوية في دراسة الظاهرة، ومراعاة التماسك في مكوّناتها والحذر من تفتيتها.

3 -عبد القادر عبد الجليل. علم الصرف الصوتي. ص 8

4 - ينظر الفصل الأوّل من هذا البحث .

5- الأقطش. توليد الألفاظ بالمختصر الرّمزي الأوائلي في العربية.ص1-بتصرّف-. مجلة جامعة اربد الأهلية 1431هـ ***almaktabah.net/vb/showthread.php?t=36433***

فهي تمدّ المفردات والسّياقات بدلالات هامّة، يكاد لا يخلو منها كتاب من كتب الصّرف، وعن طريق ألوان من التّصريف تتولّد مفاهيم لا يمكن الوقوف عليها من دونه.

وتكاد معظم أشكال التّوليد والارْتجال في اللغة، تنحصر في الصّيغ الصّرفيّة، وهذا التّوليد مشروط بصحّة المعنى. فالصّيغة صالحة للتّوليد بناءً على ما تدلُّ عليه من معانٍ أو بناء على ما يسمح به المعنى؛ فالعناصر القابلة للتّحوّل والتّطوّر في اللغة هي المفردات ذات الصّيغ... ذلك أنّ تطوّر اللغة دائماً يأتي عن طريق المفردات تعريباً أو توليداً أو ارتجالاً أو ترجمة... ولا يأتي عن طريق إضافة حروف أو ظروف أو ضمائر ... أو إضافة صيغ صرفيّة جديدة..."[1]. ولما كان الإتباع سبيلا من سبل اللغة في توليد الألفاظ، نتعرّض إلى قوالبه الصّرفية المتنوّعة في المبحث الموالي:

1 – تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص80، 151

المبحث الثاني :
الشكل الصّرفي المورفولوجي"[1]" للإتباع – مباني الإتباع–

ومن أجل دراسة الأبنية الصّرفية الشائعة، والكشف عمّا توحي به من انعكاسات وظلال؛ تمّ استقراء المادة الإتباعية، الواردة، في الأصوات الأكثر استعمالا في الإتباع، وهي: الباء واللام والنون والميم والواو والهمزة؛ إذ تجلّى نشاط مكثّف لهذه الأصوات –أكثر من غيرها– في توليد إتباعات"[2]"، توزّعت على مبان، متنوّعة، نسوقها في الجدول التالي :

1– المورفولوجي: ***Morphologie*** "علم الصرف الذي يبحث في تركيب بنية الكلمة من حيث التجريد والزيادة والتغيير، فهو يهتم بالتغيير الداخلي الذي يطرأ على الكلمة": ينظر مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص188

2 – ينظر. مبحث حروف الإتباع. الفصل الأوّل من هذا البحث .

جدول

جدول

جدول

جدول

جدول

جدول

جدول

جدول

جدول

وبعد إحصاء الصّيغ الأكثر استعمالا في أسلوب الإتباع"[1]"، تبيّنت النتائج التالية، الموضّحة في الجدول الموالي:

	مباني الإتباع												المجموع
نوعه	فَعْل	فَعْل	فَعْل	فَعْل	فَعْل	فَعْل	فَعِل	فَعِل	فَعُل	فَعْلان	فَعْل	فَعْلة	فَعْلة
وصفي	8	4	7		5	1	5	4	2	5	2	3		116
اسمي	3	2		1	1			2	4				5	17
فعلي														10

تحليل محتوى الجدول

[1]– اعتمدت في إحصاء المادّة الإتباعية الواردة في الأسماء والصّفات والأفعال، كتب الإتباع: ابن فارس: الإتباع والمزاوجة، أبو الطيّب: الإتباع، ابن دريد: باب الإتباع، الجمهرة ج3، الأمالي للقالي ج2، السيوطي: المزهر ج1: رفائيل نخلة غرائب اللغة العربية.

من خلال تتبّع المركّبات الإتباعية، تبيّن الآتي:

1- يلاحظ أنّ الصّيغ الصّرفية المتصرّفة من الصّفات والأسماء والأفعال، هي التي تقدّم أمثلة إتباعية في قوالب جاهزة؛ ذلك أنّ قوالب الصّفات والأفعال تتفاعل مع أحوال الحضارة، متماشية مع ظروف الحياة الجديدة ولا تتفاعل معه القوالب الجامدة، الضمائر والظروف والأدوات، لأنّها مجرّد وسائل ربط"[1]. كما أنّ تتبّع التوزيع الصّرفي للمباني، تتبّعا رأسيا، كشف أنّ مادّة الإتباع، -في كتب التراث الإتباعي-، تضمّنت فكرة الدّلالة على الأحداث، لا الذّوات؛ إذكلّ مركّب، استعمل، لوصف حدث، ممّا طبع كلّ المركّبات بطابع "الوصفية".

واسم الذات، هو الاسم الذي يدلّ على ذات تُدرك بالحواس غالبا، وينقسم قسمين: القسم الأوّل: يمثّله الاسم العلم، ويكون للأشخاص، والبقاع ... وأما القسم الثاني، فهو اسم الجنس: يدلّ على شيء محسوس، لا يختصّ بواحد دون آخرمن أفراد جنسه. ويكون في الإنسان، مثل: رجل، طفل، امرأة. أو الحيوان، مثل : فرس، كلب...أو النبات، مثل : تفاح، ورد..."[2] وأما الاسم الذي يدل على حدث، فهو اسم المعنى : أي؛ معنى يدرك بالعقل وهو المصدر نفسه، نحو : كرمٌ، خروجٌ..."[3]، في مثل :"رفيق وفيق"، و"عريض أريض"؛ و"حسن بسن"، هذه المركّبات وأمثالها، تضمّنت فكرة الدلالة على معاني مجرّدة؛ وهي صفات، تحقّق وقوعها.

1- تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص. 136. وينظر محمد المبارك. فقه اللغة وخصائص العربية. ص128،127. دار الفكر. مصر. ط7. 1981. والأقطش. إتباع الإيقاع. ص 141 .

2- فخر الدين قباوة. تصريف الأسماء والأفعال. ص131.

3 -م.س. ص131.

2- هذه القوالب اللّغوية التي تحفل بها الأمثلة الإتباعية، تستوعب كثيراً من اللّمحات الفكرية والوجدانية، التي توزّعت دلالاتها، على معنى الوصفية وعلى معنى المصدرية، وقليل منها على معنى الفعلية. وقد كشف التتبّع الإحصائي لمادّة الإتباع؛ أنّ الاستعمال، قد توزّع على ثلاثة مركّبات إتباعية، تمّ تشكّلها، تبعا للأنماط التالية: صف+صفة في مثل: "عطشان نطشان"، "تاعِس واعس" -اسم+ اسم في مثل: "الضلال والألال"-فعل+فعل: في مثل: "تعِس ووعِس". وبصيغة المصدر، مثل، "تَعْسا ووَعْسا".

الملاحظ في هذه الأنماط؛ أنّ الصّفات هي الأكثر استخداما؛ إذ بلغ مجموع أمثلتها 116مركّبا، أما الأسماء، فلم يتجاوز مجموع أمثلتها سبع عشرة- 17- مركّبا، -و الفارق في تداول المركّبات الفعلية والاسمية - كما هو واضح- شاسع بين المجموعين- هذه الصّيغ، قد استجابت لظاهرة التّحويل والتغيير، أي التّصريف، ولم ترد كلمات مجمّدة، يستعصي عليها التشكّل وفق الأوزان الصّرفية"[1]".

ففي المركّبات الإتباعية صيغ، وردت فيها أسماء وصفات، متّفقة في المبنى، يجلّيها الجدول التالي:

الصيغة	الاسم	الصفة
فَعْل	حيْص بيص	حقْر نقْر
فَعَل	حبَض نبَض	حسَن بسَن
فِعْل	حِلّ وبلّ	جائِع نائع
فعيل	الويل والأويل	شديد أديد
فَعال	هياط مياط، ضلال ألال	ذواق لماق

1 - فخر الدين قباوة. تصريف الأسماء والأفعال. ص15-بتصرّف-

يلاحظ، أنّ بعض الأسماء والصفات، تشترك في بعض المباني، ولمعرفة الفرق بين الاسم والصفة، نستشهد بما قاله أبو هلال العسكري، في هذا الشأن (إنّ الصفة ما كان من الأسماء مخصّصا مفيدا مثل: زيد الظريف وعمر العاقل وليس الاسم كذلك؛ فكلّ صفة اسم وليس كلّ اسم صفة... ويقع الصدق والكذب في الصفة لاقتضائها الفوائد ولا يقع ذلك في الاسم واللقب؛ فالقائل للأسود أبيض على الصفة كاذب وعلى اللقب غير كاذب»"[1]"، غير أنّ ما يبدو جليّا في المركّبات الإتباعية الوصفية، أنّها لم تصدر عن قائليها لغرض الإخبار؛ وإنّما تعبيرا عن شعور أو للتفكّه أو التّلميح لشيء في لحظة تزامنية مع الحدث؛ ولذا تشكّلت صيغها وفقا للمبتغى؛ توتيدا للكلام وتزيينا.

أ-المركّبات الوصفية:

تمتاز الصفات عن بقية أقسام الكلم بصيغ خاصة مشتقة من أصولها لتكون أوصافا، فإذا اتفقت صيغة الصفة وصيغة الاسم، كان الجدول"[2]" عونا في تحديد ما كان من الأمثلة إسما أو صفة، فما كان له فعل من مادّته أو كان صالحا لذلك، فهو صفة وما لم يكن له فعل من مادّته، فهو اسم »"[3]"؛ فالأمثلة الإتباعية، أغلبها صيغ وصفية؛ كما أفادنا "برونو"" ***Brünnow***"[4]"، في مضمون شرحه لـــ"الإتباع والمزاوجة"؛ قائلا: «يبدو أنّ اصطلاح الإتباع يقصد به الصّيغ الوصفية، التي تتبع الكلمة الأولى بلا رابط، على حين أنّ الصّيغ الفعلية، التي ترتبط بالكلمة الأولى برابط، أو تكون وحدها جملا

1- أبو هلال العسكري. الفروق اللّغوية. ص 17،18. تح حسام الدين القدسي. دار الكب العلمية. بيروت. لبنان. دت.

2 -وضع تمام حسان جدولا، بعد تصنيفه لأقسام الكلم ص101: جدول إلصاق، جدول تصريف، جدول إسناد، وقد جعل للصفة قسما خاصّا بها. ص98،99".

3 - تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص100،101

4 -طبع كتاب "الإتباع والمزاوجة"لابن فارس، لأول مرة :في مدينة غيسن1906 م، بعناية المستشرق الأمريكي المولد، الألماني الأصل: رودولف برونو1917 – 1858 م ***Rudolf E. Brunnow*** ، معتمداً نسخة كتبت سنة626) هـ ***www.alwaraq.net***

مستقلّة، تسمى بالمزاوجة»"[1]". وقد تشكّل التابع على نسق متبوعه؛ أي على الهيئة أو البناء الذي جمعت فيه أو القالب الذي صبّت فيه حروف معيّنة، وهو الذي يعطي التابع صورته وشكله ويمنحه جرْسا ووزنا معيّنا، يسمّى البناء أو الوزن أو الصّيغة"[2]".

و« بنية الكلمة وبناؤها ومبناها، ألفاظ مترادفة، تعني كلّها ذات اللّفظ وتركيبه ومادّته وأصوله؛ فللحرف مبناه وبنيته وبناؤه وللإسم والفعل كذلك، ولعلّ المقصود من هذا التعبير هو عدّة الحروف مع الهيئة التي تكون عليها»"[3]"، فبنية التابع "واعس" في المركّب "تاعس واعس""[4]"، تعني حروفه التي يتكوّن منها، والهيئة التي تنتظم هذه الحروف من حركة أو سكون؛ فهو على وزن "فاعل". وللإتباع مبان متنوّعة، شاع استعمالها، فساهمت في إثراء المادة المعجمية.

3- لقد اتّضح جليّا، أنّ قوالب الصفات؛ كانت أكثر نشاطا، في استيعاب مادّة الإتباع؛ فهي الأكثر تداولا من خلال تواردها وانعكاس حركية اللغة في نماء مفرداتها. ويبدو أنّ هذه الصّيغ الوصفية، كانت الأنسب في أداء المعاني المقصودة، ولذا تمّ انتقاؤها في التعبير عن أغراض مقصودة، وإشباع حاجات معيّنة. فالمركّبات الإتباعية الوصفية، تنمو وتكثر حين الحاجة إليها. ولا شكّ أنّ هذا التوافق، بين المبنى الإتباعي ومضمونه، يستوقف الباحث؛ فيؤول به الفضول إلى ضرورة التعرّف على معنى الصّفة وأوزانها المتنوّعة، وإيحاءات ملامحها الدّلالية، والحديث في هذا، يأتي لاحقا.

1 – رمضان عبد التواب. فصول في فقه اللغة العربية. ص 247.

2 -محمد المبارك. فقه اللغة وخصائص العربية. -بتصرّف- ص112.

3- محمد سمير نجيب اللّبدي. معجم المصطلحات النّحوية والصّرفية. ص 27

4 -الواعس: الذّائب العامل. ينظر. أبو الطيّب. الإتباع. ص103

ب- **المركّبات الاسمية:**

وردت مركّبات اسمية، مثل "له الويل والأليل"، و"قطاة لطاة"، وهياط مياط"، وعددها أقلّ من الصّفات، ففي مثل صيغة "فعيل"، وردت ثلاثة أسماء فقط: "ما له محيص ولا مفيص"، ويلاحظ أنّها استعملت للدعاء على الإنسان، في "له الويل والأويل".

ج- المركّبات الفعلية:

أما المركّبات الإتباعية الفعلية، فقليلة، إذا ما قورن توارد استعمالها مع مباني الصفات؛ ذلك أنّ لهذه الأخيرة ميزات لا تتوفّر عليها المركّبات الفعلية. إذ المركّب الإتباعي الإيقاعي يتميّز بالإيجاز، والتماثل في الوزن، واتّحاد حرف الرويّ، فأثره أبقى وأنفذ. و« الإتباع الفعلي ما كان التابع فيه منفصلا من المتبوع بواو العطف ... والأفعال في هذا القسم الثاني، قد تكون ظاهرة وبلفظ واحد، نحو: "عبَس وبسَر"، و"ما له عامَ وآمَ"[1]"، وفي قول الملائكة لآدم عليه السلام (حيّاك اللّه وبيّاك»"[2]"! وقد تكون مقدّرة كالمصادر التي قدّرت أفعالها نحو: قُبْحا له وشُقْحا، وبُعْدا وسُحْقا»"[3]"، فالمركّب الفعلي، يندرج في الازدواج، وقد يخضع إلى الملاءمة والتعديل، قصد التأليف وتحقيق التوازن بين طرفيه.

1-هلكت ماشيته، فاشتهى اللّبن، وماتت امرأته، فأصبح أيّما، وهو دعاء عليه، ينظر. أبو الطيّب. الإتباع. هامش. ص4.

2- ابن الأثير. النهاية في غريب الحديث. ج1.ص471. ***lisaanularab.blogspot.com/.../blog-post_9414.htm***

3 - أبو الطيّب. الإتباع . مقدّمة المحقّق عزّ الدين التنوخي. ص 4.

المبحث الثالث :
الدّلالة الصّرفية للمباني الإتباعية

من المعلوم أنّ البناء الصرفي نشاط مرتبط بالنشاط اللّغوي بوجه عامّ؛ ولن يكون فعّالا ما لم يرتكز على نشاط التركيب أو فاعلية السياق؛ فلا ينظر إليه بمعزل عن هذه الفاعلية، ولذا يستحسن، الابتعاد عن الدلالات المباشرة المتعلقة بالبناء الصرفي؛ إذ الوحدات الصوتية والصرفية والنحوية، مجتمعة، هي عناصر فعّالة في خلق المعنى"[1]".

ففي مثل قول العرب « اشتبكت الوبْرة ُوالأرنب، فقالت الوبْرة للأرنب: "أَرانْ أرانْ"، عجُزٌ وكَتِفان، وسائرُكِ أُكْلَتان. فقالت الأرْنب للوبْرة: "وَبْر وَبْر"، عجُز وصدْر، وسائرُكِ "حقْر نَقْر"»"[2]" في هذه العبارة المأثورة عن العرب، لا يمكن للسامع أو القارئ ألاّ يتذوّق ما في إتباع المبنى الصرفي، –المميّز لكلّ مركّب وصفي–، لنظيره من سمات جمالية إيقاعية، ناتجة عن انسجام الأصوات، وتناسق الأوزان وتناظرها، إضافة إلى بساطة التركيب وتماسكه وإيجازه.

أما في مثل المركّب الإتباعي الوصفي "عفريت نفريت"، فتتوارد في تصوّر المتلقّي، معان متعدّدة واحتمالات ممكنة، تتجاذب انتباهه، وتحرّك وجدانه، وتجعله يتذوّق ما في البناء الصرفي من إمكانات كامنة، تصرفه عن الخلط بين دلالاته المباشرة وغير المباشرة"[3]".

1– تامر سلوم. نظرية اللغة والجمال في النقد العربي. ص98، 99– بتصرّف–. دار الحوار للنشر والتوزيع. سورية. ط1. 1983 م.

2 –السيوطي. المزهر. ج1.ص227.

3 –تامر سلوم. نظرية اللغة والجمال في النقد العربي. ص99– بتصرّف–

ففي كلّ مركّب إتباعي، تتناغم الكلمة الثانية –التابع– مع سابقتها؛ لتتعايش معها في خدمة معنى دلالي واحد. ولا ننسى أنّ الكلمة الأولى في المركّب الإتباعي، هي نقطة الارتكاز في هذا المركّب، أما التّابع فمجرّد نظير حائم في فلك الكلمة الأولى الأساس، وبها يتأثر في الميزان والرويّ وعلى نسقها، بنى صورته الصّرفية؛ فالقيمة الدلالية، تكمن في الصورة الصوتية المسموعة من كليهما، كما أنّ المركّبات الإتباعية، توحي بالقيم والمضامين الدّلالية التي تشكّلت من أجلها المباني.

في المركّب "حَسْكة مسْكَة"، مثلا، تتعايش صيغتان "فعْلة1 + فعْلة2"، لخدمة معنى دلالي واحد؛ إذ لا معنى للكلمة الأولى وحدها، وكذلك الثانية"[1]"؛ فجيء ببنية ثانية، تتقبّلها البنية الأولى؛ لإفادة معنى الشجاعة. ونلاحظ أنّ اللّفظة الثانية التابعة، هي صورة تكاد تكون مطابقة لسابقتها، لو لم تتدخّل عملية التطريز الاستعمالي، بإحلال صامت الميم، ليتصدّرها، فجاءت مشاكلةً للأولى في وزنها، متناغمة معها في رويّها، متلوّنة بلونها؛ وإن كانت مجرّد رسم صوتي خال من المعنى.

وتجدر الإشارة، هنا إلى تميّز، عمل القالي في الظّاهرة –موضوع البحث، بشرح ألفاظ الإتباع؛ إذ افترض وجود المعنى في ألفاظ الإتباع؛ إذ التابع عنده له معنى وليس زينة لفظية أو تنغيما خال من المعنى، مشيرا إلى إمكانية أنّه "يفْرَد أو لا يُفْرَد" في مثل: "أسوان"، "بسن"، "ليطان"، في المركّبات: "أسوان أتوان"، "حسن بسن"، و"شيطان ليطان""[2]".

1 – ينظر رفائيل نخلة. غرائب اللّغة. ص56

2– ينظر. القالي. الأمالي ج2 – باب الإتباع – ص208 وما بعدها.

وبإمعان النّظر، في المركّبات الوصْفية؛ ندرك أنّ كلّ مركّب عبارة عن مُتلازِمة لفْظية"[1]"؛ قد تحقّقت أُلْفتها عن طريق المزاوجة بين لفظين، قد يكون أحدهما مبهما لا معنى له في مثل "بسْلا وأسْلا"، أي حرام محرّم؛ فالبَسْل، الحرام والأسْلُ، إتباع"[2]" وقد يكون له بلطف الصّنعة معنى مثل "حسن بسن"[3]، أو يكون له معنى واضح. إذن تلوين المعنى يساهم فيه هذا التتابع والتشاكل في الوزن في مثل: "حَسَن قَسَن، شيطان"[4]" ليطان"؛ فالسّامع يدرك، أنّ مبنى اللّفظتين ووزنهما، وحدات موسيقية، أنتجها حسّ لغوي وذوق موسيقي مُرهف، وفكر نافذ ؛ذلك أنّها، إلى جانب إفادتها لدلالة إيحائية؛ فهي قطعة موسيقية فنّية تسابق المعنى إلى القلب عن طريق الحسّ والسّمع.

ففي المركّبات الإتباعية، تتجلّى القيم والمضامين الدّلالية التي تشكّلت من أجلها المباني. ذلك، لأنّ « الألفاظ أدلّة على المعاني وقوالبُ لها، وإنّما اعتنوا بها وأصلحوها لتكون أذهبَ في الدّلالة»"[5]" وبدلالة الصّيغ الصّرفية أو الأبنية على المعاني؛ فإنّه يستخلص منها إيحاءات تمثّل مجموع ظلال متقلّبة في النفس، والمدلول الذي تفيده كلّ صيغة من الصّيغ الإتباعية في تفاعلها في المركّب، لا تتوافر في حال التّعبير بصيغة

1-تعدّد المصطلحات، لظاهرة التلازم اللّفظي: المتضامّات، العبارات المتلازمة، التعابير المتلازمة، العبارات المسكوكة والاصطلاحية والجاهزة والمتكلّسة والتجمّعات اللّفظية: رصدت هذه المصطلحات من خلال الاستعمال في ندوة "المتلازمات في المعاجم العربية ". الدار البيضاء، مارس2005. ينظر. عبد الرزّاق بن عمر المتلازمات. هامش. ص19.

2 – ينظر. أبو الطيّب. الإتباع.ص6.

3 – ينظر القالي. الأمالي. ج2 ص217.

4 – شيطان يكون فيْعال من الشّطن: الحبل المتمدّد في صلابة، من شاط يشيط، إذا ذهب باطلا. ينظر أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد. المقتضب تح عبد الخالق عضيمة. ج1. هامش ص13. وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. لجنة إحياء التراث. القاهرة ط1. 1994.

www.waqfeya.com/book.php?bid=962. و ينظر . سيبويه. الكتاب. ج2.ص11.

5- ابن يعيش. شرح الملوكي في التّصريف، ص:95-96، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية بحلب، ط.1، 1973. ***http://www.archive.org/download/frqa11/frqa11.pdf***

أخرى. ففي وصف الفرس النشيط "فرس صَلْتان فلْتان"، وفي "هاع لاع"، في وصف الرّجل الجبان، وفي "حَزْن شَزْن"، للتّعبير عن الأمر الصعب الوعْر.

لقد تنوّعت أشكال الصّيغ الوصفية في الأمثلة الإتباعية، تبعا لمقتضيات الحاجة التعبيرية؛ فكلّ صيغة، تحمل سمة دلالية صرفية مميّزة؛ إذ الصّيغة هي الشكل والبناء، في مثل "فاعل" من فعل، هي صيغة اسم فاعل"[1]".

وللتّفريق بين الوصف والصّفة، يمدّنا أبو هلال العسكري، بما يمثّل الفرق بين الوصف والصّفة، وهو « أنّ الوصف مصدر والصّفة فعْلة. وفعْلة نقصت، فقيل صفة وأصلها وصفة، فهي أخصّ من الوصف؛ لأن الوصف اسم جنس يقع على كثيره وقليله والصفة ضرب من الوصف مثل الجِلسة والمِشية وهي هيئة الجالس والماشي. ولهذا أُجريت الصفات على المعاني فقيل العفاف والحياء من صفات المؤمن، ولا يقال أوصافه بهذا المعنى؛ لأن الوصف لا يكون إلا قولا والصفة أجري مجرى الهيئة»"[2]"؛ فالصّفة ضرب من الوصف، تحمل معنى الخصوصية؛ ومن هنا مطابقة الصّفات للمعاني، بدلالتها على بعض أحوال الذات؛ ولذا كثر استعمالها.

وبقليل من التمعّن في المفهوم الاصطلاحي للصّفة، ندرك، أنّها (هي الاسم الدّال على بعض أحوال الذات؛ وذلك نحو "طويل" و"قصير" و"عاقل" و"أحمق"، وغيرها. وهي الأمارة اللازمة بذات الموصوف الذي يعرف بها»[3]؛ فالصّفة، لا تدلّ على مسمّى بها وإنّما تدلّ على موصوف.

1 – ابن يعيش. شرح الملوكي في التّصريف . ص128.

2–أبو هلال العسكري. الفروق اللغوية. ص19.

3– علي بن محمد الشريف الجرجاني. التعريفات. ص139،138. تح غوسطافوس. فلوجل. مكتبة بيروت لبنان. 1985. ***http://www.archive.org/download/ta3r...at_jurjani.pdf***

و« الصّيغ في اللغة العربية، ماهي إلا قوالب فكرية، تصبّ فيها المعاني العامّة؛ فتحدّدها وتعطيها حجمها ومعناها، أي أنّها تجعلها على سمتها كمّا وكيفا، وهي ... ظاهرة لغوية طبيعية وصحية؛ لأنّها تحدّ من نتوءات اللّغة وجموحها، وتجمع شملها تحت مجموعات، يمكن ضبطها بدلا من تركها فوضى على حلّ شعرها، كلّ كلمة أمّة وحدها، وكيان قائم بنفسه»"[1]"، والصّيغ المتنامية من الصّفات، الواردة في الجدول هي: فَعْل: في مثل، "سمْج لمْج"، وفَعَل: مثل "شَغَر بَغَر"، وفَعِل: مثل "سَمِج لمِج"- كسر عين الصيغة -، وفُعَل: مثل، "عُجَر بُجَر"، وفِعَل: مثل، شِغَر بِغَر- تغيير الحركة من فتح فاء الصيغة إلى كسرها- فاعل: مثل، "حائِر بائر""[2]"، فعيل: - وهذه الصيغة، أكثر الصّيغ استعمالا- مثل، "شقيح لقيح"، و"مليح قزيح" بلحاق الياء ثالثة، وفعْلان: مثل، "أسوان أتوان" وفَعال: مثل "شماج لماج"، وفُعَلة: مثل، هُمزة لُمزة "، و"هُكَعة لُكَعة". وعند تأمّل هذه الصفات، ندرك أنّها لا تدلّ على مسمّى بها، و إنّما تدلّ على موصوف بما تحمله من معنى الحدث أي معنى المصدر.

-دلالة المزاوجات الفعلية:

أما عن دلالة المزاوجات الفعلية، فالمُلاحظ، أنّ الأفعال كلّها، وردت في الزمن الماضي و« الفعل الماضي، هو ما دلّ على حدث وقع في زمن مضى قبل زمن التكلّم ... قد يدل الفعل الماضي على الزمن الحالي وذلك إذا أريد به الإنشاء مثل: بعتُك الدار ... وقد يدل على المستقبل وذلك إذا أريد به الدّعاء، مثل: غفر اللّه لك»"[3]"، ومثله المركّب، "لحاه اللّه ووَراه"، وفي دعاء آخر «"لا دَريتَ ولا أليتَ"، ولا يقال: ولا ائْتَلَيْتَ؛ والائْتِلاء: التّقصير، كأنّ المعنى: ولا قصّرتَ في التفهّم»"[4]"، والأصل

1 -عبده عبد العزيز قلقيلة. لغويات.ص 16. دار الفكر العربي . مصر . 1977.

2 - ينظر ابن الأثير. النهاية في غريب الحديث. ج1.ص466.

3- أحمد مختار عمر ومصطفى النحاس الزهران ومحمّد حماسة عبد اللطيف. النحو الأساسي. ص135،137. منشورات ذات السلاسل. الكويت. ط1. 1984.

4 - أبو الطيّب. الإتباع. ص10.

ولاائْتليْت، على وزن افْتعَلْت من "أَلَوْت هذا"، أي ما استطعته وفي هذه المزاوجة، تمّ إجراء تعديل لتحقيق الإتباع"[1]. والمركّب الفعلي "له ما ساءه وناءه"، جاء، ليدلّ على الإنشاء؛ فأكثر المركّبات الفعلية، جاءت لإفادة الدّعاء، أو لغرض الإنشاء؛ وبهذا تكون أقلّ طاقة تعبيرية انفعالية من المركّبات الوصفية، وبالتالي أخفّ تأثيرا في السّامع .

إنّه من اللاّفت للانتباه، في التتبّع الرأسي للمباني، خضوعها لتغييرات، تحويلية، لغرض تلوين الدّلالة الصّرفية؛ وبهذا النتاج الوافر في الصّيغ، يتحقّق استيعاب ألفاظ جديدة، من شأنها شحن طاقة تعبيرية، للتنفيس عن إحساس ما، أو للتفكّه والسّخرية، والتّخفيف من حدّة معاناة ما، في مثل "خبّ ضبّ"، لمن يرواغ، و"خُفاف ذُفاف"، لمن حسُنت معاشرته، و"أمور دُبْسٌ رُبْس"، في وصف المصائب الملمّة بالإنسان؛ هذه المباني "فَعْل"، "فُعال"، "فُعْل"، تمثّل قوالب لألفاظ، تنوّعت دلالتها، بفضل تغييرات دخيلة، في تركيب البنى.

-آلية التحويل الداخلي في الصّيغ و أثرها في تلوين الدّلالة :

من الملاحظ، أنّ بعض المباني الإتباعية، خضعت إلى تحويل داخلي، وكان لنشاط الحركات القصيرة أو الطويلة في بناء الألفاظ من غير الاستعانة بسوابق أو لواحق في "فَعْل فعَل فعيل، فِعْل، فعال، فاعل، فعلان"، أثر في تلوين الدّلالة.

وبعد محاولة الكشف عن دلالات هذه المباني، وإبراز بعض ملامحها، تبيّن أنّ، الإتباعات الواردة على صيغتي "فعْل "و "فعيل"، تضمّنت فكرة الدلالة على ما يلي:

1-كأنّه قال: لا دريت ولا استطعت أن تدري؛ قال الفراء :"ائْتليْت، افتعلْت من "أَلوت"، أي قصّرت، ويقال: "ولا ألْيْتَ" إتباع لدريت. أبو الطيّب. الإتباع. هامش. ص10.

أ- **المعنى المجرّد:** الذي يسمّى الوصف أو الصفة، في مثل وصف التفرقة والشتات في "تركتهم حَوْثَ بَوْث"، و"حَيْثَ بيْثَ" و"حاثِ باثِ""[1]"، وشدّة الحرارة في "يوم عكّ أكّ" و"عكيك أكيك"، والعرب تقول عند لذعة النّار والوجع الحادّ "حَسِّ بسٍّ""[2]". وعلى صفة القلّة، في المركّب "قليل نزير"، ووصف خضرة المكان وسعته في "عريض أريض"، وما اتّصف به البخيل من شدّة البخل وتأكيده لشحّه، بالصّوت "نحيح"، في المركّب "شحيح نحيح"؛ هذه معاني مجرّدة، دلّت على صفات حسّية، ظاهرة.

ب- وعلى « **الشخص أو غيره من الأشياء** التي لا يقوم المعنى المجرّد إلاّ بها، ولا يتحقّق وجوده إلا فيها، ... هو الموصوف الذي يتّصف بهذا الوصف "الصّفة"، ولا يمكن أن يوجد الوصف مستقلاّ بغير موصوفه»"[3]" والمراد في المركّب "شحيح نحيح"، مثلا؛ من وصف بشدّة البخل؛ فيتنحْنح من لؤمه، لردّ السائل ردّا قبيحا"[4]"، وفي المركّب"يوم عكيك أكيك"، قد نسبت الحرارة إلى هذا اليوم المشهود له بهذا الوصف أو الصّفة.

ج- والملاحظ « **ثبوت** هذا المعنى المجرّد "الوصف أو الصّفة"، لصاحبه في كلّ الأزمنة ثبوتا عامّا؛ أي الاعتراف بتحقّقه ووقوعه، شاملا الأزمنة الثلاثة المختلفة»"[5]"؛ فوصف شخص بالبخل مثلا، يعني، أنّه يشهد له بالبخل، وأنّ هذه الصّفة الذّميمة ثابتة متحقّق في ماضيه وفي حاضره ومستمرّة في مستقبله.

1- "حيْث وحوْث"، اللّغتان جيّدتان، والقرآن نزل بالياء، وهي أفصح اللّغتين. ينظر. أبو الطيّب. الإتباع. هامش. ص19

2 - "الحسّ": الرنَّة، أي صوت يسمع، وتستعمل في عامّيتنا بهذا المعنى.

"جاء بالمال من حسّه وبسّه"؛ أي من حيث شاء، من حيث كان ولم يكن؛ أي جيء به من حيث تدركه حاسّة من حواسّك أو يدركه تصرّف من تصرّفك. حسّ، بفتح الحاء وكسر السين وترك التنوين: كلمة تقال عند الألم، إنّي لأجد حِسّا من وجعٍ. ينظر. ابن منظور. لسان العرب. ج6. ص 49.

3 - عباس حسن. النحو الوافي. ج3. ص269 .

4 - ينظر القالي. الأمالي. ج2. ص210.

5 -عباس حسن. النحو الوافي. ج3. ص270.

د- والنتيجة الحتمية، لما سبق هي « ملازمة ذلك الثبوت المعنوي العام، للموصوف ودوامه؛ لأنّه ... يقتضي أن يكون المعنى المجرّد، الثابت وتحقّقه، ليس أمرا حادثا الآن...وإنّما هو أمر دائم ملازم صاحبه الموصوف طول حياته، أو أطول مدّة فيها، حتى يكاد يكون بمنزلة الدائم»"[1]"؛ فالناطق بـــ"بخيل"، يريد الدلالة على مجموع هذه المعطيات -إن كان يحسن انتقاء الألفاظ- وما يقال في "بخيل نحيح"، يقال في "فقير وقير"، وما يماثلها من إتباعات. وممّا سبق سوْقه من أمثلة؛ تتبيّن ملامح الصّفة المشبّهة، الواردة في تعريف النحاة؛ أنّها «اسم مشتق يدلّ على ثبوت صفة لصاحبها، ثبوتا عامّا»"[2]"، ومعنى الثبوت الاستمرار واللّزوم"[3]".

وصيغة ""فعيل"، هي الصيغة التي تشكّلت على نسقها، أكثر الإتباعات؛ إذ بلغ مجموع صيغها (36) ستّة وثلاثين مثالا، في مثل: "كظيظ بظيظ"، و"شحيح نحيح"، تدلّ في الاتّصاف بصفة معيّنة واعتيادها، إلى درجة المبالغة فيها، كما في "فقير وقير"، و"كثير بثير"؛ فصيغة فعيل دلّت على التكثير والمبالغة وقد جاء ذلك منسجماً مع المعنى الذي أراده الناطق اللّغوي، في التكثيف والمبالغة في وصف صورة الفقير.

ويلاحظ أنّ الجامع بين الألفاظ الإتباعية، على صيغة "فعيل"؛ هو فكرة الدّلالة على المبالغة والكثرة أو شدّة الاتّصاف بصفة من الصفات الواردة، كشحيح بحيح، "قليل بليل"، مثلا والجامع بين ألفاظ هذا الصنف الواحد هنا، هو شكل البناء أو الصيغة أو الوزن الموسيقي ويجمع بينها جزء من المعنى أو صفة من صفاته"[4]"، « اللّفظ المؤكِّد لمتبوعه يقوي متبوعه؛ لأنّ التّأكيد هو التقوية باللّفظ ويزيد على التقوية بكونه ينفي

1 -عباس حسن. النحو الوافي . ص270.

2 -م.س. ص272.

3- محمد بن الحسن الاستراباذي السمنائي النّجفي الرّضي. شرح الرّضى لكافية ابن الحاجب. تح يحي بشير مصطفى. القسم الثاني. مج1. ص227. نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط1. 1997. ***www.waqfeya.com/book.php***

4 - محمد المبارك. فقه اللغة وخصائص العربية. ص112.

المجاز»"[1]"، « فالرابط بين الألفاظ المجتمعة في زمرة واحدة والعنصر المشترك بينها، هو شكل البناء والتركيب والوزن والموسيقى من جهة، والمعنى الذي يتحصّل من هذا البناء أو الوزن من جهة أخرى»[2]؛ فالإتباعات الواردة على صيغة "فعيل"، في مثل، "كظيظ بظيظ"، "عمير بجير"، "جميل بكيل" متّفقة في الشكل والوزن، وما ينتج عنهما من نغمة موسيقية، توحي بالدّلالة على الدّوام والثبوت؛ إذ الصّفة المشبّهة تدلّ على وصف الفاعل بالحدث، على سبيل الدوام والثبوت"[3]".

وبعرض صيغة "فعيل"، الأكثر استعمالا، على الميزان الصرفي؛ و« هو مقابلة اللفظ بحروف الميزان، وهي الفاء والعين واللام لمعرفة ما فيه من حروف أصلية أو زائدة ولضبط ما في مبناه من حركات أو سكون»"[4]"؛ نستحضر قول سيبويه « وأما الياء فتلحق ثالثة؛ فيكون الحرف على فعيل في الاسم والصّفة، فالاسم نحو بعير... والصّفة، سعيد شديد»"[5]"؛ ولحاق الياء، لتقع ثالثة، يعني الزيادة في غير تكرار لحرف أصلي، « ولا تكون إلاّ من الأحرف العشرة سألتمونيها"... فالألف والواو والياء، هي أكثرها استخداما وأرسخها تمكّنا في الزيادة؛ إنّها –لليْنها واعتلالها– رشيقة خفيفة، يسهل تداولها والإكثار منها في المفردات، ولقربها من الحركات التي تلازم كلّ كلمة، يؤنَس بزيادتها، ويركن إليها»"[6]"، وهذا التغيّر الذي يطرأ في الصّيغ والأبنية يؤدّي إلى تغيير المعنى، إذ أنّ « في زيادة مبناها ؛زيادة لمعناها»"[7]"، في مثل هذا المركّب "إنّه لَثَقِفٌ لَقِفٌ"، و"ثَقْف لقْفٌ"، و"ثقيف لقيف"، أي صار الرّجل حاذقا، ولا شكّ أنّ السّامع

1– محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي ابن النجار. شرح الكوكب المنير –مختصر التّحرير – تح محمد الزحيلي ونزير حماد. ج1.ص 145. مكتبة العبيكان. 1993م
al-mostafa.info/data/arabic/depot3/gap.php?...pdf

2 –محمد المبارك. فقه اللغة وخصائص العربية. ص 115.

3 – تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص99.

4– تمام حسان. م.س. ص 239.

5 – سيبويه. الكتاب. ج1. ص 267.

6 –فخر الدين قباوة. تصريف الأسماء والأفعال. ص32.

7 –صبحي صالح. دراسات في فقه اللّغة.ص335.

المتذوّق، يدرك أنّ فروقا دقيقة، تميّز كلّ عبارة عن نظيرتها؛ فهي بمثابة تدرّج في اللّون الواحد، ينتج عنه ألوان متقاربة ومختلفة في الآن نفسه.

والتفاوت في الاستعمال لحروف الزيادة، قد يُلجأ إليه في تفسير كثرة استعمال المباني الإتباعية على وزن"فعيل"؛ خدمة للفروق في المعاني، ومساهمة في إمداد الثروة اللّغوية بالنّماء؛ إذ « لكلّ حرف من حروف الزيادة معنى يؤدّيه وفائدة يجلبها معه»"[1]" وبزيادة الياء ثالثة، للمادّة الثلاثية الأصول "ف ع ل"؛ تتغيّر الدّلالة الصرفية إذ تدلّ الياء على معنى خاصّ مطّرد، يضاف إلى المعنى الأصلي للتّابع، في مثل: إنّه "لسَمِج لَمِج"، وسَمْج لمْج"، "سَميج لميج""[2]". وبإجراء مقابلة بين صيغة "فَعِل وصيغة "فعيل"، يظهر الفارق في الكمّية بين كسرة الميم والمدّ–الياء–؛ وهذه القيمة الخلافية، تفرّق بين المباني من ناحية الشكل، لإدراك دلالة كلّ منها"[3]". ومما ينبغي التنبيه إليه، هو أنّ اللّجوء إلى مباني الإتباع، مع التنويع فيها، يعكس هندسة لغوية منظّمة في حركية اللّغة العربية، في هذه الصّيغ: فَعْل، فَعَل، فَعِل، فُعَل، فِعْل، فِعَل، فُعَلة، فَعْلَة؛ فالتّغيير، وقع على مستوى الحركات في عين الصّيغة، وقد تجسّد التّحويل في تحريك الساكن–عين الصيغة– في "فَعْل" وبتلوين الحركة، في موقعية البداية والوسط، والملاحظ في هذه المباني: "فَعِل– فعيل–فَعَل–فَعال –فاعِل "، أنّ التّغيير، وقع على مستوى الحركة في عين الصيغة، متمثّلا في الحركة القصيرة، إلى حركة طويلة، أي تغيير في الكمّية؛ ممّا ينتج صيغا أخرى جديدة، مختلفة الوزن، في مثل، المركّبات الثلاث :

1 –عباس حسن. النحو الوافي. ج4. ص694.

2 –ينظر أبو الطيّب. الإتباع. ص76. وينظر ابن منظور. لسان العرب: سمُج الشيء: قبُحَ، وهو سميج لميج وسمْج لمج.

3 –القيم الخلافية من اصطلاح تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص147،146.

وتبدو هذه المباني، تجديدية، ينتقيها الناطق اللّغوي العربي، انتقاء، بتلعّبه بالحركات، وحروف الزيادة. ونستدلّ على هذا، بخلاصة إحصاء، قام بها علماء اللغة؛ مفادها، أنّ الحروف الزائدة، لا تخرج عن عشرة حروف "سألتمونيها"، وإذا أضيفت إليها الحركات الثلاث واعتبرت حروف مدّ قصيرة، كان مجموعها ثلاثة عشر، وهي سبب تنوّع الألفاظ المشتقة من مادّة واحدة"[1]"، وهذا ما نحاول توضيحه، باستنطاق الصّيغ التالية:

أ- صيغة "فعْل"، من صيغ الصّفة المشبّهة؛ توزّعت على تسعة وعشرين –(29) مركّبا وصفيا، و(03) ثلاثة مركّبات اسمية. وهي « من الصّيغ التي تدلّ على الثبوت والاستمرار، وأنّ أغلب دلالاتها هي صفات ثابتة في موصوفاتها، وعلّة ذلك أنّها مأخوذة من الباب الخامس الذي يدلّ على السّجايا والطبائع والغرائز الثابتة»"[2]".

في هذا المثال "سمْج لمْج"[3]"، على صيغة فَعْل –وقد سبق شرحها- دلالة على الثبوت والاستمرار في الاتّصاف بصفة معيّنة، وهي القبح وغياب الملاحة، وهذه الصّفة المذمومة، تزداد ثبوتا واستمرارا، إلى درجة المبالغة في الاتّصاف بالقبح، ؛ وكذا في مثل "سغْل وغْل"؛ لمن ساء غذاؤه، وظهر ضعفه.

بعد لحاق الياء بالصيغة. « ما دلّ عليه أصل التركيب؛ فهو دلالة اللّغة، وما دلّت عليه هيأته، فهو دلالة الصّيغة»"[4]"؛ فللتّغييرات الصرفية التي تتعرّض لها الكلمة من أجل الأغراض الدلالية، قيم صرفية دلالية، وقد قال ابن جني عن معنى التصريف، « معنى قولنا التّصريف، هو أن تأتي إلى الحروف الأصول، فتتصرّف فيها بزيادة

1 – محمد المبارك. فقه اللّغة وخصائص العربية. ص120.

2 – م.س. ص23

3- لمج: ما ذاق لَماجا؛ أي مأكلا. لمج الشيء: طعِمه: ابن فارس. المقاييس. ص938. ينظر القالي. الأمالي. ج2. ص 219.

4- أبو البقاء أيّوب بن موسى الحسيني الكفوي. الكليات. معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية. ص 560. ضبط عدنان درويش ومحمّد المصري. مؤسّسة الرّسالة. د.ت. ***www.4shared.com/office/.html***

حرف أو تحريف بضرب من ضروب التّغيير؛ وذلك هو التصرّف فيها والتصرّف لها، نحو قولك: "ضرب"، فهو مثال الماضي... ومعنى التّصريف، هو ما أريناك من التلعّب بالحروف الأصول لما يراد فيها من المعاني المفادَة منها وغير ذلك»"[1]"، ويحلو لابن اللّغة، ممارسة نوع من أنواع هذا التلعّب، في مثل، "إنّه لسرّ برّ" و"سارّ بارّ" و"إنّهم لسارّون بارّون" والمركّب"سرّون برّون"، الوارد على لسان الشاعر[2]، في وصف التّظاهر بالبرّ:

إخْوَةٌ ما عَلِمْتُ، سرّون برّو * نَ، فإنْ غِبْتُ، فالذِّئابُ الجِياعُ.

و"امرأة سَرَّة بَرّة"، أي تسرّك"[3]"، نلاحظ في هذا التّلوين التشكيلي في الصّيغ، أنّ ورود المفردة على بناء معيّن، يؤدي معنى قد يتغيّر إذا وردت المفردة نفسها على بناء آخر، وهذا ما يسمى بالدلالة الصرفية وهي « نوع من الدلالة يُستمد عن طريق الصيغ وبنيتها»"[4]".

ب- صيغة "فَعِل"، وردت لها إتباعات، بلغ مجموعها سبع عشرة (17)، مثالا، منها: "عَجِل بَجِل" و"شَكِس لكِس" و"سَمِج لمِج" – كسر عين الصيغة-، وما جاء على شاكلتها "وتِع بدِع"، و"سَغِل وغِل"و "أشِر أفِر"، فهذا النّوع من الصّيغ، نادر إذا ما قيس مجموع تداوله بالصّيغتين السابقتين؛ فصيغة "فَعِل"، « تكون في الأسماء الجامدة، كتِف

1- ابن جني. التصريف الملوكي. ص2، 3. مطبعة شركة التمدّن الصناعية بالقربية. مصر. ط1. د.ت
***majles.alukah.net*.**

2 – الشاعر، لم يرد ذكره في هامش الإتباع لأبي الطيّب ص22. هو الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب السعدي التميمي، شاعر جاهلي قديم، أساء قومه إليه، فانتقل إلى آخرين، ففعلوا كالأوّلين، فقال: "بكلّ وادٍ بنو سعْدٍ" الأضبط بن قريع السعدي – بوابة الشعراء – بوابتك إلى عالم الشعر. ..
www.poetsgate.com/poet_1758.html

3 – ينظر أبو الطيّب. الإتباع . ص22 .

4 – إبراهيم أنيس. دلالة الألفاظ. ص47. مكتبة الأنجلو المصرية. مط محمد عبد الكريم حسان. القاهرة. د. ت .

نمِر، والصّفات فرِح طرِب»"[1]"، إلا أنّ استقراء أمثلة الإتباع، أظهر خلوّها من مركّبات اسمية إتباعية، على هيئة "فَعِل"؛ ذلك لحاجة الاستعمال إلى إتباعات تصف هذه الأعراض، لأغراض دلالية تبليغية وغايات جمالية تزيينية.

لقد ساهمت الكسرة بوظيفتها الصوتية، في تنويع الدّلالة في صيغة "فَعِل" وهي من « المشتقات الدالّة على الحدث والذات معا، كالمصدر، واسم الفاعل والمفعول، والمرّة، والهيئة، والنوع، والآلة والصفة المشبهة وأفعل التفضيل وأمثلة المبالغة، وكلّها تعمل الكسرة فيها، وتشارك غيرها في بنائها وتنويع أشكالها، وقد تعمل على تلوين الدلالة فيها»"[2]"؛ وفي هذه الصيغة الإتباعية، نلاحظ، تحوّل دلالة القبح، في المركّب "سمِج لَمِج" من صفة قابلة للتغيير؛إلى صفة محقّقة، أكثر ثبوتا واستمرارا، في هذا الشيء السّمِج، الخالي من الملاحة.

ويعدّ هذا التحويل الناتج عن التلوين الحركي، طريقة من طرائق التوليد اللّفظي في العربية، والمتتبّع لمركّبات الإتباع على بناء "فَعِل"، تستوقف انتباهه، دلالتها على أمور عارضة، غير ثابتة، توحي بالكراهة، في مثل "شكِس لَكِس"، السيّء الخلق، و"جِبْس عبْس"، وهو اللّئيم، و"شغِبٌ جغب" للمهيّج للشرّ، و"دِحْل محْل "للمحتال" و"عِفْرٌ نفْر" للشرّير"[3]"، و"بِلْغ ملْغ"، للخبيث، فهذه صفات باطنية، تدلّ على أمور مكروهة عارضة، أمْلتها النّفس الأمّارة بالسّوء. ولا ننسى ما لحركة كسر فاء الصّيغة، من أثر في هذا الإيحاء؛ إذ هي دالّة على ما خفي في الباطن"[4]".

جاءت صيغة "فَعْل"، تالية لصيغة "فعيل"؛ في استيعاب –واحد وثلاثين–31– مركّبا إتباعيا؛ في مثل: حيْصَ بيْصَ، حَوْصَ بوْصَ، هَفْت لَفْت، "سمْج لمْج". ولعلّ

1 –فخر الدين قباوة. تصريف الأسماء والأفعال. ص65.

2 –مكي درار. الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية. رسالة دكتوراه. ص. 2002–2003م

3 – رفائيل نخلة. غرائب اللّغة.ص58، 57.

4– ينظر خيرة منصوري. الحقول الدّلالية لحرف العين في لسان العرب. رسالة ماجستير. ص.156. 1999م.

كثرة تداولها آتِ من فتح أوّلها- فاء الصيغة- وسكون ثانيها- عين الصيغة، وندرك في توالي الفتح والسكون، خفّة وسرعة في الأداء؛ وقد أكّد ابن سيده، بنقله عن أئمّة اللغة، أنّ « الأصل في الأفعال الثلاثية كلّها، أن تكون مصادرها على فَعْل؛ لأنّه أخفّ الأبنية»"[1]"؛ وهذه الصّيغة؛ تتشكّل على هيأتها الأسماء والصّفات، كما جاء عن سيبويه، « أما ما يكون على ثلاثة أحرف من غير الأفعال، فإنّه يكون :فَعْلا ويكون في الأسماء والصفات»"[2]"، وعلى هذا المبنى، وردت الأمثلة الإتباعية " رُطَبد ثَعْد معْد"[3]" ثغْر بغْر"، وما شاكلها من أمثلة.

وإذا قارنّا بين إتباعات على صيغة "فَعْل"، في مثل "طَبٌّ لبٌّ"، في وصف من واظب على أمر، وهو الرّجل العالم، و"سَهْد مهْد"، للشّيء الحسن وإتباعات أخرى على صيغة "فاعل"، في مثل "حاذق باذق"، "سائغ لائغ"، ندرك أنّ "فَعْل "أبلغ في الوصف من "فاعل؛ ذلك أنّ من وُصِف به "فَعْل"، صار كأنّه الحدث نفسه؛ فقولك رجل عدْل "يدخل في باب التشبيه البليغ الذي أقرّه أهل البلاغة، نحو قولهم: "محمّد أسد"، و"فَعْل" عامّ في الوصف غير مقيّد بزمن، لأنّه مصدر في الأصل"[4]". ونأتي لإتباعات، مثل: "عطْشان نطْشان"، و"شيْطان ليْطان"، و"أسْوان أتْوان"، و"خزْيان سوآن"، و"أشْران أفْران" و"عيْمان أيْمان"، نلاحظ أنّها اتّخذت من قالب "فَعْلان" مبنى لها؛ فكانت النّون، صوت النّهاية، وهي حرف الرويّ"[5]" في هذه المركّبات. وفي زيادة النون، ورد قول سيبويه « أما النون فتزاد في فعلان خامسة»[6]؛ ففي هذه المركّبات، وأمثالها، جاءت النون، تالية لحرف المدّ الألف، وهي بموقعها، حرف نهاية في المركّب الإتباعي؛ تضفي على المركّب غنّة مضاعفة، يكون لها وقع في نفسية السامع.

---

1 – ابن سيده. المخصّص. ج14 ص 28.

2 –سيبويه. الكتاب. ج1. ص 245.

3 – بمعنى طريّ، ينظر القالي، الأمالي ج2، ص209، المخصّص ج14،ص 29.

4– ساجدة مزبان حسن.بناء فَعْل وفِعْل وفَعْل في القرآن الكريم دراسة دلالية. ص 26 –بتصرّف–.
www.ircoedu.uobaghdad.edu.iq pdf

5 – ينظر الفصل الأوّل من هذا البحث.

6 – سيبويه. الكتاب. ج1.ص235 .

وبمحاولة استيحاء دلالة الفعل "عطِش"، ندرك أنّه دالّ على خلوّ طارئ، يتكرّر ولكنّه يزول ببطء، فمبنى "فعلان"، صفة مشبّهة، ومؤنّثها–في الغالب– على وزن فعْلَى. و"عطشان نطشان"، مؤنّثه "عطشى نطشى". ومثله "رجل "أسْوان أتْوان"، أي حزين، متردّد، يذهب ويجيئ من شدّة الحزن"[1]"؛ فكأنّه خلْو قلبه، ومفرَغ من الإحساس بالفرح، ممّا جعله مضطربا، لا يعرف السكينة. كما أنّ هذا الوزن نفسه، يمكن أن يدلّ على امتلاء، يطرأ ويتكرّر، ولكنّه يزول ببطْء"[2]" في مثل "إنّه لأشْرانٌ أفْرانٌ"، فالأشِر:البطِر، والأفِرمن النشاط، أي يقفز قفزا"[3]"، أي أنّه يفيض نشاطا، فكأنّه ممتلئ حيوية.

وهذه الدلالة، عند ابن جني سمّاها الدّلالة الصناعية، ويقصد بها دلالة البناء أو الصيغة الصرفية على معنى، وذلك بقوله: « ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره ودلالة بنائه على زمانه؟»"[4]"، فدلالة مجموع حروف "قام"، بلفظه له دلالة وظيفية مطّردة على الحدث، وهو القيام.

والدلالة الصّناعية تستمدّ قوّتها من الدلالة اللّفظية، لأنّها إطار للّفظ، أو هي القالب الذي تصبّ فيه الألفاظ وتبنى على صورته ومنواله، فهو يقول « الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنّها وإن لم تكن لفظا؛ فإنّها صورة يحملها اللّفظ، ويخرج عليها، ويستقرّ على المثال المعتزم بها. فلمّا كانت كذلك لحِقت بحكمه، وجرَت مجرى اللّفظِ المنطوق به؛ فدخلا في باب المشاهدة»"[5]"، ويفهم من هذا القول، أنّ الصّيغ صور للألفاظ، فصيغة "فاعل"، صورة أو قالب لكلّ اسم يأتي من الثلاثي، نحو : قائم، جالس، غائب.

---

1 – القالي. الأمالي.ج2.ص 10

2 – ينظر. عباس حسن. النحو الوافي.ج3. ص247.–بتصرّف–

3 – ينظر أبو الطيّب. الإتباع. ص8،7.

4– ابن جني. الخصائص. ج3.ص69.

5 –ابن جني. م.س. ج3.ص69.

ونأتي لوزن مُغاير، من حيث التّلوين الحركي وهو بناء "فُعَلَة"، قال فيه ابن السكّيت « اعلم أنّه ما جاء على فُعَلَة بضمّ الفاء وفتح العين من النعوت، فهو في تأويل فاعل، وما جاء على فُعْلَة ساكنة العين، فهو في معنى مفعول به»"[1]"، وما جاء في تأويل فاعل، نحو "رجل ضُحَكة"، كثير الضحك، و"رجل هُزَأة"، يهزأ من الناس، و"رجل هُيَعَة"، سريع الجزع، وامْرأة طُلَعَة،تكثر التطلّع، في هذا المعنى قال أحدهم " أبْغضُ كنائِني إليّ؛ الطُّلَعَة الخُبَأَة""[2]"؛ وهي "طُلَعَة قُبَعَة"، تطلع ثمّ تقبع رأسها، فتدخله، وبهذه الحركة السريعة، تلفت الانتباه. ويجوز « أن يصاغ من الفعل الثلاثي القابل للمبالغة صيغة على وزن فعلة بضم الفاء وفتح العين كضحكة وصفاً للمذكر والمؤنث للدلالة على التكثير والمبالغة. وإذا أدّى الصّوغ من المعتل اللام إلى لَبس، وجب التصحيح، فيقال سُعَيَة من سعى، ودُعُوَة من دعا»"[3]"؛ لأنّ فُعَلَة من سعى "سُعَيَة" قبل الإعلال، وإذا عُلّت، الياء – من حق الياء فيه أن تُعل–، فتقلب ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فيصبح اللفظ "سُعاة"، فيقع اللبس بين فُعلة المصوغ من سعى وهو "سُعاة" وبين جمع "ساعٍ" وهو سُعاة أيضاً. ولذا يُستغنى عن الإعلال ويبقى النعت على "سُعَيَة" بالياء المفتوحة دون إعلال دفعاً للّبس، وكذلك الأمر في "دُعُوَة" من دعا"[4]"، وبهذا يمكِننا توليد مركّب إتباعي "مُشَيَة سُعَيَة"، وصفا لمن يكثر من الكدّ والسّعي و"لُغُوَة دُعُوَة"، لمن يكثر من اللّغو والدّعاء بالشرّ، وهذا بصوْغ "فُعَلَة"من "مشى وسعى"، ومن "لغا ودعا""[5]".

1– أبو يوسف يعقوب بن إسحق السكّيت. إصلاح المنطق. ص427. تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون. دار المعارف. مصر. دت ***www.4shared.com/office/ .. .pdf.***

2 –م.س. ص428.

3–وعقد الأستاذ عطية الصوالحي عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة فصلاً حول (فُعَلَة» تقدم به إلى مؤتمر المجمع في دورته الرابعة والثلاثين، تضمن اقتراحاً باطّراد صوغ (فُعَلة)، بضم الفاء وفتح العين للدّلالة على الكثرة. ينظر اطّراد صيغة "فُعَلَة". مجلة التراث العربي. اتحاد الكتاب العرب– دمشق العددان: 11 – جمادى الآخر 1403 نيسان "أبريل" السنة الثالثة والعدد 12–رمضان 1403 تموز "يوليو" 1983.

www.awu-dam.org/trath/12.../turath12-11-012.ht

4 – ينظر. م.س.

5– لم أسمع نعتا بهذه الصّيغة في العامّية الجزائرية–الغرب–، بينما تجري على ألسنة العامّة أسماء على "فُعَلَة"، مثل "قزّة"، للشيء القليل جدّا.

وكما يتّضح من الأمثلة، أنّ بناء "فُعَلَة"، أحد أبنية المبالغة، تأتي وصفا للمذكّر والمؤنث لثبوت التاء. وممّا كان لمبالغة اسم الفاعل، ما جاء من وزن فُعَلة في القرآن الكريم: ﴿ وَيْلٌ لِكلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾"[1]"، ومنه المركّب "هُمَزة لمزة"، في وصف من كثر همزه ولمزه"[2]"، وفي هذا المعنى، قال الشاعر"[3]":

تدْلي بودّي إذا لاقيْتَني كذِبا وإنْ أُغيَّب، فأنت الهامِز اللَّمَزَه[4].

لا شكّ أنّ السّامع المتذوّق، يدرك ما يوحي به بناء "فُعَلة"، من دلالة على المبالغة والإكثار، من ممارسة سلوك معيّن؛ يعرف به صاحبه؛ فيوصف به. وفي زيادة التاء رابعة، زيادة في الدّلالة على المبالغة؛ فصُرَعة وهو الذي يصرع الناس كثيرا ولُعَنة وهو الذي يلعن الناس كثيرا وضُحَكة وهو الذي يضحك من الناس"[5]". إذن، فك بناء وصفي على وزن "فُعَلَة"، –بفتح العين–، هو وصف للفاعل"[6]"، في مثل "هُذَرة بُذَرَة"، لمن هو مِهذار كثير الكلام، و"هُكَعة لُكَعة، لمن أكثر الإهمال والتهاون.

---

1 – الآية1. سورة الهمزة.

2 – ينظر الشرح، في الفصل الأوّل من هذا البحث.

3 – ينظر. أبو يوسف بن إسحق بن السكّيت. إصلاح المنطق. ص230. تح أحمد شاكر وعبد السلام هارون. دار المعارف. مصر. دت. ص427. ***www. waqfeya. com/book. php?bid=2966***

4 – البيت من شعر زياد الأعجم (من شعراء الدولة الأموية ت712م).جمع و تحقيق و دراسة يوسف حسين بكار. ص 78.دار المسيرة .ط1 . 1403 هـ– 1983م. و قد ورد في قافية الزاي ، كالآتي"إذا لقيتكَ ،تبدي لي مكاشرة *و إنْ أغِبْ ،فأنت الهامز اللّمزة" .و يروى في كتب التفسير–تفسير سورة الهمزة– على الوجه الأوّل . و منها ، تفسير القرطبي و أبي حيّان . ***majles.alukah.net/showthread.php?51942 ...المساهم...زياد–الأعجم...***

5 – فاضل صالح السامرّائي. معاني الأبنية في العربية. ص65. دار عمار للنّشر. الأردن. ط2 . 2007. ***Pdf www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php***

6– ينظر. أبو محمّد عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة ت 276 هـ. أدب الكاتب. ص25 تحقيق و شرح و فهرسة محمّد الفاضلي .دار الجيل.بيروت .2001م. ***majles.alukah.net/showthread.php?2577 ...ادب-الكاتب-لابن-قتيبة...***

أمّا، على مستوى الحركات، فضمّ فاء الصيغة، نجده قد أضفى لونا إضافيا على الدلالة اللغوية الأصلية لكلّ تابع، وهو الظهور والبروز بشكل ملفت للنّظر، إضافة إلى إيحائها بالسرعة. وما أحوجنا إلى الاستئناس بحديث ابن جني فيما يمكن أن تشعّ به بعض الصّيغ من ظلال، ومنها قوله في مبنى الفَعَلى « ووجدت أيضا الفَعَلى في المصادر والصفات، إنّما تأتي للسرعة؛ نحو البشَكى»"[1]" وامرأة بشكى اليدين، أي سريعتهما، وناقة بشكى، أي سريعة"[2]"؛ فلكلّ صيغة إيحاءات وظلال، يحدّدها سياق الكلام.

وفي توظيف الصوائت***phonologie***"[3]" ورد عن سيبويه، قوله في الرّفع: «وإنما كان الرفع في هذا الوجه؛ لأنّ هذه خصال»"[4]"، وهو يتحدّث هنا عن عين الصيغة، في مثل :سَمُج، فهو سميج، "سميج لميج" وعَمُر، فهو عمير"عمير بجير". وفي قول آخر: «فإن رفعْت فالذي في نفسِك ما أظْهرتَ»"[5]"، والصفة المشبّهة من الفعل الثلاثي اللازم، على وزن "فعُل" –بضمّ العين–، أوزانها كثيرة، فقد تكون على وزن "فعيل"، أو على وزن "فعْل"، أو على وزن "فَعل"، أو على وزن "فَعال"،أو على وزن فُعْل، أو على وزن "فَعِل"، أو على وزن "فاعل""[6]". والضمّة، حسب علماء اللغة القدامى، تدلّ على القوّة والثّبات، وفكرة الدّلالة على القوّة من منظور آخر، يكمن في كون الصّيغ الوصفية الإتباعية، تدلّ على ظهور صفة من الصفات الظاهرة على الموصوف بها، واعتيادها في سلوكه أو مظهره، يقوي بروزها"[7]".

1 –ابن جني. الخصائص. ج2.ص153.

2– ينظر. ابن منظور. لسان العرب. ج 6.ص15.

3 - علم الصوت الوظيفي. ينظر. مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص224.

4 – الكتاب. سيبويه. ج1. ص 327

5 – م.س.ج1. ص281.

6 –عباس حسن. النحو الوافي. ج3. ص275 –باختصار–

7 – ينظر خيرة منصوري. الحقول الدلالية لحرف العين في لسان العرب. ص53.

ولابن جني وقفات دقيقة، في تنبيهه للوظيفة الدلالية للحركات؛ إذ لها أثر في بيان الفروق الدلالية وتمييزها؛ فهي « مورفيمات لا تقلّ عن الحروف السابقة أو اللاحقة في بيان الفروق الدّلالية وتمييزها»"[1]"؛ فصيغة "مِفْعل"، إذا كانت الميم الزائدة فيها مفتوحة، فالصيغة تدلّ على الحدث، أي تكون مصدرا، وأنّ الشيء ثابت. وأما إذا كانت هذه الميم نفسها مكسورة، فهي تدلّ على اسم آلة غير ثابت»"[2]". وهكذا تصبح كلّ من الفتحة والكسرة مورفيما له تأثيره في توجيه معنى الصيغة، فبهما، تبيّن أنّ هناك فرقا دلاليا بين صيغتيْ مَفْعَل ومِفْعَل"[3]"، مثلا. ويصف العقّاد، هذا الباب بالباب الاقتصادي؛ لأنّ « الحركات تخصّص المعاني وتعيّن الأغراض بأيسر إشارة ... ومنها حركات التصريف كقولهم: مِفْتَح لآلة الفتح ومَفْتَح لموضع الفتح، وهكذا ومنها حركات الفروق التي تنوّع المعاني ... ومن هذا الباب قولهم رجل لُعْنة وضُحْكة، إذا كان يُلعن كثيرا ويُضحك منه ورجل لُعَنة وضُحَكة، إذا كان هو كثير اللعن والضّحك»"[4]".

ونخلص ممّا تقدّم من حديث الصّفة؛ أنّه ليس من باب الصّدفة، توارد الإتباعات الوصفية بكثرة، ذلك أنّ « الصّفة أقوى الدّلالات على ضبط الأداء في لغة من اللّغات، وهي أقوى من الاسم دلالة على ضبط الأداء في المفردات وفي تراكيب التعبير ... والأسماء كما هو معلوم قد تكون توقيفية لا إرادة للمتكلّم في وضعها وإطلاقها على مسمّياتها، وقد تكون منقولة عن لغة أخرى بحروفها أو مع شيء قليل من التعديل فيها؛ وقد تكون مع ذلك مطلقة في أصولها لأدنى مناسبة تشير إليها ... أما الصفات، فلا بدّ من المطابقة بينها وبين الموصوفات في كلّ كلمة وكلّ مناسبة»"[5]"، ويرجّح أنّ خاصّية المطابقة بين الصفة وموصوفها، هي سبب اللّجوء إلى الاستعانة بها في تكثير الإتباعات، إشباعا لحاجات في وجدان الناطق اللّغوي.

---

1 –الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني. ص80. عبد الكريم مجاهد عبد الرحمن. بحوث لغوية ***majles.alukah.net/showthread.php***

2 –ابن جني. الخصائص.ج2.ص 224.

3- م.س. ص80.

4 – عباس محمود العقاد. تاريخ آداب العرب. ج1. ص218. دار الكتاب العربي. لبنان. ط4. 1974

5 – العقاد. م.س.ج1.ص86،85 .

ومن خلال تتبّع الأمثلة الواردة، تتجلّى صلة الإتباع بالصّيغ الوصفية، ممّا يدلّ على أنّ الناطق المُنتقي لهذه القوالب الوصفية"[1]"، لا يشبع حاجته، ويتِدُ كلامه إلاّ بها؛ ومن هنا، كانت ظاهرة الإتباع، موضوع سؤال ابن الأعرابي الذي قال «سألت العرب أيّ شيء معنى "شيطان ليطان"؟ فقالوا: شيءٌ نَتِد به كلامَنا: نشدُّه»"[2]"، ويفهم من الجواب؛ أنّ لإتْباع الكلمة الكلمة؛ دواع وأغراض؛ جعلت منه سنة « من سُنن العرب في كلامها»"[3]"؛ تتفنّن في توليد ألفاظه، في مثل، "غضّ بضّ"، و"حاذق باذق"، و"دوْكة بوْكة" و"شذِر بذِر ...الخ

وتجدر الإشارة في حديث الصّيغ، إلى ما يسِمُ هذه الأوزان من احتمال صرفي و« المقصود بالاحتمال الصرفي، هو ما تحتمله الأوزان من معان، أو ما تحتمله الألفاظ من أوزان حسب القرائن الموجودة في الكلام؛ ذلك أنّ في اللغة، ألفاظ ترد على أوزان مخصوصة، إلاّ أنّ هذه الأوزان تحتمل معاني متعدّدة، ف"فَعيل"، مثلا قد يراد بها المصدر، مثل: "الرّحيل غدا"، أو صيغة المبالغة: "اللّه سميع" أو الصّفة المشبّهة، مثل زيد كريم»"[4]". والمركّبات الإتباعية الوصفية، تضمّنت فكرة الدّلالة على صفات، تمكّنت من صاحبها، فاعتادها، ومن هنا تحقّق استمرارها. وقد يضفي تكرار الاتّصاف بصفة من الصّفات، والإكثار منها، إلى المبالغة، في مثل: "خَبيثٌ نبيثٌ"، في وصف من راح ينبث أمور النّاس، وكأنّه يستخرجها، كما تنبث البئر، فيخرج ترابها"[5]". كما أنّ وزن "فعيل"، قد يدلّ على الصفة الثابتة في نحو "قليل بليل" و"على الصوت صهيل وعويل وزئير.

1- كما أنّه ليس من الخير الموافقة على قياسية الصّيغ، والمجمع في جلسته الثامنة من الدورة الثلاثين سنة 1964، يقرّ منها ما تقتضيه الحاجة للتوسّع وتيسير الاشتقاق. ينظر راجي الأسمر . المعجم المفصّل في علم الصّرف. مراجعة إميل بديع يعقوب ص575. دارالكتب العلمية. لبنان. ط1. 1993.
http://www.4shared.com/file/28160057/873f8c8c/____.htm

2 – السيوطي. المزهر. ج1. ص326.

3 – أبو منصور الثعالبي. فقه اللّغة. ص384.

4 – حسن غازي السعدي. الاحتمال الصّرفي. ص 1
www.uobabylon.edu.iq/uobcoleges/...دلالة%20الاحتمال %20الصرفي.pdf

5 –القالي. الأمالي. ج2. ص211.

وممّا سبق إيراده من أمثلة، نخلص إلى أنّ اختلاف أبنية الصّفة المشبّهة، في المركّبات الإتباعية، دليل على أنّها ذات دلالات مختلفة، فلكلّ بناء من الأبنية المذكورة سابقا، ما يميّزه، تبعا للمعنى المراد تبليغه. كما أنّ البناء الواحد، قد يدلّ على تقارب في الدّلالة، وفي هذا قال سيبويه: « والعرب ممّا يبنون الأشياء إذا تقاربت على بناء واحد»"[1]".

ولا يفوت البحث أن يلتفت إلى مبان إتباعية –غير مذكورة في الجدول– ساهمت، في استيعاب أغراض إنتاج مركّبات إتباعية، مثل: صيغة، "أفعل": الواردة من بين أمثلة ما رواه الأصمعي عن امرأة من العرب، أنّها قالت: إنّي لأبْغض من الرجال "الأمْلَحَ الأقْلَحَ"، والمُلحة بياض الشيب والقلْح: صُفرَة الأسنان""[2]"، فكلّ من التابع والمتبوع، دلاّ على عيب، أي على صفتين منفّرتين، لهذه المرأة؛ فالتابع المتمثّل في صيغة "الأقلح"، على وزن "أفعل"، جاء لتقوية وتأكيد شعور المرأة، المراد التعبير عنه، بنغمة سجعية عذبة. وصيغة "أفعل" من صيغ الصّفة المشبّهة القابلة للاحتمال الصرفي؛ ومؤنّثها "فَعْلاء""[3]".

فالإتباع الإيقاعي بأصواته المكرّرة –عدا صوتا واحدا– فاء الصيغة –، ولّد صيغة "أفعل"؛ ذلك أنّ القالب مهيّأ في تصوّر الناطق اللّغوي العربي، لاستيعاب المعنى الوظيفي المقصود. هذه الصيغة، تندرج في الاسم الثلاثي المزيد بحرف قبل الفاء، و«يكون في الأسماء الجامدة أجدل، أفكل. والصفات: نحو أصفر أبيض»"[4]". ومن بين الإتباعات المُلْفتة للنّظر، «"رجل حُطائط بُطائط"، إذا كان قصيرا غليظا، و يقال في غير الرّجل أيضا، قالت امرأة من العرب: إنّ حِريّ حُطائطٌ بُطائطْ * كأثرِ الظّبيِ

1 –سيبويه.الكتاب. ج2. ص217.

2 – ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص 14.

3 – لم أعثر فيما استقرأته من أمثلة في كتب التراث الإتباعي، على مثال بصيغة المؤنّث"فعلاء".

4 –فخر الدين قباوة. تصريف الأسماء والأفعال. ص 70.

بجنْب الحائِطْ»"[1]"، يندرج هذا المركّب الوصفي، فيما تلحقه الهمزة، وفيه يقول سيبويه: « تلحق الهمزة غير أوّل، وذلك قليل، فيكون الحرف على فَعْلى ... وعلى فُعائل نحو حُطائط وجُرائص»"[2]" وهكذا تتفاوت المباني الإتباعية الواردة في التراث الإتباعي، في نسبة الاستعمال، خاضعة إلى تلوينات صوتية، تشكّلها، تبعا لمقتضيات دلالية.

ومن طرق توليد الصّيغ، زيادة حرف الميم؛ فالإتباع هو نوع من أنواع القياس، ويتمّ توليد صيغة ثانية بزيادة الميم. قال سيبويه: « أمّا الميم فتزاد أوّلا في مفعول ومِفعال ومِفْعل ومَفْعِل ومُفْعَل»"[3]". وفي إحلال الميم محلّ حرف الصّدارة في المتبوع، يقول رفائيل نخلة: « الإتباع القياسي قائم بتحويل أوّل حرف من الكلمة الأولى إلى ميم في الثانية"[4]"، وهو مقتبس من التركية"[5]"، من أمثاله: "لا كتاب عندي ولا متاب"»"[6]".

وعموما، فإنّ مصنع القوالب اللّغوية، تُسْبك فيه كلّ لحظة، ألفاظ جديدة على نمط الأوزان، تلبية لحاجات الأفراد والمجتمعات. وأنّ ما تشعّب من أصول العربية؛ من أبنية وصيغ تشتمل على أقسام الكلم وما تفرّع عنها؛ أكسب العربية ثروةً لغوية واسعة. ولا يخفى على الباحث المنصف، شدّة تعويلها على البناء والتركيب الذّي عاد عليها بالغنى والثّراء"[7]". وممّا يلاحظ، من خلال استقراء الأمثلة الإتباعية؛ أنّ أوزانا محدّدة، كانت أكثر استعمالا وتواردا، على ألسنة الناطقين اللّغويين بالعربية، عند التّعبير عن حاجاتهم بأسلوب الإتباع؛ ذلك أنّه « من المظاهر الموسيقية في نثر اللّغة، تلك العبارات الكثيرة، التي تشتمل على ما يسمّى بالازدواج أو المزاوجة مثل:"حسن

1 –أبو الطيّب. الإتباع. ص18.

2 –سيبويه. الكتاب. ج1. ص248.

3 – م.س. ج1. ص237.

4 – أكثر الحروف استعمالا في توليد الإتباع، حرف الميم في نظر عبد الحميد الأقطش، ولعلّه أراد الإتباع القياسي. ينظر. إتباع الإيقاع في اللغة العربية. ص 144.

5 – هذا القول في اقتباس العربية من التركية، يحتاج إلى بحث مسقلّ.

6 –رفائيل نخلة. غرائب اللّهجة اللّبنانية السورية. ص57. مط. الكاثوليكية. بيروت. 1959م.

7– صبحي صالح. دراسات في فقه اللّغة. ص 328، 335.

بسن"، "شيطان ليطان"، "عفريت نفريت"، ونحو هذا من عبارات تنتهي بكلمات لا معنى لها، فلا تستعمل مستقلّة، وإنّما جيء بها لتقوية البنية، بما يسبقها من كلمات، بترديد الأصوات المماثلة، وإن لم تفد معنى جديدا في غالب الأحيان»"[1]"، وفيما يلي بعض تلك العبارات المنتهية بكلمات لا معنى لها، رُويت في الإتباع، وتكلّف الرّواة، لها دلالة معيّنة:

-"أسوان أتوان": حزين متردّد، لا يستقرّ على حال من شدّة الحزن، "عطشان نطشان": نطشان، أي قلق. هنِئ مرئ": أسعده الطعام وأسرّه، "غنيّ مليّ": غنيّ جدّا. "خفيف ذفيف": الذّفيف: السّريع، "كثيرٌ بثيرٌ": كثير جدّا"[2]". وقد يأتي التّابع والمتبوع كلاهما مجرّدين من أيّ معنى في مثل "سَلْقعٌ بَلْقَعٌ ""[3]"، والتابع في هذه الحال لا يفرد؛ لأنّه جيء به لتوكيد متبوعه؛ وهذا الذي يتّضح من قول السّيوطي «والذي عندي أنّ هذه الألفاظ تدخل في باب التأكيد بالتّكرار، نحو رأيت زيْدا زيْدا، ورأيت رجلا رجلا، وإنّما غُيِّرَ منها حرف واحد لما يجيئون في أكثر كلامهم بالتّكرار، ويدلّ على ذلك أنّه إنّما كرّر في أجمع وأكتع، العين، وهنا كرّرت العين واللاّم نحو حسن بسن وشيطان ليطان»"[4]"، وإذا أخذنا برأي السّيوطي، فإنّه يمكن تفسير ظاهرة التّغيير في موقعية الصّدارة من الكلمة؛ بأنّها كسر للرّتابة، قصد لفت انتباه السّامع.

يتبيّن ممّا تقدّم؛ أنّه يمكن أن يكون لبعض الألفاظ الإتباعية- في كثير منها- معانٍ « لم تتجلّ أمام الناس حقاقُها؛ لانتسابها إلى لهجات عربية مختلفة، وأنَّ حمل الشيء على ما يجاوره، من الأمور التي حرص عليها العرب في لغتهم»"[5]"، ولا شكّ أنّ حمل الشيء على ما يجاوره، يحقّق انسجاما صوتيا وصرفيا بين المتجاورين. كما

1 - إبراهيم أنيس. دلالة الألفاظ. ص 204.

2- ينظر القالي، الأمالي. ج2 ص 216.

3 - ينظر أبو الطيّب. الإتباع. ص 36.

4 -السيوطي. المزهر. ج1.ص330.

5-سهى كناوي حسن. الإتباع النحوي. مجلة آداب ذي قار.ص76. المجلّد 2. العدد. 2. كانون الأول 2010..

thiqaruni.org

أنّه من الممكن أن يؤْتى ببعض الإتباعات، لغرض تقوية وتأكيد الفكرة، وهذا بترديد الأصوات المماثلة. وفي الغالب، لا تحمل هذه الألفاظ التي لا يحقّ لها أن تفرد، معنى جديدا"[1]"؛ أي هي ألفاظ زائدة، وصور صوتية، ينحصر أثرها في تحقيق الانسجام في الكلام.

ومن هنا، يعدّ الإتباع من قبيل أدب الأذن؛ فالعامّة أوضح ما يتميّزون به، هو عنايتهم بجرس الألفاظ ووقعها ولتحقيق هذا الانسجام. وقد عني العرب بموسيقية الكلام « لأنّهم لم يكونوا أهل كتابة وقراءة، بل أهل سماع وإنشاد...، وكثيرا ما تشغفهم موسيقى الكلام عن مراميه وأهدافه»"[2]"، وقد تبيّن من سرد وتحليل مباني الإتباع، أنّها في غالبيتها وصفية، تخدم معان عاطفية وجدانية، في حلية سجعية عذبة.

ولما كان مشترطا في التّابع أن يكون على زنة المتبوع؛ فإنّ هذا الشرط، نجده ينطبق على غالبية الأمثلة المُثبتة في كتب التراث، والقليل منها لم يلتزم فيه باتّحاد الوزن والرويّ، في مثل: "يقال له الويل والأويل"، و"الأويل"، في معنى الويل"[3]"، وفي المثال "أعطاه عطاء وَتْحا شقِنا، ووتيحا شقِنا"، في وصف القِلّة"[4]". وعلى كلّ حال، لا يخلو الإتباع من توافق الوزن أو اتّحاد حرف الرويّ في ركنيْ المركّب"[5]"؛ حسب ما يقتضيه السّياق، وتستدعيه المؤثّرات الذّوقية والنّفسية، وكذا للضرورة اللّغوية أحيانا في الاستعمال التطبيقي؛ إذ « ألحقوا الكلام المسجوع في ذلك بالشعر، لما كانت ضرورة في النثر أيضا، هي ضرورة النّظم. دليل ذلك قولهم: "شهرٌ ثَرى، وشهرٌ تَرى، وشهرٌ مَرْعى""[6]"، فحذفوا التنوين من "ثرى" ومن "مرعى"، إتباعا لقولهم: "ترى"؛ لأنّه فعلٌ، فلم ينوّن لذلك»"[7]".

---

1 – إبراهيم أنيس. دلالة الألفاظ. ص198.

2– م.س. ص204.

3 – الأويل في معنى الويل، لا يفرد. ينظر. أبو الطيّب. الإتباع. ص8.

4 – ينظر م.س. ص58، وابن دريد. الجمهرة. ج3.ص 430. والقالي. الأمالي. ج2. ص217.

5 – ينظر. ص21،20. من الفصل الأوّل.

6– سيبويه. الكتاب. ج1.ص44 ، و ينظرالميداني. مجمع الأمثال ج1. ص370 ، ويعنون شهور الرّبيع، أي يمطر أوّله، ثمّ يطلع النّبات، فتراه، ثمّ يعلو فترعاه النّعم .

7 – ابن عصفور الإشبيلي. ضرائر الشعر.ص 14،13.تح. السيّد إبراهيم محمّد. دار الأندلس للطباعة والنشر ط1. 1980 م.***majles.alukah.net/showthread.php***

المبحث الرابع :
التحوّلات اللّغوية وأثرها في الإتباع

تخضع بعض مباني الإتباع لتغييرات، وذلك باللّجوء إلى الملاءمة بين الألفاظ، لغاية لفظية، تتمثّل في تغيير بعض الحركات والأحرف، وتبدّل بعض الظواهر الصّوتية، لإزالة شيء من الثقل عن الكلمة، دون أن يتأثر المدلول المعنوي، فالتغيير يمكن أن يتمّ بأشكال مختلفة، تتمثّل في مظاهر، صوت صرفية، منها القلب. وهذا يقتضي معرفة الميزان الصّرفي « وهو ميزان وضعه الصرفيون لوزن الكلمات العربية ومعرفة أصولها وما فيها من حذف أو زيادة. وقد جعلوه مكوّنا من حروف "فعل"، على أن يقابل فاء الكلمة بفاء الميزان وعينها بعينه، ولامها بلامه. ويقابل الحرف الزائد فيها بنفسه»"[1]". ومن هذه التغييرات:

أ-**مجيئ المشتق على غير قياس:** وهذا في مثل المركّب الإتباعي "إنّه لخبيث نبيث"، كأنّه ينبِث الشرّ، أي يظهره"[2]"، وقياسه: "خبيث نابث"، جاء التابع على هذا الشّكل "نبيث"، نظرا لمجاورته لـــ"خبيث"، وبهذا التعديل، تحقّق التوازن الصّرفي. وفي ظلّ الانسجام، يمكن تفسير ظاهرة الاتباع، فالأصوات حين تتجاور يؤثّر بعضها في بعض، في مثل، "نَجْس ونِجْس"إذا قالوا: "النِّجس" مع "الرِّجْس"، أتبعوه إيّاه، فقالوا نِجْس بالكسر، وإذا أفردوا، قالوا: "نَجس"، بالفتح"[3]"، نلاحظ أنّ اللفظ الأوّل أثّر في اللّفظ الثاني، فتحوّلت فتحة النون من "النّجْس"، إلى كسرة لتوافق كسرة الرّاء في "الرِّجْس"، أما في حال إفرادكلمة "نَجْس"، فتكون النون مفتوحة. ويقول أبو الطيّب: « ولا يكاد يستعمل "نجْس"بكسر النون إلا مع "رِجْس"»"[4]"، وفي القرآن الكريم ﴿ إنّما المشركون

1- ابن عصفور. ضرائر الشعر. ص125

2 - ينظر أبو الطيّب. الإتباع. ص 95.

3 - السيوطي. المزهر. ج1.ص271.

4 -أبو الطيّب. الإتباع. ص99

نَجَس﴾"[1]"، وكما هو بين الصوت والصوت من التأثير؛ يكون بين الكلمة والكلمة، هذا لعامل التّجاور، ومن هنا يؤْثِرون المناسبة بين المتجاورين، وإن خالفوا أصل الوضع اللّغوي"[2]". والمشاكلة في نطاقها الاكبر تحقّق الانسجام الصوتي في السّياق.

ومن المحاذاة الصرفية التي تحقّقت عن طريق الإتباع بمخالفة القياس، المركّب "هو أسْوان أتْوان"، فأسوان من قولهم :أسى الرّجل يأسى: إذا حزن، وأسوان أي حزين، وأتوان من قولهم: أتيْته والمعنى هذه العبارة، حزين متردّد، يذهب ويجئ من شدّة الحزن، وكان القياس يقتضي أن يقال: "أسوان أتيان، ولكن قلبت الياء واوا"[3]"، فالإتباع في هذا المثال، تحقّق بمخالفة القياس الصرفي.

كما أنّ "حسن بسن"، فأصل لفظ"بَسَنٍ"، بَسّاً، وبسٌّ، مصدر من بسسْتُ السُّويْق بسّا، فهو مبسوسٌ"[4]"، إذا لتّه، أي خلطه بسمن أو زيت ليكمل طيبه؛ وقد حذفت إحدى السينيْن وزيد فيه النون، وبُني على نسق "حسَنٌ" ومعناه، حسُن كامل الحسن، موافقة لمذهبهم في الإتباع أن تكون أواخر الكلم على لفظ واحد، مثل القوافي والسّجع، وبهذا تماثل لفظة"بسن"، "حسن""[5]"، خضع هذا المركّب، لعمليتين، هما الحذف والزيادة، حتى يتوصّل إلى الإيقاع في الإتباع.

وفي المركّب "كثير بثير"، قال القالي « فالبثير هو الكثير، مأخوذ من قولهم: ماء بثر: أي كثير وقالوا بثير لموضع كثير، كما قالوا: "مُهْرَة مأمورة" وسِكّة مأْبورة""[6]"،

---

1 –الآية28 من سورة التوبة.

2 – عبد الحميد السيد. دراسات في اللّسانيات العربية. ص 18،19.

3– ينظر. القالي. الأمالي. ج2. ص208،214 .

4 –نوع من الأكلات الجزائرية: المْبسَّس، مكوّناته، دقيق وزبدة وشيء من ماء.

5 – ينظر القالي. الأمالي.ج2. ص 217.

6 –"خير المال مهرة مأمورة وسكّة مأبورة" ينظر، محمد التونجي، المعجم المفصّل في تفسير غريب الحديث. ص248، وينظرابن الأثير. النهاية في غريب الحديث. مادّة "أب" ج1. ص38.
lisaanularab.blogspot.com/.../blog-post_9414.htm

وإنيّ لآتية بالغدايا والعشايا»"[1]"، وفي اللّسان، توضيح هذا التعديل لكلمة "مأمورة" و"الغدايا"، قالوا "مُهْرَة مأمورة، لأنّهم أتبعوها مأبورة" "آمرها الله، فهي مُؤْمَرَة"، أي أكثرنتاجه، وكان القياس يقتضي أن يقال: مُؤْمَرَة، وإنّما أتى بها: "مأمورة"، للازدواج؛ لأنهم أتبعوها: "مأبورة"، فلما ازدوج اللّفظان جاءوا على وزن مأبورة"[2]" .

وروي عن النبيّ –صلى الله عليه وسلّم–، أنّه قال للنّساء المتبرّزات في العيد، « ارْجعن مأزورات غير مأجورات»"[3]"، وإنّما هو موزورات من الوزْر، فكلمة "موزورات"، من الوِزر، وهو الحِمل الثقيل، والوِزْر الذّنب لثقله، وقيل مأزورات على لفظ مأجورات، ليزدوِجا"[4]"، ويتحقّق التعادل بين اللّفظين فاقتران الكلمة الأولى "موزورات"، بكلمة مهموزة، "مأجورات"، صيّرها مهموزة مثلها؛ « والعلّة في ترك الأصل، المشاكلة»"[5]"، ويقال"رجل موزور غير مأجور"، عند مقابلة الموزور بالمأجور، قلبوا الواو همزة، رغم صعوبة نطق الهمزة، ليأتلف اللّفظان ويزدوجا"[6]".

والمحاذاة الصّرفية، يعنى بها « تغيير يطرأ على بنية الكلمة وصيغتها، لكي تتّفق مع كلمة سابقة عليها أو لاحقة بها في الوزن الصرفي»"[7]"، ويطلق عليها، الإتباع أحيانا. فالإتباع إذن، سبيل تسلكه اللغة لتحقيق المحاذاة الصّرفية"[8]". ومن شروط اللّجوء إلى هذه الضرورة النّثرية، أنّه « إن كانت لفظتا الإتباع متّسقتين وزنا أو رويّا، فلا حاجة لإجراء الملاءمة، إذا تحقّق التوازن، وإن كان أحد اللّفظين يندّ عن قرينه ولا

1 –القالي. الأمالي. ج2.ص 214

2 –ابن منظور. لسان العرب. ج3. ص26،27.

3 – ابن الأثير. النهاية في غريب الحديث والأثر. ج5. ص179. ورد في الهامش: الحديث أخرجه ابن ماجة في باب الجنائز واتباع النساء الجنائز. كتاب الجنائز. ج1. ص503.

4– ينظر. ابن منظور. اللّسان. ج3.ص 645.

5 – السكّاكي. مفتاح العلوم .ص34.

6 – ينظر. ابن منظور اللّسان.ج3.ص645.

7 – موسيقى اللغة. رجب عبد الجواد إبراهيم. ص37.

8 –رجب عبد الجواد. م.س. ص7.

يتناسق معه، لجأ النّاطق إلى إجراء تعديل أحد اللّفظين حتى يتحقّق التشاكل أو الانسجام المُبْتغى، ويعدّ هذا سمة من سمات العرب»"[1] ".

ب- حذف الهمزة: « ويقولون: "هنِئٌ مرئٌ"، وهو من قولهم: هنأني الطعامُ ومرأني، فإذا أفردوا لم يقولوا إلا أمرأني، ولم يقولوا مرأني»"[2]"، وجاء في اللّسان «مرُؤَ الطعام ومرأَ: صار مريئا... ومرَأني الطعام وأمْرَأني: إذا لم يثقل على المعِدة وانحدر عنها طيّبا»"[3]"، ففي الإفراد، يأتي الفعل "أمرأني"، مبدوءا بالهمزة، أما في حال إتباعه، فيُجرّد من الهمزة، ليشاكلَ، متبوعه "هَنَأَني". ومثله، "له ما ساءه وناءه"، والأصل "أناءه"؛ لأنّ "ناء"، لا يتعدّى. وفي الإتباع الفعلي، نقل أبو الطيب عن الفراء «ويقال أتيته فمّناني وهناني، غير مهموز، وهو إتباع»"[4]"، والذي يلحظ هنا تسهيل همزة "هنّاني ليوافق "مناني"، والأصل فيه "هنأني".

د-القلب:

جاء في لسان العرب، أنّ القلب تحويل الشيءِ عن وجهه؛ أي أنّ الشيء المُحَوَّلَ، سيصرف إلى وجه مغاير للوجه السّابق. وقد قال ابن عصفور في القلب، وهو بصدد حديثه عن الحروف الزوائد « لأنّ دخول الكلمةَ الزوائدُ تغيير لها، كما أنّ القلب تغيير، والتغيير يأنس بالتغيير»"[5]"؛ يلاحظ أنّ المركّب الإتباعي "عييّ شييّ": قد تحوّل من واوي إلى يائي؛ إذ "شيّي"، أصله "شويّ"، لكنه أجري على لفظ الأول،- متبوعه-، ليماثله في البناء. وفيه قال القالي: « ويقولون عييّ شيّي وأصله شويّ، لكنّه

1 – تقي الدين أبو بكر علي المعروف بان حجّة الحموي ت837هـ. شرح عصام شعيتو. خزانة الأدب و غاية الأرب. ج2. ص.411. منشورات دار مكتبة الهلال.بيروت. ط1. 1987م.
al-mostafa.info/data/arabic/depot2/gap.php?...pdf

2 –القالي. الأمالي. ج2.ص209.

3 – ابن منظور. لسان العرب. ج1.ص 156

4 –أبو الطيّب. الإتباع.ص79.

5 –ابن عصفور. الممتع في التصريف . ج2. ص617 .

أجرى على لفظ الأوّل ليكون مثله في البناء»"[1]"، فالواو قُلبت ياء، كما في ميعاد، وأصلها مِوْعاد، والغرض منه تحقيق السّهولة واليسر في النطق، وهذا وفق قانون اختزال الجهد"[2]". ويندرج هذا في الإعلال، وهو« تغيير يطرأ على أحد أحرف العلّة الثلاثة، "و–ا–ي"، وما يلحق بهما –وهو الهمزة–بحيث يؤدّي هذا التغيير إلى حذف الحرف أو تسكينه، أو قلبه حرفا آخر من الأربعة، مع جريانه في كلّ ما سبق على قواعد ثابتة، يجب مراعاتها»"[3]".

و« القلب معناه، تحويل أحد الحروف الأربعة السالفة إلى آخر منها، بحيث يختفي أحدها ليحل محلّه غيره من بينها، طبقا لضوابط محددة، يجب الخضوع لها، كقلب الواو ألفا ... وقلب الواو المتوسطة ياء بعد كسرة في مثل: صِيام، والأصل: صِوام»"[4]". وهذا التحويل، يقصد به القلب الصّرفي، الذي هو إبدال أحرف العلّة والهمزة، بعضها من بعض، وهو غير القلب المكاني الذي قال فيه ابن فارس: «من سنن العرب، القلب وذلك يكون في الكلمة، ويكون في القصّة"[5]"، فأما الكلمة، فقولهم: "جبذ وجذب"، و"بكل ولبك"، وهو كثير»"[6]".

ومن أمثلة هذا في الإتباع قولهم:–"لا دريْتَ ولا تليْتَ، ويروى ولا ائْتَلَيْت، ومعناه « لا دَرَيْتَ ولا تلَوْتَ، أي ولا أحسنت أن تتلو، فقلبوا الواو ياء للازدواج»"[7]"، و« تقول العرب للرّجل، إذا قدم من سفر: "أَوْبةً وطوْبة"، أي أُبْت إلى عيش طيّب ومآب طيّب، والأصل طيْبَة، فقالوه بالواو لمحاذاة أوْبة»"[8]" في هذه العبارة؛ الصورة

1– القالي. الأمالي ج2. ص.212. و ينظر. أبو الطيّب. الإتباع. ص58.

2 –عبد القادر عبد الجليل. علم الصّرف الصوتي. ص421

3 – عباس حسن. النحو الوافي. ج4. ص696.

4 – م.س. ج4. ص696.

5 –في مثل "حسرت كفّي عن السّربال"، وإنّما حسر السّربال عن كفّه. م.س. ص154.

6 –ابن فارس. الصاحبي في فقه اللغة. ص153.

7– الإتباع. أبو الطيّب. ص38.

8 –السيوطي. المزهر. ج1ص270.

اللّفظية "طيبة"، تحوّلت بسبب القلب، وهذا ممّا يوسع مجال الاستعمال، مسايرة لدواعي التعديل.

كان هذه أمثلة لبعض التغييرات، التي تجري في بنية الكلمة، حرصا على الانسجام اللفظي، والحسّ الجمالي، حتى لو أدّى إلى مخالفة القاعدة، ذلك لأنّ اللّغة تعمل على تحصيل التّشاكل والفرار من نفرة الاختلاف وتحافظ على أن تجري الأبواب على سنن واحد"[1]".

فالتغيير يمكن أن يتمّ بأشكال مختلفة، تتمثّل في مظاهر، صوت صرفية، منها القلب، وقد قال ابن عصفور فيه، وهو بصدد حديثه عن الحروف الزوائد « لأنّ دخول الكلمةَ الزوائدُ تغيير لها، كما أنّ القلب تغيير، والتغيير يأنس بالتغيير»"[2]"، وممّا نستشفّه من هذا القول، امتلاك قائله لحسّ لغوي، جعله يتعامل مع الظاهرة اللّغوية بلطف، ينمّ عن تذوّق وفهم حقيقتها.

هـ- الإبدال:

من صور الإبدال ما أدرجه العلماء في الإتباع، مراعين شروطا معيّنة. وإذا كان الإتباع من سنن العرب في كلامها، وقد أكثرت منه-بأنماطه-، فإنّ من « سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، ويقولون: "مَدَحَه ومَدَهَه"، و"فرسٌ رِفْلٌ ورِفْنٌ"،... فأما ما جاء في كتاب اللّه جلّ ثناؤه، فقوله جلّ ثناؤه: ﴿ فانْفَلَق فكانَ كلُّ فَرْق﴾[3]، فاللام والراء يتعاقبان كما تقول العرب: فلَقُ الصّبح وفرقُه»[4]؛ فالإبدال في

1- أبو البركات بن الأنباري. الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ص4. تح جودة مبروك محمد مبروك. مراجعة رمضان عبد التوّاب. نشر مكتبة الخانجي. ط1. دت

majles.alukah.net/showthread.php.

2 -ابن عصفور. الممتع في التصريف. ج2. ص617.

3 -الآية63. سورة الشعراء.

4 -ابن فارس. الصاحبي في فقه اللّغة العربية. ص154.

الأصل، تعاقب حرفين، وفقا لشروط، ينبغي توافرها، في مثل "تمرٌ بذٌ وفذّ"، الباء والفاء، حرفان شفويان والتبادل كثير بينهما"[1]. ويرى أبو الطيّب، أنّه « ليس المراد بالإبدال، أنّ العرب، تتعمّد تعويض حرف من بحرف وإنّما هي لغات مختلفة لمعان متّفقة؛ تتقارب اللّفظتان في لغتين لمعنى واحد،حتى لا تختلفا إلا في حرف»"[2]، ويدعّم رأيه، فيستدلّ على ذلك « أنّ قبيلة واحدة، لا تتكلّم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة، ولا بالصّاد مرّة وبالسين أخرى؛ وكذلك إبدال لام التّعريف ميما، والهمزة المصدّرة عيْنا، كقولهم في نحو "أنْ"، "عنْ"؛ لا تشترك العرب في شيء من ذلك، حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد»"[3] وفي قولهم: "الضّيح والرّيح"، أبدلوا الحاء ياء، إتباعا للرّيح والأصل، الضحّ"[4] كلّ ما أصابته الشمس، ضِحّ. وفي قول العرب: "جاء فلان بالضِّحِّ والرّيح"، أي جاء بالمال الكثير، ومنهم من قال، إنّما الضّيح لغة في الضِّح، الذي هو ضوء الشمس، وأصله الضِّحْيُ من ضحِيَتْ الشمسُ"[5].

ومضمون هذا الرّأي، يعني أنّه لم يقع إبدال في كلمة الضّيح، ذلك أنّ الحاء والياء، حرفان متباعدان مخرجا ومختلفان صفة، وابن جني في حديثه عن تصاقب الألفاظ، لتصاقب المعاني، ذكر من صور الإبدال، ما تقارب مخرجا، واصفا الأحرف المبدل منها، بأنّها « أخوات الأحرف المبدلة»"[6]، فوصف الهمزة بأنّها أخت الهاء، ومثله العسَف والأسَف، لأنّ العين أخت الهمزة"[7]. ويؤكّد ابن سيده، أنّ « ما لم يتقارب مخرجاه البتّة، فقيل على حرفين غير متقاربين، فلا يسمّى بدلا، وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق»"[8] والإبدال « معناه حذف حرف، ووضع

1 –أبو الطيّب. الإبدال. تح عزّ الدين التنّوخي. هامش ص20. نشر مجمع اللغة العربية. دمشق. 1961.
http://waqfeya.com/book.php?bid=4397

2– السيوطي. المزهر. ج1. ص356.

3 –السيوطي. م.س. ص356.

4 – ينظر. ابن عصفور. ضرائر الشعر. ص 14، الميداني مجمع الأمثال. ج1. ص 161.

5 –ينظر. ابن منظور. لسان العرب. ج2. ص302.

6 –ابن جني. الخصائص. ج1. ص146.

7 –م.س. ج1.ص

8 –ابن سيده. المخصّص. ج13. ص274.

آخر في مكانه، بحيث يختفي الأول ويحلّ في موضعه غيره سواء أكان الحرفان من أحرف العلّة ... أم كانا صحيحين، أم مختلفين، فهو أعمّ من القلب، لأنه يشمل القلب وغيره ولهذا يستغنون بذكره عن القلب»"[1]"، كما يوضّحه صاحب الكلّيات في حديثه عن مظاهر الإتباع (وإتباع كلمة في إبدال الواو فيها همزة لهمزة في أخرى، كحديث "ارجعن مأزورات غير مأجورات" وإتباع كلمة في واوها بالياء في أخرى كحديث "لا دريت ولا تليت"»"[2]"؛ فالإبدال شامل للقلب وغيره من مظاهر صوت صرفية، وهذا ما يفسّر الوقوع في اللَّبس بين الإبدال والإتباع ؛إذ كثيرا ما يقع التّداخل بين الظّاهرتين؛ فيصعب رسم الحدود بينهما، خاصّة في حال كون التّابع، يحمل معنى واضحا"[3]".

ففي مثل قول الرّسول –**صلـــى الله عليه وسلـــم**– في الشّبرم « إنّه حارّ يارّ»"[4]"، « "الحارّ" من الحرارة، و"يارّ": إتباع، كقولهم: "عطشان نطشان"، وجائعٌ نائعٌ، وحسنٌ بسنٌ، ومثلُه كثيرٌ، في الكلام، وإنّما سمّي إتباعا؛ لأنّ الكلمة الثانية، إنّما هي تابعة للأولى على وجه التّوكيد لها، وليس يُتكلّم بها منفردة، فلهذا قيل: إتباع»"[5]"، ولو كان أحد يجهل الإتباع، لظنّ الياء بدلا من الحاء، مع أنّ العلماء، نبّهوا أنّه من الإتباع، ويكون الإبدال– في نظره– قد وقع بين حرفين متباعدين. أما إذا تعرّض الحديث للتّصحيف، وقرئت الحاء جيما"جارّ يارّ"، فحينها يزعم بأنّ الجيم أخت الياء؛ إذ كلتاهما شجْرية، غير أنّ العلماء قالوا بالإتباع وفسّروا "الجارّ" بالذي يجرّ الشيء الذي يصيبه من شدّة حرارته، كأنّه ينزعه"[6]". ويقال "فلان حارّ يارّ""[7]"، وبهذا يتّسع استعمال، هذه العبارة، بنقلها من دلالتها الحسّية على شيء، إلى الدّلالة المعنوية.

---

1 –حسن عباس. النحو الوافي. ج4.ص697

2–أ بو البقاء. الكلّيات معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية. ص 561.

3 – ينظر. ص 15 من مدخل هذا البحث.

4– في حديث أمّ سلمة –ض–،أنّها شربت الشّبرم، فقال (إنّه حارّ جارّ». الشبرم :ضرب من الشيح، حبّه يشبه الحمّص. ينظر. ابن منظور اللّسان. ج7. ص289 .

5– السيوطي. المزهر. ج1. ص324..

6 – صبحي صالح. دراسات في فقه اللّغة. ص240 .

7–اليرّ: النّار، عني به رغيفا أخرج من التنّور. ينظر، محمّد التونجي. المعجم المفصّل في تفسير غريب الحديث. ص379.

ويمكن أن يقاس على ذلك، « لفظ وسيم في قولهم: "قسيم وسيم"، فهذا إتباع، وليست الواو بدلا من القاف، ولفظ بئيل من قولهم: "ضئيل بئيل"، فليست الباء بدلا من الضاد، ولفظ جديد من قولهم"جديد قشيب"، فليست القاف بدلا من الجيم، وهكذا دواليك ... لأنّ فرص القول بالإبدال تقلّ عند التّباعد، أو قُلْ :إنّها حينئذ تصبح نادرة جدّا»"[1]"، وعلى كلّ حال، يبقى التداخل بين الإتباع والإبدال قائما"[2]" من حيث الجانب النّظري، أما في الاستعمال، فيمكن القول، إنّ في الإتباع، تجري عملية "إبدال" حرف بآخر في مثل "حاذق باذق"، "يوم أكّ عكّ". وفي الحديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم– «"ارْجعْن مأزورات، غير مأجورات"، والأصل "موزورات، من الوِزر، فأبدلوا الواو ألفا، إتباعا لمأجورات»"[3]". وفي هذا المثال، قد وظّف الإبدال بين حرفي الواو والألف، حتى يحسن التّأليف، المؤدّي إلى حسن السّمع.

وعلى هدى ما تقدّم، يتبيّن أنّ من الإتْباع ما تمّ بكلمة خالفت الأصل اللّغوي أو القياس الصّرفي من أجل تحقّق المحاذاة مع الكلمة السابقة عليها. وما هذه التحوّلات الصوت صرفية، من قلب وإبدال وتصحيف، إلاّ موسّعات في كلام الناطقين بالضاد"[4]". ويستخلص ممّا سبق؛ أنّ ظاهرة الملاءمة، مبنية على اعتبارات ذوقية في صياغة السياق العربي"[5]"، لتحقيق الانسجام والمناسبة، « ومما يعدّ من قبيل المناسبة ما يسمّيه النحاة "الإتباع على اللّفظ"»"[6]"، فإتباع الكلمة الكلمة، سبيل من سبل اللّغة، لتحقيق المناسبة؛ وذلك بحلّ صعوبة عضوية، كثقل عملية نطقية، لكراهية التنافر مثلا، وحتى

1 – محمّد التونجي. المعجم المفصّل في تفسير غريب الحديث. ص240 .

2 – وأرى، أنّه من الجرأة، أن يستعمل البحث في الإتباع كلمة"إبدال أو استبدال الحرف الأوّل في المتبوع بحرف آخر يتصدّر التابع"، ليصف ما يقع في الكلام من تلعّب بالحروف.

3 –ابن عصفور. ضرائر الشعر. ص13.

4 –الأب أنستاس ماري الكرملي. نشوء اللّغة العربية ونموّها واكتهالها. ص67. مط. العصرية. القاهرة. 1938. ***www.4shared.com/office/40A. -.html***

5 – تمام حسان. اللغة العربية معناهما ومبناهما. ص263– بتصرف–

6 –تمام حسان.م س. ص274.

يتمكّن العربي من جعل كلامه مسجوعا أو متّسقا اتّساقا لفظيا معيّنا، يُلجأ إلى تغيير بعض الأنماط اللّغوية، ليتّفق له ذلك حتى صرح ابن بري بأنّ للّنثر ضرورة كضرورة الشعر، ووزنا يضاهي وزنه"[1]".

والمقصود، هو إجراء تغيير على بنية الكلمة وصيغتها، حتى تتلاءم وتتوافق مع كلمة سابقة عليها، ومن هنا مراعاة تجانس اللّفظين في الإتباع ؛ فهذه الأمثلة وما في منزلتها، كانت العرب كثيرًا ما تراعيها في العدول بالكلمات عن موازينها، لإحداث التوازن الصرفي، والأثر الإيقاعي الموسيقي المميّز للإتباع.

وفي ظلّ الانسجام يمكن تفسير ظاهرة الاتباع، ومثله ما يدعى بالازدواج أو المزاوجة بين كلمات تتجانس مبانيها وتتكافأ مقاطعها ومعانيها. فالأصوات حين تتجاور، يؤثّر بعضها في بعض، وكما هو بين الصّوت والصّوت من التأثير يكون بين الكلمة والكلمة. وهذا لعامل التجاور، ومن هنا يؤْثرون المناسبة بين المتجاورين، وإن خالفوا أصل الوضع اللّغوي"[2]". فالمشاكلة، تحقّق الانسجام الصوتي في السياق.

خلاصة:

وبعد الكشف عن المظاهر الصّوت صرفية في الظاهرة موضوع البحث، نخلص إلى أنّ الاتباع من الظواهر اللّغوية التي لها علاقة بالتركيب الصوتي، ومن ثمّ هو مظهر من مظاهر تحقيق الإيقاع وتجسيده في الأداء الكلامي عند العرب الأوّلين، ولذلك كثير في استعمالهم، فقد « رُوي أنّ بعض العرب سئل عن ذلك، فقال: هو شيء نتِد به كلامنا وذلك قولهم "ساغب لاغب" وهو خبّ ضبّ، و خراب يباب»"[3]".

1 – ينظر .عباس حسن. النحو الوافي. ج4. ص.371

2 –عبد الحميد السيّد. دراسات في اللّسانيات العربية. ص18،19.

3– ابن فارس. الصاحبي في فقه اللّغة. ص209 .

أوّلا- نلاحظ في مركّبات الإتباع، تكرارا على المستوى، الصّوتي والدلاليّ؛ إذ يخيّل للسّامع، أنّ اللّفظ الثاني، تكرار للأوّل، وهذا ما يمكن تسميته بالانسجام الفعلي في هندسة التوزيع الصرفي بين التابع والمتبوع، متمثّلا فيما يلي:

أ-في عدد الحروف، في مثل: "ساغب، لاغب"، لمن اشتدّ عياؤه وعطشه؛ فالكلمتان، ليستا من جذر واحد، ولا يعنيان المعنى نفسه، والجامع بينهما وحدة الجرْس، الذي فرضته موسيقى التركيب وإيقاعه.

ب-في الصّيغة الصّرفية لهما، "فاعل، فاعل"؛ و« قد تؤْثِر اللّغة بعض الصّيغ دون بعض؛ لأنّه من خلالها تتحقّق المحاذاة بين الكلمات»"[1]".

ج- في انسجام الحروف، واتّسامها بحسن الجوار، من جهة وتكريرها- عدا الحرف الأوّل في الصيغة- تأكيدا لحسِّ المتكلّم، وإمتاعا للسّامع.

د- من الإتباع، ما هو سماعي وقياسي، ومن أمثلة السّماعي، "بلاع شلاع"، أي كثير الشتم، و"حِلْس بلس": مفرط الملاطفة، و"شَيْلط بيلط": إمساك طفل من رجليه وهزّه، كأنّه في أرجوحة"[2]".

هـ- الكلمة الثانية في كلّ مركّب -التابع-، صيغت على نسق الأولى؛ فهي تحوم في فلكها وتأتي على شاكلتها؛ فالوزن يغني عن الحركة، وبه تفهم المعاني؛ ومن هنا تشكّل الإيقاع في الإتباع اللّفظي الإيقاعي"[3]"؛ فالإجراء على المستوى الصّرفي، سبيل من سبل اللّغة ووسيلة من وسائلها، في توليد تراكيب جديدة وليس ألفاظا فحسب؛ فمباني الإتباع، لن تكون فعّالة، ما لم ترتكز على نشاط التّركيب أو فاعلية السّياق.

و- الكلمات التي تكون على بنية واحدة، تجمعها رابطة الجرس والنّغمة وتميّزها في الكلام المسموع عن غيرها؛ فالسّامع لهاذين المركّبين مثلا: "وسيم قسيم"، و"عطشان نطشان"، يدرك أنّ الرّابط بين التابع والمتبوع؛ رابطة تناظرية تزيينية، تولّد نغمة مشتركة بينهما، تعين على استخراج معنى الوحدة المركّبة منهما، حتى وإن كان

1 - رجب عبد الجواد إبراهيم. موسيقى اللّغة. ص 14.

2 - رفائيل نخلة. غرائب اللّهجة اللّبنانية السورية.ص57.

3- ودلالة في المجال الصّوتي: تعدّ جزءا من الانسجام الصّوتي - في الحركات-

الثاني، –وهو التابع مبهما– في مثل "حسن بسن"، "قبيح شقيح". فالمركّب الإتباعي وحدة موسيقية أحكم تركيبها على سبيل الجمع بين المتشابهات؛ "صفة +صفة"، "اسم +اسم"، فعل+فعل"؛ والتّأليف بين مكوّناتها. وتبيّن من سرد وتحليل مباني الإتباع، أنّ الإتباعات معظمها، وصفية، تخدم معان عاطفية وجدانية حسّية. فالتّشابه الصّرفي، أو الصّورة المتناظرة المتكرّرة في مركّب الإتباع، سرّ موسيقيته وجمال إيقاعه وقد فسّر تمّام حسّان الظّاهرة، قائلا: « وممّا يُعدّ من قبيل المناسبة أيضا ما يسمّيه النحاة "الإتْباع على اللّفظ"؛ فليس لهذا النوع من الإتْباع، مبرّر من القاعدة. ولهذا السبب، لا يمكن تفسير الإتْباع على اللّفظ، إلا في ضوء المناسبة الصوتية الموسيقية، بين صوتين حين تتضافر القرائن على بيان المحلّ، فلا يحتاج إلى حركة التّابع بين القرائن الدالة عليه»"[1]".

ز– الإتباع: أسلوب من أساليب الكلام، تتجلّى أبرز سماته، في كونه حلية يزدان بها الكلام، في مواقف التفكّه والسّخرية، ومحاولة التّخفيف من حدّة إحساس ما. فمركّبات الإتباع، محمّلة بطاقة تعبيرية انفعالية، تنتقي من المباني الصرفية، ما يسعها، ويؤدّيها، بنغمة إيقاعية جمالية. فالتشكّل الجمالي للإتباع، يتمثّل في هذه القوالب المهيّأة في وجدان الناطق اللّغوي، وهي التي تختار من الألفاظ، ما يتناغم وتلقائيته في إبداع مركّبات بسيطة. فالمركّب الإتباعي وحدة موسيقية أحكم تركيبها، والتّأليف بين مكوّناتها.

د– المركّب الإتباعي الإيقاعي، المميّز بالطّرافة والمتعة والتفنّن، هو المقصد والغاية للإفصاح عما يختلج في وجدان المتكلّم، يتناغم فيه التوازن الموسيقي، في ثنائية، تركيبية –متميّزة بروابط معجمية تمساكية دلالية؛ يأتي الحديث عن مظاهرها – تفصيلا– لاحقا، في الفصل الموسوم، بالمستوى التركيبي النّحوي، وهذا بعد الكشف عن المكوّنات الصّوت صرفية للظّاهرة

1– تمام حسان. اللّغة العربية، معناها ومبناها. ص274. عالم الكتب. ط 3. 1998م

الفصل الثالث

المستوى النحوي

توطئة:

إنّ الإجراء الصّوت صرفي المتّبع في توليد التّابع، يتمثّل في وسائل بناء، هي حروف الإتباع ومبانيه المتنوّعة. وتُعدّ هذه المكوّنات الأوّلية وسائل تتّخذها اللّغة، على لسان متكلّميها، ليكون الناتج عبارة قصيرة، صحيحة التركيب اللغوي، مشكّلة في قالب ثنائي مميّز، ناتجة عن توافق وانسجام كلمتين متتابعتين، في الوزن والرويّ. هذا المركّب، هو المقصد والغاية؛ حتى يتحقّق الغرض المراد، في مثل "حسنٌ بسنٌ" و"حيصَ بيصَ"، وما يشاكلهما من مركّبات إتباعية.

وبناء على هذا، فإنّ تناول المركّب الإتباعي بالدّراسة، في المستوى النّحوي التّركيبي، يعتمد بالضرورة على المعطيات الصّرفية المُتوَصّل إليها في الفصل السابق؛ إذ « ليس للنحو من المباني إلا ما يقدّمه له الصرف. ومن هنا ندرك مدى التّرابط بين العِلمين، حتى ليصبح التفريق بينهما صناعيا لا يبرّره إلا الرّغبة في التحليل»"[1]. ومن حيث المعاني « لا يتّخذ النحو لمعانيه مبان من أي نوع إلا ما يقدّمه له الصرف، وهذا هو السبب الذي جعل النحاة يجدون في أغلب الأحيان، أنّه من الصعب أن يفصلوا بين الصرف والنّحو، فيعالجون كلاّ منهما علاجا منفصلا، ومن هنا جاءت متون القواعد مشتملة على مزيج من هذا وذاك، يصعب معه إعطاء ما للنحو للنحو وما للصّرف للصّرف»"[2].

ولنا مثال في قول "**ابن مالك**":

وتاءُ تأنيث تلي الماضي إذا كان لأُنثى كأبَتْ هندُ الأَذَى"[3]

1 – تمام حسان. اللغة العربية. معناها ومبناها. ص37.

2 –م. س. ص178،179

3 – محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجيّاني. متن الألفية. ص50 .ضبط وتح عبد اللّطيف بن محمد الخطيب. دار العروبة للنشر والتوزيع. الكويت. ط1. 2006. ***www. alfaseeh. com/vb/showthread. php***

وهذا الكلام، يمكن فهمه من جانبين أحدهما صرفي؛ إذ التأنيث، يحمل معنى صرفيا من معاني التصريف. أما الجانب النحوي؛ فيمكن فهم البيت من حيث العلاقات السياقية، ويتمّ بالنظر في المطابقة بين الفعل والفاعل والعلامة هي التاء"[1]"، وهذا دليل ارتباط الصّرف بالنّحو، وأنّ النحاة لم يفصلوا بين منهجيهما في التّناول"[2]" وبناء على هذا التلاحم بين العِلْمين؛ يكون توليد الصّيغ المكوّنة للمركّبات، قد أمدّ النحو بمادّة يتّخذها موضوعا للدّراسة. فدراسة المركّب الإتباعي، في مثل "شذَرَ مذرَ"، و"سَلْقَعٌ بلْقَعٌ"، و"ثِقَةٌ نِقَةٌ"، في إطار علم الكلام أو علم النحو ***syntaxe***، يدعونا إلى البحث في علاقة عنصريْ كلّ مركّب بعضها ببعض من حيث الوظيفة لتكوين تركيب سياقي يعطي معنى كاملا. وكذا النّظر في ترتيب عناصرها وإعرابها"[3]"، إذ النحو، ما هو إلا تلك القوانين التي تستقرّ في نفوس المتكلّمين وملكاتهم، وعنها يصير الكلام، فإذا اكتشفت ووُضعت ودوّنت، فهي علم النّحو"[4]"؛ الذي عرّفه ابن جني أنّه « انتحاء سَمْت كلام العرب، في تصرّفه من إعراب وغيره»"[5]". وبصورة أشمل، هو"علم تركيب البنى"***morphosyntaxe***، الذي يصف « قواعد أو أنظمة توافق الوحدات الصّرفية لتكوين الكلمات، كما أنّه يصف قواعد اللّواصق الإعرابية»"[6]".

وحتّى نتمكّن من تحديد موقع المركّب الإتباعي–موضوع البحث– من بين المركّبات الأخرى، وتوضيح علاقته بها، نرى أنّه من الضرورة، أن نوطِّئ لهذا الحديث اللاّحق، بالتعرّض لمفهوم التركيب، والتراكيب الإسنادية، ثمّ تليها التراكيب غير الإسنادية.

1– تمام حسان. اللغة العربية. معناها ومبناها. ص37.

2– تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص220. مكتبة الأنجلو المصرية. 1990.
www. waqfeya. com/book. php?bid=5159

3– مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص283. –بتصرّف–

4–ينظر. إبراهيم مصطفى ت 1963. إحياء النحو. ص2،1. القاهرة. ط1. 1992م.
uqu. edu. sa/files2/tiny_mce/. . . /files/. . . /aaa798. pdf

5 –ابن جني. الخصائص. ج1. ص34.

6 – مبارك. مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص188.

المبحـــث الأوّل
التـــركيب النّحـــوي

أ-التركيب في اللّغة والاصطلاح:

التركيب في اللغة، (***composé***)"[1]"، « الراء والكاف والباء، أصل واحد مطّرد مقاس، وهو علوّ شيء شيئا ... والمركَّب: الأصل والمَنْبِت»"[2]"، فالتركيب مصدر الفعل المضعّف ركّب، والمركّب اسم مفعول بمعنى "تركيب" شيء في شيء، وفي هذا المعنى، جاء في "اللسان": « ركَّب الشيءَ: وَضَع بعضَه على بعض، فتركَّب وتراكب»"[3]". فالتّركيب، وضعُ جزء على آخر، ليحصل شيء جديد، والوضع، هنا بمعنى الجمع والضمّ. وقد بيّن "**التهانـــوي**" أنّ « التركيب-بالكاف-، لغة الجمع»"[4]"، والجمع بمعنى « ضمّ إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التّامّة»"[5]"؛ فالغرض المبتغى، والمقصد من الجمع بين مكوّنات التركيب"[6]"، هو إفادة المعنى المراد تبليغه للآخر.

أمّا التركيب من حيث المصطلح، فهو الأساس الذي يقوم عليه علم النّحو، الذي هو « علم بقوانينَ، يعرف بها أحوال التراكيب العربية في الإعراب والبناء وغيرهما»"[7]"، وبناء على التغيّرات التي تتعرّض لها الجملة، اهتمّ النحاة بأنماط

1- مبارك. مبارك. معجم المصطلحات الألسنية .ص55 .

2 -ابن فارس. المقاييس في اللغة. ص419.

3 - ينظر. ابن منظور. لسان العرب. ج1. ص. 94.

4-محمّد علي. التهناوي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ص23.

5 - الشريف الجرجاني. التعريفات. ص22، 23.

6- ***synthese***, ***composition*** , ***combinaison*** ". وردت هذه المصطلحات مقابل مصطلح التركيب. ينظر. التهانوي. كشاف الاصطلاحات. ص23.

7 - م. س. ص23.

التّركيب والمعاني المترتّبة عن استعمالها، وأوّلهم "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**" الذي «رأى أنّ التّركيب ظاهرة لغوية تمخّضت عنها الاستعمالات»"[1]". وهذه الظاهرة اللّغوية، تعني ما كان مركّبا مؤلّفا من كلمتين، ضُمّتا مع بعضهما، فتلازمتا في الاستعمال"[2]". وقد عبّر "**سيبـــويه**" عن معنى التّلازم ضمن قوله في الإسناد « وهما ما لا يَغْنَى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلّم منه بدّا، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: عبد الله، ومثل ذلك: يذهب عبد اللّه، فلا بدّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأوّلي بدّ من الآخر في الابتداء»"[3]"، فالعلاقة قائمة بين عناصر التركيب.

ويوضّح "**المبـــرّد**" بقوله: « وهما لا يستغني كلّ واحد عن صاحبه، فمن ذلك: قام زيد، والابتداء وخبره وما دخل عليه نحو: "كان" و"إنّ" وأفعال الشكّ والعلم والمجازاة، فالابتداء نحو قولك: "زيد"، فإذا ذكرته، فإنّما نذكره للسّامع ليتوقّع ما نخبره به عنه، فإذا قلت: "منطلق"، أو ما أشبهه صحّ معنى الكلام وكانت الفائدة للسّامع في الخبر، لأنّه قد كان يعرف زيدا كما تعرفه ... لأنّ اللفظة الواحدة من الاسم والفعل لا تفيد شيئا، وإذا قرنتهما بما يصلح، حدث معنى واستغنى الكلام»"[4]"، فلا يحتاج إلى غيره؛ لأنّه تمّت إفادة معنى جديد. وما نستشفّه من هذا التوضيح، « أنّه قائم على أساس وظائف الكلمات في التركيب النّحوي، فالمسند هو الفعل في الجملة الفعلية، والخبر في الجملية الاسمية، والمسند إليه هو الفاعل في الجملة الفعلية، والمبتدأ في الجملة الاسمية، والعلاقة بين الفعل وفاعله وبين المبتدأ وخبره، علاقة لزومية لإفادة معنى»"[5]". والقصد والمراد الذي ينتج عن العلاقة الإسنادية، هو المعنى .

---

1 – مهدي المخزومي. في النحو العربي. نقد وتوجيه. ص 191. منشورات دار الرائد العربي. بيروت. ط2 . 1986.***lisaanularab. blogspot. com/. . . /blog-post_8409. htm***

2 –م. س. ص191.

3 –سيبويه. الكتاب. ج1. ص23.

4– أبو العباس محمّد بن يزيد "المبــرّد". المقتضب. تح محمّد عبد الخالق عضيمة. ج4. ص126. وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. لجنة إحياء التراث. القاهرة. ط1. 1994. ***www. waqfeya. com/book. php?bid=962***

5–محمد إبراهيم عبادة. الجملة العربية مكوّناتها –أنواعها– تحليلها. ص33. مكتبة الآداب. القاهرة. ط 4. 2007.

وكلمة "المعنى" في المعجم، من "عنَيْتُ بالكلام كذا"، أي قصدْتُ. ويقال: "عَنَتِ القِربة إذا لم تحفظ الماء، بل أظهرتْه"[1]"، فيكون "المعنى"، مشتقّا من الإظهار"[2]". والمراد بالمعنى، الشيء الذي يفيده اللّفظ، كما يقال: "لم تعْنِ هذه الأرض ؛أي لم تُفِدْ"[3]"؛ فالمقصود بالمعنى الجديد الذي يفيده المركّب، هو المعنى الذي ينشأ من تركيب الألفاظ بالإسناد أو بالإضافة، ويصطلح عليه بالمعنى الوظيفي، وهو الذي ترمي إلى بيانه، الدّراسات النّحوية"[4]"؛ لأنّ « النّحو هو الرّكيزة التي يرتكز عليها المعنى»"[5]".

ونخلص ممّا سبق عرضه؛ أنّ معنى "المركّب"، يأتي من تعدّد الكلمات وما يتبعه من تعدّد المعاني الجزئية، وتماسك هذه المعاني بعضها إلى بعض. فالوصول إذن إلى المعنى المركّب، لا يتحقّق إلاّ باجتماع المعاني الجزئية، وهذا سبب تأليف الألفاظ المفردة، التي لكلّ لفظ منها معنى جزئي؛ لأنّ « التركيب خلاف الأصل، لأنه بعد الإفراد»"[6]"، ومن هنا عُدّ النحو « معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب»"[7]"؛ إذ التركيب"[8]" لا يكون إلاّ من اجتماع المفردات"[9]"، الذي يشكّل معنى جديدا، مُسْتوعِبا للمعاني الجزئية المجتمعة المتماسِكة، وبه « تحدثُ الفائدة التي يستطيع المتكلّم أن يسكت بعدها ويستطيع السّامع أن يكتفيَ بها. وهذا، هو الذي يسمّيه النحاة "بالمعنى المركّب"، أو المعنى التّام أو المعنى المفيد. فالكلام أو الجملة هو ما تركّب من كلمتين أو أكثر وله

1- "عُنوان"الكتاب من هذا. ينظر. ابن فارس. الصاحبي. ص145.

2- ينظر. م. س. ص145،144.

3- ينظر. ا بن السكّيت. إصلاح المنطق. ص230.

4- ينظر. كريم حسن ناصح الخالدي. نظرية المعنى فى الدّراسات النّحوية. ص 11. المجمع العربى للنّشر والتّوزيع. دار صفاء. عمان. الأردن. ط1. 2006 ***http://lisaanularab. blogspot. com/2012/09/1. html***

5- فاطمة الطبال بركة. النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون. ص79.

6 – السيوطي. الأشباه والنظائر. ج1ص113.

7- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمّد بن علي السكّاكي. مفتاح العلوم. ضبط نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان ط1. 1983. ص75.

8 –دراسة التركيب النحوي، تتطلّب أن يبدأ الباحث بدراسة مفردات التركيب، ثمّ بِنْية التّركيب ؛ لأنّ التركيب ناتج عن اجتماع المفردات وتعلّقها ببعضها.

9 –محمّد الأنطاكي. المحيط في أصوات اللّغة ونحوها وصرفها. ص309. نشرة دار الشرق العربي. بيروت ط3. دت. ***lisaanularab. blogspot. com/. . . /blog-post_5478. htm***

معنى مفيد مستقلّ»"[1]"، فلا بدّ للكلام إذن من أمرين معا وهما: التركيب والإفادة المستقلّة، حتى يتحقّق القصد وتتمّ الفائدة. وقد مثّل لهذا المفهوم "**ابن مالك**" في قوله: «كلامنا لفظ مفيد، كاسْتَقِمْ»"[2]"، والشاهد فيه "استقِمْ"، فهو لفظ مفيد لمعنى، يحسن السكوت عليه وتتحقّق منه الفائدة.

وقد عبّر النحاة عن العلاقة بين عناصر الكلام؛ بمصطلحات عدّة؛ منها، التّركيب والتّأليف" أو"التعليق". قال "**عبـد القاهـر الجرجانـي**": « اعلم أنّ الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة؛ فإذا ائْتَلف اثنان، فأفادا ...، سمّي كلاما وسمّي جملة»"[3]". كما أنّه عبّر عن تركيب الكلام بمصطلح "التّعليق"، « اعلم أنّك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما، لا يعترضه الشكّ أنّ لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض، وتُجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس»"[4]". وعبّر ""**الزمخشـري**"" عن التّأليف بالتّركيب، فالكلام عنده هو المركّب من كلمتين، أسندت إحداهما إلى الأخرى وذاك لا يتأتّى إلاّ في اسمين كقولك: زيد أخوك، و"بِشر صاحبُك" أو فعل واسم نحو قولك: "ضرب زيد"، وانطلق بكر"[5]"، وهذا أقلّ ما يتألّف منه الكلام عند النّحاة"[6]". فالتّركيب بين الكلمات، تمليه العلاقات الوظيفية بين معاني هذه الكلمات، إذ كيف يتصوّر وقوع قصد من

---

1 – محمّد الأنطاكي. م. س. ج2. ص21.

2– محمّد بن عبد اللّه بن مالك. متن الألفية. ص 1. تح عبد اللّطيف بن محمّد الخطيب. دار النشر مكتبة العروبة. ط1. 2006. ***www. alfaseeh. com/vb/showthread. ph*** ، والشطر الثاني منه (واسم وفعل ثمّ حرف الكلم».

3–عبد القاهرالجرجاني. الجمل. تح علي حيدر. ص40. دمشق 1972. ***http://www. archive. org/download/book. . . th/aljumal. pdf***

4 –عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص44.

5– أبو القاسم محمد بن عمر الزّمخشري. المفصّل في علم العربية. ص176. دار الجيل. بيروت. دت. ***al-mostafa. info/data/arabic/depot3/gap. php?. . . pdf***.

6– ينظر. عبد القاهر الجرجاني، المقتصد في شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي. ج1. ص153،152. تح كاظم بحرالمرجان. دار الرشيد 1982. ، ***http://www. archive org/download/moktased/moktased. pdf*** وينظر. عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس أبو عمرو بن الحاجب. الكافية في النحو. شرح محمد بن الحسن رضي الدين محمد الرضي الاستراباذي (ت 1287 م.) ج1. ص8،7. تح حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي. وزارة التعليم العالي. المملكة العربية السعودية ط1. 1993م. ***www. waqfeya. com/book. php?bid=6584***

المتكلّم إلى معنى كلمة من دون أن يريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى ؟"[1]"، فلا يمكن أن ينتج كلام من جزء واحد منفرد، مجرّد من معاني النحو على حدّ تعبير الجرجاني؛ دون أن يضمّ معه جزء آخر أو أكثر، باتّباع معرفة كيفية التّعليق. وليس الأمر رصف كلمات ينطق ببعضها في إثر بعض، بل المعنى يكمن في تعليق بعضها ببعض؛ إذ «ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النّطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل»"[2]"، وهذا يشمل تناول الكلمة والكلام، ولا يقتصر على الكلمة المعجمية أو الكلمة من حيث اشتقاقها، أو من حيث ما يطرأ فيها من تغيير في حركات أواخرها"[3]".

وممّا سبق عرضه من أقوال العلماء القدامى، نستخلص أنّ التركيب النّحوي المفهوم، هو الذي تحصل به الفائدة؛ فيحسن السّكوت عليه، وهو الجملة في العربية.

ب- التراكيب الجملية الإسنادية:

الإسناد مصدر للفعل "أسند"، أسند إلى الشيء كذا، أي جعله معتمدا عليه وأسند الحديث، معناه، عزاه إلى قائله ونسبه إليه وهو إضافة الشيء إلى الشيء"[4]". وفي اصطلاح النحويين ضمّ كلمة أو ما يجري مجراها –أي التركيب الإسنادي الذي يقوم مقام الكلمة– إلى أخرى بحيث يفيد الحكم وهو نقطة الارتكاز، بأنّ مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى"[5]".

---

1 –م. س. ص 315. – بتصرّف بسيط –

2 –عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص40،41.

3 –مهدي المخزومي. في النحو العربي. نقد وتوجيه. ص35.

4– الشريف الجرجاني. التعريفات. ص23.

5– سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني(722هـ–792هـ). شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني (ت739هـ) في المعاني و البيان و البديع . ص30 . ضبط عبد المتعال الصعيدي. المكتبة المحمودية التجارية .الأزهر .مصر .1356 هـ .***www. ahlalloghah. Com***مكتبة أهل اللغة .قد اشتهر الشرح الأول– القسم الثاني من كتاب مفتاح العلوم للسكّاكي–: (بالمطول)، والشرح الثاني: (بالمختصر). ينظر. موقع خزانة التراث العربي .***khizana.blogspot.com/2008/11/1.html***

والإسناد هو الحكم بشيء على شيء، كالحكم على زهير بالاجتهاد في قولك: زهير مجتهد والمحكوم به يسمى مسندا والمحكوم عليه يسمى مسندا إليه. فالمركب الإسنادي إذن، يسمّى جملة أيضا، و هو ما تألّف من مسند ومسند إليه"[1]"، وهو في تعريف النحاة عبارة عن « ضمّ إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامّة»"[2]"، وللإسناد طرفان كما جاء في القول، وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلّم منه بدّا»"[3]"، وهاذان الطرفان هما المسند والمسند إليه"[4]".

ويبدو أنّ منطلقات النحاة، كان مصدرها، نظرة وظيفية في تقسيم الجملة أو التركيب النحوي. أما ما يخصّ المعنى، فكان من اهتمام "**عبد القاهـــر الجرجانـــي**"؛ إذ كان منطلقه من تأثير علاقة الكلمات فيما بينها، وقد أطلق عليه مصطلح التعليق، الذي يوضّحه في قوله: « واعلم أنّ واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذّهب أو الفضّة، فيذيب بعضها في بعض، حتّى يصير قطعة واحدة، وذلك أنّك إذا قلت: "ضرب زيد عمرا يومَ الجمعة ضربا شديدا تأديبا له"، فإنّك تحصل من مجموع هذه الكلم كلّها على مفهوم، هو معنى واحد لا عدّة معان، كما يتوهّم الناس؛ وذلك لأنّك لم تأت بهذه الكلم لتفيده أنفس معانيها، وإنّما جئت بها لتفيده وجوه التّعلق التي بين الفعل الذي هو ضرب وبين ما عمل فيه، والأحكام التي هي محصول التعلّق»"[5]"، فالمفهوم من مجموع الكلم واحد في هذه العبارة، زيدٌ الفاعل لفعل "ضرب والمفعول به"عمرا"، في وقت

1-ينظر. عباس حسن. النحو الوافي. ج2. ص366، مصطفى الغلاييني. جامع الدروس. ج1. ص13. مراجعة عبد المنعم خفاجة. المكتبة العصرية. بيروت ط1. 1993. ***majles. alukah. net***مكتبة المجلس

2 -الرضي .شرح الكافية .ج1.ص8 .

3 -سيبويه. الكتاب. ج1. ص23.

4- أما ما أطلقوا عليه الفضلات واعتبروها زائدة على الأركان الإسنادية أو هي مكمّلات ؛ لأنّها تكمل المعنى وتتمّه، ويمكن الاستغناء عنها ؛ فهذا ليس صحيحا لأنّ بعض المكملات، تحمل إلى جملها معان تأسيسية لا غنى عنها، في مثل، "تأديبي الغلام مسيئا" الحال السادّة مسدّ الخبر. ينظر. محمد الأنطاكي. المحيط ج1. ص 192. ومهدي مخزومي. نقد وتوجيه. ص191.

5- عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص316.

معيّن، وعلى أيّة صفة كان الضّرب، والغرض منه؛ وهذا يعني أنّ العلاقات المتبادلة بين الوحدات اللغوية، هي العناصر الحقيقية المكوّنة لنظام اللّغة.

ولمّا كان الاستعمال اللّغوي، هو الكاشف لأسرار اللّغة، فإنّ "**إبراهيـم أنيـس**"، يرى أنّ معالم الجملة؛ تُلتمس من استعمالات الناس، وممّا تواضعوا على استقلاله بالمعنى في كلّ كلام؛ فالعربي يفهم معنى مستقلا حين يسمع، "الجوّ جميلٌ"، ولكنّه حين يسمع "الجوُّ الجميلُ"، يتوقّع تكملة وبقيّة، يتمّ بها فهمه. فالشّكل الذي يخضع له التركيب؛ مرجعه إلى عادات المتكلّمين بكلّ لغة، وإلى حسّهم اللّغوي، وبهذا يتحدّد معنى الجملة في أقصر صورها، في أن تكون أقلّ قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه، سواء تركّب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر"[1]. وبناء على هذا، يكون حصول الفائدة هو المراد والمقصد؛ ذلك أنّ لتركيب الكلمات وتأليفها وفق النظام الذي يقتضيه لسان ما، أثر في المعنى؛ إذ كلّ كلمة وهي منفردة، لها معنى خاصّ، تتكفّل اللّغة ببيانه؛ فالنحو إذن تأليف في الجملة، تتّسق به العبارة، لتأدية معنى، يعبّر عما في أنفسنا من مقاصد، نسعى إلى إيصالها.

فالجملة العربية من منظور هذا المفهوم، هي « الصورة اللّفظية الصغرى للكلام المفيد، وهي المركّب الذي يبيّن المتكلّم به، صورة ذهنية كانت قد تألّفت أجزاؤها في ذهنه، ثمّ هي الوسيلة التي تنقل ما جاء في ذهن المتكلّم إلى ذهن السامع»"[2]"، ويتبيّن ممّا سبق سوقه من أقوال في الجملة، أنّ الإسناد مقوّم من مقوماتها، إذ الجملة التامّة التي تعبّر عن أبسط الصّور الذهنية التامّة التي يصحّ السكوت عليها، تتألّف من ثلاثة عناصر هي: أ–المسند إليه أو المتحدّث عنه أو المبني عليه، ب–المسند الذي يبنى على المسند إليه، ويتحدّث به عنه، ج–الإسناد أو ارتباط المسند بالمسند إليه"[3]".

1 – ينظر. إبراهيم أنيس. من أسرار اللغة. 236

2–مهدي المخزومي. في النحو العربي. نقد وتوجيه. ص1.

3 –م. س. ص30

ونستخلص ممّا تقدّم عرضه من أقوال العلماء، أنّ التركيب الذي لا إسناد فيه "أسلوب خاصّ"، وكل تركيب غير إسنادي، مفيد، هو مركّب لفظي، تتآلف فيه الكلمة مع غيرها؛ فيحمل في ثناياه فكرة تامّة وبه يعبّر المتكلّم عما في نفسه من أفكار ويخالج نفسه من مشاعر. وبه تنتقل هذه الأفكار أو صور منها إلى السّامع أو المخاطَب"[1]"، وكي نتوصّل إلى الكشف عن موقع المركّب اللّفظي الإتباعي– موضوع البحث– من بين المركّبات اللّفظية، وعلاقته مع بعض من أصنافها، ارتأينا أنّه من الأنسب، أن نوطّئَ له، بحديث يتناول المركّبات من حيث تقسيمها.

ج– **أقسام المركّبات**"

قسّم "**الشريـــف الجرجانـــي**" المركّبات قسمين"[2]":

أ–**المركّب التامّ**: سواء أفاد فائدة جديدة، مثل "زيد قائم"، أو لم يفد فائدة جديدة مثل: السّماء فوقنا، وهو ما يسمّى المركّب الإسنادي.

ب– **المركّب غير التّام**: وهو ما لا يصحّ السّكوت عليه، إمّا تقييدي"[3]": مثل: "الحيوان النّاطق"[4]"، "أو غير تقييدي كالمركّب من أداة واسم، مثل "في الدّار، أو فعل وأداة مثل: "قد قام" من "قد قام زيد"

ج– **وله تقسيم ثان**، يوافقه فيه "**التّهانـــوي**""[5]"، يقسّم فيه المركّبات على خمسة أقسام: المركّب الإضافي، التّعدادي، المزجي، الصّوتي والإسنادي. وقسّم بعض النحاة،

1 –مهدي المخزومي. في النحو العربي. ص 36.

2 –الشريف الجرجاني. التعريفات. ص117.

3– قد تكون علاقة التّقييد بين اسمين، ثانيهما قيد للأوّل؛ إذ الثاني يقلّل من شيوع دلالة الأوّل ويسمى المركّب منهما مركّبا إضافيا، في مثل: "خاتمُ ذهبٍ"، "بابُ حديدٍ". ينظر. التهانوي. كشاف اصطلاحات العلوم والفنون. ج3. ص42.

4 –ينظر. يوسف محمود. المنطق الصّوري. التصورات والتّصديقات. ص50.

5– ينظر. الشريف الجرجاني. التعريفات. ص 36، التهناوي. كشاف كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ج3. ص 14.

المركّبات وفقا للنسبة القائمة بين عناصرها، والنسبة أعمّ من الإسناد، فكانت ثلاثة أقسام"[1]":

1- المركّب الإسنادي: وهو ما كان بين جزئيه إسناد أصلي، ويشمل هذا القسم ما يعرف بالجملة الاسمية وما يعرف بالجملة الفعلية .

2- المركّب التقييدي: وهو ما كان بين جزئيه نسبة تقييدية، بأن يكون أحد الجزأين قيدا للآخر، مثل الحيوان الناطق"[2]".

3- المركّب غير التقييدي وغير الإسنادي: ويندرج تحته :

- ❖ الجار والمجرور
- ❖ المركّب التضمّني، وهو ما تضمّن الحرف سواء تضمّن حرف عطف مثل: خمسة عشر، أم تضمن حرف جرّ مثل: بيت بيت. ويأتي الحديث فيهما تاليا .
- ❖ المركّب المزجي: وهو ما لا يتضمّن الحرف.مثل: بعلبكّ، وحضرموت.
- ❖ المركّب الصّوتي: وهو نوع من المركّبات المزجية؛ إلا أنّه مختوم بويه، كـــ"**سيبـــويه**" وعمرويه

أما المحدثون، ومنهم "**محمد سعيد أسبر**" و"**بلال جندي**"، فإنّهما يقسّمان المركّبات على ثلاثة أقسام"[3]"، بينما صنّفها "**محمّد إبراهيم عبادة**"، إلى ثمانية"[4]".

---

1 – التهناوي. م. س. ج3. ص 12.

2- وجعلوا من المركّب التقييدي المصادر والصفات مع فاعلها وقالوا: هي في حكم المركّبات التقييدية؛ لأنّ الإسناد فيها غير تامّ. فهو يشمل ثلاثة أنواع هي: المضاف والمضاف إليه، والموصوف وصفته، والمصدر والمشتقات مع مرفوعاتها. ينظر. محمد إبراهيم عبادة. الجملة العربية. ص43.

3-ينظر. المعجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها. محمّد سعيد أسبر وبلال جنيدي. ص ص835،834. بيروت لبنان. ط 1. 2004. ***majles.alukah.net/showthread.php?93540***-هل-**معجم**-***الشامل...***

4 – ينظر. محمد إبراهيم عبادة. الجملة العربية. ص 44.

والملاحظ على هذه التقسيمات للمركّبات، أنّها متداخلة، يشوبها الغموض؛ نظرا لعدم وجود أساس واضح للتقسيم، إذ بعضها يتضمّن الإسنادي وغير الإسنادي. والأساس الذي ينبغي أن يتّخذ معيارا في تقسيم المركّبات غير الإسنادية، هو ارتباط كلمتين مع بعضهما، لا تنطبق عليها المواصفات المحدّدة للجملة؛ أي أن يراعى في التقسيم مبنى المركّب الذي على أساسه يكون التّصنيف. وحتىّ نتوصّل إلى تصوّر واضح لأنواع المركّبات غير الإسنادية، ينبغي الانطلاق من هيآتها التركيبية؛ إذ أوضح دلالة للشكل هو تجسّده في اللغة المنطوقة.

وممّا يلفت انتباه الباحث المتتبّع لحديث المركّبات، أنّ النحاة القدامى لا يستعملون مصطلح "المركّبات غير الإسنادية"، وهذا لا يعني أنّهم لم يتحدّثوا عنها؛ إذ لا نجد كتابا نحويا، مهما كان بسيطا لا يتناول هذه المركّبات، بالدّراسة. وتجدر الإشارة إلى اهتمامهم، بمسألتين هامّتين، تتمثّلان في علاقة المركّبات غير الإسنادية بالمركّبات الإسنادية وعلاقة المركّبات غير الإسنادية مع بعضها، ممّا يدلّ على إدراكهم العلاقات القائمة بينها، وإقبالهم على استكشاف هذه العلاقات المتشابكة الرّابطة، بين الظواهر التركيبية؛ ولعلّهم انطلقوا في بحثهم من سؤال، نطرحه نحن بدورنا، ما هو أصل هذا المركّب أو ذاك ؟ وما علاقته بالتراكيب الأخرى ؟.

د- علاقة المركّبات غير الإسنادية بالمركّبات الإسنادية:

وردت في العلاقة القائمة بين المركّبات، أقوال للعلماء، نذكر بعضا منها، يقول: "**ابن فـــارس**" في الخبر: « الخبر هو أصل الكلام»"[1]"، وبتفصيل أكثر وضوحا، جاء في قول، "**عبد القاهـــر الجرجانـــي**" في باب "**القول على فروق في الخبر**" « أوّل ما ينبغي أن يعلم منه؛ أنّه يقسّم إلى خبر، هو جزء من الجملة، لا تتمّ الفائدة دونه وخبر

1- ابن فارس. الصاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها. ص132. .

ليس بجزء من الجملة ولكنّه زيادة في خبر آخر سابق للأوّل، خبر المبتدأ، كـــ"منطلق" في قولك: "زيد منطلق"، والفعل كقولك: "خرج زيد". فكلّ واحد من هذين جزء من الجملة، وهو الأصل في الفائدة. والثاني هو الحال كقولك: جاءني زيد راكبا؛ وذاك لأنّ الحال خبر في الحقيقة من حيث إنّك تثبت بها المعنى لذي الحال كما تُثْبِتُه بخبر المبتدأ للمبتدأ وبالفعل للفاعل»"[1]"؛ فالخبر قسمان: قسم، هو جزء من الجملة، لا يستغنى عنه؛ لأنّ الفائدة المرجوة لا تتمّ إلا دونه، وقسم ثان، زيادة في الأوّل الأصل، ليس جزءا في الجملة، وهو الحال، فحصيلة قول "**عبد القاهـــر الجرجانـــي**"، هي أنّ « الخبر والحال أخوان»"[2]"، وعلاقة الأخوّة لا تنفي الفروق والخصائص المميّزة لكلّ منهما. وفي النّظر إلى العلاقة بين التراكيب؛ وبرؤية نافذة شاملة، تتّسم بالعمق والسّعة في الآن نفسه، يقول: **عبد القاهـــر** في تعليق الأسماء ببعضها: « الاسم يتعلّق بالاسم بأن يكون خبراً عنه أو حالاً منه أو تابعاً له صفة أو تأكيداً أو عطف بيان أو بدلاً أو عطفاً بحرف، أو بأن يكون الأوّل مضافاً إلى الثاني»"[3]"، فالخبر و«جميع الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه، ويصرفها في فكره، ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله، و توصف بأنّها مقاصد وأغراض»"[4]"، تؤدّيها أنواع المركّبات، تبعا لما تقتضيه المواقف والسّياقات من تعبير.

فالعلاقات الوظيفية النحوية، هي الجامع الرّابط بين التراكيب. ومن أهمّ هذه العلاقات: العلاقة بينها في المعنى، حيث إنّ لكل منها فائدة مهمّة في الجملة العربية؛ فالخبر هو الجزء الذي تحصل به الفائدة مع المبتدأ؛ فهو إذن، أعظمها شأنا"[5]"، و«الصّفة أيضا لها فائدة مهمّة في إيضاح الموصوف وتعيينه. والحال كذلك، فهي تبيّن

1 – عبد القاهر. دلائل الإعجاز. ص132،133.

2–خالد زين الدين بن عبدالله الأزهري. شرح التصريح على التوضيح. إعداد محمد باسل عيون السّود. ج1. ص158. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط1. 2000.

www. almaktabah. net/vb/showthread. php?t=46736

3– عبد القاهر. دلائل الإعجاز. ص 48.

4 –م. س. ص406.

5 – م. س. ص406.

ما ينتابهم من الهيئات»"[1]"؛ فالعلاقات إذن قائمة بين الخبر وبين المركّبات غير الإسنادية، فقد يبدو في الظّاهر أنّ الخبر عمدة والحال فضلة، إلاّ أنّ العلاقة قائمة بينهما. غير أنّ النّحاة يقفون على اختلاف هذه الموضوعات –وهي أبواب نحوية– فيما بينه « من حيث كونها عمدة أو فضلة، فالخبر عمدة وهو ركن أساسي في الجملة بينما الصّفة، فهي فضلة تابعة لما قبلها، يجوز الاستغناء عنها في الجملة. أما الحال فهي تتوسط بين العمدة والفضلة؛ فالأصل فيها أن تكون فضلة، تأتي بعد تمام الكلام ولكنّها قد تحلّ محلّ العمدة، فتأخذ حكما كالحال التي تسدّ مسدّ الخبر»"[2]". ومن علماء اللّغة، من لا يتّخذ مفهوم "العمدة" و"الفضلة"، معيارا في التّصنيف من حيث الأهمّية؛ إذ لا تفاضل، إلا من حيث الوظيفة المؤدّاة. فما اعتبر "فضلة"، مثل الصّفة، قد يؤدّي الاستغناء عنها في التّركيب الواردة فيه، إلى نقص في الفهم والإفهام، ولا تتحقّق الإفادة إلاّ بورودها"[3]". يقول "**الخضـــري**"[4] في حديثه عن مثل: "ثوبٌ خزٌ" و"خاتمٌ حريرٌ" وتقدير "من" بين المضاف والمضاف إليه أنّه « يلزم من ذلك صحة الإخبار بالثاني عن الأوّل»"[5]". أي ربط الخبر بالمضاف إليه.

هـــ– علاقة المركّبات غير الإسنادية ببعضها:

لم يتوقّف اهتمام النّحاة عند علاقة الخبر بالمركّبات غير الإسنادية، بل إنّهم تحدّثوا عن علاقة هذه المركّبات مع بعضها في أقوال عدّة، نكتفي ببعض منها:

1–جميل أحمد اشتية. العلاقات النحوية بين الخبر والصّفة والحال. دراسة تطبيقية في سورة يوسف. ص158. أطروحة ماجستير. إشراف الدكتور أحمد حسن حامد. جامعة النجاح كلّية. الدراسات العليا. نابلس. فلسطين. 2009. ***scholar. najah. edu/sites/scholar. najah. . . /the_syntactic_relations. pdf***

2 – م. س. ص158.

3– ينظر. مهدي مخزومي. في النحو العربي. نقد وتوجيه. ص 191.

4 - هو محمد بن مصطفى بن حسن الخضري(12875 – 1213) **هـــ**؛ فقيه شافعي, عالم بالعربية, مولده ووفاته في دمياط. مصر.

5–الخضري .حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ج2. ص3. ***www. 4shared. com/zip/. . . /_____. html***

يلاحظ ابن هشام، تعدّد الأوجه النّحوية في المركّب الواحد، وهي: الإضافة والتمييز والحال والنعت، في مركّب واحد؛ فيقول: « في نحو: "خاتمٌ حديدٌ"، ثلاثة أوجه: الجرّ بمن على معنى الإضافة والنصب على التمييز وقيل الحال والإتباع»"[1]". ومن هذا القول نستخلص التالي:

أ- يتبيّن من منظور "**ابن هشـــام**"، تعدّد أوجه الإعراب في المركّب الاسمي "خاتم حديد"؛ فالجرّ بحرف الجرّ "من"، "خاتمٌ من حديد"، أو على الإضافة، خاتمُ حديدٍ، أو النصب على التمييز: "خاتمٌ حديداً"، وقيل النصب على الحال، "خاتمٌ حديداً " أو "خاتمٌ حديدٌ"، وفي هذا الأخير، كلمة "حديدٌ" خبر للمبتدأ، فالتقدير يكون إذن، "هذا خاتمٌ حديدٌ"، كما أنّ هذه الكلمة نفسها، قد تأتي دالّة على التّبعية، والتقدير، "هذا الخاتمُ خاتمٌ حديدٌ"، فـــ"حديدٌ" هنا، في هذه العبارة، صفة تابعة للكلمة سابقتها. أمّا تصنيف المركّب "خاتمٌ حديدٌ"، إتباعا؛ فقد يكون من جهة الاعتماد على المعنى؛ غير أنّ الإتباع في معناه الاصطلاحي عند "**ابن فـــارس**"، هو « أن تُتْبعَ الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويّها إشباعا وتوكيدا»"[2]"؛ فالظّاهرة صوتية، مركّباتها موسومة بانسجام صوتي، وتناسق بنائي. وقد اتّضح من استقراء أمثلة التراث الإتباعي، أنّ القليل منها، لم يُلتزم فيه اتّحاد الوزن والرويّ، في مثل: "يقال له الويل والأويل"، و"الأويل"، في معنى الويل"[3]"، وفي المثال "أعطاه عطاء وَتْحا شقِنا، ووَتيحا شقِنا"، في وصف القلّة"[4]". وعلى كلّ حال، لا يخلو الإتباع من توافق الوزن أو الرويّ؛ حسب ما يقتضيه السّياق، وتستدعيه المؤثّرات الذّوقية والنّفسية، وكذا الضرورة اللّغوية أحيانا في الاستعمال التطبيقي، وقد سبق التعرض لهذا، في الفصلين السابقين"[5]". أمّا التعدّد في أوجه الإعراب، فيعبّر عن تغيّر

1- عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري. (708-ت761هـــ). قطر النّدى وبلّ الصدى. ص 268 ،332. تح. محمد خير طعمة حلبي. دار المعرفة. بيروت لبنان. د. ت. ***majles. alukah. net*** مكتبة المجلس

2 – ابن فارس. الصاحبي في فقه اللّغة. ص209 .

3 –الأويل في معنى الويل، لا يفرد. أبو الطيّب. الإتباع. ص8 .

4 –ينظر. أبو الطيّب . ص58، وابن دريد الجمهرة. ج3. ص 430. والقالي. الأمالي. ج2. ص217.

5 –ينظر. الفصل الأوّل والثاني من هذا البحث.

وظيفة الكلمة تبعا للسّياق الواردة فيه، وهو يكشف عن العلاقات القائمة بين المركّبات، ممّا يصعّب أحيانا التمييز بينها.

ب- بناء على العلاقات القائمة بين المركّبات غير الإسنادية، يمكن تعليل مجيء حديث المركّبات في أبواب نحوية متفرّقة"[1]"؛ فـ"المركّب" « منه ما ذكر في الظرف، وما ذكر في آخر باب الحال، وما ذكر في العدد وما ركّب تركيب مزْجٍ على أحد الوجوه التي فيه، ومن المركّب، "حَيْصَ بَيْصَ "، "الخازِ باز"»"[2]".

وممّا نستنتجه في علاقة المركّب الإتباعي ببعض المركّبات غير الإسنادية؛ أنّه مُتَضَمَّن في بعض من أنواعها، من حيث الدّلالة على الحالية في المركّب الحالي وكذا بعض الظروف الدّالة على الحال. وفي المركّب العطفي، تضمّن التابع لمعنى الواو العاطفة المحذوفة وفي شبه الجملة من الجار والمجرور، تضمّن التابع لمعنى حرف الجرّ المحذوف.

ويمكن القول، أنّه تمّ اشتقاق أو توليد المركّب الإتباعي – التضمُّني، بفضل عملية التّحويل الجارية في المركّبين السابقين، والمتمثّلة في حذف أحد عناصر المركّب –الواو أو حرف الجرّ–؛ تخفيفا وإيجازا، بحيث صار طرفا المركّب، بمنزلة الاسم الواحد، في مثل "حيص بيص"، و"كفّة كفّة". وبناء على هذه العلاقات التركيبية، نستنتج أنّ تصنيف هذا العبارة المتشكّلة، مركّبا إتباعيا، الحاكم الموجّه فيها، هو النّمط التركيبي، "متبوع + تابع= مركّب إتباعي".

وكان "**سيبـــويه**"، قد أكّد وجود عبارات مركّبة في اللّغة، وهي في الكتاب من شواهد العربية، أُجْرِي فيها الاسمان مجرى الاسم الواحد، يقول في ذلك، وهو يتحدّث عن الإعراب: « وأمّا أيادي سبا وقالي قلا وبادي بدا ؛فإنّما هي بمنزلة خمسة عشر

1 –ينظر. عباس حسن النحو الوافي ج1، ص130،131، أحمد مختار عمر. النحو الأساسي. ص42.

2 –ينظر. أبو هلال العسكري. جمهرة الأمثال. ج2. ص242 .

وأخواتها، فهما شيئان جُعلا اسما واحدا ونحو هذا في كلامهم :حَيْصَ بَيْصَ»"[1]"، ومن المركّبات الواردة، يهمّنا المركّب "حيصَ بيْصَ"، إذ تركّب من جزأين، جُعلا اسما واحدا، نظرا لعلاقة الارتباط اللّغوي، الذي يتجسّد في التلازم التركيبي بين ركنيْه .

ويوضّح "**ابن يعيـــش**" نوعيْ التركيب في قوله: « اعلم أنّ التركيب على ضربين؛ تركيب من جهة اللّفظ فقط وتركيب من جهة اللّفظ والمعنى، فأما التركيب من جهة اللفظ فقط، فهو الضرب الأوّل من التركيبين ... وهو في الأعداد نحو أحد عشر وبابه و"لقيته كفة كفة" و"حيْصَ بيْصَ ونحو"كفة كفة" و"خاز باز" ... وأما الضرب الثاني، وهو المركّب من جهة اللفظ والمعنى، نحو حضرموت وقالي قلا ومعد يكرب ونحوها من الأعلام المركّبة»"[2]"، فالإتباع اللفظي من الصّنف الأول، تركيب من جهة اللّفظ، و هذا ما يتوافق والتعريف الاصطلاحي للإتباع في قول "**ابن فـــارس**": «للعرب الإتباعُ، وهو أن تُتْبعَ الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويّها إشباعا وتوكيدا»"[3]".

وبعد هذا العرض، نخلص إلى أنّه توجد في العربية، تراكيب جملية إسنادية، وهي قوام اللغة، وتليها أخرى غير جملية –، مثل تراكيب الصّفة والموصوف، والعدد والمعدود والمضاف والمضاف إليه. وهذه أنواع من التراكيب غير الإسنادية، ولكنّها هامّة وضرورية لكيان اللغة؛ بحكم الحاجة إليها في الاستعمال.

و لعلّ سائلا، يسأل، وأين يقع المركّب الإتباعي، من هذه التراكيب ؟ لا ننسى أنّ ثمّة تراكيب غير إسنادية، تقلّ عن سابقتيها في التداول؛ الشيء الذي جعلها، تعدّ ثانوية؛ قلية العدد، قليلة الأشكال. ومنها في العربية "أسماء الأفعال"، و"الخوالف الإفصاحية"، ومنها "مركّب الإتباع"– موضوع البحث–. وفيما يلي توضيح لأنواع التراكيب، بهذا المخطّط .

1 – سيبويه الكتاب ج3. ص 304.

2 –م. س. ص112.

3 – ابن فارس. الصاحبي في فقه اللّغة. ص209.

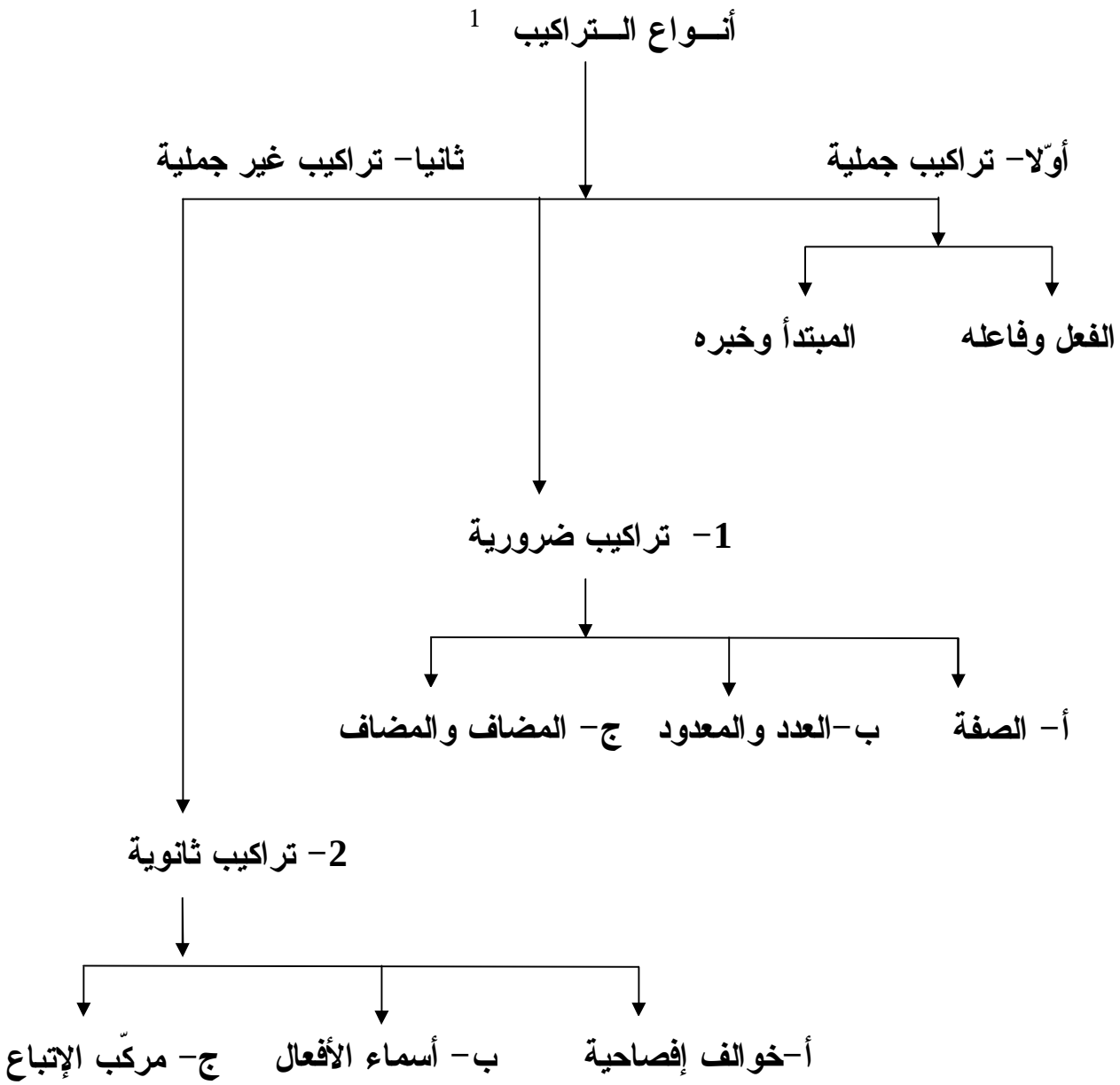

1 - هذا المخطّط مستخلص من قراءات في التراكيب، ينظر. السيوطي الأشباه والنظائرج1، 2. عباس حسن، النحو الوافي ج3، تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها، ص 178، عبد الحميد الأقطش، إتباع الإيقاع. محمد إبراهيم عبادة. الجملة العربية، مكوّناتها، أنواعها، تحليلها. ص 43 وما بعدها.

ونذكّر بأنّ الإتباع عبارة « عن تأكيد الكلمة، بضمّ كلمة أخرى إليها، لا معنى لها في ذاتها، غير أنّها تساويها في الصيغة والقافية، بغرض الزينة اللّفظية وتأكيد المعنى»"[1]"؛ ونخلص إلى أنّ الإتباع، مركّب غير إسنادي، يصنّف من بين المركّبات الثانوية التي لا تحتاج إليها المستويات الثقافية كثيرا، فهولا يدرج في باب الجملة ولا في متمّماتها، ولكنّه مركّب يتمّ الإفصاح به عن انفعالات تخالج النفس، إفادة للتوكيد والتقوية، والإمتاع. كما أنّه شكل من الأشكال التكرارية ***réduplications***، والتركيبات التعبيرية"[2]".

1 – رمضان عبد التواب. فصول في فقه اللغة. ص 246

2– ديفيد جستس. محاسن العربية في المرآة العربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللّغات الأوروبية. ترجمة حمزة بن قبلان المزيني. ص132.

المبحـــث الثانـــي:
أشكـــال مركّـــب الإتبـــاع

صنّف القدامى الإتباع إلى صنفين: إتباع اسمي وإتباع فعلي:

أ-**الإتباع الاسمي:** قال ""**عزّ الدين التنوخـــي**"" في هذا التصنيف: « إنّ الإتباع يكون في الأسماء وفي الأفعال، والإتباع الاسمي، قسمان: إمّا أن يكون التابع متّصلا بالمتبوع وبمعناه، أو ليس له معنى، ثمّ لا يجيء مفردا، وهو نوعان: نوع يجيء التابع فيه بلفظ واحد بعد المتبوع، نحو: "حسن بسن وحارّ يارّ". ونوع يجيء فيه لفظان بعد المتبوع نحو: "حسن بسن قسن"، و"سليخ مليخ مسيخ"، ويكثر أن تكون الكلمة التابعة مبدوءة بميم نحو، "صقر مقر"، و"شذر مذر"، و"هياط مياط"؛ وإما أن يكون التابع متّصلا بالمتبوع وله معنى، ولا يجيء أيضا مفردا كما هو في القسم الأوّل، نحو عطشان نطشان وشيطان ليطان»"[1]".

و فيما يلي، هذا المخطّط التوضيحي لما جاء في الإتباع الاسمي:

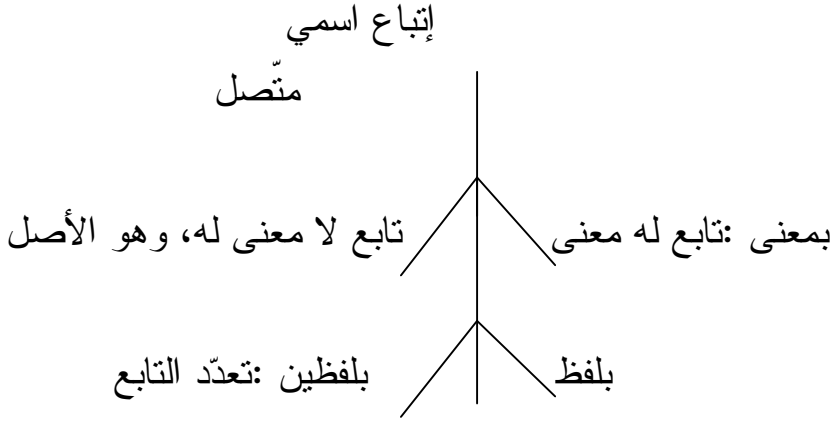

1 -"عزّ الدين التنوخـــي". مقدّمة المحقّق. الإتباع. أبو الطيّب. ص. 4

يتّضح من تفصيل "**التنوخـــي**" للإتباع الاسمي، أنّه أشار إلى الإتباع المتّصل، أي بدون رابط –حرف الواو– كما أشار إلى إمكانية إفراد التابع وعدمها، وهذا تبعا لمعنى أو لا معنى للتابع، وأنّ توليد التابع يسهل باستعمال صوت الميم الشفهي، في صدارة الإتباعات، وقد سبق الحديث في هذا"[1]".

ب– الإتباع الفعلي:

أما الإتباع الفعلي فيقول فيه" « والإتباع الفعلي ما كان التابع فيه منفصلا من المتبوع بواو العطف –كما هو رأي شيخنا المصنّف – والأفعال في هذا القسم الثاني قد تكون ظاهرة وبلفظ واحد نحو: عَبَسَ وبَسَرَ، وما له عامَ ولا آمَ"[2]" وحيّاك اللّه وبيّاك! وقد تكون مقدّرة كالمصادر التي قدّرت أفعالها، نحو: "قُبحاً له وشُقْحاً، وبُعْدا وسُحْقا، وجَدْعا وعَقْرا. وجوعا ونوعا! ... وقد يجيء الإتباع الفعلي بلفظين تابعين نحو: لا بارك الله في الشُّعوبي ولا تارك ولا دارك !»"[3]".

وهكذا يتبيّن من تصنيف "**عزّ الدين التنوخـــي**"؛ أنّه لم يبن تقسيمه على أساس معنى أو لا معنى للتابع؛ على منهج القالي الذي قسّم الإتباع إلى ضربين، من حيث المعنى"[4]"، إنّما تجاوز بؤرة الخلاف بين اللّغويين في هذه المسألة، بتناوله ظاهرة الإتباع برؤية شمولية، وهو في هذا؛ على منهج من يفرّق بين الإتباع والتوكيد"[5]"؛ فأقرّ أنّ الإتباع يقع في الأسماء وفي الأفعال. فتقسيمه للإتباع، تمّ بناءا على قسمين من أقسام الكلام؛ هما الاسم والفعل؛ ولحسين نصّار، رأي في هذا التقسيم، يتمّنه قوله: «وأشمل تقسيم للإتباع، هو الذي قام به الأستاذ عزّ الدين التنوخـــي»"[6]"، فقد انصبّ

1– ينظر. صوت الميم، في الفصل الأوّل من هذا البحث ص 4.

2 –أي هلكت ماشيته، وماتت أمرأته، فأصبح أيّما، وهو دعاء عليه. هامش الإتباع. ص4.

3 –التنوخي. مقدّمة الإتباع. ص4

4– ينظر. القالي. الأمالي ج2. ص 210–219

5 – فرّق التنوخي بين الإتباع والتوكيد، تبعا لأبي الطيّب. ينظر مقدّمة الإتباع .

6– حسين نصّار. دراسات لغوية. ص57.

اهتمام صاحب التقسيم الشامل، على الجانب النحوي التركيبي، دون إهمال قضيّة المعنى. فكانت رؤيته تطورّية في منهج البحث الإتباعي؛ فتحت آفاقا جديدة للباحثين من بعده"[1]".

يبدو تقسيم "**التنوخـــي**" واضحا، متمثّلا في تصنيف الظاهرة إلى إتباع اسمي وإتباع فعلي، تبعا لأنواع المركّبات الإتباعية الواردة في التراث الإتباعي، ويخصّ الإتباع الفعلي بالعطف بالواو. ومن هذا الإتباع الفعلي في المصادر المنصوبة بأفعال مقدّرة، ما أنشده "**أبو العبّاس المبرّد**" ليزيد المهلّبي:

لا تخالي إن غِبْتِ أن نتناسا كٍ، ولا إن وصلْتِنا أن نملاّ
إن تغيبي عنّا فسقْيا ورعْيا أو تحلّي فينا فأهْلا وسهْلا"[2]"

والمركّب الإتباعي "سُقيا ورَعْيا"، إتباع فعلي، التابع فيه منفصل من متبوعه بحرف العطف "الواو". وخاصّية اقتصار الإتباع على الواو، جديرة بأن تأخذ نصيبها من البحث.

1- فصل التنوخي بين القسمين، ولم يتبع ابن فارس في كتابه الإتباع والمزاوجة.

2- "عزّ الدين التنوخـــي". مقدّمة المحقّق. الإتباع. أبو الطيّب. ص 5.

المبحث الثالث
ظواهر نحوية في مركّب الإتباع

لقد اتّضح ممّا تقدّم درسه، أنّ مركّب الإتباع، يحكمه التآلف الصوتي؛ إذ التابع متوافق في غالبية الصوامت مع متبوعه، كما أنّه على نسقه في المبنى. والعلاقات النحوية في هذا المركّب، تبدو عادية، متجلّية في المظاهر التالية:

أ-الرّتبة:

الظّاهر في المركّب الإتباعي، أنّ المتبوع يأتي أوّلا من حيث الرّتبة، والتابع يليه، شأنه في هذا شأن التّوابع؛ ذلك أنّه لما كانت الألفاظ أوعية للمعاني، فإنّها تتبع المعاني في مواقعها، فالمعنى الواقع في النّفس أوّلا، يدلّ عليه لفظ يأتي أوّلا في النّطق"[1]". ويلاحظ في المركّبات الإتباعية اللّفظية الواردة، اطّراد الشكل، فالرّتبة محفوظة؛ إذ توالي الألفاظ على نمط تركيبي واحد. والترتيب إجباري، يفرضه قانون التّتابع؛ الذي يتحكّم فيه المعنى، فالكلمة « تترتّب في النّطق، بسبب ترتّب معانيها في النّفس»"[2]"، ذلك أنّ الترافق التركيبي في النظام اللغوي، لا يسمح بتغيير التركيب مثل "لبّيكَ وسَعْديْكَ"، فالاستعمال يعتمد على مخزون الذاكرة واستقرار العبارة على حال واحدة عند أبناء المجموعة اللغوية[3]، خضوعا إلى مقتضيات النّظام اللّغوي.

---

1 -عبد القاهر. دلائل الإعجاز. ص43.

2 - م. س. ص45. -بتصرّف-

3- آمنة صالح الزعبي. التراكيب الثابتة في اللغة العربية الفصحى في باب المفاعيل. ص12. مجلة جامعة دمشق. المجلد28. العدد الأوّل. 2012. ***www. damasuniv. gov. sy/mag/. . . /133-173--a. pdf***

ومصطلح النظام اللّغوي، يعنى به النّظام اللّغوي العام المجرّد الذي يختزنه الإنسان في دماغه، ويمكّنه من اختزان القواعد الكلّية؛ فهي التي تتشكّل الجمل والتراكيب اللّغوية على أساسها. ثمّ يتمكّن أبناء اللغة – بعد اكتمال هذا النظام– من عملية إبداع تراكيب جديدةلم يسمعوا بها من قبل، استنادا إلى القواعد الموجودة في النظام، وقد أطلق "**دي سوسير**" على هذا الجانب مصطلح الملكة"[1]".

وأما التحويليون، فيطلقون عليها مصطلح الكفاية اللغوية، أو النظام اللغوي العام المجرّد (***la competence***)، أو هي السّليقة، التي هي معرفة المتكلّم – المستمع بلغته، ويمثِّل هذا الجانب، الشطر المهمّ من عملية الاكتساب اللغوي المجرّد؛ والأداء الكلامي"[2]" (***La Performance***)، وهو استخدام اللغة واستعمالها من قبل المتكلّم والمستمع في مواقف معيّنة"[3]". وممّا جاء في تعريف التركيب، أنّه ظاهرة لغوية، ناتجة عن الاستعمالات المعبّرة عن الحاجات، وهو بمعنى الجمع، أي « ضمّ إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التّامّة»"[4]"، والتّضام من المصطلحات الواردة في حديث التركيب عند القدامى والمحدثين.

ب–التّضام:

"ضمّ" إذ « الضاد والميم أصل واحد، يدلّ على ملاءمة بين شيئين، يقال: ضممت الشيء إلى الشيء»"[5]"، ولا تبتعد الدلالة الاصطلاحية عن اللغوية، إذ عرّف "**الجرجانـــي**" التضامّ، أنّه « ضمّ إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة

1 – يعني بذلك :ملكة إنشاء اللغة، أو إبداعها،: دي سوسير، علم اللغة العام، ص28 أي :القدرة

2 سيبويه. الكتاب. ج 3. ص216.

3– ينظر. محمد حماسة عبد اللّطيف. النحو والدلالة. ص34. دار الشروق. القاهرة. ط1. 2000. ***al-mostafa. info/data/arabic/depot3/gap. php?file=017264. pd***

4 – الشريف الجرجاني. التعريفات. ص22، 23.

5 –ابن فارس. المقاييس. ص597.

التّامّة.»"[1]"، وقد خصّ "**سيبـــويه**" التضامّ بباب عنوانه « باب الشيئين اللّذين ضمّ أحدهما إلى الآخر، فجُعِلا بمنزلة اسم واحد، وذلك نحو حضرموْتَ وبعلبكّ»"[2]"، فضمّ اسم إلى آخر إلى آخر يعدّ، وسيلة تبني بها العربية مركّبات غير إسنادية، مثل "صباحَ مساءَ"، وفي هذه العبارة الثابتة، تحقّق التضام من غير فصل – إتباع بلا واو–، أي بلا رابط. وهو الأكثر؛ إذ الملاءمة تقتضي الوفاق، وتوافر المشابهة بين شيئين، تؤكّد صورة التوافق. فالتضامّ، هو ضمّ الأشياء المتشابهة بعضها إلى بعض"[3]"، للحصول على شيء جديد– كما سبق الحديث–، في مثل التراكيب المِثلية التي تتكوّن من جزأين، لهما إيقاع معيّن، يشتركان في الأهمية الإدراكية، أي أنّهما النقطة المركزية، في الدلالة التي يتقاسمها الأسلوب والنحو"[4]" نحو "صباحَ مساءَ "، "يومَ يومَ". فدلالة هذه العبارة، لا علاقة لها بالمعنى المعجمي، والمؤكّد لها، هو السّياق الاستعمالي، فهو إجراء ثنائي يشترك طرفاه في الأهمّية الإدراكية مما يجعل تلازمهما مطّردا.

ج–تعدّد التابع:

يستبين من دراسة أمثلة الإتباع، أنّه ليس مشترطا أن يتألّف من لفظين فقط، بل قد يتألّف من ثلاثة أو أحيانا من أكثر؛ إذ عملية توليد التابع ممكنة « يقال في الكثرة: إنّه لكثير نثير بثير بذير عقير، وعمير أيضا»"[5]"، ومن الواضح أنّ هذه الإتباعات، وصف كلّها للكثرة؛ فهي تتضمّن إفادة التضخيم، والسعي إلى توكيد وجودها بالمبالغة، وهذا عن طريق التوسّع في توليد كلمات على نسق مطّرد.

1 – الشريف الجرجاني. التعريفات. ص22، 23.

2 – سيبويه. الكتاب. ج3. ص294.

3 –ديفيد جستس. محاسن العربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللّغات الأوروبية. ص156.

4 – م. س. ص 156.

5 –أبو الطيب. الإتباع. ص 62.

ويرى "**عزّ الدين التنوخـــي**" أنّ التابع من حيث التعدّد، نوعان: « نوع يجيء التابع فيه بلفظ واحد بعد المتبوع نحو "حسن بسن"، وحارّ يارّ. ونوع يجيء فيه لفظان بعد المتبوع، نحو "حسن بسن قسن"، وسليخ مليخ مسيخ، ويكثر أن تكون الكلمة التابعة مبدوءة بميم نحو صقر مقر، وشذر مذر وهياط مياط»"[1]"، في تقدير "**التنوخـــي**"، يتوقّف التّتابع في حال التعدّد عند ثلاثة، إلا أنّ "**ابن خالـــويه**"، يتجاوز هذا العدد، في قوله: « ليس في كلام العرب: إتباع بخمسة أحرف، إلا في كلمة واحدة "مال كثير بثير غمير مرير بجير بذير، وقيل: مجير"، فأما الثلاث والإثنان فكثير، نحو قولهم"حسن بسن قسن، وحار يارّ جارّ"»"[2]". وهكذا يتمّ توليد التابع، بالتلعّب بالأصوات، فكثير بثير، يمكن أن تكون أساسا لتصاغ منه كلمة أخرى كثير بثير بذير الخ ...؛ فالعنصر الثاني مشتق- أي مولّد- من الأوّل، ويمكن أن تستمرّ عملية الإتباع، فتصبح "بثير"، هي أساس، والتّابع قد يتعدّد ولكنه انحراف عن الإجراء الثنائي في الأساس، وهذا التوسّع يتجاوز الأساس، أي التركيب الأصلي "الثنائي"، نحو "كثير بثير بذير"، فالتركيب الإتباعي ثنائي في الأصل. ويمكن أن تتسّع دلالته، بزيادة كلمة أخرى، هي "قسن" في المركّب "حسن بسن"، فهذه زيادة على التتابع الثنائي. والأمثلة من هذا النوع تعدّ أصداء لأصداء، وليست إلا انحرافا عن الإجراء الثنائي أساسا"[3]".

ونخلص مما سبق سوْقه في إمكانية تعدّد الإتباعات، أنّ التابع في المركّب الإتباعي، قد يتعدّد، من مركّب ثنائي، وهو الأصل والأكثر استعمالا نظرا لإيجازه، إلى ثلاثي، وهو أقلّ جريانا على الألسنة من الثنائي، إلى خماسي وهو الحدّ الأقصى الذي أورده "**ابن خالـــويه**"، وهذه الزيادة في المركّب بصياغة ألفاظ جديدة، تزيّنها غنّة التنوين وسمة التنكير.

---

1 -عزّ الدين التنوخـــي. مقدّمة الإتباع. ص4 .

2- الحسين بن أحمد بن خالويه. ليس في كلام العرب. ص 32. تح. أحمد عبد الغفور العطار. مكّة المكرمة. ط2. 1979. ***http://www. 4shared. com/file/70601620/3611124/_____. html***

3 -ديفيد جستس. محاسن العربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللّغات الأوروبية. ص187.

د- التنكير والتنوين:

من أبرز الظّواهر اللاّفتة للنّظر في مركّب الإتباع اللّفظي الاسمي المتّصل-غير عطفية-؛ ظاهرة التّنوين التي تسِمُ ركنيه، فتجعل تنغيم النون، يتردّد على المسامع؛ فيطربها. ويلاحظ المتتبّع للمركّبات الإتباعية، أنّها تتوارد على نمط واحد في تنكير التابع والمتبوع كليْهما، فالظاهرة مطّردة في الإتباعات الاسمية المتّصلة جميعها، في مثل إنّه "لخاسرٌ دامِرٌ"، و"إنّه لخسِرٌ دمِرٌ"، "أعطيْتُه المال سهْواً رَهْواً "، ويقال: "ضبٌّ سِبَحْلٌ رِبَحْلٌ""[1]". ذلك أنّ « النّكرة، أخفّ عليهم من المعرفة، وهي أشدّ تمكّنا؛ لأنّ النّكرة أوّل، ثمّ يدخل عليها ما تُعرَّفُ به، فمن ثمَّ أكثر الكلام ينصرف في النكرة»"[2]"، ولماّ كانت النّكرة أخف من المعرفة، جاءت المركّبات الإتباعية، في لغة العامّة، وهي لغة التخاطب والحياة اليومية، نكرة. يخلو أكثرها من الواو العاطفة بين عنصريْ المركّب الإتباعي، تخفيفا وإيجازا.

وكوْن النّكرة شائعة في الاستعمال، فهي تفتقر إلى تأكيد « لأنّ تأكيد ما لا يعرف لا فائدة فيه»"[3]"، وكانت أغلب المركّبات مكوّنة من صفات، والصّفة غير محصورة في فرد بعينه، يمكن تمييزه من أشباهه، في مثل "مُضيعٌ مُسيعٌ"، ورجل مضياعٌ مِسْياعٌ"[4]"، وفي "أشِرٌ أفِرٌ"[5]"، فالموصوف بصفة الإضاعة، في المركّب الأوّل، وبصفة البطْر المرَح في الثاني، غير موجّه لفرد خاصّ؛ فالمُخاطَب، غير موجود في دائرة الحسّ، ويمكن أن تنطبق على كلّ من اتّصف بهذه الصّفات، ولذا تبقى بعض المركّبات، المتلازمة الدّالين -التابع والمتبوع- محفوظة في الذاكرة، مثلها مثل العبارات المسكوكة، مثل "شبعانْ عريانْ"، "راشي ماشي"، "ساهلْ ماهلْ"، وهذه من

1 - االطويل الضّخم. أبو الطيّب الإتباع. ص49.

2- سيبويه. الكتاب. ج1. ص22

3 -ابن عصفور. شرح جمل. أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، البغدادي النحوي الزجّاجي. ت340هـ. ج1. تح. صاحب أبو جناح. دت ***www. 4shared. com/rar/-. . . /_____. html***

4 -الإساعة: الإضاعة . ينظر ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص76.

5 -الأشر: البطِر المرح. م. س. ص76.

الإتباعات العامّية"[1]"، الشائعة الاستعمال، الغامضة التعيين؛ التي قد يصدق الوصف فيها على أمر ما أو عمل ما دون تحديد؛ لأنّ « النكرة يدل على شيء غير معيّن»"[2]" والحديث عن التنكير في مثل "حسنٌ بسنٌ" مثلا، يؤول بنا إلى الالتفات إلى التنوين؛ إذ لا يمكن التعرّض إلى بحث تنكير الاسم دون أن نتطرّق للتّنوين المرتبط به؛ ذلك أنّ التنوين علامة من علامات التنكير.

إنّ المتتبّع لمادّة الإتباع، من المركبات، يجد أكثرها منوّنا، – نظرا لتنكيرها– في مثل: "جائعٌ نائعٌ"، "عطشانٌ نطشانٌ"، "كزٌّ لزٌّ"؛ وهذه ظاهرة ملفتة للنّظر، مستوقفة للسّمع. وفي الاصطلاح، يقول "**السيوطـــي**" « نون تثْبت لفظا لا خطّا »"[3]"؛ و«التنوين، هو نون ساكنة، فهو حرف ذو مخرج له الصّفات الصّوتية للنون الساكنة. وإنّما خصّها النحويون بهذا اللّقب وسمّوها تنوينا؛ ليفرّقوا بينها وبين النون الزائدة المتحرّكة التي تكون في التثنية والجمع»"[4]" فالنون تكتب بلفظها، والتنوين لا يكتب بلفظه، فهو يدرك سماعا. وهذا التعريف يمكن أن يكون امتدادا لقولهم بأنّ الحركات الإعرابية لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض"[5]". فمن «الكلمات ما يقتضي أن يكون في آخره ضمّتان أو فتحتان أو كسرتان ... وهذه الكلمات لا تكون إلا أسماء وكان الأصل أن تكتب كما يكتبها علماء العروض ... أي بزيادة نون ساكنة في آخر الكلمة؛ تحدث رنينا خاصّا وتنغيما عند النّطق بها، ولهذا يسمّونها "التّنوين": أي التّصويت والتّرنيم؛ لأنّها سببه. ولكنّهم عدلوا عن هذا الأصل، ووضعوا مكان "النون"، رمزا مختصرا يغني عنها»"[6]". ومن هنا يمكن تعليل مرافقة

1– إتباعات في العامّية الجزائرية، لا زالت تجري على الألسنة، في مواقف حياتية متنوّعة.

2 – عباس حسن. النحو الوافي. ج3. ص208

3 – ينظر. السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج2. ص 79. تح أحمد شمس الدين. الناشر دار الكتب العلمية. لبنان. ط1. 1998 م. ***www. waqfeya. com/book. php?bid=4013***

4–عوض المرسي جهاوي. ظاهرة التنوين في اللغة العربية. ص 9. مكتبة الخانجي القاهرة. دار الرفاعي الرّياض. ***lisaanularab. blogspot. com/. . . /blog-post_4420. htm***

5 –عوض المرسي جهاوي. ظاهرة التنوين في اللغة العربية. ص 11.

6 –عباس حسن. النحو الوافي. ج1. ص26،27

التنوين وثبوته في كلّ من جزأيْ، المركّب الإتباعي؛ ونلحظ ظاهرة التنوين، في مركّبات الإتباع أكثرِها. والتّنوين مرتبط بالتّنكير، و« هو الرّمز الدّال على أنّك تريد شيئا غير معيّن بذاته»"[1]". والنحاة يقرّرون، « أنّ الأصل في الأسماء أن تكون معربة ومنوّنة، وأنّ الأصل في الحروف كلّها أن تكون مبنية وغير منوّنة، وأنّ الأفعال كلّها لا تنوّن، و أنّ أكثرها مبني»"[2]".

ويتبيّن من خلال استقراء الأمثلة، أنّ التّنكير في المركّب الإتباعي، ظاهرة مطّردة فيه؛ إذ الخطاب ليس موجّها لشخص بعينه، بقدر ما هو تعبير ينفّس به النّاطق اللّغوي عن إحساس ما أو خاطرة، بأسلوب يلفت انتباه السّامع. والعرب قد وضعت للتّعريف أداة، هي "ال" وجعلت للتّنكير علامة تلحقه وهي التنوين"[3]"، و هذا مطّرد فيما ينصرف من الأسماء وما لا ينصرف"[4]"، (فالنوع الأوّل الخالي من التنوين معرفة والكلمة التي من النوع الثاني المنوّن نكرة ؛لأنّ معناها مُنكَر أي شائع، غير معيّن وغير محدّد»"[5]".

ومن علل التنوين في الأسماء، أنه للفرق بين المتمكّن الخفيف في الأسماء وبين الثقيل الذي ليس بمتمكّن وقد قال "**سيبـــويه**": « اعلم أنّ بعض الكلام أثقل من بعض، فالأفعال أثقل من الأسماء؛ لأنّ الأسماء هي الأوّل، وهي أشدّ تمكّنا، فمن ثمّ لم يلحقها تنوين، ولحقها الجزم والسكون»"[6]" فالتّنوين، علامة للأمْكن، أي للمُنْصرِف من

1 – عباس حسن. النحو الوافي .ج1. ص 36.

2 – م. س. ج1. ص36،37.

3– التّنوين الذي يعتبره النحاة علامة على أنّ الكلمة اسم، هو أنواع، أشهرها أربعة: تنوين الأمكنية، تنوين التنكير وتنوين العوض، تنوين المقابلة، ولهم في كلّ نوع آراء مختلفة. ينظر. عباس حسن. النحو الوافي. ج1. هامش. ص33

4 –إبراهيم مصطفى. إحياء النّحو. ص155. القاهرة. ط1. 1992م. ***uqu. edu. sa/files2/tiny_mce/. . . /files/. . . /aaa798. pdf***

5 –عباس حسن. النحو الوافي. ج1. ص36.

6 –سيبويه. الكتاب. ج1. ص6.

الأسماء، وذلك لخفّته في النّطق؛ ومبدأ الخفّة مطلب تسعى إليه اللّغة تسهيلا واقتصاد في الجهد. وعلامات الاسم ذكرها "**ابن مـــالك**"، ومن بينها التنوين:

بالجرِّ والتّنوين، والنِّدا، و"أل" و مسْندٍ،للاسمِ تمييزٌ حصَلْ"[1]"

فالاسم مميّز بالجر والتنوين والنداء وأل والإسناد. وإذا ذكر التّنوين، كان المراد تنوين المعرب "المعرب المنصرف"؛ لأنّه هو المقصود عند الإطلاق، أي عند عدم ذكر النوع. والمُعْرب هو اللّفظ الذي تتغير علامة آخره بتغيّر العوامل"[2]" و(السبب في تنوين بعض الأسماء وعدم تنوين بعض آخر، أن العرب الفصحاء نطقت بهذا منوّنا وبذاك غير منوّن. فعلت هذا بفطرتها وطبيعتها»"[3]"، وهذا التّعليل لهذه الظّاهرة الصّوتية، نجده كافيا في تفسير شيوعها.

1 –ابن مالك. متن الألفية. ص1. ***www. alfaseeh. com/vb/showthread. php***

2 –عباس حسن. النحو الوافي. ج1. هامش. ص33 .

3 –م. س. ج1. ص34.

المبحــث الرابــع :
الإتباع والعطف"[1]"

تفيدنا الدلالة المعجمية بأنّ « العطف في اللغة هو الرّجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه»"[2]"، فكأنّ المعطوف رجوع إلى المعطوف عليه، لتأدية غرض، يستدعيه السّياق. أما في الاصطلاح، فالعطف هو التّابع الذي يتوسّط بينه وبين متبوعه أحد أحرف العطف العشرة ... والواو تفيد مطلق الجمع، أي مجرّد جمع المعطوف والمعطوف عليه في حديث واحد"[3]".

ومن المسائل المتعلّقة بالإتباع، الواردة في نقاشات القدامى، مسألة ما ورد من أمثلة الإتباع بالواو، مثار اختلاف ونقاش؛ فمن العلماء القدامى من قال بإمكانية الفصل، وبعض آخر اشترطوا الوصل. قال "**أبــو عبيــد**""[4]" في "**غــريب الحــديث**" « وأما حديث آدم عليه السلام حين قتل ابنه، فمكث مائة سنة لا يضحك، ثمّ قيل له: حيّاك الله وبيّاك. قال: وما بيّاك ؟ قيل: أضحكك. فإنّ بعض الناس يقول في بيّاك، إنّه إتباع، وهو عندي على ما جاء تفسيره في الحديث، إنّه ليس بإتباع. وذلك أنّ الإتباع لا يكاد يكون بالواو وهذا بالواو. ومن ذلك قول العبّاس في زمزم: هي "لشارب حلّ وبلّ"، فيقال إنّه أيضا إتباع، وليس هو عندي كذلك لمكان الواو»"[5]"، لقد عبّر "**أبــو عبيــد**" عن موقفه، بوضوح في نفيه أن يكون الإتباع بالواو، مستشهدا بنصّ الحديث.

---

1 – يقتصر البحث في هذا الفصل على علاقة الإتباع بالمركّب العطفي و المركّب العددي .

2 –محمد سمير نجيب اللّبدي. معجم المصطلحات النحوية والصّرفية. ص154.

3 – الواو، الفاء، ثمّ، حتى، أم، أو، إمّا، لا، بل، لكن. ينظر. أحمد مختار عمر، النحو الأساسي. ص414.

4 – هو أبو عبيد القاسم بن سلام . صاحب المؤلّف "الغريب المصنّف". ينظر. مدخل البحث.

5 – السيوطي. المزهر. ص324.

أمّا "**أبـــو الطيّب**"، فقد أبدى رأيه في هذه المسألة، وهو يتحدّث عن منهجه في التفريق بين الإتباع والتوكيد « وإنّما قرنّا الإتباع بالتوكيد؛ لأنّ أهل اللغة اختلفوا، فبعض جعلوها واحدا، و أكثرهم اختاروا الفرق بينهما، فجعلوا الإتباع ما لا تدخل عليه الواو نحو قولهم، عطشان نطشان وشيطان ليطان، والتوكيد ما دخل عليه الواو نحو قولهم: هو في حلّ وبلّ ... يقولون: هذا جائع نائع، فهو عندهم إتباع، ثمّ يقولون في الدّعاء على الإنسان: جوعا ونُوعا، فيدخلون الواو، وهو مع ذلك إتباع: إذ كان محالا أن تكون الكلمة مرّة إتباعا، ومرّة غير إتباع،فقد وضُح أنّ الاعتبار ليس بالواو»"[1]. إذن الاعتبار ليس بالواو، فالفصل بالواو، بين التابع ومتبوعه وارد عند القدامى.

و قد اتّخذ "**أبـــو الطيّب**" من إفراد التابع أو عدمه – بناء على المعنى أو لا معنى–، مقياسا في الفصل بين الإتباع والتوكيد. وذهب « إلى أنّ الإتباع ما لم يختصّ به بمعنى يمكنُ إفرادُه به، والتوكيد ما اختصّ بمعنى وجاز إفرادُه. والدّليل على صحّة قولنا هذا، أنّهم يقولون: هذا "جائعٌ نائعٌ"، فهو عندهم إتْباعٌ، ثمّ يقولون في الدّعاء على الإنسان: جوعاً ونُوعاً، فيدخلون الواوَ، وهو مع ذلك إتباع: إذ كان محالا أن تكون الكلمةُ مرّة إتْباعا ومرّة غيْرَ إتباعٍ، فقد وضح أنّ الاعتبار ليس بالواو»"[2]. هكذا سمّى "**أبـــو الطيّب**"، ما لم ينفرد فيه اللّفظان، إتباعا، وما انفرد فيه اللّفظ الثاني سماه توكيدا، ولم يعتبر الواو مقياسا للفصل بين الإتباع والتوكيد، فالمركّب الإتباعي في منظوره، يجوز أن يأتي برابط –حرف الواو– أو بدون رابط. وبتعبير آخر، إتباع متّصل وإتباع منفصل. ومبحث الفصل والوصل، مبحث صعب المسلك لطيف المأخذ كما يعبر عنه الجاحظ"[3]. وبناء على استقصاء مادّة الإتباع، تمّ تصنيفها إلى:

1 – أبو الطيّب. الإتباع. مقدّمة المؤلّف.

2 – أبو الطيّب م. س. مقدّمة المؤلّف.

3 –الجاحظ. البيان والتبيين. ج1. ص88.

أ-**الإتباع المتّصل:** نحو قولهم: "سادم نادم" و"ندمان سدمان" و"امرأة ندمى سدْمى"، "وقوْم ندامى سَدامى""[1]"، و منه"غنيّ مليّ"، و"جديد قشيب"، وهذا النوع من المركّبات، التي لا يفصل فيها بين التابع ومتبوعه، هي الأكثر استعمالا.

ب-**الإتباع المنفصل بحرف وغيره:** نحو: "ما له سبَدُ ولا لبَدُ"، "لا يجدي ولا يمدي"، ففي هذا النوع من المركّبات، إفادة مطلق الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه. وفي أسلوب العطف قال ابن مالك:

فاعْطِفْ بواو سابقا أو لاحقا *-في الحكم – أو مصاحبا موافقا"[2]"

والذي جمع بين ركنيْ المركّب في الإتباع المنفصل، هو علاقة المصاحبة، والتوافق والترافق التركيبي. وهذا الرّبط بين حدثين يكون شكليا ثم ينعكس هذا الربط الشكلي على المحتوى الدلالي.

والعطف باعتباره رابطة شكلية، يمنح المركّب من جزأين، تماسكا شكليا، ينتج عنه تماسك دلالي؛ فوظيفة العطف إذن هي « وصل الكلام بعضه ببعض»"[3]". هكذا يتنوّع الإتباع في جريانه على الألسنة؛ فقد تأتي المركّبات برابط، كما قد تأتي بلا برابط بين التابع والمتبوع و« الرّابط حرف أو ضمير يربط بين أمرين، أو هو العلاقة التي تصل شيئين ببعضهما البعض»"[4]"و« الواو العاطفة أمّ باب حروف العطف لكثرة مجالها فيه. وهي مُشْرِكة في الإعراب وفي الحكم. ومذهب جمهور النحويين، أنّها للجمع المطلق»"[5]"، وكونها للجمع المطلق، فهي لا تدلّ في لفظها على تقديم ولا تأخير،

---

1 – السّادم: المهموم، الحزين. ابن سيدا المخصّص. ج14. ص35.

2 –ابن مالك. متن الألفية. ص 35. ***www. alfaseeh. com/vb/showthread. php***

3 –فاضل السمرائي. معاني النحو. ج1. ص65. شركة العاتك لصناعة الكتب. القاهرة. مصر. 2003م. ***www. 4shared. com/office/. . . /___. html***

4 –محمد سمير نجيب اللّبدي. معجم المصطلحات النحوية والصّرفية. ص90.

5– أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي. الجني الداني في حروف المعاني. ص157. تح. فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل. نشر دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. ط1، 1992م. ***www. alfaseeh. com/vb/showthread. php?t=5151***. وينظر السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ص 155. تح أحمد شمس الدين. الناشر دار الكتب العلمية. لبنان. ط1. 1998 م. ***www. waqfeya. com/book. php?bid=4013***

حيث لا ترتيب في نحو: قام زيد وعمرو، ولا ندري أقام زيد وعمرو بعده أو قبله أو معه، والتثنية هنا مختصر من العطف بالواو"[1]"، فالواو « تفيد مطلق الجمع، أي مجرّد الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه في حديث واحد، ولا يفهم منها مصاحبة المعطوف للمعطوف عليه أو تأخرّه»"[2]"، وفيما يلي أمثلة للنّوعين:

أ-إتباع برابط-منفصل- في مثل: "جمعت هذا المال من حَسِّي وبَسّي""[3]"، "إنّي إذا ما عجَّرَ الوطْواط، وكثُر الهِياطُ والمِياطُ لا يتشكّى منّي السِّقاط""[4]"، ومن الدّعاء على الإنسان "قبْحاً له وشُقْحاً""[5]".

ب- إتباع بلا رابط – متّصل-، في قول "**امـــرئ القيـــس**":

وعينٌ لها حَدْرة"[6]" بدْرَةٌ وشُقَّت مآقيهِما من أُخُر"[7]"

وفي مثل قول امرأة، تصف زوجها:

إنّ حِرّي حُطائط بُطائطْ كأثر الظّبي بجنْب الحائط"[8]"

ويستخلص من الأمثلة أنّ الفصل في مركّب الإتباع، يقتصر على أداة معيّنة، وهي الواو، كما يتّضح من الأمثلة الواردة في كتب التراث الإتباعي. والمركّبات من غير فصل، أي التي ميّزها التّضام، هي الأوفر والأكثر استخداما، نظرا لإيجاز تركيبها، وقصر عباراتها.

1- ينظر السيوطي. همع الهوامع .ص155.

2- أحمد مختار عمر،د النحو الأساسي. ص414.

3 – أبو الطيّب. الإتباع. ص19.

4 –ينظر. ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص56.

5 –أبو الطيب. الإتباع. ص55.

6 –حدرة: ممتلئة. المآقي: مؤخّر العينين. ينظر. م.س.ص55.

7- امرؤ القيس. 80ق – 560م. الديوان. ص108. تح. مصطفى عبد الشافي. دار الكتب العلمية. ط5. 2004. ***http://majles. alukah. net/showthread. php?t=6311***

8 –أبو الطيّب. الإتباع. ص17.

والواو العاطفة، ما هي إلا علامة دالّة على نوع العلاقة القائمة بين ركنيْ مركّب الإتباع وبها يتماسكان. والمخاطِب، بمراعاته للمتلقّي، يحرص على أن « يربط بين معاني الكلمات المتجاورة وكذلك الجمل المتجاورة ويكون حسنا ذلك الربط إذا كانت الكلمات متتاليات معطوفات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً»"[1]".

ج- حذف الواو في المركَّب العطفي وأثره على التركيب:

قد يحذف عنصر من المركَّب الاسميّ، ولذلك مُسوِّغاته، ويكون له أثر يتمثّل في حلول جزء من المركَّب الاسميّ محلَّ العنصر المحذوف. وفيما يلي شرح "**ابن يعيـــش**" لمسألة حذف الواو في المركّب العطف، « وقالوا "تفرّقوا شغر"[2]" بغر"؛ أي في كلّ وجه لا اجتماع معه، وهما اسمان ركّبا أحدهما مع الآخر، فصارا اسما واحدا وبنيا لما تضمّناه من معنى الواو وكان الأصل فيه شغرا وبغرا، فحذفت الواو لما ذكرناه من إرادة الإيجاز والتخفيف وتضمّنا معناها والمعنى بالتضمن إرادة معنى الحرف مع حذفه، فبني لذلك بناء خمسة عشر... وشذر مذر"[3]"، وهو مركّب أيضا مبني لتضمّنه معنى الحرف، ...وقالوا خذع مذع، وهو مركّب مبني والمراد خذعا"[4]" ومذعا، فركّبا. وقالوا: تركوا البلاد حيثَ بيثَ"[5]"، وحاثِ باثِ وحوْثَ بوْثَ، إذا تفرّقوا ... وربّما نوّنوا تشبيها لها بالأصوات المذكورة وقالوا حيثا بيثا»"[6]"، والفوائد التي يمكن الوقوف عليها في هذا القول:

---

1 – المرادي. الجني الداني في حروف المعاني. ص348.

2 –شغر مأخوذ من قولهم اشتغر بالبلاد، إذا أبعد فيها.

3 –شذر مذر،مأخوذ من الذهب المتفرّق، ومذر من مذرت البيضة إذا فسدت وأبعدت أومن البذر وهو الزرع، فتكون الميم بدلا من الباء، "شذر بذر"،بالباء على الأصل. ينظر.: موفّق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش ت643 هـــ. شرح المفصّل للزّمخشري. ج3. ص ص119. منشورات علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 2001 ***http://www. archive. org/download/ShMfslYsh/ShMfslYsh03. pdf***.

4 –مأخوذ من الخِذع، وهو القطع، ومذع من مذع السرّ إذا أفشاه. ينظر. م. س. ص119 .

5 – من استحاث الشيء إذا ضاع في التراب م. س. ص119.

6 – ابن يعيش. شرح المفصّل. ج3. ص 18،19.

في العبارة "تفرّقوا شغر بغر"، اعتبارهما اسما واحدا، وهما يتضمّنان معنى الواو؛ إذ كان الأصل فيهما"شغرا وبغرا"؛ ومثله "شَذَرَ مَذَرَ" و"حيثَ بيثَ" حوْثَ بوْثَ؛ فحذفت الواو لغرضين، هما الإيجاز والتّخفيف. والمركّبات الإتباعية من هذا الصّنف المتّصل، جاءت على بناء "خمسَةَ عَشَرَ". وهاتان ميزتان تتماز بهما اللّغة المُتكلَّمَة، إذ هي تعني برؤوس الأفكار، دون أدوات الرّبط التي تربط بينها، اكتفاء بدلالات صوتية أو أخرى، ذهنية أو الإشارة"[1].

د-**الوقوف على بعض أسرار الحذف**

وللحذف في اللّغة العربية أسرار، وقد خصّه "**الجرجانـــي**" بباب خاصّ-"باب الحذف"- منوّها به في قوله: « هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر،شبيه بالسّحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذّكر، والصمت من الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبِنْ»"[2]، ولا شكّ أنّ لظاهرة الحذف، أثرها في السّياق؛ ففي المركّب الإتباعي المتّصل - بدون رابط- في مثل: "امرأةٌ طُلَعَة قُبَعَةٌ""[3]، قد حذفت الواو، وبحذفها تحقّق الإيجاز في الكلام، والتّخفيف من طول العبارة، كما أنّ التخلّص من الواو الفاصلة بين التابع والمتبوع "طُلَعة" و"قبعة"، قد أضفى تماسكا بينهما؛ إذ اكتِفَيا ببعضهما؛ فصارا اسما واحدا، يوحي سماع مركّبه، بالخفّة والسّرعة؛ فينقل الصورة الحسّية الواضحة إلى المتلقّي. وهكذا يكون لحذف الواو في المركّبات الإتباعية، في مثل "شغَرَ بَغَرَ"، أثره على مستوييْن؛ الشّكل التركيبي، والمعنى.

---

1 -سليمان بن إبراهيم العايد. علاقة اللغة المنطوقة واللّغة المكتوبة في اللّغة العربية. محاضرة. نادي مكّة الثقافي الأدبي18-10-1417هـ.

https://uqu.edu.sa/files2/tiny_mce/plugins/filemanager/files/.../r18.pdf

2 -عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص112.

3-وهي التي تطّلع مرّة وتختبئ أخرى، ويسمّى القنّفذ: القُباع، لإدخاله رأسه إذا فزع. ابن فارس. الإتباع والزاوجة. ص55.

أ-الشّكل التركيبي:

يتجسّد في تحويل المركّب نفسه، من مركّب عطفي مفصول الجزأين في مثل "شغرا و بغرا"، إلى مركّب موصول متلاحم الجزأين لتقوية المعنى وتوكيده، مع تحقيق مبدأ الاقتصاد في الجهد، بالاختصار والإيجاز في التعبير.

-مركّبات أصلها العطف:

أما المركّب العددي، فيقول فيه "**الزمخشـــري**" « الأصل في العدد المنيّف"[1]" على العشرة أن يعطف الثاني على الأوّل؛ فيقال ثلاثة وعشرة، فمُزِج الاسمان وصُيّرا واحدا، وبُنِيا لوجود العلّتين»"[2]" فالأصل إذن في مركّب العدد أن يعطف الثاني على الأوّل، فيقال ثلاثة وعشرة، وبعد مزج الاسمين، صارا كالاسم الدّال على مسمّى واحد.

ومن المركّبات العطفية في أصلها: "وقعوا في حيْصَ بيْصَ"[3]"، ولقيته كفّةَ كفّةً"[4]". و صحْرةَ بحْرَةَ"[5]"، ويقولون: صحرةً بحرةً نحرةً"[6]". وهو جاري بيتُ إلى بيتٍ أو بيتٌ لبيتِ"[7]"، ووقع بينَ بينَ وأتيته صباحاً مساءً، ويوماً يوماً، أي كلّ صباح ومساء وكلّ يوم. وتفرّقوا شغَرا بغرا"[8]". وشذَرا ومذَرا"[9]"، من التشذّر والتفرّق والتبذير.

1-النيّف: من الأعداد المبهمة غير الصّريحة. لفظ للمذكّر والمؤنّث. والنيّ ما زاد على العقد. والعَقْد: العشرة والعشرون. أحمد مختار عمر. النحو الأساسي. ص465.

2 – الزّمخشري. المفصّل في علم العربية. ص176.

3- في فتنة تموج بأهلها. ينظر. الزّمخشري. المفصّل. هامش ص 176.

4-أي ذوي كفّتين؛ كفّة من اللاقي وكفة من الملقّي؛ لأن كلّ واحد منهما في وهلة للتلاقي ، كاف لصاحبه أن يتجاوزه. ينظر م. س.هامش ص177

5 -أي استكشاف واتّساع، لا سترة بيننا. ينظر م. س.هامش ص177.

6- فلا يبنون لئلا يمزجوا ثلاثة أشياءَ. ينظر. م. س. ص177.

7 -أي ملاصقا. م. س. هامش ص177.

8 – أي مشرّدين في البلاد. م. س. هامش ص177

9 – الميم في مذر بدل من الباء . ينظر الزمخشري .المفصّل .هامش ص177 .

وخِذْعا ومِذْعا"[1]" وحيْثا بيْثا ؛ فالأصل في هذه المركّبات العطف. ففي قول العرب: "حيْصَ بيْصَ"، هما اسمان ركّبا اسما واحدا وبُنِيا بناء خمسَةَ عشرةَ، والذي أوجب بناءهما، تقدير الواو فيهما وذلك أنّ الأصل: "وقعوا في حيْصَ وبيْصَ"، ثمّ حذفت الواو إرادة للتّخفيف والإيجاز"[2]". والظروف الواردة ونحوها، هي الأخرى ينطبق عليها حديث "حيصَ بيصَ" وقد « سمّي الظرف ظرفا، لأنّه يقع الفعل فيه، كالشيء يجعل في الظرف»"[3]"؛ فالفعل "أتى" في "آتيك صباحَ مساءَ"، وقع في الصباح وفي المساء، والأصل، "آتيك في الصّباح وآتيك في المساء"؛ إلا أنّه بعد حذف الواو العاطفة، صار موجزا وخفيفيا على المرسِل والمتلقّي كليهما، وهذا مطلب تسعى إليه اللّغة، توفيرا للجُهد وتكثيفا للطاقة التّعبيرية.

د- تعدّد الشّكل في أصل بعض المركّبات الإتباعية:

يقول "**ابن يعيــش**" شارحا بعض الأمثلة الإتباعية، نحو: « "كفّةَ كفّةَ "، إذا فاجأته، وهما اسمان ركّبا اسما واحدا وبُنِيا على الفتح بناءَ "خمسةَ عشَرَ" والأصل: كفّةٌ وكفّةٌ، أي كفّةٌ منه وكفّةٌ منّي.. ويجوز أن يكون الأصل: كفّةٌ على كفّةٍ أو كفّةٌ عن كفّةٍ؛ وذلك أنّ المتلاقيين إذا تلاقَيا، فقد كفّ كلّ واحد منهما صاحبه عن مجاوزته إلى غيره في وقت التقائهما»"[4]"، ونستخلص من هذا الشرح:

أ-أنّ مركّب "كفّةَ كفّةَ"، كان أصله:

إمّا العطف "كفّة وكفّة"، وإمّا تقول: لقيته كفّةَ كفّةٍ، والمركّب هنا عبارة عن مضاف ومضاف إليه مجرور، "كفّة على كفّة" أو "كفّةً عن كفّةٍ"، نلاحظ أنّه، قد يرد

1 – منقطعين منتشرين. من الخذع، وهو القطع. وفلان مذّاع أي كذّاب يفشي الأسرار. م. س. ص177.

2 –ينظر. ابن يعيش. شرح المفصّل. ج3. ص 114.

3– الخليل بن أحمد الفراهيدي. الجمل في النحو. تح فخر الدين قباوة. ص33. مؤسّسة الرّسالة. بيروت . ط1. 1985م. ***www. waqfeya. com/book. php?bid=3529***

4 –ابن يعيش. شرح المفصّل. ج3. ص149.

الجزآن بمنزلة اسم واحد في هذا المركب، وقد يأتي الأوّل مضافا إلى الثاني، وكذا في "بيْتَ بيتٍ" و"بيْنَ بيْنَ""[1]".

ب- إذن الحذف قد طال حرف العطف الواو، كما يمكن أن يكون المحذوف هو حرف الجرّ "على، عن"، وهذا يحيلنا إلى النّظر في الدّلالة، و قد استند "**ابن يعيـش**" في تعليل ردّ المركّب اللّفظي إلى أصله، على المعنى، ممّا يدلّ على أنّ المركّب اللّفظي غير الإسنادي، قد يكون مشتقّا من مركّب آخر، تربطه به علاقة نحوية دلالية"[2]".

-حذف الواو في المركّب العددي"

ويوضّح "**ابن يعيـش**"، شارحا القولَ السابقَ « وذلك لأنّ الاسم الثاني قد تضمّن معنى الحرف، ألا ترى أنّ الأصل في أحد عشر، أحد وعشرة، فحذف الواو من اللفظ والمعنى على إرادتها. ألا ترى أنّ المراد أحد وعشرة، فعشرة عدّة معلومة، أضيفت إلى العدد الأوّل، فكمل من مجموعهما مقدار معلوم، فهما اسمان، كلّ واحد منهما منفرد بشيء من المعنى، فلما كانت الواو مرادة، تضمّنها الاسم الثاني وبني لذلك وبني الاسم الأوّل، لأنّه صار بالتركيب كبعض اسم بمنزلة صدر الكلمة من عجزها، فهما علّتان. وكذلك باقي هذا الضّرب من نحو كفّة كفّة وخاز باز»"[3]".

1 -ينظر. سيبويه. الكتاب. ج3. ص302،330.

2 – يأتي الحديث في معاني الألفاظ المركّبة لاحقا، في موضعه من هذا البحث.

3 – ابن يعش. شرح المفصّل. ج 3. ص 149.

المبحث الخامس :
إعراب المركّب الإتــباعي

الحديث عن الإعراب أو البناء في المركّب الإتباعي، يدعونا إلى تعريف كلّ منهما، ثمّ يليه التعرّف على المركّب وأنواعه.

الإعراب والبناء:

لقد كان الاهتمام بالدلالة، أي إفادة المعنى ظاهرة لغوية أساسية، رافقت المحاولات الأولى في النحو العربي؛ فقد روى "**أبو بكر محمد الزبيــدي**"، أنّ "**سيبــويه**" حمل كلام العرب على المعاني وتخلّى عن الألفاظ ؛ فلحقه الغلط، في حين أنّ "**الفــراء**" حمل العربية على الألفاظ والمعاني، فبرع"[1]"؛ إذن ؛ كان النحاة واللغويون بعد "**سيبــويه**"، يدرسون الكلام وأقسامه وأيضا قواعد إعرابه، مستندين إلى الدّلالة. فالمنطلقات هي المعاني؛ ذلك أنّه « إذا انتظمت الكلمات في الجملة؛ فمنها ما يتغيّر آخره، باختلاف مركزه فيها لاختلاف العوامل التي تسبقه، ومنها ما لا يتغيّر آخره، وإن اختلفت العوامل التي تتقدّمه؛ فالأوّل يسمّى معربا والثاني مبنيا، والتغيّر بالعامل يسمى إعرابا وعدم التغيّر بالعامل يسمّى بناءً »"[2]"، و« الإعراب هو البيان، وهو أصل في الأسماء، فرع في الأفعال وحقيقته في العربية تغيّر آخر الكلمة حِسّا أو حُكما لاختلاف العامل لفظا أو معنى »"[3]".

1- أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي. طبقات النحويين واللغويين. ص144،143. تح محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. مصر. ط2. د. ت. ***www. almeshkat. net*** اللــغة العربــية .

2 -ينظر. مصطفى الغلاييني. جامع الدروس العربية. ج1. ص18.

3- ابن الدهان. الفصول في العربية. ص44.

إذن « الإعراب أثر يحدثه العاملُ في آخر الكلمة، فيكون آخرها مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا أو مجزوما حسب ما يقتضيه ذلك العامل ...؛ فالمعرب ما يتغيّر آخره بتغيّر العوامل التي تسبقه»"[1]"، و« البناء هو ثبوت الشيء على صورة واحدة وهو لزوم آخر الكلمة حركة أو سكونا، وهو فرع في الأسماء، أصل في الأفعال والحروف»"[2]" والإعراب « هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ»"[3]"؛ أي أن يتحرّى المتكلّم في كلامه إعرابا وبناء، طريقة العرب؛ فهو تطبيق القواعد النحوية وإجرائها على التراكيب، لتبيان مواضع الكلمات،معربة ومبنية، وذلك بالكشف عن معانيها.

والأمر الهامّ الجدير بالذّكر في مقام هذا الحديث، أنّه قد تبيّن من خلال تتبّع ما جاء في حديث المركّب الإتباعي اللّفظي، أنّنا نلمس في آراء العلماء، اضطرابا في تعريفه وتصنيفه؛ وبطبيعة الحال، انعكس هذا على إعرابه. ومن هنا تفرّقت مباحثه بين أبواب النّحو؛ فلا يجدها الباحث مبوّبة في باب واحد يشملها، وإنّما توزّعت بين عدّة أبواب، فبعضها في باب المُعرَب والمبني"[4]"، وقسم منها في العَلَم"[5]"، وفي باب الممنوع من الصّرف"[6]" وآخر في باب الحال"[7]".

ونرى، أنّه يستحسن التّذكير بمفهوم المركّب عامّة، قبل الخوض في حديث إعراب المركّب موضوع البحث. ولا يخفى أنّ « معرفة المركّبات، لا يتم إلاّ بتحليلها إلى أجزائها البسيطة المكوّنة لها، فإذا تمّ تحليل مركّب ما وعرفت مكوّناته البسيطة

1- مصطفى الغلاييني. جامع الدروس العربية. ج1. ص18.

2 -ابن الدّهان. الفصول في العربية. ص44.

3 -ابن جني. الخصائص. ج1. ص35.

4 -ينظر. أحمد مختار عمر . النحو الأساسي. ص60.

5 -ينظر. م. س ص43،42.

6- ينظر ابن عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري. قطر النّدى وبلّ الصدى. ص 268.

7- ينظر. عباس حسن. النحو الوافي.ج2. ص366 ومصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج3. ص80،79.

التي يتكوّن منها، عند ذاك يمكن معرفة هذا المركّب»"[1]" وقبل الخوض في الإبانة عن أشكال المركّب الإتباعي، من حيث إعرابه، نتعرّف على أنواع المركّبات.

1-نوعا المركّب من الأسماء:

يقول "**سيبـــويه**" في ذلك: « وأما "أيادي سبأ""[2]" و"قالي قلا""[3]" و"بادي بدا"؛ فإنّما هي بمنزلة خمسةَ عشرَ وأخواتها، فهما شيئان جُعلا اسما واحدا ونحو هذا في كلامهم: حَيْصَ بَيْصَ، مفتوحة في كلامهم؛ لأنّها ليست متمكّنة»"[4]". ويتضمّن هذا القول، ثلاثة أنواع من المركّبات:

أ-**النوع الأوّل:** المركّب العددي: خمسةَ عشرَ وأخواتها، أي من أحد عشر إلى تسعة عشر.

ب-**النوع الثاني:** "أيادي سبأ" و"قالي قلا"، و"بادي بدا"، وهي بمنزلة خمسة عشر.

ج-**النوع الثالث:** "حيْصَ بيْصَ"، مركّب من جزأين صارا بمنزلة الاسم المفرد، بعد تركّبهما معًا؛ فهي تجري مجرى خمسةَ عشرَ، وما يندرج في بابه. وبطبيعة الحال، تكون لهذا التركيب أثر لفظي وغرض معنوي. ويقول "**أبو هلال**

1- المنطق الصوري. التصورات والتصديقات. يوسف محمود. ص 48. دار الحكمة. ط1. 1994. ***www. al-mostafa. info/data/arabic/. . . /gap. php?. . . pdf***

2-أيادي سبأ: تفرّقوا تفرّقا لا اجتماع بعده. "سبأ": هي مدينة تُعرَف بِمَأْرِب مِن صَنْعاءَ على مَسِيرةِ ثلاثِ ليالٍ وقالوا: "تَفَرَّقُوا أَيْدِي سَبا وأَيادِي سَبا" وضَرَبَتِ العَرَبُ بِهِم المَثَلَ في الفُرْقة لأَنه لمَّا أَذْهَبَ اللّهُ عنهم جَنَّتَهم وغَرَّقَ مكانَهُم، تَبَدَّدُوا في البلاد وقولهم: ذَهَبُوا أَيْدِي سَبَا أَي مُتَفَرِّقِين شُبِّهُوا بأَهلِ سَبأ لمَّا مَزَّقهم اللّه في الأَرض كلَّ مُمَزَّقٍ فأَخذ كلُّ طائفةٍ منهم طريقاً على حِدةٍ. والعرب لا تهمز "سبا" في هذا الموضع لأَنه كثر في كلامهم فاسْتَثْقَلوا فيه الهمزة وإِن كان أَصله مهموزاً وقيل سَبَأٌ اسم رجل ولَدَ عشرة بَنِينَ فسميت القَرْيَة باسم أَبِيهم. ينظر. ابن منظور لسان العرب ج1. ص93.

3-قالي قلا: مدينة بأرمينية. هي ثغر لأهل آذربيجان وأرمينية. ينظر. ***islamport. com/w/bld/Web/458/267. htm***

4 - سيبويه. م. س. ج3. ص294.

العسكـــري": « فأما حيْصَ بيْصَ، فتقول العرب: وقعوا في حيصَ بيْصَ ، أي في اختلاط من أمرهم، لا مخرج لهم منه، وجعلا اسما واحدا وبُنيا على الفتح»"[1]".

وهذه المركّبات ترد مفتوحة الجزأين، لأنّها ليست متمكّنة؛ أي ليست معربة. وفي هذا قال "**أبو علـــي**" « المُعرب من الكلم صنفان: الأسماء المتمكّنة والأفعال المضارعة والحروف كلّها مبنية، والأسماء المتمكّنة، ما لم تشابه الحروف ولم تتضمّن معناها»"[2]"؛ ويوضّح "**عبد القاهـــر**" قائلا: « أنّ أصل الأسماء الإعراب، وأصل الأفعال البناء؛لأجل أنّ الاسم يكون فيه معان توجب الاختلاف؛ كالفاعلية والمفعولية والإضافة، فلو لم تأت بالاختلاف، لم يفصل بين المقاصد، وليس كذلك الأفعال والحروف؛ لأنّها تدلّ صيغها على معانيها، ألا ترى "ضربَ "للماضي ويضربَ للمستقبل ... ولهذا قلنا: أنّ أصل الفعل البناء وأصل الاسم الإعراب»"[3]"، فالمقاصد بتنوّعها، هي الموجّه في اختلاف المعاني، والإبانة عن هذه المعاني يتحقّق بالإعراب.

يستحسن التّذكير بأنّ المركّب ضربان؛ يوضّحهما "**ابن يعيـــش**" قائلا « اعْلم أنّ التركيب على ضربين: تركيب من جهة اللّفظ فقط وتركيب من جهة اللّفظ والمعنى. فأمّا التركيب من جهة اللّفظ فقط، فهو الضرب الأوّل من التركيبين، وهو في الأعداد نحو أحد عشر وبابه ... وأما الثاني فهو المركّب من جهة اللّفظ والمعنى نحو حضرموت»"[4]". ونظرا لكون المركّب العددي، الوارد ذكره، وما يندرج في بابه، هو النموذج المركّب، الذي بني عليه حكم المركّبات اللّفظية، في مثل: "حيصَ بيصَ"، ونحوها؛ فلا بدّ من الوقوف عنده.

1- ينظر. أبو هلال العسكري. جمهرة الأمثال. ج2. ص242. ضبط أحمد عبد السلام أبو هاجر. محمّد بن بسيوني زغلول. مصر. ط1. 1988 .

2 – عبد القاهر الجرجاني. المقتصد في شرح الإيضاح. ج1. ص107.

3 – عبد القاهر الجرجاني. م. س. ص107.

4 –ابن يعيش. شرح المفصّل. ج3. ص145.

أ-تأصيل إعراب المركّب العددي:

فالأسماء المركّبة العدد في خمسةَ عشرَ وأخواتها، جُعلت اسما واحدا والحكم فيها، البناء على الفتح؛ لأنّ التقدير فيهما خمسة وعشرة، فحذفت الواو، ورُكّب أحد الاسمين مع الآخر، ذلك أنّ خمسة وعشرة، بأسلوب العطف، يؤدّي إلى التوُهُّم، أنّهما صفقتان؛ فإذا ركّبتا، زال هذا الاحتمال، ورُفع اللّبس. وبهذا، يتحقّق المخاطَب أنّها "خمسة عشر"، مقدار صفقة واحدة، لا مقدار صفقتين من هذا العدد، لاحتياجهم إلى هذا الاختصار في الاستعمال"[1]. ويلتحق بالمركّب العددي المذكور، مركّبات لفظية، من نحو "كفّةَ كفّةَ". ويتبين من هذا التصرّف الحكيم، أنّ اللّغة العربية، تتّخذ سبلا، عِدّة لأمن اللَّبس، وهذا من الأغراض الهامّة التي أولتها العرب عناية في كلامها. ذلك أنّ الغرض من التّعبير هو الإفهام، واللَّبس يؤدّي إلى الغموض والإبهام وعدم الفهم؛ ولذلك كان من أولى أغراض المُتكلّم، إزالة ما يؤدّي إلى اللّبس"[2].

وما حذف واو العطف – في المركّب العددي الوارد وما يماثله-، إلاّ للإفهام وتفادي الإبهام وتسهيلا للاستعمال؛ إيجازا واختصارا. هذا عن المركّب العددي العطفي- في أصله-، الذي ضُمّ طرفاه، فصارا اسما واحدا بعد حذف الواو العاطفة، وتمّ بناء جزأيْ المركّب العددي- من أحد عشر إلى تسعةَ عشرَ – على الفتح.

ب-البناء على فتح الجزأين:

البناء هو « لزوم آخر الكلمة حالة واحدة، وإن اختلفت العوامل التي تسبقها، فلا تؤثّر فيها العوامل المختلفة»"[3]. وتنقسم المبنيات إلى مفرد ومركّب، والمفرد، أصل

1- ينظر. ابن يعيش. شرح المفصّل. ج3. ص 112

2- ينظر. فاضل صالح السامرائي. الجملة العربية والمعنى. ص 69. دار ابن حزم للطباعة والنّشر. بيروت. لبنان. ط1. 2000. ***www. waqfeya. com/book. php?bid=7541***

3 -مصطفى الغلاييني. جامع الدروس العربية. ج1. ص21.

المركّب، وما يعنينا هو المركّب المبني من الأسماء، وهو « ضربان: ضرب يجب فيه البناء ولكلا الاسمين، نحو أحد عشر وخمسة عشر ونحوهما وحيْصَ بيْصَ ونحوها... وضرب آخر يبنى فيه الاسم الأوّل دون الثاني، وهو قالي قلا وحضرموت»"[1]"، والذي يعنينا هو المركّب الذي يجب فيه بناء جزأيه معاً وهو « الاسم الذي يلزم آخره حالة واحدة مع تغيّر وظائفه في الجملة» "[2]" وهو نوعان"[3]":

1-مبني بناء أصيلا من أصل وضعه في اللّغة.

2- ومبني بناء عارضا؛ إذ بعض الأسماء معربة، وقد يعرض لها حالات، فتصبح مبنية، ومنها:

2-1- **المركّب من الأعداد تركيبا مزجيا:** أحدَ عشرَ أو إحدى عشرةَ إلى تسعةَ عشرَ أو تسعَ عشرةَ ؛يبنى على فتح الجزأين -ما عدا اثنتا عشرة واثنتي عشرة- والأصل في هذا المركّب العددي، -قبل تركّب جزأيه معاً- العطف، «وقيل إنّه يحكى وقيل يعرب غير منصرف»"[4]".

2-2-ما ركّب تركيب المزج من الظروف والأحوال، « المركّب المزجي :كلّ كلمتين ركّبتا وجعلتا كلمة واحدة مثل :بعلبكّ وبيت لحم وحضرموت و"**سيبـــويه**" وصباح مساء وشذر مذر»"[5]".

إذن، المركّبان "شذرَ مذرَ"، و"صباحَ مساءَ "وما يندرج في بابها، كانت معربة، ولما عرضت لها حال المزج -تركّبهما معا بعد حذف واو العطف- صارت مبنية.

1 -ابن يعيش. شرح المفصّل. ج3. ص144.

2 -أحمد مختار عمر. النحو الأساسي. ص58.

3 - م. س. ص58.

4 - التهناوي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ص425 .

5 - مصطفى الغلاييني. جامع الدروس العربية. ج1. ص16.

والألفاظ المركّبة على ضربين:

أ- ما ركّب وأصله العطف، نحو تفرّق القوم شذر مذر أو شغر بغر أي متفرّقين.

ب-و نحو أنت جاري بيت بيت أي ملاصقا ونحو لقيته كفّةَ كفّةَ ؛ أي مواجها.

وبعد هذا التتبّع للمركّب من جزأين، والوارد على شاكلة المركّب العددي، والمنطبق عليه حكمه في البناء، نلخّص ما تقدّم عرضه من أقوال، لـ"**سيبـــويه**"، و"**الزمخشـــري**" و"**ابن يعيـــش**" في الجدول الموالي"[1]":

	الضرب الأوّل	الضرب الثاني
مثال	خمسة عشر	قالي قلا
أصله	خمسة "**و**" عشر	قالي وقالا
معناه	" 10+ 5"	قالي+ قلا
	يدلّ على معنى واحد:15	يدلّ على معنيين
واو العطف	محذوفة: معناها، متضمّن في مفهوم العدد "عشرة"	تُحذف بدون أن يضمّن الاسم معناها.
إذن	الاسم الثاني مبنيّ	الاسم الثاني "قلا" معرب
فالحكم	البناء على فتح الجزأين	بناء الأوّل فقط على الفتح

نستخلص ممّا تقدّم ما يلي:

أ- أنّ الأصل في العدد المنيّف-الزائد على العشرة- من أحد عشر إلى تسعة عشر-عطف الثاني على الأوّل: ثلاثة وعشرة، أربعة وعشرة... الخ.

1 -ارتأيت إيراد النوعين معا في الجدول، إبرازا للفرق بينهما.

ب–التركيب من النّوع الأوّل: مركّب العدد، وما يندرج في بابه من مركّبات إتباعية "حيص بيص"، ونحوه، لفظي فقط؛ وأصله، هو عبارة مكوّنة من شقّين، والرّابط بينهما حرف الواو "حيص وبيص"، وقد حذف هذا الحرف، لمطلب استعمالي، إرادة للتّخفيف. ويبقى معنى الواو متضّمنا في المركّب؛ فالاسمان في النّهاية يدلاّن على شيء واحد، وهذا ما سبق الحديث فيه، بتناول التلازم اللّفظي التركيبي"[1]".

ج– أما الضرب الثاني– وهو لا يعنينا في هذا البحث–؛ فالتركيب فيه تركيب ناتج من امتزاج اسمين حتى يصبحا اسما واحدا، وهو العلَم المركّب، في مثل "قالي قلا"، و"حضرموت".

و بعد هذا نأتي إلى إجراء تطبيقي في إعراب بعض المركّبات الإتباعية:

أوّلا: حيص بيص: تأصيله، إعرابه ولغاته:

أ–**تأصيله:**

و للتّفصيل، ننظر في أصل أوّله – صدره– وأصل ثانيه –عجزه–

حَيـــــــــــْصَ بيْـــــــــصَ	
أصل أوّلـــــــه	أصل ثانـــــــيه
حاصَ: يحيصُ: حاد عن شيء وفرّ هاربا. المحيص: المهرب"[2]"	باصَ: يبوصُ: أي فات وسبق في حال الفتنة"[3]"

فالأصل إذن، في المركّب "حيْص بيْص" أن يقال: "حيصَ بوْصَ"، غير أنّهم أتبعوا الثاني الأوّل، في مثل" العشايا والغدايا، ولو انفردت الغداة لم تجمع على غدايا"[4]"، وإجراء هذا التعديل للملاءمة"[5]".

1 – ينظر. ص 18، من هذا الفصل.

2 – ينظر. ابن منظور. لسان العرب. ج 4. ص472،471.

3 – م. س. ج. 4. ص461.

4 – ينظر. أبو الطيّب. الإتباع. ص 14.

5 – ينظر الفصل الثاني من هذا البحث.

ب- **إعراب:** "وقعوا في حيْصَ بَيْصَ"

في: حرف جرّ

حيصَ بيصَ: مركّب مبني على فتح الجزأين في محلّ جرّ بحرف الجرّ .

-و في قولهم: "جعل عليه الأرضَ، حيصَ بيصَ": تركيب مزجيّ مبني على فتح جزأيه، في محلّ نصب على الحال .

ويوضّح "**المبــرّد**" بناء الجزأين، قائلا: « أمّا ما كان مثل خمسة عشر، ممّا يلزم فيه، ألاّ يكون معربا؛ فبناؤه على الفتح. أمّا فتح أوّله ... أنّه ليس منتهى الاسم، وأنّه كالدّال في حَمَدَة والحاء من طلحَة، وأما فتح آخره؛ فالبناء»"[1].

ج-لغاته:

أورد "**أبــو الطيّب**" مركّب "حيص بيص"، « يقال: وقع في حيْصَ بيْصَ وحيصَ بِيصَ، وحَيْصِ بَيْصِ، ... وقال أبو عمرو سمعت أعرابيا يقول لآخر: إنّك لتحسِبُ الأرضَ عليَّ حِيصاً بِيصاً»"[2].

ا ⟵ ا: حَيْصَ بيْصَ ا ⟵ ي : حَيْصِ بَيْصِ

ي ⟵ ا: حِيصَ بِيصَ ا ⟵ ن: حَيْصاً بَيْصاً

ا ⟵ ي: حاصِ باصِ"[3]"

و نستخلص من هذه التشكّلات الحركية في مركّب "حيصَ بيصَ"؛ أنّها تراوحت بين:

1 - المبــرّد. المقتضب. ج4. ص 29.

2 -أبو الطيّب. الإتباع. ص14.

3 -ينظر. أبو الطيّب. الإتباع. هامش. ص14

الجزء الأوّل	الجزء الثاني	البناء
حيْصَ	بيْصَ	على فتح جزأيه
حَيْصِ	بيْصِ	على كسر جزأيه
حاصِ	باصِ	" " "
حيْصاً	بيصاً	مبني على فتح جزأيه "منوّن": حذف التنوين، الوقف على الساكن

إذن هذه لغات وردت في "حيص بيص"، فمَن فتح جزأيه؛ فلِطلب الخِفّة، في مثل خمسةَ عشرَ، ومن كسرَ؛ فلالتقاء الساكنين"[1]"، والفتح أخفّ على اللّسان، وأوفر للجهد، وأعذب في السّمع.

و تعرب بقيّة المركّبات على منوال حيْصَ بيصَ:

❖ لقيته كفّةً كفّةً: أصله "كفّة على كفّة" أو "كفّة عن كفّة"؛ هما مصدران في موضع الصّفة، في محلّ نصب على الحال: والتقدير، كأنّك قلت: لقيته متكافئيْن. و«"كفّةَ كفّةَ"، مصدران في موضع الصّفة ومحلّهما نصب على الحال، كأنّك قلت: "لقيتُه متكافئيْنِ"، مثل قولك :لقيته قائميْن"، تريد حالا منك وحالا منه»"[2]" و"أنت جاري بيتَ بيتَ": أي أنت جاري، ملاصِقا:
"بيتَ بيتَ": مبنيان على الفتح في محلّ نصب على الحال"[3]".

1 –م. س. ج3. ص115.

2 –ابن يعيش. شرح المفصّل. ج3. ص 149.

3 – ينظر. مصطفى الغلاييني. جامع الدروس العربية. ج1. ص16.

والمركّب "صحْرة بحْرة"، في "لقيته صحْرةَ بحْرةَ"، التقدير فيه "صحرة وبحرة "، فحذفت الواو، وتضمّن الكلام معناها، فتمّ بناء جزأي المركّب على الفتح للخفّة، فموضعهما حال؛ لأنّ التقدير "لقيتُه بارزا".

أمّا في حال تعدّد التابع، يقولون: "صحرةً بحرةً نحْرةً""[1]"، فلا يبنون لئلاّ يمزجوا ثلاثة أشياء، أي يعربونها وينصبونها منوّنة؛ حتّى لا يركّبون ثلاثة أشياء "اسما واحدا"، والتقدير "لقيتُه مكشوفا نهارا"[2]". ويظهر أنّ تعدّد التابع في المركّب، قد يؤدّي إلى النّطق بالمركّب اسما واحدا، ممّا يفقد التلازم الثنائي، تماسكه وتضامّ جزأيه، ووضوح معناه.

وما يمكن استخلاصه أنّ "شَغَرَ بَغَرَ" و"شَذَرَ مَذَرَ"، من الأسماء التي لا تستعمل مركّبة، إلاّ عندما تؤدّي وظيفة الظرف أو الحال، نحو بيتَ بيتَ وبينَ بينَ"[3]"؛ فالظرف المركّب بينَ بينَ، تقديره "وقع بين هذا وبين هذا". وبين بين: اسم مبني على فتح الجزأيْن في محلّ نصب مفعول فيه"[4]".

ويفهم ممّا تقدّم؛ أنّ الوظيفة الظرفية أو الحالية، التي يقتضيها حال الكلام، هي التي تستدعي الحاجة إلى تكوين مركّب معيّن مفيد؛ وهذا لا يتحقّق إلاّ بضمّ جزأيه معاً، ليصيرا بمنزلة الاسم الواحد. ونستنتج من هذا أنّ التركيب الاسميّ، قد يكون سببا في أداء نوع من الأسماء وظيفة نحوية لا يؤدّيها لو جاء مفرداً؛ كما أنّ اللّفظ، قد يكون مُفرغا من أيّ معنى، فلا يُفرد في الكلام، وبعد تركّبه تابعا للفظ سابق له في الرّتبة– المتبوع–، يكتسب معنى، وقد سبق الحديث في أثر البنية التركيبية في المعنى.

1– "صحرة بحرة": مشتقّان من الصحراء والبحر؛ أي الانكشاف والاتّساع. و"نحْرة"من نحر الشهر أي أوّله. ينظر. ابن يعيش. شرح المفصّل. ج3. ص150

2 – ينظر. شرح المفصّل. ج3. ص150.

3– ينظر. سيبويه. الكتاب. ج3. ص303،302.

4 – ينظر. ابن يعيش. شرح المفصّل. ج3. ص150

أما مركّب "الخاز باز":

ففي حال بناء جزأيه على الفتح، فهو « كلفظ نظائره في البناء ...ضارع خمسة عشرَ في البناء»"[1]"، وقد سبق الحديث عن نظائره، المركّب العددي، وحيص بيص ونحوها.

ومن العرب من يقول: الخِزْبازُ، بمنزلة "سِربال"، قال الشاعر"[2]":

مثلُ الكلابِ تهرُّ عند دِرابها وَرِمَت لهازِمُها من الخِزْ بازِ.

وفي "الخاز باز" لغات، كما أنّ معانيه تتعدّد. وقد وردت فيه لغات، فمن العرب من يقول: « هو الخازِ بازِ، والخازَ بازَ، والخازَ بازُ وخازُ بازٍ، فيجعلونه كحضرموْت»"[3]"، هذه تلوينات صوتية على مستوى الحركات، قد ترتبط بالمعاني المتعدّدة للمركّب، في سياق الكلام، وقد تأتي لمجرّد تحقيق الانسجام الصّوتي والتّوافق النغمي.

وقال بعضهم: "جُنّ الخازِ بازِ به جنونا""[4]" فكسر آخره، على منوال صوت الحكاية "غاق"، و"غاق غاق" و"حاءِ حاءِ[5]"، فلا تنوين فيها؛ لأنّها معرفة والتقدير: في عاءِ حاءِ" الإتباعَ"، وكأنّ المتكلّم قال: "قال: الغراب هذا النحو". أما الذين قالوها بالتّنوين "عاءٍ حاءٍ وعاقٍ" جعلوها نكرة"[6]".

1- سيبويه. الكتاب. ج3. ص299.

2-الخِزْباز: هنا داء يصيب الكلاب في حلوقها. اللهزم جمع لِهزمة وهي مضغة في أسفل الحنك. ينظرسيبويه. الكتاب . ص 300.

3- سيبويه. الكتاب. ج3. ص301.

4 - الخازِ بازِ هنا :صوت الذباب. ينظر. لسان العرب ص

5 - غاق غاق، حاء، حاء:

6- سيبويه. الكتاب. ج3. ص302،301. - بتصرّف-

ولا يفوتنا أن نقف عند علّة تفرّق مبحث الإتباع اللّفظي على أبواب نحوية والجدير بالذّكر في هذا المقام، أنّه قد تبيّن من خلال تتبّع ما جاء في حديث المركّب الإتباعي اللّفظي، أنّنا نلمس في آراء العلماء، اضطرابا في تعريفه وبالتالي تصنيفه. وبطبيعة الحال، انعكس هذا على إعرابه؛ ممّا يعلّل تفرُّقُ مباحثه على أبواب نحوية؛ فلا يجدها الباحث في باب واحد يشملها، وإنّما توزّعت على أبواب نحوية عِدَّة"[1]. فإعراب المركّب الإتباعي، حالا، جاء عارضا في خاتمة باب الحال-؛ إذ لم يفرد له باب خاصّ، وإنما جاء ذكره عارضا، على سبيل أنّه « وردت من العرب، ألفاظ مركّبية تركيب خمسة عشرَ، واقعة موقع الحال، وهي مبنية على فتح جزأيْها، ...و هذه الحال معدودة في الحال المفردة لا الجملة ولا شبه الجملة»"[2]"

- إعراب التّابع -التَّبع-:

لقد عرفنا ممّا سبق أنّ التّابع لفظ زائد مسموع، يُؤتى به لتوكيد الكلام وتقويته. وفي المركّبات": حسن بسن"، "شيطان ليطان"، "عفريت نفريت".

ليس لهذه الكلمات الزّوائد المسموعة "بسنٌ، ليطانٌ، نِفْريتٌ"، معان تفيدها ولا حكم إعرابي خاصّ بها، توصف معه، بأنّها مبتدأ أو فاعل أو نعت أو مفعول أو غير ذلك"[3]"؛ فهي لا تنفرد بنفسها؛ و« تسمّى هذه الكلمة الزائدة والمسموعة، هي ونظائرها "الأَتْباع"»"[4]"، والأَتْباع -بفتح الهمزة -، جمع "تَبَع"، بمعنى التّابع، مفرغة في الأصل من أيّ معنى لغوي تؤدّيه، فهي مجرّد صور صوتية سماعية، وزيادتها من قِبل

1- والبحث عنها، يتطلّب من الباحث جهدا مضنيا ومشقّة. ولو عرفت كتب النحو الفهارس الدّقيقة الوافية، لتيسّر الرّجوع إليها والبحث فيها، ولنا في كتب اللّغة أسوة، في حسن ترتيبها. ينظر المبرّد. المقتضب. جزء الفهارس. ص2.

2 - محمّد الأنطاكي. المحيط في أصوات اللّغة ونحوها وصرفها. ج2. ص192

3 - عباس حسن. النحو الوافي. ج3. ص471— بتصرّف -

4 - ينظر.م. س. ج3. ص471.

المتكلّم، لمجرّد التلميح في مثل: "شحيح نحيح"، تلميحا لشدّة البخل، أو للتفكّه والتّنفيس، في مثل قول امرأة من العرب: "إنّ حِرِّي حُطائِطٌ بُطائِطٌ *كأثر الظَّبيِ بجنب الحائِطْ»"[1]".

ونخلص ممّا سبق، إلى أنّ إعراب هذا النّوع من التَّبع أو التّابع، وهو اللّفظ الزائد، –بدون معنى– في مثل: "عفريتٌ نفريتٌ" والزّائد عند النّحويين معناه: « الذي لم يُؤت به إلاّ لمجرّد التّقوية والتوكيد»"[2]"، فكلمة "نفريت" الزائدة، لا هي معربة ولا هي مبنية، تعرب تابعا للكلمة التي قبلها "عفريت"، أي من أَتْباعها في الوزن وضبط الآخر والمشاركة في معظم الحروف الهجائية، دون أن يكون له معنى خاصّ ينفرد به ولا نصيب في الإعراب أو البناء، مثل محمّد حَسَنٌ بَسَنٌ، واللّصّ شيطانٌ ليطانٌ، أو عفْريتٌ نِفْريتٌ"[3]". وهذا النوع من الألفاظ نحو: عفْريتْ نِفْريتْ "، غالبا ما يوقف على آخره بالسّكون، أي قطع الحركة"[4]" –ولا يوصف بأنّه معرب أو مبني. وفيما يلي ننظر فيما جاء في إعرابه.

الأتْباع والتوابع:

و نستنتج أنّ هذه التبعية العارضة في التّبَع –التابع–، وما تتماز به من صفات، أنّه لا علاقة لها بالتوابع؛ إذ التابع في الاصطلاح، « يطلق على مجموعة من الأسماء، تلازم ما قبلها ولا تنفكّ عنه وتتبعه في أمور كثيرة. والتابع الاصطلاحي، يجمع على توابع. والتوابع هي: النعت والعطف بنوعيه، البيان والنّسق وكذلك البدل والتوكيد»"[5]". والتّوابع الأصلية الأربعة المعروفة، وهي النّعت –التوكيد– العطف بنوعيْه– البدل،

1 – ينظر.أبو الطيّب الإتباع. ص18.

2–ابن هشام الأنصاري. الإعراب عن قواعد الإعراب. تح علي فودة نيل. جامعة الرّياض. المملكة العربية السعودية. ط1. ***1981 www. waqfeya. com/book. php?bid=6231***.

3 – ينظر. م. س. ص470. ،471

4 – مصطفى الغلاييني. جامع الدروس العربية. ج1. ص 19.

5 – محمد سميرنجيب اللّبدي. معجم المصطلحات النحوية والصرفية. ص32.

وأوصاف هذه التوابع الأربعة، لا ينطبق شيء من أحكامها على التابع الذي جاء تعريفه الاصطلاحي في قول "**ابن فـــارس**" « للعرب الإتباعُ"[1]"، وهو أن تُتْبعَ الكَلِمةُ الكَلِمةَ على وزنها أو رويّها إشباعا وتوكيدا»"[2]"؛ فهذا النّمط من المركّبات، يندرج في المركّب الذي يطلق «على الأعمّ من الملفوظ والمعقول، كما يطلق على الملفوظ»"[3]" من المركّبات.

نستخلص ممّا تقدّم ما يلي:

أ-أنّ التّابع لفظ زائد يأتي عرضا في الكلام، للمدح أو الذمّ أو للمُلحة من باب التسلية والتفكّه.

ب-يسمى هذا النوع من الألفاظ "الأَتْباع"، بفتح الهمزة ومفرده "تبَعٌ""[4]".

ج- أما عن إعرابه، فيكتفى بأنّه تبَعٌ للكلمة الأولى؛ إذ ليس له ضابط إعرابي خاصّ به.

د- حكمه مقصور في كونه تابعا لما قبله في الوزن، وأما ضبط آخرِه، لا هو إعراب ولا هو بناء.

تطبيق: إعراب أمثلة إتباعية من هذا النّوع:

"شيطان ليطان"، التقدير: "هذا رجل شيطان ليطان"

هذا: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ.

رجل: خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

1- أما مصطلح "الإتباع"، فقد ورد في تعريف، إتباع التوابع الأربعة، وفي الإتباع اللفظي، إتباع الكلمة الكلمة، و في إتباع الحرف للحرف والحركة للحركة ينظر. ينظر. م. س. ص33.

2- ابن فارس. الصاحبي في فقه اللّغة. ص209

3- التهناوي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ص425

4- لا يهمّنا اختلاف التّسمية "تابع" أو تبَعٌ" ؛ ما دام المراد واحدا.

شيطانٌ: صفة لـــ "رجل" مرفوعة وعلامة رفعها الضمة الظاهرة، وهي مؤوّلة بالوصف، أي بمعنى خبيث أو ماكر.
ليطانٌ: تابع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

على أنّ للنحاة فيها أقوالا منها أن بعضهم جعلها من التوكيد اللفظي، وبعضهم أنكر ذلك لأن "ليطان" لا يستغنى بها عن المؤكَّد، ولم تسمع عن العرب إلاّ تالية لكلمة شيطان. وهي تابع، ولكن لا تنطبق عليها ضوابط أي من التوابع الأربعة بشكل تام، إذ أنها تابع فحسب جاء للتقوية أو التزيين. ومن هذا الباب: "حسنٌ بسنٌ"، "عفريت نفريت"، "ساغب لاغب" ...الخ. ويلاحظ على هذه الألفاظ ونظائرها:

أ-أنّها مسموعة، يقتصر على استعمالها في مركّباتها، كما سمعت -وردت في كتب التراث الإتباعي- وليست قياسية.
ب-إعرابها تابعا، بكونها تتبع المتبوع في الوزن ومعظم الحروف.
ج- يعرب كلّ لفظ منها، هذا الإعراب؛ عندما لا يكون للتّابع معنى مستقل؛ أي أنّه لم يسمع منفردا، فإن كان له معنى مستقلّ؛ أي يفرد في الكلام، أُعرب على حسب المعنى، ويدرج ضمن أحد التّوابع المعروفة تبعا لمعناه في سياق الكلام.

ومن باب التعدّد في التّحليل النّحوي، يمكن أن يكون للمركّب الإتباعي وجه آخر في الإعراب؛ حيث ينطلق في إعرابه من الجملة الاسمية، تبعا للأمثلة الإتباعية"[1]":

أ-اعتبار الجملة الاسمية مختزلة المبتدأ، تتكوّن من: مبتدأ محذوف + خبر أوّل +خبر ثان: مبتدأ محذوف+ ساغب+ لاغب
ب- الجملة الاسمية التّامّة وتتكوّن من: مبتدأ + خبر أوّل + خبر ثان، في مثل: رجلٌ + خائبٌ + لائبٌ، "هو رفيقٌ وفيقٌ"
ج- لا علاقة لهذه الإتباعات وأمثالها بالّتوابع الأربعة المعروفة.

1- ينظر. عطيّة سليمان أحمد. الإتباع والمزاوجة في ضوء الدرس اللّغوي الحديث. ص90،91.

ومن الأهمّية بمكان أن نذكّر، بأنّ الوقوف عند الإعراب يحرمنا من الاطّلاع على أسرار العربية ومقدرتها في التعبير، وعلى أساليبها المتنوّعة، وما تتضمّنه من دلالة"[1]". وممّا أُثِر عن بعض المتقدّمين من العلماء، أن وظيفة الحركة الإعرابية لا تعدو أن تكون لوصل الكلمات بعضها ببعض في الكلام المتّصل، لذلك جاز سقوطها في الوقف وجاز سقوطها في بعض المواضع من الشعر، وإن اعتبروا هذا من الضرورات الشعرية"[2]".

ومن ثمّ لا تخضع الظّواهر الإنسانية في أثناء دراستها لأحكام حاسمة؛ لأنّها تعكس طبيعة الإنسان المعقّدة المُحيّرة. واللّغة أهمّ الظواهر التي تعكس طبيعة الإنسان، مما يفسّر وجود عناصر تركيبية لغوية، لا يعرف لها وجه محدّد ولا يمكننا أن نجد لها أسبابا سوى طبيعة اللّغة"[3]"، ولا تخضع للأحكام المطلقة، وقد تتعدّد أوجه تفسيرها.

وتفسير "**تمّـــام حســـان**" الظاهرة الإتباعية اللّفظية، بأنّه ليس « لهذا النوع من الإتباع مبرّر من القاعدة؛ ولهذا السبب، لا يمكن تفسير الإتباع على اللّفظ إلا في ضوء المناسبة الصوتية الموسيقية بين صوتين حين تتضافر القرائن على بيان المحلّ، فلا يحتاج إلى حركة التّابع بين القرائن الدالة عليه»"[4]"، يجمع بين المناسبة الصوتية الموسيقية بين صوتين من جانب؛ إذ الظاهرة الإتباعية صوتية بطبيعتها، الغرض منها تحقيق الانسجام –كما تقدّم شرحه–. ومن جانب آخر، عدم الحاجة إلى حركة التّابع، نظرا لتوفّر القرائن؛ لأنّ توفّر هذه الأخيرة يوضّح المقصود، فيُؤْمَن اللّبس، ويفهم القصد؛ إذ التّابع، عامّة لا يحتاج إلى ضبط آخره بالحركة؛ لأنّ التّعبير بالمركّب

1 –ينظر. إبراهيم مصطفى. إحياء النحو. ص2.

2 – م. س. ص20.

3– محمود حسن الجاسم. أسباب التعدّد في التحليل النحوي. ص107. جامعة حلب كلية الآداب. قسم اللغة العربية. ***uqu. edu. sa/files2/tiny_mce/plugins/. . . /4. pdf*** عن داود عبده. التقدير وظاهر اللّفظ. **ص7.** مجلة الفكر العربي، ع8–9، معهد الإنماء العربي. بيروت، 1978–1979م.

4 –تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص274.

الإتباعي، يلتزم فيه بطريقة واحدة، من حيث ترتيب ركْنيه؛ المتبوع أوّلا، فالتّابع ثانيا، في مثل: "بلْقع سلْقع"، "عِفْرِية نِفْرية"، "عفْش نفْش""[1]" ونحوه من المركّبات.

خلاصة :

وخلاصة لما تقدّم الحديث فيه، نسوق ما يلي:

أ- معنى المركّب، لا يتحقّق إلاّ باجتماع المعاني الجزئية، وهذا سبب تأليف الألفاظ المفردة، التي لكلّ لفظ منها معنى جزئي.

ب- اهتمام النّحاة، بمسألتين هامّتين، تتمثّلان في النّظر في علاقة المركّبات غير الإسنادية بالمركّبات الإسنادية وعلاقة المركّبات غير الإسنادية مع بعضها، ممّا يدلّ على إدراكهم العلاقات القائمة بينها، وإقبالهم على استكشاف هذه العلاقات المتشابكة الرّابطة، بين الظواهر التركيبية؛ ولعلّهم انطلقوا في بحثهم من سؤال، نطرحه نحن بدورنا، ما هو أصل هذا المركّب أو ذاك ؟ وما علاقته بالتراكيب الأخرى؟

ج-**المركّب الإتباعي** قسمان:

القسم الأوّل:

مركّب إتباعي، وثيق الصّلة بالمركّب العددي، وبالمركّب العطفي وبالمركّب الظّرفي وشبه الجملة -الجار والمجرور-. أنّه تمّ اشتقاق أو توليد المركّب الإتباعي- التضمُّني، بفضل عملية التّحويل، وهذا بحذف أحد عناصر المركّب -الواو أو حرف الجرّ-؛ تخفيفا وإيجازا، بحيث صار جزءا المركّب، بمنزلة الاسم الواحد. فالإتباع في بعض أمثلته- نتاج عملية تحويل عن تراكيب أخرى؛ والتّغيير في الشكل، يؤدّي إلى

1 -بلقع سلقع: فراغ، عفرية نفرية، عفريت نفريت: خبث ودهاء، عفش نفش":لا خير فيه. ينظر. رفائيل نخلة. غرائب اللّغة. ص 56،60.

تغيير في الوظيفة. وبناء على هذه العلاقات الخفيّة القائمة بين المركّبات غير الإسنادية، جاء حديث المركّبات في أبواب نحوية متفرّقة.

القسم الثاني:

مركّب إتباعي: عبارة عن " مبتدأ محذوف + خبر متبوع +تابع"، وهذا في حال عدم إمكانية إفراد التّبَع.

د- الرّتبة في المركّب الإتباعي محفوظة، شأنه في هذا شأن التّوابع؛ إذ توالي الألفاظ على نمط تركيبي واحد:متبوع 1 + تابع 2= مركّب. وهذا التّلازم في المركّب الإتباعي، أهّله؛ ليصنّف مع المتلازمات اللّفظية. كما أنّ للتّابع، إمكانية التعدّد وجائز فيه الوصل والفصل بالواو دون حروف العطف الأخرى.

هـ- قد تتعدّد أوجه الإعراب في المركّب الاسمي في مثل "خاتم حديد"؛ تبعا لتغيّر الوظيفة في السّياق. ودلالة العبارة، لا علاقة لها بالمعنى المعجمي، والمؤكّد لها، هو السّياق الاستعمالي. فالقيمة الدلالية تكمن في المعنى الذي تفيده العبارة الإتباعية، المكوّنة من تلازم كلمتيْ المركّب. ويمكن التمثيل لولادة مركّب الإتباع بالنموذج التالي:

مرحلة أولى: فكرة +إدراك+عبارة لغوية= حاردوس"[1]"

مرحلة ثانية: فكرة +عفوية+ عبارة سمعية= ماردوس

وهكذا يأتي المركّب الإتباعي خاضعا لشكل محدّد، معبّرا عن حاجة المتكلّم، وممتعا للسّامع. كما أنّ قصر العبارة والنّمط الاطّرادي فيه، موافق لترتيب المعاني في النّفس. وهذه المعاني لا يمكن إدراكها إلاّ بالنّظر في المعنى ملازما للأشكال

1 - ينظر. الفصل الأوّل .

والتّراكيب، أي علاقة النحو بالدلالة"[1]". ونظرا لكون التّركيب، بمثابة الرّكيزة التي تستند إليها الدلالة، يأتي الفصل الموالي لاحقا به، لتكتمل فيه الدّوائر الثّلاث: التّشكيل الصوتي والمباني والتّركيب.

1 – على منهج عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز، الذي قال فيه د. إبراهيم مصطفى «ولقد آن لمذهب عبد القاهر أن يحيا وأن يكون هو سبيل البحث النحوي، فإن من العقول ما أفاق لحظة من التفكير والتحرر وأنّ الحِسّ اللغوي ، أخذ ينتعش ويتذوق الأساليب ويزنها بقدراتها على رسم المعاني والتأثير بها من بعد ما عاف الصناعات اللفظية وسئم زخارفها » إبراهيم مصطفى. إحياء النحو. ص16، 20.

الفصل الرابع

المستوى الـدلالـي

توطئة:

يعدّ المستوى الدّلالي"[1]" من أسمى مستويات اللّغة؛ إذ هو غاية كلّ دراسة لغوية وبعد تفكيك المركّب الإتباعي، والتعرّف على بنائه الصّوتي والصّرفي، والكشف عن علاقته بالمركّبات الأخرى، والوقوف على العلاقة الرابطة بين التّابع ومتبوعه على المستوى التركيبي النّحوي، نواصل استنطاق العبارة الإتباعية في هذا الفصل؛ للوصول إلى المعنى في صورته الشاملة؛ لأنّ المعنى يمثّل النتيجة المرجوّة من كلّ عبارة أو رسالة؛ وهو خلاصة ما يعبّر به المتكلّم عن فكرته أو يودّ نقله إلى المتلقّي. ومن الملاحظ عند استحضار بعض الأمثلة الإتباعية، أنّ هذا المعنى لا يتحقّق من إدراك المعنى المعجمي للّفظ فقط، وإنّما يتعدّاه إلى ما وراء المعنى الظّاهر، وإلى ما هو خارج عن العملية الكلامية أحيانا.

استخدم البحث الطرق التحليلية الخاصّة بتحليل المعنى الوظيفي، وهي الصّوتيات والصّرف والنحو فيما سبق من مباحث. وقد تبيّن من خلال التّحليل إلى أيّ مدى يعتمد المركّب الإتباعي على المباني الصّرفية من جهة، وعلى الأصوات من جهة أخرى، وكيف أنّ المباني الصّرفية تتولّد بالاعتماد على التّغيير في الأصوات. وهذا التحليل يمكّننا من إدراك التكامل بين هذه الأنظمة التي تترابط في الاستعمال اللّغوي، متجسّدة متماسكة في المركّب الإتباعي؛ فلا يمكن الفصل بينها"[2]"؛ ومن هنا يعدّ المركّب هو الرّكيزة التي تستندُ إليها الدّلالة. وتبقى الحقائق المتوصّل إليها بواسطة التّحليل على هذه المستويات، جزئية بالنسبة إلى المعنى الدّلالي؛ ويأتي هذا الفصل، للبحث في

1- ينظر. مدخل البحث .

2-لا يمكن الفصل بينها إلاّ لأغراض التحليل فقط. ينظر تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص38.

المعنى الدّلالي للعبارة الإتباعية"[1]"، والتوقّف عند علاقتها ببعض الظّواهر الدّلالة، الصّوتية والصّرفية والتّركيبية .

ففي مثل العبارة الإتباعية المتداولة "حيصَ بيصَ" يقول "**أبو هلال العسكـــري**": «فأمّا حيْصَ بيْصَ، فتقول العرب: وقعوا في حيصَ بيْصَ، أي في اختلاط من أمرهم، لا مخرج لهم منه، وجعلا اسما واحدا»"[2]"، فالعبارة الإتباعية، حدث كلامي أنجز في سياق معيّن، له ملابساته، ويمكننا تصوّره لشفافية العبارة التي تفيد الوقوع في اختلاط في أمر ما، يصعب الخروج منه لتعقّده وعدم التحكّم فيه. أمّا حيص وبيص؛ فمكوّنان من مكوّنات العبارة.

وقبل تناول الوحدة الدلالية الأكثر شمولية، وهي العبارة الإتباعية بالتّحليل في ضوء هذا المفهوم الاصطلاحي، نتعرّض إلى الوحدة الدلالية الصغرى، وهي الكلمة المفردة "التّابع"، من الجانب المعجمي.

1– وصلنا التراث الإتباعي مكتوبا؛ ففقد بذلك عنصر المقام الاجتماعي، ولذا يحتاج الباحث إلى محاولة إعادة هذا المقام، عن طريق تصوّر الحدث .

2 –ينظر أبو هلال العسكري. جمهرة الأمثال. ج2. ص24. ضبط أحمد عبد السلام أبو هاجر. محمّد بن بسيوني زغلول. ط1. 1988 . ***www. waqfeya. com/book. php?bid=4368***

المبحث الأوّل:
الكلمـــة والتّابـــع

أ-نبذة عن مفهوم الكلمة وتحديد معالمها:

إنّ الكلمة، بوصفها عنصرا من عناصر النظام اللّغوي، قد حظيت باهتمام علماء اللّغة، قديما وحديثا، من حيث تعريفها وتحديد معالمها. ومن العلماء القدامى، "**الزّمخشـــري**"، الذي عرّفها بأنّها « اللّفظة الدّالّة على معنى مفرد بالوضع، وهي جنس تحته ثلاثة أنواع؛ الاسم والفعل والحرف»"[1]"، وفي تعريف "**الأشمونـــي**"، أنّها « اللّفظ المفرد، أي الصّوت المشتمل على بعض الحروف، مفيد بالوضع فائدة يحسن السكوت عليها، فخرج باللّفظ غيره من الدال، ما ليس بلفظ مثل الإشارة والخطّ»"[2]" من الواضح في التّعريفين، الاهتمام بالجانب الصّوتي وبالجانب الدّلالي، في تعريف الكلمة. ويحدّد ***Gardiner***"[3]، مفهوم الكلمة قائلا: « إنّ الكلمات ذات وجهين في طبيعتها: وجه هو المعنى، ووجه آخر هو الصّوت، والكلمات في حقيقتها نفسية، وهي مادّة للمعرفة والتّعليم، مع أنّ أحد جانبيها يشير إلى حدث عضوي، يمكن إعادته وفقا للإرادة»"[4]"، فللكلمة جانبان؛ أحدهما نفسي باطني، والثاني عضوي، مادّي. وفي هذا التعريف، نجد أثر ثنائية "**سوسيـــر**" لمفهوم العلامة التي تشمل الصّوت والدّلالة"[5]".

1- ابن يعيش. شرح المفصّل. ج1. ص19.

2- الأشموني علي بن محمد بن عيسى أبو الحسن نور الدين (900هـــ-1495هـــ.) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. "منهج السّالك إلى ألفية ابن مالك". تحقيق محي الدين عبد الحميد. ج1. ص16. نشر البابي الحلبي و أولاده . مصر. ط2. 1838هـــ- 1939م. *majles.alukah.net/showthread.php?100036*

3- ***égyptologue britannique*** ***(1963-1979)*** مؤرّخ و متخصّص في رموز الكتابة الهيروغليفية المصرية القديمة .***www.lexilogos.com/hieroglyphes_dictionnaire.htm***

4- كريم زكي حسام الدّين. التحليل الدلالي، إجراءاته ومناهجه. ص17.نسخة إلكترونية.
majles.alukah.net/showthread.php?52816-
ALAIN HENDERSON Gardiner . the theory of speech et language.p88. London1932.

5-ينظر كريم زكي حسام الدّين. التحليل الدلالي، إجراءاته ومناهجه. ص9.

وهذه الصّلة بين معنى اللّفظ الدال والمدلول أو المسمّى، قد تصبح غامضة أو تخفى على تقادم العهد ومرور الزمن، حتى تجهل علّة التسمية ومناسبة الوضع، وقد تبقى واضحة ظاهرة أو قابلة للكشف بقليل من التأمّل"[1]". والرأي في أنّ ألفاظ الإتباع – في الأصل–لا معنى لها، فيه نظر؛ ذلك أنّ « أداة الدلالة هي اللّفظ أو الكلمة، وتكاد تجمع المعاجم العربية على أنّ الألفاظ ترادف الكلمات في الاستعمال الشائع المألوف، فلا فرق أن يقال أحصينا ألفاظ اللّغة أو كلمات اللّغة »"[2]".

ويفيدنا "**تمـــام حســـان**" بتعريف للكلمة، يرتبط بوظيفتها العربية قائلا: « إنّها صيغة ذات وظيفة لغوية معيّنة في تركيب الجملة، تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم، وتصلح لأن تفرد أو تحذف أو تحشى أو يغيّر موضعها أو يستبدل بها غيرها في السّياق، وترجع في مادّتها غالبا إلى أصول ثلاثة، وقد تلحق بها زوائد»"[3]"، وفي موضع آخر، يذكر أنّ النّحاة، اتّخذوا الكلمة المفردة وحدة تحليلية للجملة وحملوها وظيفة الأبواب النّحوية المفردية لأسباب أهمّها:

- ✓ أنّها أصغر عنصر لغوي صالح للإفراد.
- ✓ أنّها تدلّ على معنى مفرد .
- ✓ أنّ لها صيغة صرفية معيّنة
- ✓ أنّها تعتبر نواة للواحق والزوائد .
- ✓ أنّها العنصر اللّغوي الوحيد الذي يظهر عليه الإعراب.
- ✓ وأنّها أصغر ما يصلح للتقديم والتأخير في السّياق.
- ✓ وأنّها تتطلّب غيرها ويتطلّبها غيرها"[4]".

1– محمد المبارك. فقه اللغة وخصائص العربية. ص192.

2– إبراهيم أنيس. دلالة الألفاظ. ص29. مكتبة الأنجلو المصرية. مط محمد عبد الكريم حسان. القاهرة. د. ت

3– تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 232. ***majles.alukah.net/showthread.php?47206***

4–تمام حسان. الأصول، دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو – فقه اللغة – البلاغة. ص 284. عالم الكتب القاهرة. 2000 م***http://www. archive. org/download/ooso. . . ool_hassan. pdf***

ب-التّابع:

في ضوء الاعتبار الأخير، الذي يعتبر مطلبا تركيبيا، يتجسّد فيه التماسك والتّلازم؛ نضع اللّفظ "التّابع"؛ لأنّ المركّب الإتباعي، يتحقّق فيه التّلازم اللّفظي"[1]. وقد أكّد "**سيبـــويه**" وجوده، متمثّلا في عبارات مركّبة في اللّغة، بقوله: « وأمّا أيادي سبا وقالي قلا وبادي بدا؛ فإنّما هي بمنزلة خمسة عشر وأخواتها، فهما شيئان جُعلا اسما واحدا ونحو هذا في كلامهم :حَيْصَ بَيْصَ»"[2]. هذه العبارات، أُجْرِي فيها الاسمان مجرى الاسم الواحد، وهي في "الكتاب" من شواهد العربية، فالمركّب عبارة عن كلمتين أو مجموعة من الكلمات ترد مع بعضها بعضا، بشكل دائم وثابت في مختلف السياقات"[3]. وقد سبق تعريف الإتباع، على أنّه عبارة عن « تأكيد الكلمة، بضمّ كلمة أخرى إليها، لا معنى لها في ذاتها، غير أنّها تساويها في الصيغة والقافية، بغرض الزينة اللّفظية وتأكيد المعنى»"[4]"، والكلمة الثانية تسمّى "التّابع" أو "التّبع""[5]".

ج-أنواع التّابع:

قسّم اللّغويون العرب، التّابع، بحسب معناه إلى ثلاثة أقسام:

- ✓ كلمة الإتباع لها معنى واضح، مثل: "هنيئا مريئا""[6]".
- ✓ كلمة الإتباع لا معنى لها على الإطلاق، ولا تُستعْمل وحدها؛ مثل: "شيطانٌ ليطانٌ"، و"حسنٌ بسنٌ، التّابع في هاذين المثالين، ضُمَّ إلى الأوّل لتزيين الكلام لفظا وتقويته معنى، وإن لم يكن له في الإفراد معنى. في مثل"حسن بسن قسن".

1- ينظر الفصل الثالث من هذا البحث. ص 17.

2 – سيبويه. الكتاب. ج3 ص 304.

3-عبد الزاق بن عمر. المتلازمات اللّفظية في اللغة والقواميس العربية. ص 22. نشر مجمّع الأطرش. تونس 2007.

4 – رمضان عبد التواب. فصول في فقه اللغة ص 246.

5- "التّابع، و التّبع": بمعنى واحد. ينظر الفصل الثالث من هذا البحث. ص55.

6 -﴿ فإِنْ طِبْنَ لكم عن شيءٍ منه نفْساً، فكُلوه هَنيئاً مَريئاً﴾ الآية4. سورة النساء.

- ✓ كلمة لها معنى متكلّف، غير ظاهر مُستخرج من الأولى. مثل :"خبيثٌ نبيثٌ"؛ وهذا التكلّف مقبول في مركّب الإتباع؛ لأنّه يستند إلى المؤثّر الصّوتي، الواصل بين المتكلّم، المبدع للعبارة الإتباعية والمتلقّي. ولكنّ الأصل في علاقة اللّفظ بالمعنى، يوضّحه السكّاكي في تعليقه على المحسّنات اللّفظية، قائلا: « وأصل الحُسن في جميع ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعاني، لا أن تكون المعاني لها توابع؛ أعني ألاّ تكون متكلّفة»"[1]، فالكلمات ومعانيها معرّضة كلّها للتطوّر واللّغة ليست جامدة، برغم أنّ فعالية نشاطها في التّجديد يبدو بطيئا في الأصوات والتراكيب"[2].

وهنا، يحسن التّذكير بالإشكالية التي كانت محلّ نقاشات القدامى، وقد تمركزت في التابع الواضح المعنى؛ فهذا الصّنف كان من النقاط الساخنة، وبؤر التوتّر عندهم؛ فمن مُدرج إيّاه في الإتباع، ومن مخرج له إلى أبواب أخرى غير إتباعية، مثل التوكيد والمشاكلة والمماثلة ونحو ذلك"[3]؛ لأنّ الأصل في التّابع أن يكون لفظا مفرغا من أيّ معنى. والملاحظ على ألفاظ الظّاهرة الإتباعية، الموصوفة بالغرابة؛ أنّها أسهمت في إثراء مادّة المعجم العربي.

د- مساهمة الإتباع في تكثير الثّروة المعجمية:

يتبيّن لمتتبّع المادّة اللّغوية الإتباعية، أنّها معجمية الطّابع؛ إذ اهتمّت المعاجم بالمثال وبتفسيره، وكان القدامى، قد عدّوا الإتباع ضربا من الغريب والنّادر في اللّغة"[4]. والغريب"[5]" الغامض من الكلام، وفي اللّغة ألفاظ نادرة الاستعمال، توصف

1- السكّاكي. مفتاح العلوم. ص182.

2-ستيفن أولمان. دور الكلمة في اللّغة. ترجمة كمال محمّد بشر. ص156. مكتبة الشباب. مصر. د. ت ***http://www. 4shared. com/get/9-UXZ4Uj/___. html***

3- ينظر. لأقطش. إتباع الإيقاع. ص145.

4- ينظر. أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي. الغريب المصنّف في اللغة .

5- ابن منظور. لسان العرب. ج1. ص587.

بالغرابة. وبحكم أنّ اللغة متطوّرة وليست ثابتة، فهي تشهد نموّا و تطوّرا في بعض جوانبها؛ فتتسرّب إلى اللغة المستعملة، ألفاظ قديمة، تصبح غريبة المعنى. وكانت قضيّة الغريب تستهوي اللّغويين، بالإقبال عليها، جمعا وتصنيفا"[1]". ومن ذلك مسألة المركّب "الخاز باز""[2]" مثلا؛ ممّا أنتج مادّة لغوية إتباعية، ساهمت في إثراء المعجم، من خلال المسارب التالية"[3]": توليد التابع– تعدّد التاب–تفسير التابع – معجمة التابع – التّصحيف.

وفيما يلي التّفصيل في المسارب المذكورة سابقا:

أ– توليد التّابع و تعدّده :

لقد سبق التعرّض لتأصيل التّابع في الفصلين الأوّليْن، ومن بين ما توصّل إليه البحث من نتائج؛ أنّ اللّفظ التابع، ما هو إلاّ نظير للكلمة الأولى "المتبوع"، وهي نقطة الارتكاز؛ فبها يتأثّر في الوزن والرويّ، وعلى نسقها تتشكّل بنيته الصّرفية"[4]". أمّا القيمة الدلالية للعبارة الإتباعية؛ فتكمنُ في الصورة الصوتية المسموعة من كليهما.

أما مسألة تشكّل التّابع، فقد تعرّض لها البحث في الفصلين الأوّل والثاني وما بعده. وبناء على كيفية توليده، وظيفته في المركّب، عدّ كلمة زائدة، والزّيادة في اللغة، بمعنى النموّ وزاد الشيء، ازداد"[5]"، وبإمكاننا إسقاط، مفهوم النّمو على المركّب الإتباعي؛ من حيث أنّ التّابع لفظ زائد على اللّفظ الأوّل الأساس، يؤتى به للزينة والتّأكيد.

1–ينظر مدخل البحث .

2–ينظر الفصل الثالث .

3–ينظر الأقطش. إتباع الإيقاع في اللغة العربية. ص160.

4– ينظر الفصل الأوّل والثاني من هذا البحث.

5– ينظر ابن منظور. لسان العرب ج2. ص 592.

ويتبيّن لمتتبّع العبارات الإتباعية؛ أنّ وظيفة الإتباع، تتجسّد في توليد المفردات؛ فهو مظهر من مظاهر التوليد، ويتمّ هذا الإجراء، بالإتيان بلفظ زائد على نسق متبوعه، يوتَد به الكلام، فيقوى تأثيره، ويكون الإتباع بمعنى الزّيادة للتّكثيف، وقد سمّاه ديفيد جستس: ***à peu près*** "ما يأتي زيادة على""[1]"، أي أنّ التابع لفظ زائد لا معنى له في الأصل". وتكاد معظم أشكال التّوليد والارتجال في اللغة تنحصر في الصّيغ الصّرفيّة، وهذا التّوليد مشروط بصحّة المعنى، فالصّيغة صالحة للتّوليد بناءً على ما تدلُّ عليه من معان أو بناء على ما يسمح به المعنى"[2]". والتوليد في المركّب الإتباعي، يتمّ بالإجراء الصّوت صرفي الذي تعرّضنا له فيما سبق، وتبقى الإشارة إلى أنّه قد ينتج التابع في بعض العبارات، عن طريق الاشتقاق.

يمكن أن يُشتَقّ العنصرُ الثاني الذي لا وجود له في غير هذا المكان ، من العنصر الأول، كما في المركّب "آكِدِ بالِد"، ليعني: "دائم" وهذا قياسًا على: "خالِد". وبشكل مماثل، التابعُ في مثل: "كثير بَثير"، و"بَثير بَذير"، كما يمكن أن تكون كلمة "بثير" نفسها أساسا، تصاغ منه كلمة أخرى، هي "بذير"، فهي تختلف عن "كثير"في صامتين، فلا تولد مباشرة منها بالطريقة المألوفة التي سبق التعرّض لها فيما سبق، وبالفرنسية مثلا: "***pif, paf, pouf***"."[3]"

وبهذا التوسّع في توليد كلمات على نسق مطّرد؛ يتحوّل شكل العبارة؛ من الشّكل الثنائي نحو "حسن بسن"، وحارّ يارّ. إلى لفظين بعد المتبوع في مثل"حسنٌ بسن قسن"، فهذه زيادة على التتابع الثنائي، ويعني المتتابعان كلاهما جيّد جدّا ***pretty pretty joli joli*** ، والأمثلة من هذا النوع تعدّ أصداء لأصداء، وليست إلا انحرافا عن الإجراء

1- ديفيد جستس. دلالة الشكل في العربية في ضوء اللّغات الأوروبية. ص132. ترجمة حمزة بن قبلان المزيني. ص70.

2- تمام حسان. اللغة العربيّة معناها ومبناها. ص 151.

3- ديفيد جستس. دلالة الشكل في العربية في ضوء اللّغات الأوروبية. ص70.

الثنائي أساسا"[1]"؛ لأنّ الأصل المكوّن من كلمتين هو الأقرب إلى الأصل التعبيري، والأكثر استعمالا؛ نظرا لإيجازه وكثافته، كما يمكن ملاحظته عند الإنتاج الفوري للأطفال. وفي مثل العبارة: "رجل كزّ لزّ" الواردة في قول "**ابن خالــويه**": « حدّثنا أبو عمر عن ثعلب عن ابن الأعرابي، قال: قيل لأعرابي: ما تريدون من قولكم: "رجل كَزٌّ لزٌّ"، فقال: حرف نتِد به كلامنا؛ أي نؤكّد به»"[2]"، ولا يفوتنا أن نقف عند ظاهرة تعدّد التابع وعرض بعض آراء العلماء فيها.

ب- **دلالة الزّيادة في العبارة الإتباعية :**

من الإتباع ما يقوم على تعدّد التابع، في مثل العبارة التي ترد كثيرا في شواهد النّحاة، في وصف جمع من النّاس" أجمعين أكتعين أبصعين""[3]". تحدث عملية تكاثر الإتباعات في العبارة الإتباعية، بأن يُتَّخذ التّابع، أساسا في التوليد؛ فيقال في الدّلالة على الكثرة: إنّه لكثيرٌ نثيرٌ بثير بذير عقير، وعمير أيضا، وهذا التوسّع يتجاوز التّركيب الأصلي، تعبيرا عن إلحاح المتكلّم وحرصه على تحقيق غرض ما في نفسه.

فإذا كان التّابع في المركّب الثنائي، هو كلمة زائدة، "شيئا" يوتد به الكلام؛ فإنّ امتداد تردّد هذه الأصداء، يرتبط بطول نفَس المتكلّم من جانب، وبسعَة صدر المتلقّي من جانب آخر. غير أنّ طول هذا النّفس في إنتاج الإتباعات في العبارة، قد يتوقّف عند عدد حدّده "**ابن خالــويه**" قائلا: « ليس في كلام العرب: إتباع بخمسة أحرف، إلا في كلمة واحدة "مالٌ كثيرٌ بثيرٌ غمير مرير بجير بذير"، وقيل: "مجير"، فأمّا الثلاث والإثنان فكثير، نحو قولهم"حسن بسن قسن"، و"حار يارّ جارّ"»"[4]"، فالإتباع الثنائي هو

1 – ديفيد جستس. دلالة الشكل في العربية في ضوء اللّغات الأوروبية. ص70.

2– الحسين بن أحمد بن خالويه (ت 370هـ). ليس في كلام العرب. ص 32. تح. أحمد عبد الغفور العطار. مكّة المكرمة. ط2. 1979. ***http://www. 4shared. com/file/70601620/3611124/_____. html.***

3– ينظر أبو الطيّب. الإتباع. ص 16.

4 – ابن خالويه. ليس في كلام العرب. ص 32.

الأكثر استعمالا نظرا لإيجازه، ثمّ يليه الثلاثي. وقد يبدو هذا الأسلوب في الزيادة، متعارضا ومبدأ اللغة في الإقتصاد. والواقع، أنّ هذا التعدّد، ما هو إلا انحراف عن الإجراء الثنائي الأصل، وهو الأساس، ويمكن اعتبار هذه الزيادة، توسّعا في الدّلالة.

وإذا عرفنا أنّ « دلالة زيادة الأحرف على أصول الكلمة الواحدة، نشأت بعد أن تشعّبت حاجات الإنسان إلى تلك الحاجّ، ولم تأت سِراعا ولا عفوا ولا فورا، بل جاءت شيئا بعد شيء، فتزاد الأحرف للدّلالة على حاجه الجديدة »"[1]"، فكذلك زيادة الألفاظ، تأتي إشباعا لحاجة في نفس المتكلّم، وكأنّه يكرّر اللّفظ نفسه؛ « لأنّ اللفظَ المكرَّر بوجه عام ــ هو مصدرُ الإثارة وقانون رئيس من قوانين تداعي المعاني»"[2]"، وهكذا يتمّ توليد عدد من الإتباعات، عن طريق التلعّب باستبدال بعض صوامت الصّدارة في الألفاظ، ممّا يدلّ على أنّ التوليد يمدّ اللغة بما لا ينتهي، على المستوى الصوتي والصرفي والدلالي، ممّا يجعل مادّة المعجم تزداد ثراء.

أورد "**ديفـــيد جسْتـــس**" رأي أحد اللّغويين الغربيين، مفاده، أنّ العرب مُغرَمون بالتلعّب بالكلمات على حساب الفكر"[3]"، وقد ردّ على هذا الاتّهام، برأي مخالف يلخّص في كون ظاهرة التلعّب بالكلمات موجودة في أكثر اللغات إن لم يكن كلّها، بل إنّه يرى، أنّ بنية اللغة العربية تلائم بصورة خاصّة التّنكيت والعبارات المسجوعة التي تُستخدم في التّنكيت وغير ذلك، ثمّ أثار سؤالا: هل هذا التلعّب بالكلمات في أثناء الحديث من غير هدف، ولا يؤدّي إلى تغيير المعنى؟ أم أنّه يخفي وراءه رسالة ما؟"[4]"، ويجيب قائلا: « فنحن الذين تعوّدنا في الغرب على سماع الأكاذيب والنّكات، تُصاغ باستعمال

1- الأب أنستاس ماري الكرملي (1866- 1947م). نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها. ص15. المطبعة العصرية. القاهرة 1938. [1] ***lisaanularab. blogspot. com/. . . /blog-post_5683. htm*** .

2- السيد علي عزّ الدين. التكرير بين المثير والتأثير، ص137. دار الطباعة المحمدية، القاهرة. ط2. 1978. ***www.4shared.com/file/141118734/.../_____.htm***

3- ينظر. ديفيد جستس. دلالة الشكل في العربية في ضوء اللّغات الأوروبية. ص132.

4- ينظر. م.س. ص132.

نثر عادٍ عاطلٍ من أيّة حِلْية لفظية»"[1]". وخلاصة رأيه في التلعّب بالكلمات؛ أنّه لا يمكن أن نعدّ التلعّب بالكلمات والتفكير الجادّ أمرين لا يمكن الجمع بينهما. وفي حال تعدّد التابع –الكلمة الزائدة – تُتبع زيادة بزيادة، أي بصياغة ألفاظ على نسق المتبوع، تزيّنها غنّة تنوين موسومة بسمة التنكير"[2]"؛ المفيد في تكثيف الدّلالة على الكثرة والمبالغة، قصد إقناع الآخر أو إثارة انتباهه.

ج–تفسير التّابع:

كان لتفسير التّابع، أثره في زيادة ألفاظ المعجم، عند محاولة قدامى اللّغويين إيجاد معنى للّفظ التابع، في مثل ما كان له بلطف الصّنعة معنى، نحو "ليطان" و"بسن"، و"نطشان" في المركّبات "شيطان ليطان وحسن بسن، و"عطشان نطشان". وقد راعوا في هذا، ثنائية المبنى والمعنى المعجمي، في عملية التواصل؛ لأنّ قوّة اللّفظ، تنبئ عن قوّة المعنى في مفهومهم. وبناء على هذا المنظور الضيّق، لم يمنح الجانب النّفسي والتنغيمي، نصيبه من الاهتمام، وهو جانب مهمّ، يعتبر نشاطا حيويا من نشاطات اللّغة. « على أن ّالإعجاب بالعربية لا ينصبّ إلا على الفصيح منها، فهم لم يأبهوا باللسان الدارج السائر الذي يبعد عن الفصيح، وتمسّكهم بالفصيح أدّى إلى نظرة ضيّقة شاعت في نقدهم للنصوص، فقد حصروا الفصيح، من لسان الجزيرة لغة الجاهليين والصدر الأول للإسلام، وهذه النظرة الضيّقة، لم تفِد العربية، ممّا أدّى إلى ضياع شيء من العربية، لم يصلنا، لأنّهم لم يهتموا به، لبعده عما توهّموه فصيحا»"[3]"، فأين المقياس في هذا الحكم ؟.

1– ديفيد جستس. دلالة الشكل في العربية في ضوء اللّغات الأوروبية.ص57.

2 –أبو الطيب. الإتباع. ص 62.

3– إبراهيم السامرّائي. فقه اللغة المقارن. ص 11. دار العلم للملايين. ط3. 1983. ***http://www. archive. org/download/yyrr4/yyrr4. pdf***

كلّ ما في الأمر أنّ أُرتجلت ألفاظ ارتجالا، من باب التلطّف في الصّنعة"[1]"، وهذا لتحقيق أغراض تخدم الانسجام الصّوتي. ومن هنا اعتبر"التابع" أو "التَّبَع"؛ أي العنصر الثاني في العبارة الإتباعية، زائدا، فأثار إشكالية، تمثّلت في سؤال ابن الأعرابي « أيّ شيء معنى "شيطان ليطان"؟»"[2]"، وكان الجواب في قولهم: « شيءٌ نَتِد به كلامَنا: نشدُّه»"[3]"، وقال "**الآمـــدي**": « التَّبع لا يفيد معنى أصلا؛ ولهذا قال ابن دريد: سألت أبا حاتم"[4]" عن معنى قولهم "بسن"، فقال: "لا أدري !"»"[5]".

إنّ الجواب بالنّفي، يمثّل منطلقا لافتراضات ومباحث تتعلّق باللّفظ والمعنى؛ فمضمون القول، أنّ التّابع "شيء"، يفيد التّقوية، والشّيء هنا، هو اللّفظ، الوتِد المثبِّت والمُقويّ للفكرة المعبّر عنها، إلا أنّ هذا اللّفظ الذي يلجأ إليه ابن اللّغة، يكتنفه الغموض، ومن ثمّ الغرابة "لا أدري !"؛ فبينما الكلمة الأولى –المتبوع –، تحمل معنى في ذاتها، وصورتها مدركة، فالكلمة الثانية التابعة؛– موضع التّساؤل–، مفرغة من أيّة دلالة معجمية –في الأصل–فالرمز الصوتي موجود، والرسم الإملائي كذلك –فيما بعد، ولكنّ الصورة الذهنية لهذا "الشّيء" غائبة؛ فأيّ معنى للمفردات "سلقع، وأصاة، وبطائط"، في المركّبات: "بلقع سلقع"، و"حصاة أصاة "، و"حطائط بطائط"؟ فما اشتقاقها وما تأصيلها، وما نوع العلاقة اللّغوية الكائنة بين كلمتيْ المركّب الإتباعي؟ قد تصادفنا عبارة إتباعية؛ فنستغرب من لفظ التابع فيها. والأجدر بنا في هذه الحال، أن نحذر من التسرّع في نفي وجود معنى للّفظ التّابع، وقد جاء في تعقيب السّبكي"[6]" « والتّحقيق أنّ

1– هذه العبارة واردة في محاولة إيجاد معنى للّفظ التابع، في مثل "بسن في "حسن بسن". ينظر القالي. الأمالي. ج2 ص 219.

2– السيوطي. المزهر. ج1. ص326.

3–م. س. ص326.

4– هوسهل بن محمد، أبو حاتم السجستاني الجشمي النحوي اللغوي المقرئ . ت 250هـ .كان إماماً في غريب القرآن واللغة والشعر وعليه اعتمد ابن دريد ت321هـ في كتابه "الجمهرة"، وروى شيئا من الحديث. ***www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia***

5– السيوطي. المزهر ج1. ص325.

6– أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي. ولد بسُبْك، قرية مصرية من قرى محافظة المنوفية بمصر عام 683هـ–.1284 ت 756هـ –1355م.

التّابع يفيد التّقوية، فإنّ العرب لا تضعه سدىً، وجهل أبي حاتم بمعناه لا يضرّ، بل مقتضى قوله: "إنّه لا يدري" معناه أنّ له معنى، وهو لا يعرفه»"[1]"؛ فعدم دراية السّامع بمعنى اللّفظ التابع، لا يعني فراغ هذا اللّفظ–الذي يبدو له غريبا–، من أيّ معنى. وقد اهتمّ ""**القالـــي** "" بتفسير ألفاظ الإتباع بعد تصنيفه، في قوله: « الإتباع على ضربين: فضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأوّل، فيؤتى به تأكيدا؛ لأنّ لفظه مخالف للفظ الأول، وضرب فيه الثاني غير معنى الأوّل، فمن الإتباع قولهم: أسوان أتوان، في الحزن، فأسوان من قولهم: أسِي الرّجل يأسى إذا حزن، ورجل أسْيان وأسوان أي حزين. وأتوان من قولهم: أتوْته آتوه بمعنى أتيته، آتيه"[2]": ويقولون عطشان نطشان، فنطشان مأخوذ من قولهم: ما به نطيش، أي ما به حركة، فمعناه عطشان قلق»"[3]". ومن المحدثين، من يرى أنّ غريب اللّغة كمألوفها في ألفاظ الإتباع؛ فهي تخضع إلى ولادة طبيعية صوت صرفية، و« على اللّغوي أن يجهد فكره كي يقف على أسرار اللّغة هنا، فإذا لم تسعفه الخبرة والممارسة الطويلة في إيجاد تفسير لغوي مقنع، فعلى اللّغوي أن يتّهم حصاته، فما بلغه من العلم قليل، وما المثال الذي يتعرّض له بغريب، ولكنّه وأمثاله من اللّغويين هم الغرباء»"[4]". فقد « كان العرب يتصرفون في لغتهم، فيرتجلون ألفاظا قليلة ليست فيها ولا هي مأخوذة بالاشتقاق كما يصنع كثير من العامة اليوم، فقد يتّفق لأحدهم أن يضع كلمة يرتجلها لمعنى من المعاني على طريق التظرّف والتملّح، فلا تلبث أن تشيع وتصير من أصل اللغة وكذلك كان يفعل العرب»"[5]"، وهكذا يمكن أن

1– الإبهاج في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي ت685 هـــ. تح أحمد جمال الزمزمي. ص 245، 325. دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث . دبي .ط1.1424هـــ –2004م . ***http://www. archive. org/details/ibhaj***.

2 – وهي لغة هذيل قال خالد بن زهير:

يا قوم ما بالُ أبي ذؤيبٍ كنْتُ إذا أتَوْتُه من غيْبِ

يشمّ عطفي ويمسّ ثوبي كأنّني أربْتُه بريْبِ.

هو خالد بن زهير بن محرث الهذلي. ينظر. نورة الشملان. أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره. نشر عمادة شؤون المكتبات. جامعة الرياض. ط 1. 1980م ***http://www. archive. org/details/ThUaYB***

3 – القالي. الأمالي. ج2. ص 208.

4– الأقطش. إتباع الإيقاع. ص 160.

5–إبراهيم أنيس. من أسرار اللّغة. ص174.

يكون لأيّ لفظ –بدون معنى– من ألفاظ الإتباع، معنى قد وُضع له. ولنتأمّل الأمثلة الآتية: قال اللّغويون في معنى "بيّاك" اعتمدك بالتحيّة، ومنه قول الرّاجز"[1]":

لما تبيّيْنا أخا تميمٍ أعطى عطاءَ اللَّحزِ اللّئيمِ، أي تعمّدنا .

وقال آخر[2]:

باتت تبيَّا حوْضَها عُكوفا
مثلَ الصُّفوف لاقَتِ الصُّفوفا
وأنتِ لا تُغنينَ عنّي فُوفا.

و"بيّاك" بمعنى "اعتمدَك "، وبمعنى قصد، وبمعنى قرّب، و"حيّاك"، بمعنى أبقاك على الحياة، وقيل: "من استقبال المحيّا"، وقيل: "ملكّك وفرّحك"، وقيل سلّم عليك وهو من التحيّة والسلام"[3]". وقيل أنّ "بيّاك"، لما جاءت مع حيّاك، حذفت الهمزة وحوّلت الواو ياءً، حتى يتحقّق الانسجام الصّوتي، بإجراء هذه الملاءمة الصوتية، وهي في معنى هيّأك وبوّأك"[4]". وقال "**الكسائـــي**، مناقشا مسألة الإتباع « وأما حديث آدم عليه السلام حين قتل ابنه، فمكث مائة سنة لا يضحك، ثمّ قيل له: حيّاك الله وبيّاك. قال: وما بيّاك؟ قيل: أضحكك. فإنّ بعض الناس يقول في بيّاك، إنّه إتباع، وهو عندي على ما جاء تفسيره في الحديث، إنّه ليس بإتباع»"[5]"، وحكم "**الكسائـــي**"على لفظة "بيّاك"؛ أنّها ليست إتباعا، نظرا لوجود الواو الفاصلة بينها وبين "حيّاك".

1–جاء في هامش الإتباع ص 24: أنشده ابن الأعرابي شاهدا على أنّ معنى "بيّاك: قصدك واعتمدك، بالملك والتحيّة من: تبيّيْت الشيء تعمّدته، واللّحز :البخيل الشحيح. وينظر الأزهري. تهذيب الألفاظ. ص585.

2–وصف بهذا الرجز الإبل، تقصد الحوض لتشرب، وشبّهها بالصّفوف من الناس التى تلقى مثلها وقوله: "أنتِ"،يعنى امرأته أي لا تعينيني على عمل شيء، وتريدين أن أمدحك من غير استحقاق. فوفا: أي شيئاً. هامش الإتباع. ص24. ينظر ابن سيدا. المخصّص. ج12. ص189.

3–ينظر ابن الاثير. النهاية في غريب الحديث والأثر. ج1. ص 471.

4– ينظر م. س. ص471.

5– ابن الاثير. النهاية في غريب الحديث والأثر. ج1. ص176، 471. و ينظرالسيوطي. المزهر. ص. 324.

وممّن أخرج لفظ "بيّاك" من ساحة الإتباع ،أحمد فارس الشّدياق في قوله: «أما حيّاك اللّه وبيّاك، فليس بإتباع»"[1]"، ويظهر أنّ إخراج "بيّاك" من الإتباع، راجع إلى تفسيره بـــ "أضحكك"، والتّابع في الأصل لا معنى له –عند بعض اللّغويين– وهذا لا ينفي أن يكون لفظ "بيّاك"، مجرّد سجعة نغمية مكرّرة للفظ "حيّاك"، وكأنّها تكرار لكلمة حيّاك، فبدلا من قول "حيّاك اللّه جدّا أو كثيرا"، اعتمد المتكلّم الإجراء الإتباعي الموجود في عامّيتهم آنذاك وفي عامّيتنا وعامّية غيرنا؛ فتولّد لفظ "بيّاك"، بفضل الارتجال. وما هذا الارتجال –هنا– إلاّ أسلوب الإيقاع الإتباعي؛ فهو الذي ولّد"[2]" لفظة "بيّاك"، على نسق "حيّاك"، ثمّ جاءت حاجة التفسير، فولّدت المشتقات الفعلية ل "بيّاك"، وهكذا دخلت هذه الألفاظ المشتقة في ثروتنا المعجمية، وصارت من مخزونها الثقافي"[3]".

ج– مَعْجمة التّابع:

تدعو ضرورة ترتيب المواد في المعجم إلى ملء الفراغ، بتوليد إتباعات مصنوعة، تلبّي مطالب جميع الحروف الهجائية، ونجد هذه الظاهرة في مذكرة أبي الطيّب اللّغوي، وقد تطرقنا إلى هذا المعجم في مخل البحث؛ فقد خصّ ظاهرة الإتباع بمذكّرة راعى فيها توالي الإتباعات وفق حروف الترتيب الهجائي حسب الصامت الأوّل من جذر الكلمة. أما "**ابن فـــارس**"، فقد رتّب مذكّرته على الحروف الهجائية مراعيا الصامت الأخير من الجذر. والفارق بين العملين؛ يتمثّل في أنّ الأوّل، جاء بأمثلة إتباعية على حروف الهجاء جميعها، عدا ثلاثة أحرف، قال فيها: « و لم نجد في الإتباع ولا في التوكيد حرفا أوّله ضادٌ ولا طاءٌ ولا ضادٌ»"[4]"، ولكنّ "**ابن فـــارس**" أورد لها إتباعات، استدعتها ضرورة ملء الفراغات من الحروف في الترتيب المعجمي. وهذه الضرورة تفسّر، ما يشدّ انتباه المتتبّع للمادّة الإتباعية، من ألفاظ

1– أحمد فارس الشدياق. سرّ الليال. ج1. ص86. المطبعة العامرة . الأستانة .1284هـ .
http://www.archive.org/details/sir-allayal
2– ينظر الفصل الثاني من هذا البحث .
3– ينظر الأقطش. إتباع الإيقاع. – بتصرّف –ص161.
4– أبو الطيّب. الإتباع. ص61.

مصنوعة، لا يستسيغها الحِسّ اللّغوي، في مثل: "ضالّ– تالّ"، "لا بارك ولا تارك"، "حسن – قسن"، "واحد– قاحد"، "سنيع – فنيع"،"حاذق– باذق"؛ فهذه الصّنعة في الأمثلة، تثري المعجم. هذا، إضافة إلى ما يمكن أن يحدث من تصحيف في بعض الألفاظ.

د– **التّصحيف في التّابع**

إنّ مسألة التّصحيف، واردة عند القدامى والمحدثين على السّواء. الأصل في التّصحيف، أنّ قوما كانوا أخذوا العلم عن الصّحف من غير أن يلقَوا فيه العلماء، فكان يقع فيما يرْوونه، التّغيير"[1]"، وهو عند اللغويين، قسمان: تصحيف نظر وتصحيف سمع، وأصله الأوّل، نجم من أخطاء النّظر في الصّحف"[2]"؛ فمن تصحيف النّظر، عدم تبيّن أشكال الحروف، كما في الأمثلة: "خازن، مازن، جارن، مارن" و"خالد تالد بالد"، و"مائق، دائق، رائق""[3]"، وعبارة "رجل حوّاس عوّاس""[4]"؛ الكلمة الأولى منها "حوّاس"، واردة عند "**أبي الطـــيّب**" بالحاء، وعند "**ابن فـــارس**" بالجيم "جوّاس عوّاس"، وجوّاس من جاس بين البيوت؛ أي تردّد وطاف بينها؛ فهو جوّاس"[5]". ويبدو أنّ التّصحيف هنا، تصحيف نظر؛ إذ كثيرا ما يقع لبس بصري أثناء النّقل، بين الجيم والحاء وهناك تصحيف السّمع، سببه تقارب بعض الحروف في المخارج في مثل: "حار جار يار" و"بظّ، فظّ بذّ""[6]".

قد تضفي ظاهرة التّصحيف، غرابة على بعض الألفاظ؛ فتزداد اللّغة كلمات قد تفيد الشّعراء أو من يعنى بحفظ الغريب أو جمعه، لكنه يحمّل الأسفار ألفاظاً لا جدوى

1–ينظر. صبحي صالح. دراسات في فقه اللّغة. ص236.

2– م. س. ص236.

3–ينظر. أبو الطيّب.الإتباع ص23. ابن فارس. الإتباع والمزاوجة ص8، القالي. الأمالي ج2. ص215.

4– عوّاس. ينظر. الأب رفائيل نخلة. غرائب اللّغة العربية. ص54،55.

5– ينظر ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص48.

6–ينظر القالي. الأمالي. ج2. ص213.

فيها من جهة العلم أو الفن"[1]"، وهذه الألفاظ، التي تبدو غريبة، لا معنى لها، قد يؤتى بها في الإتباع لمجرّد تحقيق الانسجام الصوتي في مثل: "حسنٌ بسنٌ قسنٌ". ومن الملاحظ، أنّ هذه التحريفات والتصحيفات زادت في العربية « منذ أن وضع المحدثون معاجمهم أي منذ نحو مئتي سنة وفيها من المُضحكات المُبْكيات ما يطرب ويذرف الدموع معاً»"[2]"؛ لأنّ التضخّم اللّغوي، يعدّ ظاهرة غير سليمة، ممّا جعل أحد علماء اللّغة الغربيين يقول: « العربية لغة مسكونة بماضيها، فهي تسبح في محيط من الغنى المعجمي الذي لا تدري ماذا تفعل به في كثير من الأحيان»"[3]"، وهذا الغنى المعجمي، يؤدّي بنا إلى النّظر في قضيّة الإتباع والترادف.

1- الأب أنستاس ماري الكرملي . نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها. ص 67.

2- م. س. ص67.

3- ينظر ديفيد جستس. دلالة الشكل في العربية في ضوء اللّغات الأوروبية. ص132.

المبحث الثاني:
الإتباع و ظواهر لغوية أخرى

أ- الإتباع والترادف:

التّرادف، في اللّغة، هو ركوب أحد خلف آخر، يقال: ردف الرّجل وأردفه، أي: ركب خلفه، وارتدفه خلفه على الدّابة، وكلّ شيء تبع شيئا، فهو رِدفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء؛ فهو التّرادف"[1]".

أمّا في الاصطلاح، فـــ«الترادف عبارة عن الاتّحاد في المفهوم ، وقيل: هو توالي الألفاظ المفردة الدّالة على شيء واحد باعتبار واحد»"[2]"، ويفهم من هذا؛ أنّ الترادف دلالة كلمتين مختلفتين أو أكثر على مسمّى واحد، أو معنىً واحد، دلالة واحدة. وهوبعبارة القدماء، ما اختلف لفظه واتفق معناه، فيسمّى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو، السيف والمهنّد والحسام"[3]".

وقد اختلف العلماء فيه؛ فمنهم من أنكره، ومنهم من أقرّ بوجوده"[4]". أمّا المحدثون؛ فمنهم من يرى أنّ الترادف مظهر مهمّ من مظاهر اللغات الإنسانية، لذا أصبح مبحثاً من مباحث فقه اللغة العربية"[5]"؛ فالعربية حين توصف بسعة التّعبير وكثرة المترادفات وتنوّع الدّلالات؛ فهذه ظاهرة في اللّغات جميعها، تزداد ثروتها وتكثر مفرداتها، إذا توافرت فيها شروط النّماء والحياة"[6]"؛ بينما اعتبره آخرون مظهرا من

1- والجمع ردفاء وردافى. ينظر ابن منظور. ج 5. ص 525.

2 - الشريف الجرجاني. التعريفات .ص 58.

3- ينظر السيوطي. المزهر. ج1. ص317.

4- م. س. ص316 وما بعدها.

5- ينظر رمضان عبد التواب. فصول في فقه اللغة العربية. ص 232، صبحي صالح، دراسات في فقه اللغة، ص292 و ما بعدها . حسن ظاظا. كلام العرب. ص85.

6- ينظر صبحي صالح. دراسات في فقه اللّغة. ص292.

مظاهر التضخّم اللّغوي؛ و« أنّ جانبا كبيرا جدّا ممّا يملأ كتب اللّغة من ألفاظ تدلّ على معنى واحد، هي صفات للمسمّى وليست بأسماء أخرى له. ولكن تظلّ هناك مشاكل حول التّرادف، سواء أكنّا مع من ينكرونه ...، أم مع من يقرّ به كأمر واقع دون أن يكون ظاهرة طبيعية في اللّغات»"[1]"؛ لأنّ الأصل في نظرهم، هو التّباين في الألفاظ"[2]".

وفيما يتعلّق بالصّلة بين الإتباع والتّرادف؛ فقد أورد السيوطي، أنّ "**فخر الدين الـــرازي**"، أنكر أن يكون الترادف بين التابع والمتبوع، في قوله: « ظنّ بعض الناس أن التّابع من قبيل المترادف لشبهه به. والحقّ الفرق بينهما، فإنّ المترادفين يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت. والتّابع لا يفيد وحده شيئا، بل شرط كونه مفيدا، تقدّم الأوّل عليه»"[3]"، والمرجّح في هذه المسألة؛ أن تنوّع طرق الإخبار عمّا في النّفس في عبارات الإتباع؛ أو حرص المتكلّم على الإتيان بالتّابع، على نسق المتبوع في الوزن والرويّ، قد يدفعه لارتجال لفظين أو أكثر، يخيّل للسّامع، أنّها من المترادف؛ إلا أنّ فروقا دقيقة تميّز بينهما، في مثل: رجل فدْم ثدْم لدْم": فدم وثدم، أي أحمق، بمعنى واحد، وزيد ثدم لدم، لمجرّد الإتباع الصّوتي. والتّرادف عند أبي هلال، غير وارد؛ لأنّ فروقا دلالية تميّز بين الكلمات، والتطابق التام غير موجود"[4]".

ب-الارتجال في ألفاظ الإتباع:

الارتجال، يفهم منه الاختراع « كأن ينطق المتكلّم بكلمة جديدة في معناها أو جديدة في صورتها، فلا تمتّ لمواد اللغة تلك الكلمات التي قيل عنها، إنّها مخترعة، فسنرى أنها تنتسب للغة من اللّغات، أو لهجة من اللّهجات وأنّها ليست من الارتجال في

1- حسن ظاظا. كلام العرب. من قضايا اللغة العربية ص86.

2- ينظر السيوطي. المزهر. ج1. ص317.

3 - السيوطي. المزهر. ج1. ص 328.

4-ينظر. أبو هلال العسكري. الفروق اللّغوية. مقدّمة المؤلّف ._-__-_/ . . . /***www. 4shared. com/office/. . . html***

شيء»"[1]"، وقد نعثر في ثنايا كتب الأدب على ما يفيد أنّ بعض الشعراء أو الكتاب قد ارتجلوا لفظا أو لفظين رغبة في التفكّه والتظرّف، في مثل قول الرّاجز:

يا خاز باز أرسل اللّهازِما إنّي أخاف أن تكون لازما"[2]".

ويتمّ خلق الكلمات الجديدة بطرق متعدّدة مختلفة، منها الوضع، وأحيانا يكون الوضع مجرّد مزج كلمتين موجودتين في الاستعمال الفعلي مثل، "قشيب جديد"، "وسيم قسيم". ويدخل تحت هذا غالبا وضع كلمات تعدّ انعكاسا أو تقليدا لأشياء أو أصوات في الطبيعة؛ فالكلمة تكون أحيانا من قبيل المحاكاة الصوتية (***onomatopées***)"[3]"، كاسم البلبل والكوكو وألفاظ الدقّ والقطع وما جرى مجراها"[4]". والألفاظ المكرّرة، في مثل "تيك تاك"، لدقّات الساعة، وثيقة الصلة بين صوتها ومدلولها، وهي قليلة في كلّ لغة، ولا ينبني عليها تفسير الكثرة الغالبة من ألفاظ اللّغات. ومن هنا يرجّح أنّ معظم الكلمات، قد اكتسبت مدلولاتها بطريق المصادفة؛ إذ كانت أصواتا مبهمة يتسلّى بها، وحدث أن نطق بها في مناسبة ما، فارتبطت بهذه المناسبة أو ذاك الحدث"[5]". كما أنّ في تكرار بعض الألفاظ، مثل: "بخ بخ""[6]"، لإفادة التعجّب والمدح من شأنه أن يؤدّي إلى قيمة جمالية يقصدها المرسل، و يتأثّر بها المتلقّي.

1- إبراهيم أنيس. من أسرار اللغة العربية. ص81.

2- الخاز باز: اللّهازم: داء يأخذ الإبل في حلوقها والنّاس. ينظر. الفصل الثالث ص 60.

3-محاكاة صوتية. هي وحدة لغوية ناتجة عن تقليد صوت طبيعي، مثل خرير للمياه. ينظر مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص201.

4- ينظر العقاد، أشتات مجتمعات. ص 115.

5- إبراهيم أنيس. دلالة الألفاظ. ص28.

6- كلمة تعجب ومدح. وكانت ترد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم في سياق الرضا بالشيء وتفخيمه وتعظيمه فى باب الخير، وتكرّر للمبالغة. فعن أبي سلمى راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (بخ بخ بخمس ما أثقلهن في الميزان، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والولد الصالح يتوفى للمسلم فيحتسبه). هذا حديث صحيح الإسناد المستدرك على الصحيحين ج1. ص692.

وكما يتّضح من الأمثلة، فإنّ المكوّن البارز في الأداء اللغوي المنطوق، يميل إلى أن يكون إيقاعيا بشكل ملحوظ؛ لأن الإيقاع من الناحية الفسيولوحية، يساعد على التّذكر. وما يصدر عن الإنسان عفوا من الأصوات والصيحات، ليعبّر عن الفرح أو الفزع أو الدّهشة، هي كلمات انفعالية تقليدية، أسبق من الكلمات الإرادية الفكرية"[1]. ونجد هذه الملحوظة، تتوافق والنّشاط الإبداعي عند العامّة؛ إذ إنّ أغلب الإتباع، مصدره العامّة من الناس. والحقّ، أنّه ليس كلّ ما تستعمله العامّة خطأ؛ ففي كثير من مفرداتها طاقة تعبيرية خاصّة، يمكن استثمارها في إثراء الفصحى وتلقيحها، على حدّ قول محمود تيمور»"[2]. ويشاركه في الرّأي "**محمـــود السعـــران**" الذي يرى، أنّه من أخطر ما هو راسخ في أذهان النّاشئة، تصوّر العامّية والعامّيات، منحطة أو صورة فاسدة من الكلام العربي الفصيح الصحيح، ولا أصول لها ولا قواعد والصّواب – في نظره– أنّها « باعتبار ما، لغة كأيّة لغة يمكن الكشف عن قواعدها ووصف خصائصها، وأنّه في حيّز الإمكان أن تصبح لغة عامّة مشتركة أو لغة أدبية فصيحة في يوم من الأيام»"[3]، ويمكن أن تنتمي هذه العامّيات إلى العربية الفصحى، وأنّها ليست شكلا مستقلا عنها. وعموما لا توجد مقاييس محدّدة يقاس بها ارتفاع اللّغة وانخفاضها؛ فاللّغة متطوّرة ، وما كان عامّيا عند الزّبيدي في كتابه "لحن العامّة"[4]"، أصبح فصيحًا اليوم، وبعض ما نعتبره عامّيًا اليوم قد يصير فصيحًا بعد ألف سنة"[5]".

وتتجلّى قدرة العامّة وذوقها في الإبداع اللّغوي بوضوح، لكلّ ذي حسّ لغوي، في اللّهجات الشائعة في مقطوعات، نظّمها الأمّيون والأمّيات في موضوعات الأفراح والمآتم وفي الأمثال الشعبية، ولا يحسّ الناظم الأمّي أنها عسيرة عليه، فهو لا يحتاج

1– ينظر العقّاد. أشتات مجتمعات. ص115.

2–عبد القادر عبد الجليل. الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي. ص9.

3– محمود السعران علم اللغة. مقدّمة للقارئ العربي. ص 43. دار النّهضة العربية للطباعة والنّشر. بيروت. د. ت. ***majles. alukah. ne***t

4– "لحن العوام" ، كتاب لأبي بكر محمد بن حسن بن مذحج الزّبيدي.(ت379هـــ). تح رمضان عبد التواب. الناشر، مكتبة الخانجي. القاهرة. ط 2. 2000 م. ***majles.alukah.net/showthread.php?67300***

5– ينظر محمود السّعران علم اللغة. مقدمة للقارئ العربي .ص43.

إلى أداة غير السليقة الفنّية والقدرة المطبوعة على التعبير"[1]". وممّا لاحظه علماء اللّسان؛ أنّ بعض المتكلّمين، تُحتقر قدراتهم اللّغوية، بسبب الخرافة التي تقول: « إنّ الذين ينتمون إلى الطبقة العاملة والأفراد الذين لم يتعلّموا تعليما كافيا من الطّبقة الوسطى، يتكلّمون لغة أبسط وأضعف. وهذا الظنّ المجحف، يأتي من كون الشّكل المحكي المستخدم في المحادثة مباشرا وخاليا من التكلّف»"[2]؛ فالكلام المباشر، التّلقائي الخالي من التكلّف كلام عادي مثله، « مثل القدرة على رؤية الألوان أو المشي، مظهر من مظاهر الجودة التقنية، وهي تقنية تعمل بشكل ممتاز، بحيث يأخذ مستخدمها نتيجتها مسلّمة ولا يحسّ بالآليات المختبئة وراء الواجهة»"[3]. و« العرب نطقت على سجيّتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها عِلله وإن لم يُنقل ذلك عنها»"[4]".

وإن كان الإتباع « من سُنن العرب في كلامها»"[5]"؛ فإنّه لا زال جاريا على ألسنة الخلَف من أبناء العربية إلى يومنا هذا؛ ففي العامّية الجزائرية ألفاظ، تتِد بها العامّة كلامها لتزيده قوّة وتوكيدا، أو توظّفه للتفكّه والتّرفيه، ومنها قولهم :"حُطْ بُطْ" لمن يتعجّل في قضاء أمر، و"ساهل ماهل"، في وصف أمر سهل، "شاط ولاط، شايط لايط "، فيمن شقي طلبا لشيء. وفي وصفهم للطعام "صامط لامط"، وفي التأكيد على الرزق الحلال "حْلالي مْلالي". شقْلبْ بقْلبْ –قلَبٌ عجبٌ– اللي بغا الشباحْ ما يقولْ آحْ– ساحْ راحْ–الخ...

1– العقّاد. اللغة الشاعرة. ص15.

2– ستيفن بنْكر. الغريزة اللّغوية. كيف يبدع العقل اللغة. تعريب حمزة بن بقلان المزيني. ص64. نشر دار المريخ. دت ***The language instinct. 1994 harvard. academia. edu/StevenPinker/Papers. Steven Penker. lisaanularab. blogspot. com/. . . /blog-post_1282. htm. .***

3– ستيفن بنْكر. م. س ص64.

4– أبو القاسم الزجاجي. الإيضاح في علل النّحو. تحقيق مازن المبارك. ص65. ***http://www. archive. org/details/aleda7***

5– أبو منصور الثعالبي. فقه اللغة وسرّ العربية. ص384.

وهذا الابتكار في تعبيرات العامّة؛ ما هو إلاّ ارتجال في اللّغة، لكنّ هذه الألفاظ المُرتجلة ونظيراتها، في مثل، هذا التعبيرات الانفعالية، المعبّرة عن مصائب الدّهر، في مثل"جاء الدّهر بدولاتِه وتولاتِه"، و"أمورٌ دُبْسٌ رُبْسٌ". وفي " حطِيءٌ بطيءٌ"، في نعت الشخص الحقير، وفي مثل "خُفافٌ ذُفافٌ"، في وصف اللّطيف، الرّقيق"[1]"؛ فهذه الألفاظ قد تكون وليدة اللّحظة؛ محدودة الأثر، سرعانما تندثر؛ ولهذا يعدّ الارِتجال- في نظر بعض الباحثين المحدثين-، أتفه طُرق الوضع اللّغوي؛ نظرا لندرة تلك الكلمات المُرْتجلة وانحسار استعمالها، وبالتالي ضعف أثرها"[2]" ووُصِفت بالغريبة.

ج- ظاهرة الغرابة في ألفاظ الإتباع:

إنّه لا يخفى على السّامع المتلقّي لمثل هذه العبارات، ذات الوقع الرنّان، أنّها مجرّد تتمّة صوتية، تلوّنها مسحة من البساطة والتّلقائية؛ لأنّ ناطق اللغة لا يُعدّ العبارة اللّغوية مسبقا وإنما يتحدث بسليقته اللغة الشفهية. وبإمكان هذه الألفاظ المرتجَلَة، إن وجدت من يتلقّفها"[3]"، أن تدرج في المعجم، لتساهم في تكثير ثروته. ولا يخفى أنّ بعض ألفاظ الإتباع، تلوّنها مسحة من الغرابة، يمكن تفسيرها بندرة استخدام اللّفظ، التي تؤدّي إلى غموض معناه"[4]"، وإلى غير ذلك من العوامل التي يتوسّع فيها المهتمّون بالغريب من الألفاظ.

والغرابة المتمثّلة في النص الإبداعي، تحدث لدى المتلقّي لذّة ودهشة كبيرتين، وهذه اللذّة تنتج عن محاولة المبدع فكّ أسرار النص وتحليلها. ويرى "**ياكبســون**" أنّ

1 – رفائيل نخلة. غرائب اللّغة العربية. ص57.

2 – إبراهيم أنيس. من أسرار اللّغة. ص 90

3–يمكن جمعها وضمّها في معجم خاصّ بألفاظ العامّية الجزائرية، ثمّ تناولها فيما بعد بالدراسة والتأصيل.

4– ينظر. محمود عكاشة. الدلالة اللّفظية. ص102. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. دت.

«الغموض خاصّية داخلية لا تستغني عنها كلّ رسالة تركّز على ذاتها»"[1]". ويتجلّى هذا المنظور في بعض العبارات الإتباعية التي تمثّل إشكالا للمتلقّي؛ فلا يجد لها تفسيرا؛ نظرا للغرابة التي تكتسيها، فكانت موضوع سؤال ابن الأعرابي « سألت العرب أيّ شيء معنى "شيطان ليطان"؟ فقالوا: شيءٌ نَتِد به كلامَنا: نشدُّه »"[2]".

ونظرا لما يحدثه المتكلّم في الإجراء الإتباعي، على المستوى صرفي، من تغيير في الحروف، وتجديد في الصّيغة، في مثل العبارات "عابس كابس"، "ضئيل بئيل"، "صلاطح بلاطح" وعلى المستوى التركيبي في مثل "شذَرَ مذَر"، و"يومَ يومَ"، "ما ذاق عبكةً ولا لَبكَة"، "صحرَةَ بحرَةَ"، وعلى المستوى الدلالي، المتمثّل في فراغ التّابع من المعنى، في مثل ذهبوا "أناديد وتناديد"، "ذهبوا جذَعَ مذَعَ"، "حوّاس عوّاس"[3]"؛ فعنصر التّغيير في العبارة الإتباعية، ظاهرة ملفتة للانتباه؛ وجذّابة للسّامع في الآن نفسه؛ لأنّ «التغيير بالجملة يعطي في المعنى جودة إفهام وغرابة ولذة»"[4]" والعبارة الإتباعية، بعد تحقّق وجودها من خلال مبدعها، تتمّ فاعليتُها بوجود المتلقّي، بحيث يمكن اعتباره طرفا مشاركا في العملية الإبداعية.

1-(الغموض خاصّية داخلية لا تستغني عنها كلّ رسالة تركّز على ذاتها. وباختصار فإنّه ملمح لازم للشّعر... وليست الرّسالة هي التي تصبح وحدها غامضة وإنّما يصبح المرسل والمتلقّي غامضين أيضا) رومان ياكبسون. قضايا الشعرية. ترجمة محمّد الولي ومبارك حنوز. ص 24. سلسلة المعرفة الأدبية. دار توبقال للنّشر. الدار البيضاء المغرب. ط1. 1988. ***PDF created with pdfFactory Pro trial version www. pdffactory. com***

2- السيوطي. المزهر .ج1. ص326. تح. فؤاد علي منصور. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط.1. 1998م.

3-لا معنى لهذه الكلمات منفردة: أناديد، جذع، عوّاس. ينظر. الأب رفائيل نخلة. غرائب اللّغة العربية. ص54،55.

4 -ابن رشد، الوليد: تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر(ضمن كتاب فن الشعر لأرسطو) تحقيق عبد الرحمن بدوي ص243، دار الثقافة، بيروت 1973. ***isaanularab. blogspot. com/. . . /blog-post_7908. htm***

وتنقل لنا كتب التّراث اللّغوي، نوادر طريفة"[1]" ومن تلك النّوادر، ما جرى بين أبي علقمة النّحوي وأعْينَ الطبيب: دخل أبو علقمة"[2]" النحوي على أعْينَ الطبيبَ، فقال له: أمتعَ الله بك إنّي أكلت من لحوم هذه الجوازل"[3]"؛ فطَسِئْتُ طَسْأَةً، فأصابني وَجَعٌ ما بين الوَابِلَة إلى دَأيَة العنقُ، فلم يزل يَربوُ ويَنْمِي حتى خالط الخِلْبَ والشَراسيفَ، فهل عندك دواء؟ فقال أعْيَن: نعم، خذ خِرْبقاً وشِلْفِقاً وشِبْرِقاً فزَهْزِقْهُ وزَقْزِقه واغْسِلْه بماء رَوْثٍ واشربْه؛ فقال أبو عَلْقمة: لم أفهمْ عنك؛ قال أعين: أفهمتُك كما أفهمتَنِي"[4]". كانت ألفاظ أبي علقمة في وصف وجعه، ومواضع إصابته بهذا الوجع، غريبة، غير مألوفة؛ فحالت دون فهم وإدراك الطبيب المتلقّي لعلّة المريض. ومع هذا نجد هذه الألفاظ الغريبة ومثيلاتها كثر، مثبتة مفسّرة في المعاجم، ممّا زاد مادّة المعجم العربي تضخّما.

وممّن عدّ الظّاهرة الإتباعية، من عجائب وغرائب اللّغة العربية، الواردة في القاموس العربي، رفائيل نخلة في قوله: « في القاموس العربي عجائب وغرائب

1-**النوادر:** جمع نادرة وهي من النُدْرة، وفيها معنى الخروج فالنادر هو الخارج أو السقوط أو الشذوذ "قال الليث: يقال نَدر الشيء إذا سقط، وإنما يقال ذلك لشيء يسقط من بين شيء أو من جوف شيء، وكذلك نوادر الكلام يندر. وأشار الجوهري إلى دلالة الشذوذ فقال: نَدَر الشيء يَنْدُر نَدْراً: سقط وشذ ونَوادِر الكلام تَنْدُر، وهي ما شذ وخرج من الجمهور.

2- أبو علقمة ت68هـ نحوي اشتهر بولعه بغريب اللغة مما وسمه بميسم الظرف،لم يكن يتعمد إضحاك الناس لكنه مولع بغريب اللغة يتقعر في كلامه دون مراعاة حال السامع ومدى تمكنه من الإلمام بالمترادفات، فيباغت من يستمع إليه بما ينتقيه من مفردات لغوية غريبة نادرة ؛ فتأتي ردود المستمعين أكثر غرابة ،فهناك من يجاريه بصياغة غريب لا معنى له ليعلمه باحتجاجه على هذا الغريب البعيد عن إدراك السامع وفهمه كما هو حاله مع الطبيب. ينظر وسمية عبد المحسن المنصور. وقفات مع النوادر والملح العربية. ص20. نشر في مناسبة: الكتاب التذكاري للمرحوم محمد رجب النجار – جامعة الكويت – كلية الآداب –قسم اللغة العربية الطبعة الأولى 2006م.
faculty. ksu. edu. sa/. . . /

3- الجوازل: مفردها جوزل، الرّبو والبُهْر، والجوزل من النّوق الهزيلة. ينظر. ابن منظور. لسان العرب. ج6. ص220. طسأ: اتّخم. الوابلة: طرف العضد في الكتف. ينظر. م. س ج 6. ص784. الدأي: ملتقى ضلوع الصدر، ودايات العنق: فقارها الخِلب: حجاب الكبد الشراسف: مفردها شرسوف، الشرسف: وهو طرف الضلع المشرف على البطن. ينظر. ابن منظور. لسان العرب. ج5. ص581.

4- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد. عيون الأخبار. ج2. ص320. تحقيق لجنة من دار الكتب المصرية. نشر دار الكتب المصرية بالقاهرة. ط2. 1996 م. ***www.waqfeya.com/book.php?bid=962.***

عديدة، قلّما نجد أمثالها في قواميس أشهر اللّغات، فرأينا أن نذكر شيئا منها، ببعض التفصيل لفائدة أصحاب لساننا المجيد ولتفكهتهم»"[1]"؛ فسوق هذه الغرائب اللّغوية، ومن بينها العبارات الإتباعية؛ كان لغرض الإفادة من جهة وتّفْكهة وإمْتاع أبناء العربية من جهة أخرى؛ فالإتباع جامع بين الإفادة والإمتاع. وللنّظر فيما تفيده العبارة الإتباعية من دلالة، نتناولها في الحديث الموالي.

1- الأب رفائيل نخلة اليسوعي. غرائب اللّغة العربية. مقدّمة المؤلّف .

المبحث الثالث:
العبارة الإتباعية

أ- مفهوم العبارة:

من خلال ما تجمّع في المعنى اللّغوي للعبارة؛ فإنّها تعني تعبير الإنسان عمّا في نفسه؛ أي أعرب وبيّن بالكلام، واللّسان يعبّر عمّا في الضمير، وعبّر الرّؤيا وعبَرها: فسّرها والعبارة من ذلك؛ فهي من العبور والاجتياز. والاسم العِبارة والعَبارة"[1]". ومن حيث المصطلح؛ تعني الملفوظ الدّال من القول والكلام"[2]"، وهذا يعني أنّ كيفما كان الشّكل الذي يتوارد فيه. والعبارة من وحدات اللّغة وعناصرها، شأنها شأن الكلمة، إذا كانت متواترة في الاستعمال المشترك بين أفراد المجموعة اللّغوية الواحدة. فهي تساهم كالمفردات إذا دخلت في التركيب في تأدية وظيفة الإبلاغ"[3]". ونجد لها تعريفا آخر، أنّها الشكل الصوتي الشفهي أو الكتابي الذي تتّخذه لغة من اللّغات (***expression***)"[4]".

أما "**أحمد مختار عمر**"، فيعبّر عنها بالوحدة الدلالية الأكثر شمولية، قائلا: « تعدّ الكلمة المفردة أهم الوحدات الدلالية، لأنّها تشكّل أهمّ مستوى أساسي للوحدات الدلالية، حتى اعتبرها بعضهم الوحدة الدلالية الصّغرى، أما الوحدات الدلالية الأكثر شمولية، وهي المتركّبة من وحدات على مستوى الكلمة، فنعني بها تلك التي لا يفهم معناها الكلّي بمجرّد فهم معاني مفرداتها وضمّ هذه المعاني بعضها إلى بعض»"[5]"، ويبدو هذا التّعريف أكثر دقّة وتفصيل؛ فعلى المستوى الإفرادي، تعدّ الكلمة هي أهمّ الوحدات الدلالية. أما الوحدة الدلالية الأكثر شمولية، فالمقصود بها العبارة اللّغوية ذات المعنى

1- ينظر. ابن منظور. لسان العرب. ج3ص 493.

2- ***J. dubois. dictionnaire linguistique.p. 202.***

3- ينظر. عبد الرزّاق بن عمر. المتلازمات اللّفظية في اللغة. ص28،29.

4-مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص104

5- أحمد مختار عمر. علم الدلالة. ص 33،34.

التّعبيري(***Idéomatique***)"[1]"، وهي ترد في اللّغة على أنماط كثيرة، أبرزها المثل والعبارة التقليدية (***Expression ideomatique***)" [2] ".

ب- الدلالة في العبارة الإتباعية:

من المألوف أن تنقل الدراسة في المستوى الدلالي، إلى تناول المعنى الثاني الباطني الذي يختفي خلف المظهر الخارجي للمركّب، وهذه الدلالة الوضعية العقلية عبّر عنها "**عبد القاهـــر الجرجانـــي**" بعبارة "المعنى" و"معنى المعنى"، فيقول: « الكلام على ضربين: ضربٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ... وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلّك اللّفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل»"[3]". في هذا القول، يحدّد لنا "**عبد القاهـــر الجرجانـــي**" نمطين من الدّلالة التي يمكن التعرّف عليها من اللغة؛ النّمط الأول، هو الدّلالة المعجمية التي تتحدّد من المعنى المعجمي للكلمة، وهذا المعنى محدود؛ إذ له بعد واحد، وجمالية هذا النّوع من التعبير، تحقّق وجودها من خلال تشكل الألفاظ في العبارة، دون أن تدعّم ذلك بالدلالة الموحية الناتجة عن ظلال الألفاظ واحتمالها أكثر من معنى. وفي هذا الصّدد، يستحضر البحث إشكالية مركّب الإتباع، في كون عنصره الثاني التّابع، بدون معنى أو له معنى"[4]"؟

1- شكل نحوي اصطلاحي، لا يكون معنى العبارة ناجما عن تركيبه من وحدات لغوية ولا يدخل في تركيب تعبير أكبر. ينظر. مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص137.

2-تعبير اصطلاحي. وهو استعمال التعبير أو الكلمة بطريقة خاصّة تخالف الاستعمال العادي. ينظر. مبارك مبارك. معجم المصطلحات. ص138.

3- عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص 258

4- ينظر. مدخل البحث. اختلاف العلماء القدامى في تصنيف التابع؛ فمن مدرج إيّاه في المترادف، وآخرون في التوكيد، بالواو، أو بدون واو، له معنى أو لا معنى له .

أما النّمط الثاني من الدّلالة، فيستخرج من خلال التماس المعنى الآخر "المسكوت عنه""[1]" الذي لا يُكتفى فيه بالبعد المعجمي، وإنما يحتاج الوصول إليه إلى معرفة المعاني الأُخر التي يمتدّ إليها، عبر الاستعانة بالتّأويل وربط الكلمات بالسّياق، للوصول إلى دلالة النص ومعناه. فتعمّد الخروج إلى العلاقات العرفية بين المفردات المعجمية المنتظمة في العبارة، يمثل مصدرا أساسيا من مصادر الصورة الفنية التي تنطلي على التحول الدلالي في الطاقة الإيحائية للنص"[2]". والمركّب الإتباعي، باعتباره عبارة لغوية"[3]"، لا يتوقّف أثرها في تحقيق انسجام صوتي، فحسب؛ فجانب الدلالة، على درجة كبيرة من الأهمّية في العبارة الإتباعية، لأنّ توصّل المتكلّم إلى تحقيق ما يسعى إليه، يعني توافق العبارة الإتباعية والموقف المناسب، أي نجاحها في تأكيد ما تقدّم من كلام[4]، إضافة إلى تحقيق الانسجام الصّوتي .

وفي إطار التوليد الدّلالي، بمفهومه الجديد عند المحدثين، توقّفنا فيما تقدّم من حديث، في الفصول السابقة"[5]"، عند الإبداع اللّغوي الذي تحمله العبارة الإتباعية، بما تولّد من مبان تتضمّن دلالات جديدة وتشكّلها في مركّبات لغوية متنوّعة، يتجسد فيها الشكل المستوعب للمعنى المراد، في سجعة موسيقية عذبة. فالتّوليد الدّلالي، في مثل العبارات الإتباعية "شيطان ليطان"، "حسن بسن"، "عطشان نطشان" ونحوها من العبارات المشاكِلة، يعكس قدرة المتكلّمين على توسيع معنى الوحدات المعجمية، وهذا التمكّن من الإبداع والتفنّن في التوليد، يعبّر عنه بالكفاءة اللغوية (***Performance***)"[6]"

---

1 –***Sous-entendu: Non-dit d'un énoncé portant sur le contenu, sur le fond-chraiet. voila. net/figurestyle. htm.*** .

2– عودة خليل أبو عودة. التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم –دراسة مقارنة–. ص77. مكتبة المنار. الأردن. ط 1. 1985. ***www. 4shared. com/rar/v97q_EhU/_____. html***

3– ينظر. مفهوم العبارة. مدخل البحث.

4– ينظر. عطيّة سليمان أحمد. الإتباع والمزاوجة في ضوء الدرس اللغوي الحديث. ص17.

5 – ينظر الفصول، الصوتي والصّرفي والنحوي التركيبي من هذا البحث.

6 - إنجاز لغوي أو هو كلّ تعبير لغوي شفوي كان أم كتابيا. ينظر مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص 216.

التي تتمثّل في اللغة بإمكانياتها المختلفة، من أجل توسيع معنى الوحدات المعجمية"[1]"؛ إذ يستطيع المتكلم الذي يمتلك الكفاءة اللغوية أو تلك المقدرة اللّغوية السّليمة، من أن ينتج ويولّد ويجدّد في مستويات لغته المختلفة ؛الأصوات والأبنية والتراكيب والدلالة"[2]".

فالعبارة الإتباعية، تتضمّن أنواعا من الدّلالات، تبعا لمصدرها؛ فقد تكون صوتية، صرفية، نحوية، أو تكون لها دلالة اجتماعية تبنى على اعتبار المقام (***Context of situation***)"[3]" في تحديد المعنى؛ لأنّ الإتباع إجراء، يُصاغ به تتابعٌ، يتألف من كلمة متبوعة بكلمة أخرى، تتكوَّن من أصواتٍ مُقارِبة لأصوات الكلمة الأولى، وقد تكون هذه الكلمة موجودة في اللغة أو أنها ترتجل لهذه المناسبة، ثم يكون معنى هذا المجموع إما المبالغة أو التأكيد؛ فهذا النشاط التوليدي الإبداعي الكلّي المتماسك العناصر، سمة من سمات الإبداع اللّغوي"[4]".

كنّا تعرّفنا- فيما سبق- على أنماط المركّب الإتباعي من حيث الشّكل؛ فمنه ما سمّي "إتباع الإيقاع""[5]"؛ وقد يأتي متّصلا؛ - بدون رابط، أو منفصلا-برابط"[6]"-؛ ومنه ما صنِّف ضمن إتباع المزاوجة. ويستحسن التّذكير بكلّ نمط، فيما يلي:

1 - التوليد الدلالي. حسام البهنساوي. ص7. مكتبة زهراء الشرق 2003

2- م. س. ص10. مكتبة زهراء الشرق 2003 م.

3-المقام، يضمّ المتكلّم والسامع أو السامعين والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة في الماضي والحاضر والتراث والفلكلور والعادات والتقاليد والمعتقدات والخزعبلات. ينظر. تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص352.

4- ينظر جستس. دلالة الشكل في العربية في ضوء اللّغات الأوروبية. ص132.

5- وتبدو هذه التّسمية الحديثة، مناسبة لهذا اللّون من الإتباع، لتمييزه عن إتباع المزاوجة. ينظر. الأقطش. إتباع الإيقاع في اللغة العربية. ص 142.

6- ينظر مبحث العطف بالواو. الفصل الثالث.

1- **إتباع المزاوجة:**

وهذه بعض من أمثلته:

- ما له هارب ولا قارب"[1]": ليس له شيء.
- ما له رُبَع ولا هُبَع"[2]": ما عنده شيء
- ما عنده خلٌّ ولا خمْرٌ: ماله خير ولا شرّ. وفي هذا قال الشاعر"[3]":

هلاّ سألْتِ بعادِياءَ وبيْتِهِ والخلُّ والخمْرُ لم يُمْنَعِ[4]

- جاء الدّهر بدولاته وتولاته"[5]": بمصائبه
- يقال الرّجال: ثلاثة: هيِّنٌ ليّنٌ، يصدر الأمور مصادرَها، وآخر ينتهي إلى رأي ذي اللبّ والمقدرة، فيُؤخَذ بقوله، وآخر حائرٌ بائرٌ، لا يأتمر لرشد ولا يطيع المرشد"[6]".

يلاحظ في أمثلة هذا الصنف، سهولة الصّياغة الفنّية للعبارة الإتباعية، تقوم على وجود مركّب متضامّ من دالّين، دال أ+دال ب = عبارة مزاوجة، ولكلّ مكوّن، دلالة مستقلّة في المعنى، وجريانهما على لسان المتكلّم، يتحقّق تباعا، فيعرضان معا، استجابة لعملية التداعي. فإذا ذكر اللّفظ الأوّل، استدعى الذهن تلقائيا، اللّفظ الثاني، هذا مع ملازمة أواخر الكلم فيهما لرويّ واحد ونغمة سجعية واحدة"[7]"؛ فالمركّب المُزاوَج، مظهر من مظاهر التّعادل في العربية، ويمكن إدراجه في النّطق المتوازي، لأنّ

1- ينظر أبو الطيّب. الإتباع. ص36

2- م. س. ص 48.

3- الشاعر هو النّمر بن تولب العكلي ، يخاطب زوجته، ويروى العجز "التي لم تُمنع": أي التي أُحلَّت، وبعد هذا البيت بأبيات، يقول:

لا تَجْزَعي إنْ مُنْفِسا أهْلَكْتُه وإذا هلَكْتُ فعند ذلك فاجْزَعي.

ينظر. أبو الطيّب. الإتباع. ص40.

4 -ينظر ديوان النّمر بن تولب العكلي .تحقيق محمد نبيل طريفي ص .دار صادر.بيروت.ط1. 2000م.

5-الدولة من المال ما يتداوله الناس ينظر. رفائيل نخلة. ص57.

6- القالي. الأمالي. ج. 2. ص217.

7- ينظر الأقطش. إتباع الإيقاع في العربية. ص148.

العلاقات اللّغوية فيه، قائمة على مبدإ المساواة بين المعاني والتعادل بين ركنيه. وقد تحمل الكلمة الثانية معنى تأكيديا للكلمة الأولى، في مثل العبارة: "إذا أخصب الزّمان جاء الغاوي والهاوي"[1]"؛ فكلمة الهاوي، هي الكلمة المزاوجة.

وقد تستدعي هذه المزاوجة في المركّب، إجراء ملاءمة في الصّياغة الصرفية للدّال الثاني"[2]"؛ لأنّ الانسجام اللّفظي ضرورة بلاغية تهذّب النّطق والسّمع معا ولا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجًا؛ فالكلمات العادية لا تثير انتباه القارئ أو السامع. وتتجلىّ المتعة بالإيقاع نفسه، وفي الإيقاع نوع من التكرار؛ فإذا قيل: "ما في الدّار ثاغٍ ولا راغٍ""[3]"؛ فإنّنا نطرب للقسم الثاني، لأنه تكرار من نوع جديد يزيد الإيقاع قوة على قوة؛ بتحقيق الغرض الجمالي وتأكيد المضمون في الآن نفسه؛ فهو إيقاع وتمكين معًا. وهذه الأساليب النّثرية؛ كأنّها تعويض عن وقع قافية الشعر وتأكيد للمعنى؛ وإذا كان الشعر، يحمل كثافة معنى وتركيزًا؛ فإن هذه النّغمة التزيينة، تركّز على موسيقية وجمال البناء، في لحظة تلميح أو وصف، أفرزت رصيدا ثريّا متنوّعا من العبارات الوصفية المحفوظة؛ فالإتباع من هذا الجانب يقاسم الشّعر بعض سماته، يقول "**ابن رشيــق**": « إنّ الشعر إلاّ أقلّه راجع إلى باب الوصف»"[4]".

يتّضح من تتبّع أمثلة إتباع المزاوجة، أنّ العلاقات اللّغويه فيه عادية، تتوافق ومعيار الصحّة اللّغوية في العربية؛ فالألفاظ جميعها، ذات مدلولات مدركة ذهنيا، ولها اشتقاقات صرفية واضحة، كما أنّ التركيب في كلّ عبارة من هذه العبارات، يخضع للقوانين التركيبية في العربية. ويبدو أنّ حاجة المتكلّم إلى استعمال هذا النّمط من العبارات، يدلّ على حرصه على تقوية المعاني، قصد إقناع السامع، بمترادفات

1- الغاوي: الجراد، الهاوي: الجراد. ينظر الميداني. مجمع الأمثال. ج1. ص9

2- تقدّم التفصيل في إجراء التعديل في التابع للضرورة في الفصل الثاني من هذا البحث.

3- أي ما فيها أحد. ينظر. أبو الطيّب. الإتباع. ص34.

4-أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي.ت 456هـ. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. ص65. دار الجيل. بيروت. ط5. 1981م.

متتابعة، يتحقّق من خلالها انسجام نغمي، يستهوي النفوس، ويثير العواطف؛ فهذا النّمط من الإتباع، أقرب إلى السّجع والزينة اللّفظية، ولا نجد فيه إشكالا، لا في الصّياغة، ولا في الدلالة. ولولا أنّ هذه الأمثلة وما يشاكلها من عبارات، صُنّفت ضمن الإتباع، من قبل بعض الكاتبين في الإتباع، لما استوقفت انتباه الباحثين في الظّاهرة الإتباعية"[1]. وفي عبارات المزاوجة، أكثرها، يكون هذا التّتابع مطلبا شكليا، يضفي على العبارة عذوبة سجعية إشباعية في مثل عبارة الحديث: « اللّهمّ بارك لها في محْضها ومخْضها ومذْقها، وابعث راعيها بالدُّثُر وبائع الثّمر»"[2].

أ-الإتباع المنفصل:

أما المنفصل -بالواو- من الإتباع، في مثل: "جمعت هذا المال من حَسِّي وبَسّي""[3]"

"إنّي إذا ما عجَرَ الوطْواطُ * وكثُر الهِياطُ والمِياطُ
والتفَّ عنْد العَركِ الخِلاطُ * لا يُتَشكّى مِنّي السِّقاط""[4]".

ومن الدّعاء على الإنسان "قبْحاً له وشُقْحاً""[5]"؛ فهذا النّمط، يحيلنا إلى مسألة من مسائل الإتباع التي أثارت نقاش القدامى، وهي مسألة العطف في المركّب الإتباعي.

من المسائل المتعلّقة بالإتباع، الواردة في نقاشات القدامى، مسألة ما ورد من أمثلة الإتباع بالواو، وكانت مثار اختلاف ونقاش؛ فمن العلماء القدامى من قال، بإمكانية الفصل، وبعض آخر اشترطوا الوصل. قال أبو عبيد في غريب الحديث: « وأما حديث

1- ينظر الأقطش. إتباع الإيقاع. ص150

2-أسد الغابة. ج3. ص96.

3 - أبو الطيّب. الإتباع. ص19.

4- الوطواط: الضعيف من الرّجال، وهو في غير هذا الموضع: الخفاش. الهياط والمياط الفوضى، السّقاط: الفتور أو الفعل القبيح. ينظر. ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص56.

5 -أبو الطيب. الإتباع. ص55.

آدم عليه السلام حين قتل ابنه، فمكث مائة سنة لا يضحك، ثمّ قيل له: حيّاك الله وبيّاك. قال: وما بيّاك؟ قيل: أضحكك. فإنّ بعض الناس يقول في بيّاك، إنّه إتباع، وهو عندي على ما جاء تفسيره في الحديث، إنّه ليس بإتباع. وذلك أنّ الإتباع لا يكاد يكون بالواو وهذا بالواو. ومن ذلك قول العبّاس في زمزم: هي "لشارب حلّ وبلّ"، فيقال إنّه أيضا إتباع، وليس هو عندي كذلك لمكان الواو»"[1]"، لقد عبّر "**أبـــو عبيـــد**" عن موقفه، بوضوح في نفيه أن يكون الإتباع بالواو، مستشهدا بنصّ الحديث.

أمّا أبو الطيّب، فقد أبدى رأيه في هذه المسألة، قائلا: « وإنّما قرنّا الإتباع بالتوكيد؛ لأنّ أهل اللغة اختلفوا، فبعض جعلوها واحدا، وأكثرهم اختاروا الفرق بينهما، فجعلوا الإتباع ما لا تدخل عليه الواو نحو قولهم، عطشان نطشان وشيطان ليطان، والتوكيد ما دخل عليه الواو نحو قولهم: هو في حلّ وبلّ ... يقولون: هذا جائع نائع، فهو عندهم إتباع، ثمّ يقولون في الدّعاء على الإنسان :جوعا ونُوعا، فيدخلون الواو، وهو مع ذلك إتباع: إذ كان محالا أن تكون الكلمة مرّة إتباعا، ومرّة غير إتباع، فقد وضُح أنّ الاعتبار ليس بالواو»"[2]"؛ فلا اعتبار بالواو عند أبي الطيّب في التّفريق بين الإتباع والتّوكيد، وهذه مسألة أخرى تخصّ المعنى.

لقد تبيّن من إحصاء مباني الإتباع؛ أنّ أكثر العبارات الإتباعية، تشترك في دلالتها على الوصف"[3]". وكان "**برونـــو**" "***Brünnow***""[4]"، قد أشار إلى هذا، قائلا: «يبدو أنّ اصطلاح الإتباع يُقصد به الصّيغ الوصفية، التي تتبع الكلمة الأولى بلا رابط»"[5]"؛ فكان تركيزه على الإتباع المتّصل؛ بدون الواو –الفاصلة– بين التابع

1 – السيوطي. المزهر. ص324

2 – أبو الطيّب. الإتباع. مقدّمة المؤلّف.

3– ينظر جدول مباني الإتباع. الفصل الثاني.

4– طبع كتاب "الإتباع والمزاوجة"لابن فارس، لأول مرة :في مدينة غيسن1906 م، بعناية المستشرق الأمريكي المولد، الألماني الأصل: رودولف برونو 1917 – 1858م***Rudolf E. Brunnow*** ، معتمداً نسخة كتبت سنة626 هـ ***www. alwaraq. net***

5 – رمضان عبد التواب. فصول في فقه اللغة العربية. ص 247.

ومتبوعه. ومن المحدثين من صنّف الإتباع المنفصل في إتباع المزاوجة؛ نظرا لانفصال متبوعه عن تابعه بالواو العاطفة؛ فهو أقرب إلى العبارة المزاوجة، منه إلى إتباع الإيقاع المتّصل. فهذا النّمط يصنّف في إتباع المزاوجة؛ نظرا لانفصال متبوعه عن تابعه بالواو العاطفة، التي تعدّ علامة دالّة على نوع العلاقة القائمة بين ركنيْ مركّب الإتباع المزاوَج، وبها يتماسكان. والمخاطِب، بمراعاته للمتلقّي، يحرص على الرّبط بين معاني الكلمات المتجاورة وكذلك الجمل المتجاورة ويكون لذلك الرّبط وقْع، إذا كانت الكلمات متتاليات معطوفات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا"[1]. غير أنّ إدخال التّغيير بالحذف على المركّب –معطوف أو شبه جملة–، بحذف الفاصل بين جزأيْه، يحوّله إلى مركّب أكثر تماسكا؛ ممّا يكون له تأثير على التركيب والدّلالة والإيقاع الصّوتي.

لقد تبيّن ممّا تقدّم في حديث التّركيب–في الفصل السابق لهذا–، أنّ مركّبات إتباعية كثيرة، كانت مركّبات عطفية في أصلها، أو شبه جملة يفصل بين عنصريها حرف جرّ"[2]، نحو "لقيته كفّةَ كفّةً"[3]، و "صحْرةَ بحْرَةَ"[4]، وصحرةً بحرةً نحرةً"[5]، و"هو جاري بيتُ إلى بيتٍ أو بيتٌ لبيتِ"[6]، ووقع "بينَ بينَ" وأتيته صباحاً مساءً، ويوماً يوماً، أي كلّ صباح ومساء وكلّ يوم. وتفرّقوا شغَرا بغرا"[7]. وشذَرا ومذَرا"[8]، من التشذّر والتفرّق والتبذير. وخِذْعا ومِذْعا"[9] ".

1 – ينظر المرادي. الجني الداني في حروف المعاني. ص348.

2– المركّبات بحرف الجرّ، أقلّ من المعطوفة.

3–أي ذوي كفّتين؛ كفّة من اللاقي وكفة من الملقّي؛ لأن كلّ واحد منهما في وهلة للتلاقي كاف لصاحبه أن يتجاوزه. م. س. ص177.

4 –أي استكشاف واتّساع، لا سترة بيننا. م. س. ص177.

5 – فلا يبنون لئلا يمزجوا ثلاثة أشياءَ. ينظر م. س. ص177.

6 –أي ملاصقا. ينظر م. س. ص177.

7 – أي مشرّدين في البلاد. م. س. ص 177.

8 – الميم في مذر بدل من الباء. ينظر م. س. ص177 .

9 – منقطعين منتشرين. من الخذع، وهو القطع. وفلان مذّاع أي كذّاب يفشي الأسرار. م. س. ص177

وفي قول العرب: "و قعوا في حيْصَ بيْصَ"[1]"، فهاذان اسمان ركّبا اسما واحدا وبُنِيا بناء خمسَةَ عشرةَ، والذي أوجب بناءهما، تقدير الواو فيهما وذلك أنّ الأصل هو:"وقعوا في حيْصَ وبيْصَ"، ثمّ حذفت الواو إرادة للتّخفيف والإيجاز"[2]". والظروف الواردة ونحوها، هي الأخرى ينطبق عليها حديث "حيصَ بيصَ" وقد « سمّي الظرف ظرفا، لأنّه يقع الفعل فيه، كالشيء يجعل في الظرف»[3]، وهذا المفهوم للظّرف يحيلنا إلى فكرة الضّغط والإجمال في التعبير؛ فالفعل "أتى" في "آتيك صباحَ مساءَ"، وقع في الصباح وفي المساء، والأصل، "آتيك في الصّباح وآتيك في المساء"؛ إلا أنّه بعد حذف الواو العاطفة، صار موجزا وخفيفيا على المرسِل والمتلقّي؛ فكلاهما يهتمّ برؤوس الأفكار، دون أدوات الرّبط التي تربط بينها، اكتفاءا بدلالات صوتية أو أخرى، ذهنية"[4]". وهذا مطلب تسعى إليه اللّغة، توفيرا للجُهد وتكثيفا للطّاقة التّعبيرية. والصّياغة تأخذ خواصّها التركيبية الملائمة في كلّ حالة؛ مستخدمة الأدوات اللّغوية التي تسوق الكلام مراعيا لمقتضى الحال"[5]"؛ إضافة إلى لمسة جمالية تتحقّق بالتّغيير في المركّب.

ففي المركّب الإتباعي المتّصل–بدون رابط– في مثل "امرأةٌ طُلَعَة قُبَعَةٌ""[6]"، قد حذفت الواو، وبحذفها تحقّق الإيجاز في الكلام، والتّخفيف من طول العبارة، كما أنّ التخلّص من الواو الفاصلة بين التابع والمتبوع "طُلَعة "و"قبعة"، قد أضفى تماسكا بينهما؛

1 –في فتنة تموج بأهلها. ينظر الزّمخشري. المفصّل. ص 176.

2 –ينظر ابن يعيش. شرح المفصّل. ج3. ص 114.

3 –الخليل بن أحمد الفراهيدي. الجمل في النحو. تح فخر الدين قباوة. ص33. مؤسّسة الرّسالة. بيروت . ط1. 1985. ***www. waqfeya. com/book. php?bid=3529***

4–سليمان بن إبراهيم العايد. علاقة اللغة المنطوقة واللّغة المكتوبة في اللّغة العربية. محاضرة. نادي مكّة الثقافي الأدبي. 18–10–1417هـ.
https://uqu.edu.sa/files2/tiny_mce/plugins/filemanager/files/.../r18.pdf

5– ينظر السكاكي. مفتاح العلوم. ص169.

6–وهي التي تطّلع مرّة وتختبئ أخرى، ويسمّى القنّفذ: القُباع، لإدخاله رأسه إذا فزع. ينظر ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص55.

إذ اكِتفَيا ببعضهما؛ فصارا اسما واحدا، يوحي سماع مركّبه بالخفّة والسّرعة؛ في نقل الصورة الحسّية الواضحة لحركة الاختفاء والظّهور.

وللحذف في اللّغة العربية أسرار، وقد خصّه الجرجاني بباب خاصّ-"باب الحذف"- منوّها به في قوله: « هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر،شبيه بالسّحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذّكر، والصمت من الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبِنْ»"[1]. وهكذا يكون للحذف، أثره على مستوى الشّكل والدّلالة في المركّب الإتباعي؛ ممّا يزيد في تقوية المعنى وتوكيده، مع تحقيق الاقتصاد في الجهد، بالإيجاز في التعبير. فالمركّب نفسه يتحوّل من مركّب عطفي مفصول الجزْأين إلى مركّب موصول متماسك، يسمّى إتباع الإيقاع.

1 -عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص112.

المبحث الرابع:
الإتباع المتّصل

هذا النّمط من الإتباع، العلاقات اللّغوية فيه، قائمة على مبدأ التّضمين بين المعاني؛ فالعلاقة معنوية، يدركها السّامع في "جائع نائع"، و"عطشان نطشان"ونحوه من المركّبات. وقد أطلق عليه، لتمييزه عن إتباع المزاوجة، تسمية "إتباع الإيقاع""[1]"، أو الإتباع المتّصل بلا رابط.

ب- **إتباع متّصل:** في مثل، قول "**امرئ القيس**":

وعينٌ لها حَدْرة"[2]" بدْرَةٌ وشُقَّت مآقيهِما من أُخُر"[3]"

وفي مثل قول امرأة، تصف زوجها:

إنّ حِرّي حُطائط بُطائطْ كأثر الظّبي بجنْب الحائط"[4]"

نحو قولهم: "سادم نادم وندمان سدمان وندمى سدمى وناهي سدامي للجميع""[5]" ونحو: "أريضٌ عريضٌ" "بحت لحت": برد شديد، "بَرٌّ سَرٌّ"، "بِلْغٌ مِلِغ: خبيث لئيم-"بلْقَع سلْقع: مكان قفْرٌ"...الخ. الأمثلة من هذا النّوع المتّصل، الذي سبقت دراسة تركيبه في الفصل السابق لهذا، هي التي وردت بكثرة في كتب التّراث الإتباعي، وكانت محلّ عناية علماء اللّغة القدامى، ونقاشاتهم الموسومة بالخلاف، حول الظّاهرة الإتباعية؛ من حيث

1- نظرا لما يتحقّق فيه من انسجام صوتي بين كلمتي المركّب، في اتّحاد الوزن والرويّ. إتباع الإيقاع، يتوافق ومفهوم مصطلح الإتباع، الذي جاء به ابن فارس. ينظر. الفصل الأوّل ص17.

2 -حدرة: ممتلئة. المآقي: مؤخّر العينين.

3 - امرؤ القيس. 80ق .م - 560م. الديوان. ص108. تح. مصطفى عبد الشافي. دار الكتب العلمية.بيروت. ط5. 2004م. ***http://majles. alukah. net/showthread. php?t=6311***

4 -أبو الطيّب. الإتباع. ص17.

5-ينظر أبو الطيّب الإتباع. ص54.

الشّكل والدّلالة والتّصنيف"[1]". وهذا الصّنف من الأمثلة الإتباعية، هي التي ينطبق عليها مصطلح "الإتباع" بالمعنى اللّغوي للإتباع، الذي جاء في قول "**ابن فـــارس**" « للعرب الإتباعُ، وهو أن تُتْبعَ الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويّها إشباعا وتوكيدا»"[2]"، ومن هنا حصر البعض من علماء اللّغة الإتباع في المركّب الوارد بدون الواو الفاصلة بين ركنيْه، ومن هنا سمّي " إتباع الإيقاع" أو إتباع بدون رابط؛ أي متّصل.

إنّ هذه الأنماط بتنوّعها التركيبي، تسعى في أغلبها إلى توليد معنى واحد في كل عبارة، تتماسك فيها وحدتا التّركيب. وهذا المعنى الذي يدرك، قبل إدراك معنى مكوّنات العبارة"[3]"؛ هو ذاك المعنى الكلّي أو الإجمالي الذي غالبا ما يكون على درجة من الشّفافية في العبارة الإتباعية. وهذا ما يعرف بالتّوليد الدلالي الذي هو إبداع المتكلّم دلالات معجمية وتراكيب دلالية جديدة، تختلف عن تلك الدلالة التي تفيدها البنية المعجمية المعروفة والمألوفة بين أفراد الجماعة اللغوية. ولا شكّ أنّ توليد الجماعة اللّغوية، لمعان جديدة تحمل قيما دلالية جديدة، لأبنية معجمية موجودة من قبل، اقتضتها سياقات ومقامات وظروف وملابسات لغوية، لم تكن تتحقّق في مدلول البنية المعجمية المفردة قبل ذلك"[4]".

ولكنّ الإبداع في العبارة الإتباعية، لا يتوقّف عند التوليد المعجمي والتركيبي، لدلالات جديدة فحسْب، بل يتجاوزه، للتحلّي بجمالية النّغم الصّوتي والجرس الموسيقي العذب، الذي يعدّ من المؤثّرات في تكوين المعنى؛ فهو إبداع، دلالي صوتي، يحمل توقيع أفراد العامّة من المجتمع اللّغوي، عند كلّ أمّة، وعبر العصور. و« قد شاركت العجمُ العربَ في هذا الباب»"[5]". ولا زالت العبارة الإتباعية، تستحضرها المواقف الحياتية بألوانها إلى يومنا هذا؛ فتجري على الألسنة مطاوعة، للتّعبير عن رأي، في

1- ينظر مدخل البحث .

2 – ابن فارس. الصاحبي في فقه اللّغة. ص209.

3- ينظر حسام البهنساوي. التوليد الدلالي. ص 7.

4- ينظر م.س. ص 7 .

5 –ابن فارس. الصّاحبي. ص209 ، السيوطي. المزهر. ج1 ص 323.

موقف من المواقف أو لغرض التفكّه"[1]" والسّخرية. والمتتبّع للعبارة الإتباعية في التّراث اللغوي، يجد أشكالا، وبناء على شكل العبارة؛ نهتدي إلى المكوّنات الدّلالية للمعنى المقصود منها، وفيما يلي مجموعة من العبارات الإتباعية"[2]"، نتناولها بالتّحليل.

"هُمزة لُمزة":

سبق أن تعرّضنا فيما سبق للحروف التي تدخل في بناء الإتباع أو تشكيله، وقد تبيّن أن حروفا معيّنة ينجذب بعضها إلى بعض، في مثل العبارة "هُمَزة لمزة"، من وزن "فُعَلة" في القرآن الكريم"[3]"﴿ وَيْلٌ لِكلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾"[4]"، وردت في وصف من كثر همزه ولمزه"[5]" والهُمَزة: الذي يهْمِز النّاس بالألقاب. واللُّمَزة: العَيّاب"[6]". هو "هُمزة لمُزة"؛ إذ يحيلنا إلى الآية الكريمة ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لمُزَةٍ ﴾"[7]"، وممّا جاء في اللّسان: «همزْته ولمزْتَه ولهزْته، إذا دفعتَه»"[8]".

يتّضح ممّا جاء في الدلالة اللّغوية، لهذا المركّب، "رجلٌ هُمزةٌ لمُزةٌ"، و"امرأة هُمَزة لمُزة""[9]": الذي يغتاب النّاس ويغضّهم"[10]"؛ فالآية قد تحدّثت عن فريق من النّاس

1- "فكّهه" بمعنى أطعمه الفاكهة، وبمعنى أطربه بكلام لذيذ. ينظر شوقي حمادة . معجم عجائب اللّغة. ص56. دار صادر. ط1. 2000. ***islamport. com/d/1/tfs/1/37/1866. html***

2- ينظر أبو الطيّب. الإتباع وابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ابن دريد. الجمهرة. ج3. باب الإتباع. القالي. الأمالي ج2. باب الإتباع. رفائيل نخلة. غرائب اللغة العربية. ص54 وما بعدها

3- توعدت سورة الهمزة جماعة من المشركين كانوا أقاموا أنفسهم للمز المسلمين وسبهم واختلاق الاحدوثات السيئة عنهم. تفسير التحرير والتنوير. ج 30. ص535.

4 – الآية1 من سورة الهمزة.

5 –ينظر الشرح، الفصل الأوّل من هذا البحث. ص32

6- ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص46.

7 – الآية :1. سورة الهمزة.

8 – ابن منظور. لسان العرب. ج4. ص97

9- ينظر. ابن منظور. لسان العرب. ج4. ص97: التاء ليست للتأنيث، إنّما لحِقت لإعلام السامع، أنّ هذا الموصوف بما هي فيه، قد بلغ الغاية والنّهاية، فجعل تأنيث الصفة أمارة لما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة.

10 –ينظر. ابن منظور. لسان العرب. ج4. ص 97

يعيبون البشر ويأكلون أعراضهم؛ فخلقهم الذّميم، الهمْزُ واللّمْز"[1]. أنّهما تمثّلان وحدة دلالية، متميزّة بخصائص معيّنة""[2]. وعلى مستوى الحركات، فضمّ فاء الصيغة، نجده قد أضفى لونا إضافيا على الدلالة اللغوية الأصلية لكلّ تابع، وهو الظهور والبروز بشكل ملفت للنّظر، إضافة إلى إيحائها بالسرعة. واللام هو أحد الأصوات التي تتكاثر بها الأمثلة الاتباعية"[3]. ومجيء "لمزة" بعد "همزة"، يؤكد ملحوظة لا تخطئها الاذن، وهي أن الصّامت الأول من الدال الثاني من مركب الاتباع، يكون عادةً من الأصوات المجهورة في العربية. وتلك ميزة تعطي التّابع حين يبتدئ بها، وضوحاً سمعياً خاصّا"[4]".

ونلاحظ أنّ كلمتيْ العبارة الإتباعية متشابهتين، ممّا يوحي بالقرابة بينهما، وتعزيز إحداهما للأخرى. إلاّ أنّنا نلمح قوة في الكلمة الثانية التّابع، من خلال قوة صوت اللام وجهره، ويؤكّد هذا أن "اللّمزة"، هو العّياب في حضور الشخص وفي غيابه، أما "الهمزة" فهو المغتاب؛ فالصلة بينهما وُثقى"[5]". والمغتاب يفعل ذلك في خفاء، وكأنّ صوت الهاء المهموس المهتوت يعكس هذا التخفّي. ولبناء صيغة "فُعَلَة"، دلالته في نقل الصّفة الدنيئة التي صارت عادة مألوفة عند من اتّصف بها وأكثر منها، واستمرّ عليها؛ فصارت سجّية وطبعا وأمرا مُلازما، فهي من صيغ مبالغة اسم الفاعل التي وردت قليلة في كلام العرب. ويقال للرّجل والمرأة: "**رجل هُمزة لمزة**" و"**امرأة هُمزة لمزة**"؛ فالهاء لم تلحق لتأنيث الموصوف بما هي فيه، وإنّما لحقت لإعلام السامع أن هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهاية، فتأنيث الصفة أمارة لما أريد من

1- ينظر. محمّد علي الصّابوني. إيجاز البيان في سور القرآن. ص313. مكتبة الغزالي. دمشق. ط.2. 1399هـ-1979م.

2- يمكن معالجة العبارة ضمن "المتلازمات اللّفظية، ويأتي الحديث في هذا، لاحقا.

3- ينظر الفصل الأوّل من هذا البحث .

4- وقد سبق الحديث في هذه الخاصّية الصّوتية في الفصل الأوّل.

5- أحمد أحمد بدوي. من بلاغة القرآن. ص 18. نهضة مصر للطّباعة والنّشر.مصر. 2005 م.

تأنيث الغاية والمبالغة"[1]". نلاحظ أنّ الكلمة الثانية من كلمتيْ الإتباع، لم تستقلّ بمعناها، أي لم تفرد؛ لأنّ وجودها بالمعنى الذي تفيده، مقصور على هذا السّياق، ولم ترد كلمة "هُمزة" في اللّسان، إلاّ وهي متبوعة بقرينتها "لُمَزة""[2]"؛ فهذه العبارة الإتباعية من قبيل التجمّع المعجمي الذي يأتي الحديث فيه لاحقا.

لا شكّ أنّ السّامع المتذوّق، يدرك ما يوحي به بناء التّابع"فُعَلة"، من دلالة على المبالغة والإكثار، من ممارسة سلوك معيّن؛ يعرف به صاحبه؛ فيوصف به. وفي زيادة التاء رابعة، زيادة في الدّلالة على المبالغة؛ فكل بناء وصفي على وزن "فُعَلَة"، –بفتح العين–، هو وصف للفاعل، في مثل الحرب خُدْعة وفُعَلَة من صفات الفاعل، تقول: رجلٌ هُزَأَة: يَهزأ بالنّاس وهزْة يهزؤون منه وكذلك سخَرَة وسُخْر، وضُحَكَة وضُحْكة ولُعَنة ولُعْنة وسُبَبَة وسُبَّة وخُدَعَة وخُدْعَة"[3]".

وينطبق هذا على "**هُذَر ة بُذَرَة**"، فهذرة وبذرة: كلمتان مختلفتان، لكلّ منهما معنى معجمي، مستقلّ وتجمّعهما مع بعضهما، أفاد دلالة الإكثار من الكلام، وهو وصف لمن هو مِهذار كثير الكلام. ومثله "هُكَعة لُكَعة"، أفاد تعاون الكلمتين وصفا ينعت به من أكثر الإهمال والتهاون. وفي "رأيت النّسوة جُمَعَ بُصَعَ""[4]"، للدّلالة على جمع غفير من النّسوة.

1– ينظر. ابن منظور. لسان العرب. ج4. ص97: التاء ليست للتأنيث، إنّما لحِقت لإعلام السامع، أنّ هذا الموصوف بما هي فيه، قد بلغ الغاية والنّهاية، فجعل تأنيث الصفة أمارة لما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة .

2– ولم يذكر ابن منظور، أنّ "لمُزة" إتباع.

3 – ينظر. أبو محمّد عبد اللّه بن مسلم ابن قتيبة. أدب الكاتب. ص375 .

4– ينظر أبو الطيّب. الإتباع. ص 16.

-"**هنيئا مريئا**":

قول "**القالي**" في أماليه، في هذا المثال: « ويقولون :"هنِئٌ مرئٌ "، وهو من قولهم: هنأني الطعامُ ومرأني، فإذا أفردوا لم يقولوا إلا أمرأني، ولم يقولوا مرأني»"[1]". ومصدر المركّب الإتباعي "هنِئٌ مرِئٌ""[2]""[3]".

جاء في اللّسان « مرُؤَ الطّعامُ ومرأَ: صار مريئا... ومرَأني الطعام وأمْرَأني: إذا لم يثقل على المعِدة وانحدر عنها طيّبا، ... والمريء: مجرى الطعام والشراب من الحلْق، ... وأصل المريء: رأس المعدة المتّصل بالحلقوم، ومنه استْمْراءُ الطّعام»"[4]"، ونلاحظ هنا، أنّ كلمة "مريئا"، ذات دلالة معجمية واضحة، وأصل اشتقّت منه، وما اندرج في هذا الصّنف من الإتباعات، كان محلّ نقاش وتوتّر عند القدماء؛ فمن مدرج إيّاه في الإتباع، ومن مخرج له إلى أبواب غير إتباعية، كالتوكيد، والترادف والمشاكلة"[5]".

والمركّب "**هنئٌ مرئٌ**"، إتباع عند "**القالي**" و"**ابن سيده**"، بينما اعتبر "**رمضان عبد التواب**"؛ العبارة القرآنية "هنيئا مريئا" مركّبا إتباعيا، وكلمة "مريئا"، تابعا، ذا معنى واضح"[6]"؛ أمّا "**الأقطش**"، فقد نفى وجود مركّب إتباعي في القرآن الكريم، في قوله «...و لم نعثر على شواهد للإتباع في القرآن الكريم أو الحديث الشريف»"[7]"؛ ويظهر أنّه اعتمد الرّأي القائل؛ بأنّ اللّفظ الثاني التّابع، مُفرَغ من أيّة دلالة معجمية، ولكنّه على

1 -القالي. الأمالي. ج2. ص209.

2-"هنئٌ مرئٌ "، ينظر القالي في الأمالي. ج 2. ص209. ابن سيده. في المخصّص ج14. ص29، الإتباع لأبي الطيّب. ص126.

3 - الآية4. سورة النساء.

4 - ابن منظور. لسان العرب. ج1. ص 156

5 - ينظر مدخل البحث.

6 - رمضان عبد التواب. فصول في فقه العربية. ص246.

7 -الأقطش. إتباع الإيقاع. ص165.

نسق وصياغة الأوّل شكْليا؛ فاللّفظ التّابع، كان يشترط فيه، أن يكون مُفْرغا من أيّة دلالة لغوية، فهو مجرّد صورة سمعية، ورسم صوتي، وهذا لا ينطبق على كلمة "مريئا".

-أصبح الرّجل شوْباً رَوْباً"[1]":

الكلمة الأساس في العبارة، "شوْب"؛ الشوْب يعني الخلْط. ويقال للمخلِّط في القول والعمل: هو يشوب ويروب، والرّوب: اللّبن. والمعنى الذي تعنيه العبارة، أنّ هذا الرّجل خبيث النّفس، ونلاحظ أنّ العبارة استمدّت معناها من الكلمة الأولى -المتبوع-، والعلاقة بين الكلمتيْن، علاقة ضمنية؛ فالرّوْب الصّافي قد شابَه شيء، أفسده.

- تركَتْ الخيْل الأرضَ حوْثا بوْثا"[2]":

المعنى الظّاهر للعبارة، أنّ الخيل تحرّكت؛ فأثارت تراب الأرض بحوافرها، ممّا خلّف خرابا؛ فالمقصود من العبارة الخراب والدّمار الذي عمّ الأرض، إثر جريان الحدث، والملاحظ أنّ لكلّ كلمة معنى مستقلّ، فحوْث، من حثّ أي حضّ، والحثّ التراب، وحثْحثَ، حرّك وبوْث، من بثّ أي نشر الغبار، أثاره وهيّجه؛ فالكلمتان تشتركان في تكوين المعنى المفاد من العبارة، وهذا المعنى لا يتطلّب جهدا فكريا من السّامع لإدراكه؛ لأنّه معنى شفّاف. ومكوّنات هذه العبارة من العبارات الطيّعة التي خضعت للتّنويع الصّوتي؛ إذ يقال: "تركتُهم حيْثَ بيْثَ" و"حَوْثَ بَوْثَ" و"حَوْثاً بوْثاً" و"حاثٍ باثِ"، وكلّها تعبّر عن مخلّفات الفوْضى وآثارها، كما أنّها تأتي للدّلالة على

1 - ينظرأبو الطيّب. الإتباع. ص47.

2 - م. س. ص19.

الكثرة، وهذا في: "جاء القومُ بحْثٍ بوْثٍ، وحوْثا بوْثا، وحيثَ بيثَ، أي جاؤوا بالكثرة""[1]".

-" **شيءٌ قَضٌّ بضٌّ**""[2]":

هذه العبارة، وردت في وصف شيء ما، يعجب النّاظر، "شيء قضٌّ بضّ"؛ الكلمتان مستقِلّتان؛ تُعزِّز إحداهما الأخرى، فكلمة "قَضّ" وكلمة "بَضّ" تتتابعان لتؤدّيا صفةً حسّية واحدة تعني "جميل"، ونجد هنا أن المعنيين الأصليين امتزجا ليكوِّنا معنى واحدا؛ وهو المعنى المراد من العبارة؛ فيمكن أن يكون لكلّ كلمة معنى مستقل عن الأخرى، وتجمّعهما مع بعضهما، يتولّد عنه معنى جديد، وهو المعنى المسكوت عنه في العبارة.

- "**إنّه لَسِمِلَّع هملّع**[3]:

أي خبيث"، والسِّمِلّع والهملّع، اسمان لحيوان واحد، هو الذّئب، والجمع بين هاذين الاسمين، لغرض التّعبير عن صفة الخُبث في الشّخص المعني؛ فالعبارة تحمل معنى، يريد المتكلّم إيصاله إلى سامعه، وإقناعه برأيه.

1 –حوث، لغة في حيث، حيث وحوث: اللّغتان جيّدتان، والقرآن نزل بالياء، وهي أفصح اللّغتين. ينظر. أبو الطيّب. الإتباع. هامش. ص19.

2 – ينظر أبو الطيّب . الإتباع . ص22.

3– م. س. ص109.

- فرسٌ صلتانٌ فلتان"[1]":

في وصف فرس "فرس صلتان فلتان"، صلتان شديد الصّلب، النّشيط، وفلتان كثير، وهو السّيف، وقد نتج عن تجمّعهما معنى جديد، فكلمة صلتان أعطت معنى الصلابة وفلتان، أعطت معنى القويّ، فكلّ كلمة لها معنى مستقلّ، والمعنى الناتج عن تجمّعهما، معنى جديد، وهو صف الفرس. نلاحظ أنّ تكوين معنى العبارة غير المصرّح به (***le non dit***)، قد استخدمت فيه كلمتان تشيران إلى معنيْن مختلفيْن، والمراد من العبارة، يفهم من مكوّنات العبارة اللّفظية وغير اللّفظية، كالتّنغيم والنّبر، وسياق الموقف .

- أبْغِني ناقةً حلْبانة ركْبانة:

أي غزيرةً تُحلب وذلولا تُركب؛ فهي صالحة للأمرين وزيدت الألف والنون للمبالغة"[2]". نلاحظ هنا، أنّ التّابع لم يكتف باستبدال الحرف الأوّل المتصدّر لصيغة الكلمة الأساس وهي المتبوع"حلبانة"، وإنّما تجاوزه إلى حرفين؛ الأوّل والثاني "ركبانة"، ممّا زاد في تلوين التّابع؛ فاجتمع في العبارة؛ جمال التّلوين الصوتي وعذوبة الإيقاع في مجيء التابع متوافقا مع متبوعه في الوزن والرويّ. أما توافق الوزن-"فعلان"-؛ فيوحي بوفرة الحليب وسهولة الرّكوب، وأما الرويّ المتمثّل في حرف النون، فله حسن الوقع الموسيقي والوضوح السّمعي في نفس السّامع.

1 - أبو الطيّب. الإتباع. ص72.

2- ابن الأثير. النهاية في غريب الحديث. ص 471

-"**رجل حوّاس عوّاس**""[1]":

المباني التي سبق التعرّض لها فيما سبق، بعيدة عن الكمون ؛إذ هي تعكس نشاط اللغة، وفاعلية النظام الصرفي؛ فصيغة فعّال في "رجل حوّاس عوّاس": أي "هو طلاّب باللّيل"، تقترن بمعنى صعوبة الحركة، في ظلمة اللّيل، وصيغة المبالغة هنا تنقل النّشاط المُبالغ فيه، ويراد بهذا تصوير شدّة الطّلب والفاقة والحاجة. ونلاحظ أنّ الكلمة الأولى الأساس، لها معنى، ممّا أضفى على العبارة كلّها معنى شدّة الطّلب والمبالغة فيه "حوّاس" أما الثانية، فلا معنى لها وحدها، ولكنّها تلوّنت بلون سابقتها فاكتسبت معنى، بفضل تجمّعهما، ممّا منح العبارة معنى، شدّة الطّلب في اللّيل. الكلمة الأولى لها معنى والثانية لا معنى لها؛ فمن « الإتباع أن يُجاء بكلمات لا معنى لها أصْلا، و إنّما ضُمّت إلى الكلمات التي قبلها لتزيين الكلام مثل قولهم: "حسن بسن"»؛ فمعنى العبارة مكوّن من تجمّع كلمة لها معنى وتابعة لها بلا معنى، أي أنّه ليس ثمّة بديل ممكن لهذا العنصر اللّغوي"بسن"؛ لأنّ وجودها لا يخرج عن السّياق الواردة فيه "حسن بسن"؛ إذ ليس هناك بديل يمكن أن يحلّ محلّها، فكلمة "بسن"، لا تؤدّي وظيفة سياقية؛ لأنّ الوظيفة تقتضي أن تكون بديلا ممكنا لغيرها من الكلمات، ولكنّها هنا، ليس لها بديل (***substitution***)"[2]"، فليس لها معنى"[3]" غير أنّها تماثل سابقتها في الوزن والرويّ؛ فتكون مجرّد تتمّة صوتية تملأ فراغا، لا يملأه غيرها من الألفاظ لتحقيق الانسجام في العبارة.

---

1 – الكلمة الأولى منها "حوّاس"، واردة عند أبي الطيّب بالحاء، وعند ابن فارس بالجيم "جوّاس عوّاس"، وجوّاس من جاس بين البيوت؛ أي تردّد وطاف بينها؛ فهو جوّاس.

2– السّياق في مفهومه الواسع، يشمل السّياق الصّوتي والصرفي والنّحوي والمعجمي، ولا يظهر المعنى المقصود للمتكلّم إلاّ بمراعاة الوظيفة الدّلالية للألفاظ المستخدمة؛ ولا يظهر معنى العنصر اللّغوي إلا بتميّزه السياقي من مقابلاته التي يمكن أن تقع موقعه في ذلك السياق. ينظر. مجمد محمد يونس علي. مقدّمة في علمي الدّلالة والتخاطب. ص28.

3– تتحدّد كلّ وظيفة في إطار منهج يعرف بمنهج الإبدال، وهو أن تحلّ كلمة محلّ أخرى، أو أن يحلّ حرف محلّ حرف آخر دون تغيير في الوظيفة مع الإبقاء على مقبولية الجملة. ينظر. مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص274.

-"رجل حَسْكَة مسْكة":

جاءت هذه العبارة بمعنى شجاع، ولكنّ الملاحظ أنّه لا معنى لـــ"حسكة وحدها، وكذلك التابعة لها"[1]"، وتركّبهما مع بعضهما في شكل متضامّ متماسك، تولّد منه معنى جديد، يفيد الشّجاعة، ولعلّ سائل يسأل من أين تولّد معنى العبارة؟ فالتابع "مسْكة؛ "جِيء به على نسق متبوعه "حَسْكَة"، وبالأصوات كلّها عدا صوتا واحدا، هو الميم. فالدّلالة هنا الصوتية والصّرفية، تتعاونان، في إنتاج المعنى الكلّي للعبارة، وهو "الشجاعة". فعبارة "حسْكة مسْكة" تعبير وصفي تلقائي، يمكن أن يكون الشخص الموصوف به، خفيف الحركة، يقبل على الصّعاب من الأمور، غير متردّد؛ فأفادت العبارة معنى الشجاعة، وكان لصيغة "فَعْلَة" نشاط من حيث الدّلالة على الخفّة؛ فحاجة المتكلّم إلى الدّلالة على كلّ وصف ماسّة، ولا بدّ من مبنى خاصّ يدلّ على المعنى المراد بعينه.

-رجل أشَقٌّ أمَقٌّ خبَقٌّ:

الإتباعات المتوالية، تشير إلى معنى الطّول؛ فهي كلّها مترادفات"[2]"، والتّكرار هنا في العبارة، يحقّق التّماثل الصّوتي الذي يستمتعُ به السّامع، ولا يسأم من تكرار المعنى ما دامت الألفاظ مختلفة، في مثل"شيء قشيبٌ جديدٌ"، "وسيم قسيم". يبدو التجوّز في استعمال الكلمات المتقاربة في الدلالة، أو المفردات التي بينها فروق دلالية بسيطة[3]. وقد سميت هذه الألفاظ بـــ "الألفاظ المتكافئة""[4]"، وقد يكون هذا الأمر ناتجاً عن عدم

1- ينظر رفائيل نخلة. غرائب اللّغة. ص56.

2-ينظر رفائيل نخلة. غرائب اللّغة. ص 25.

3- توصي لجنة الأصول في شأن المترادفات أن يعنى كلّ العناية بتبيان الفروق الدلالية بين الكلمات، ما أمكن بحيث يتحدّد المعنى الدّقيق لكلّ كلمة وبذلك تضيق دائرة المترادفات. شوقي حمادة. معجم عجائب اللّغة. ص56.

4- ينظر السيوطي. المزهر. ج1. ص318.

معرفة، أو تجاهل، للفروق الدلالية بين هذه الألفاظ"[1]" ومنه "جديد قشيب"، فالقشيب، هو الجديد، والتقديم والتأخير هنا لا أثر له في دلالة تركيب المفردتين مما يدل على أنهما رديفان"[2]". وممّا سبق النّظر فيه، مسألة ثبات الرّتبة"[3]" في المركّب الإتباعي، وفي حال ترادف ركنيْه، لا أثر لتغيير الترتيب في "قشيب جديد"، وما يجري مجراها من المركّبات.

ونخلص من خلال تحليل العبارات السابقة إلى:

- ✓ أنّ تكوين المعنى في العبارة الإتباعية، ناتج عن مكوّنات، صوتية صرفية وتركيبية نحوية دلالية؛ تتعاون كلّها في إنتاج معنى العبارة الإتباعية الذي نستأنس فيه بقول "**إبراهيـــم أنيـــس**" « كل الذي يجب أن يشترط في الكلام لئلا يكون لغوا، هو حصول الفائدة وتمامها، ويتحقّق مثل هذا الشرط في كثير من العبارات التي لا يعدّها اللّغويون جملا»"[4]".
- ✓ العبارة الإتباعية على تنوّع أنماطها، تسعى إلى توليد معنى كلّي مكثّف، تتعاون في تكوينه وحدات المركّب، إضافة إلى مساهمة عناصر غير معجمية"[5]"، مثل النّبر والتّنغيم وغيرها من العناصر التي تضفي معان أخرى إلى المعنى المعجمي للعبارة، كسياق الموقف الذي يمكن تصوّره نسبيا؛ من خلال التشبّع بالدّلالة الإيحائية للعبارة، والاستعانة بما يذكره زكي مبارك في قوله « ألسنا نستمدّ الفهم من تجاربنا السابقة حينا، ومن سياق الكلام حينا آخر؟ فأين هذا الكلام المستقلّ بالفهم الذي لا نستعين فيه بكلام سبقه ولا بتجارب ماضية، ولا بإشارات الأيدي وتعابير الوجه في كثير من الأحيان؟»"[6]"؛ فالمعاني المقصودة

1- ينظر السيوطي. المزهر ج1. ص 319.

2- ينظرالقالي. الأمالي. ج2. ص211.

3- ينظر الفصل الثالث.

4- إبراهيم أنيس. من أسرار اللغة. ص 236

5- هذه العناصر غائبة؛ لأنّ مادّة التراث الإتباعي، وصلتنا، مثبتة خطّيا.

6 - إبراهيم أنيس. من أسرار اللغة. ص236

من بعض العبارات الإتباعية يتجاوز ما يقال فعلا؛ و« لذا ينبغي التّركيز في السّياق على ناحيتين من نواحي الوحدة الكلامية: الناحية الكلامية والناحية اللاّكلامية»"[1]"، ولكنّ الملابسات اللاّكلامية المساهمة في إنتاج العبارة؛ هو المكوّن الغائب الذي يحاول المتلقّي تصورّه وإعادة تركيب أجزائه.

وفيما يلي التّفصيل في علاقة الإتباع ببعض الظّواهر اللّغوية.

1- جون لاينز. اللّغة والمعنى والسّياق. ترجمة عباس صادق الوهّاب. مراجعة يوئيل عزيز. ص222. دار الشؤون الثقافية العامّة. بغداد العراق. 1987م. ***archive.org/search.php?query=subject%3A%22***

المبحث الخامس:
قضايا لغوية في الإتباع

علاقة الإتباع بالظّاهرة الصّوتية:

تبيّن من خلال تحليل العبارات؛ أنّ بعض الإتباعات، لا تحمل معنى وهي منفردة، في مثل "رجل جوّاس عوّاس""[1]"، و"رجل حسْكة مسكة" مثلا. وفي هذه الحال لا تعني الكلمة التابعة شيئا إلاّ إحداث الانسجام الصّوتي. وهذا هو الأصل في الإتباع في نظر بعض القدامى الذين اشترطوا أن يكون التّابع مفرغا من أيّ معنى"[2]". وكان ردّ السّبكي في شرح المنهاج"[3]"، في قوله: « إنّ العرب لا تضعه سدىً»"[4]"؛ ويمكن أن تكون بعض الألفاظ الإتباعية، قد فقدت معناها أو وردت بلهجة قبيلة غير مشهورة كشهرة قريش، فبقيت العبارة بشكلها، تحمل الانسجام الصوتي، والكلمة الثانية فيها، قد أفرغت من معناها؛ فقالوا: "لا معنى لها"[5]". ويمكن أن تكون بعض الألفاظ المصنّعة، مجرّد إتباع صوتي؛ أي تتمّة صوتية، كما جاء تفسير "بيّاك" في عبارة "حيّاك اللّه وبيّاك""[6]"؛ وما هذه التمّة الصّوتية إلاّ استجابة للإجراء الإتباعي التّلقائي، الذي يسعى فيه المتكلّم إلى تحقيق التّوافق الصوتي. ويعود هذا إلى الذّوق العربي، في كراهية

1-جاس بين البيوت والدور: تردّد وطاف بينها في الغارة؛ فهو جوّاس. وعاس: طاف باللّيل. ينظر. ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص48. "ومنه في عاميّتنا: العسّاس: الحارس".

2-ينظر مراحل تطوّر مفهوم الإتباع في مدخل البحث.

3- كتاب الإبهاج فى شرح المنهاج لشيخ الإسلام تقى الدين السبكى والذي أكمله ابنه تاج الدين، هو شرح على منهاج الأصول صول للقاضى البيضاوى- (ت685هـ - 1292م)- فى أصول الفقه.

4- السّبكي. الإبهاج في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي. ص. 245. ***http://www.archive. org/details/ibh***

5- ينظر عطيّة سليمان أحمد. الإتباع والمزاوجة في ضوء الدرس اللغوي الحديث. – بتصرّف–ص194.

6-ينظر مبحث: تفسير التّابع من هذا الفصل.

التّنافر، ويسمّى (***harmonie***)"[1]"، في مثل العبارة" طيّور فيّور"[2]"، فهذه الموافقة الصوتية بين اللّفظين، توهِم بالتكرار، الذي هو إلحاح على جهة هامَّة من العبارة؛ فهو بذلك ذو دلالة نفسية قَيِّمة، تكشف عن الفكرة موضع الاهتمام؛ ولهذا تُفسّر الظاّهرة الإتباعية في ضوء المناسبة الصّوتية الموسيقية"[3]". وفيما يلي بعض تلك العبارات المنتهية بكلمات لا معنى لها، رُويت في الإتباع، وتكلّف الرّواة، لها دلالة معيّنة:

-"أسوان أتوان":

حزين متردّد، لا يستقرّ على حال من شدّة الحزن، "عطشان نطشان": نطشان قلق، هنِئ مرئ": أسعده الطعام وأسرّه، "غنيّ مليّ": غنيّ جدّا. "خفيف ذفيف": الذّفيف: السّريع، "كثيرٌ بثيرٌ": كثير جدّا"[4]". وقد يأتي التّابع والمتبوع كلاهما مجرّدين من أيّ معنى في مثل "سَلْقعٌ بَلْقَعٌ""[5]"، والتابع في هذه الحال لا يفرد؛ لأنّه جيء به لتوكيد متبوعه؛ وهذا الذي يتّضح من قول السّيوطي « والذي عندي أنّ هذه الألفاظ تدخل في باب التأكيد بالتّكرار، نحو رأيت زيْدا زيْدا، ورأيت رجلا رجلا، وإنّما غُيِّرَ منها حرف واحد لما يجيئون في أكثر كلامهم بالتّكرار، ويدلّ على ذلك أنّه إنّما كرّر في أجمع وأكتع، العين، وهنا كرّرت العين واللاّم نحو حسن بسن وشيطان ليطان»"[6]"، وإذا أخذنا برأي السّيوطي، فإنّه يمكن تفسير ظاهرة التّغيير في موقعية الصّدارة من الكلمة ؛ بأنّها كسر للرّتابة، قصد لفت انتباه السّامع.

1- توافق صفات الألفاظ من حيث النّبرات والنّغمات والأصوات؛ بحيث يكون ذا وقع حسن في نفس السّامع. ينظر مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. . ص129.

2- أي سريع التحوّل من أمر إلى آخر. لا تستعمل "طيّور وحدها ينظر رفائيل نخلة. غرائب اللّغة. ص60.

3- ينظر. تمام حسان، اللّغة العربية، معناها ومبناها، ص274،عالم الكتب،ط 3، 1998

4- ينظر. القالي، الأمالي. ج2 ص 216.

5 - ينظر. أبو الطيّب. الإتباع. ص 36.

6 -السيوطي. المزهر. ج1. ص330.

وممّا يلفت انتباه السّامع أيضا، ظاهرة تنوين أواخر إتباع الإيقاع الوارد بدون واو خاصّة. – نظرا لتنكيرها– في مثل: "جائعٌ نائعٌ"، "عطشانٌ نطشانٌ"، "كزٌّ لزٌّ"...الخ؛ إذ « الأصل في اللّغة أن تكون منطوقة لا مكتوبة، دائرة على الألسنة، لا مسجّلة في بطون الكتب»"[1]"؛ فالخواصّ الصّوتية للكلام المنطوق الحيّ، تمثّل عنصرا أساسيا في بيان المعاني والكشف عن الفروق بينها. ومن أهمّ هذه الخواصّ، موسيقى الكلام التي تلوّن النطق، وتمنحه معاني متنوّعة، تبعا للسّياق والمقام"[2]". وكلّ هذا نجده مجسّدا، فيما يطرق أسماعنا من حين لآخر من عبارات إتباعية تدلّ على أنّ هذا الأسلوب، لا زال جاريا على الألسنة، وإن قلّ استعماله وانحسرت مساحة انتشاره.

ومن الملاحظ أنّ رصيد الأمثلة، المنقول إلينا خطّيا في كتب الإتباع وأبوابه–، لا نجد فيه ما يسِمُه من علامات ترقيمية في آخر المركّب، فهو مستغنٍ عنها؛ ذلك لأنّنا نجد المركّب الإتباعي، حاملا دلالته في شكله؛ في مثل: "غثٌّ رثٌّ"، في وصف الكلام السّخيف، "فدِشٌ مَدِش" في وصف شخص أخرق"[3]"، وفي مثل "تركهم هَوْشا بَوْشا"، أي مختلطين، "رجلٌ هشٌّ بشٌّ""[4]". وبالوقف على الساكن "فدشْ مدشْ"، "هشْ بشْ"، يكون لها وقع يستغرق زمنا أطول، فيكون التردّد مستمرّا، ممّا يرسخّ العبارة في الذهن؛ فيكتب لها البقاء.

-الوقف على السّاكن:

نلاحظ في أسلوب الإتباع الجاري على ألسنة العامّة خاصّة، أنّ المتكلّم يؤْثِر الوقوف على الساكن، في مثل بعض الإتباعات التي تطرق أسماعنا من حين لآخر: "صامطْ لامطْ"، في وصف طعام، لا نكهة له، "شْلولْ بْلولْ": للتّلميح بنشر خبر أو

1–حسن ظاظا. كلام العرب. ص97. دار القلم. دمشق. الدار الشامية. بيروت. ط2. 1990م.

2– كمال محمد بشر. علم اللغة العام. القسم الثاني. ص256.

3– ينظر رفائيل نخلة. غرائب اللغة. ص60.

4– تركهم هَوْشا بَوْشا"، أي مختلطين، "هشٌّ بشٌّ": مسرور. ينظر. رفائيل نخلة. ص62.

إشاعة، سايَرْ دايَرْ: وصف شكل دائري، وهكذا، نجد الوقوف على الساكن ملحوظا. وظاهرة الوقف على الساكن عامّة في اللّسان الدّارج، تحقيقا للتّخفيف واقتصادا في الجهد.

أما في مركّبات التّراث الإتباعي المثْبَتَة بالشّكل، في مثل: "قشيبْ جديدْ"، "قسيمْ وسيمْ، "ما له دارْ ولا عَقارْ"، "رجلٌ عابِسْ كابِسْ"[1] يوقف على كلمتيْ العبارة بالسّكون، ويكون للوقف، وقع في السّمع؛ فهو بمثابة تنبيه للسّامع. أما الوقف على المنصوب المنوّن؛ فيتحقّق بإبدال التّنوين ألفا، في مثل هذه الأدعية: "قُبْحا له وسُحقا"، "جوعا ديْقوعا" "رغْما دغْما"، وفي مثل "تركهم هَوْشا بَوْشا"، أي مختلطين .. ولهذا أثرُه في رسم نغم موسيقي عذب، يشعر الدّاعي بالارتياح.

وفي الوقف على السّكون، يقول "**إبراهيم أنيس**" « يظهر –واللّه أعلم– أنّ تحريك أواخر الكلمات كان صفة من صفات الوصل، فإذا وقف المتكلّم أو اختتم جملته، لم يحتج إلى تلك الحركات، بل يقف على آخر كلمة من قوله، بما يسمى السكون، وأن المتكلم لا يلجأ إلى تحريك الكلمات إلا لضرورة يتطلّبها الوصل»"[2].

والتّنوين في ركنيْ العبارة الإتباعية، في مثل، "رجلٌ هشٌّ بشٌّ""[3]"؛ مرتبط بالتّنكير؛ والتنوين"[4]" علامة من علامات التنكير؛ فالظّاهرتان تربطهما علاقة صوتية نحوية؛ وهما يشكّلان معا، دلالة من الدّلالات المتعاونة في إنتاج معنى العبارة.

1 –القالي. الأمالي. ج2. ص213.

2 – إبراهيم أنيس. من أسرار اللّغة. ص188.

3– تركهم هَوْشا بَوْشا"، أي مختلطين، "هشٌّ بشٌّ": مسرور. ينظر رفائيل نخلة. ص62.

4– المنوّن هو الغالب في العربية وغير المنوّن هو القليل. ينظر. إبراهيم السامرّائي. فقه اللغة المقارن. ص 140.

وباعتبار العبارة متوالية صوتية صرفية تركيبية؛ فإنّ تماثل الأصوات، يستلزم بالضّرورة التماثل الدّلالي؛ وبهذا يتفاعل الوزن والمعنى"[1]".

-التنكير في الإتباع:

يلاحظ المتتبّع للمركّبات الإتباعية، أنّها تتوارد على نمط واحد في تنكير التابع والمتبوع كليْهما، فالظاهرة مطّردة في الإتباعات الاسمية المتّصلة جميعها، في مثل إنّه "لخاسرٌ دامِرٌ"، و"إنّه لخسِرٌ دمِرٌ"، "أعطيْتُه المال سهْواً رَهْواً "، ويقال: "ضبٌّ سِبَحْلٌ رِبَحْلٌ""[2]". ذلك أنّ « النّكرة، أخفّ عليهم من المعرفة، وهي أشدّ تمكّنا؛ لأنّ النّكرة أوّل، ثمّ يدخل عليها ما تُعرَّفُ به، فمن ثمَّ أكثر الكلام ينصرف في النكرة»"[3]"، ولماّ كانت النّكرة أخف من المعرفة، جاءت المركّبات الإتباعية، في لغة العامّة، وهي لغة التخاطب والحياة اليومية، نكرة. يخلو أكثرها من الواو العاطفة بين عنصريْ المركّب الإتباعي، تخفيفا وإيجازا.

وكوْن النّكرة شائعة في الاستعمال، فهي تفتقر إلى تأكيد « لأنّ تأكيد ما لا يعرف لا فائدة فيه»"[4]"، وكانت أغلب العبارات الإتباعية، مكوّنة من صفات، والصّفة غير محصورة في فرد بعينه، يمكن تمييزه من أشباهه، فالوصف يصلح للحاضرين والغائبين، ولذا يوجب كلاما مصنوعا يستحقّ البقاء"[5]"، وهذا في مثل "مُضيعٌ مُسيعٌ"،

1- تفاعل الوزن والمعنى هو المبدأ الفعّال للشعر عند ياكبسون. ونظرا لتوافر بعض ملامح الشّعر، في الإتباع – الوزن وحرف الرويّ- فإنّ قول رومان ياكبسون، يشمل الموروثات الشّفوية التي تستخدم التّوازي النّحوي للرّبط بين البنيات المتعاقبة. ينظر. رومان ياكبسون قضايا الشعرية. ص23.

2 – االطويل الضّخم. أبو الطيّب الإتباع. ص49.

3- سيبويه. الكتاب. ج1. ص22

4 –ابن عصفور. شرح جمل. أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، البغدادي النحوي الزجّاجي. ت340هـ. ج1. تح. صاحب أبو جناح. د.ت ***www. 4shared. com/rar/-. . . /_____. html***

5- أبو هلال العسكري. الفروق اللّغوية. ص 17،18.

ورجل مضياعٌ مِسْياعٌ"[1]"، وفي "أشِرٌ أفِرٌ""[2]"؛ فالموصوف بصفة الإضاعة، في المركّب الأوّل، وبصفة البطْر المرِح في الثاني، غير موجّه لفرد خاصّ؛ فهي ذات طابع اصطلاحي، ممّا يؤهّلها أن تدرج ضمن العبارات الاصطلاحية، فالمُخاطَب غير موجود في دائرة الحسّ، ويمكن أن تنطبق على كلّ من اتّصف بهذه الصّفات؛ ولذا تبقى بعض المركّبات، المتلازمة الدّالين –التابع والمتبوع– محفوظة في الذاكرة في مثل "حسن بسن"، شيطان ليطان"، "قليل بليل"، "بلقع سلقع"، مثلها مثل العبارات الاصطلاحية المسكوكة،"[3]" التي لا تتغيّر وتُستعمل، كما هي محفوظَة، وتتردّد على الألسنة من دون أن تكون منسوبة بالضّرورة إلى قائل معيّن ومن العباراتِ المسكوكة، الأمثالُ سواء أكانت فصيحةً أم كانت شعبيّةً"[4]". أو الأمثال الشائعة الاستعمال، الغامضة التّعيين؛ إذ هذا الوصف يصدق على أمر ما أو عمل ما، أو مكان ما دون تحديد؛ لأنّ « النّكرة يدل على شيء غير معيّن»"[5]"، كما أنّ التنكير يهزّ المشاعر أكثر ممّا يهزّها التعريف؛ فهو ذو طابع وجداني، يضيف إلى التركيب صورة أجمل ويكون له في النّفس وقع مؤثّر"[6]".

-التلازم وثبات الرّتبة:

الظّاهر في المركّب الإتباعي، أنّ المتبوع يأتي أوّلا من حيث الرّتبة، والتابع يليه، شأنه في هذا شأن التّوابع؛ ذلك أنّه لما كانت الألفاظ أوعية للمعاني، فإنّها تتبع المعاني في مواقعها، فالمعنى الواقع في النّفس أوّلا، يدلّ عليه لفظ يأتي أوّلا في

1 –الإساعة: الإضاعة . ينظر ابن فارس. الإتباع والمزاوجة. ص76.

2 –الأشر: البطِر المرح. ينظر م. س. ص76.

3–هي العبارات الثّابتةُ. ***Expressions ideomatiques***. ينظر. مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص12.

4– آمنة صالح الزعبي. التراكيب الثابتة في اللغة العربية الفصحى في باب المفاعيل. ص12. مجلة جامعة دمشق. المجلد28. العدد الأوّل. 2012م. ***www. damasuniv. gov. sy/mag/. . . /133-173--a. pdf***

5 – عباس حسن. النحو الوافي. ج 3. ص208.

6–ينظر. تامر سلوم. نظرية اللّغة والجمال في النّقد العربي. ص130.

النّطق"[1]"؛ ذلك أنّ « الإنسان لا يستطيع أن يجيء بالألفاظ مرتّبة إلا من بعد أن يفكّر في المعاني ويرتّبها في نفسه على ما أعْلَمْناك»"[2]".

ويلاحظ في المركّبات الإتباعية اللّفظية الواردة، اطّراد الشّكل، فالرّتبة محفوظة؛ إذ توالي الألفاظ على نمط تركيبي واحد؛ لأنّ الترتيب إجباري، يفرضه قانون التّتابع؛ الذي يتحكّم فيه المعنى، فالكلمة « تترتّب في النّطق، بسبب ترتّب معانيها في النّفس»"[3]" فالترافق التركيبي في النظام اللغوي، لا يسمح بتغيير التركيب في مثل: "حيّاك وبيّاك"، "لبّيكَ وسَعْديْكَ"، "قليل بليل"، "حلال بلال"؛ فالاستعمال يعتمد على مخزون الذاكرة واستقرار العبارة على حال واحدة عند أبناء المجموعة اللغوية"[4]"، خضوعا إلى ما يقتضيه النّظام اللّغوي في تشكّل الإجراء الإتباعي. فالرّتبة في مركّب الإتباع محفوظة، كما هي محفوظة في مركّبات غير جملية مثل: الإضافة والجارو المجرور، والتوابع جميعها، فلا تسمح اللغة هنا بالتقديم والتأخير، وتوالي الألفاظ يعدّ أمرا إجباريا"[5]". وفي ضوء هذا التلازم الترتيبي، يؤول الحديث إلى النّظر في علاقة العبارة الإتباعية بما يعرف عند المحدثين المهتمّين بالعناصر المعجمية على اختلاف أنواعها، بما يعرف بالمتلازمات اللّفظية.

- علاقة العبارة الإتباعية بالمتلازمة اللّفظية:

لقد فطن القدماء إلى الفرق بين حالة التركيب وحالة الإفراد، **فابن يعيش** يقول: « يمكن أن يقال إنّ الشيئين إذا تركّبا؛حدث لهما بالتّركيب معنى لا يكون في كل واحد من أفــراد ذلك المركب»"[6]" يتضمّن هذا القول العناصر المعجمية على اختلاف

1 -"عبد القاهــر الجرجاني". دلائل الإعجاز. ص43.

2-م. س ص349.

3 - م. س. ص45. -بتصرّف-

4- آمنة صالح الزعبي. التراكيب الثابتة في اللغة العربية الفصحى في باب المفاعيل. ص12.

5 -الأقطش. إتباع الإيقاع. ص152.

6-ابن يعيش. شرح المفصل. ج1. ص85.

أنواعها؛ مفردة ومركّبة. وحديثا، تناول اللّغويون العرب في مؤلّفاتهم وبحوثهم، ما يتّصل بالكلمة والعناصر المعجمية على اختلاف أنواعها. ومن هذه العناصر المعجمية التي شغلت اهتمام الباحثين؛ ما يعرف بالمتلازمات اللّفظية"[1]" (***les collocations***)"[2] "، وما يندرج في فلكها، وهي« أن تتتابع الكلمات في جملة، وفقا لنظام اللّغة التي هي منها»"[3] " والعناية بالعلاقات الدّاخلية، تجسّدت فيما سمّاه فيرث بالمصحابة، وهي «الترابط المعتاد لكلمة ***collocation*** ما، في لغة ما بكلمات أخرى معيّنة في جمل تلك اللّغة»"[4]"؛ إذ « إنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة ولا من حيث هي كلمٌ مفردةٌ، وأنّ الألفاظ تَثْبُتُ لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلُّق له بصريح اللفظ»"[5]" ولكنّ فضيلة، "ملاءمة اللّفظة لمعنى اللّفظة"، قد نفتقده في بعض عبارات الإتباع، في مثل "فدْمٌ ثدْمٌ لدْم""[6]"؛ فلفظ "لدم"، أضيف لمجرّد الإتباع؛ أي تتمّة صوتية تلوينية. وهذه العلاقة الصوتية، بين عناصر المركّب، تجعله متماسكا؛ ممّا يسوّغ لهذه العبارات ونحوها، أن تندرج في فلك المتلازمات اللّفظية، وينطبق عليها مفهوم التّلازم اللّفظي، الذي هو « عبارة عن كلمتين أو مجموعة من الكلمات ترد مع بعضها بعضا، بشكل دائم وثابت في مختلف السّياقات»"[7]"، يشدّها تلازم إيقاعي، في مثل "صباحَ مساءَ"، "أهلا وسهلا"؛ فعناصر كلّ عبارة تتلازم فيما بينها للتّعبير عن معنى كلّي مفرد بعنصرين متتاليَيْن، فأكثر، في مثل "كثير بثير بذير".

1- تعدّدت المصطلحات-عدا المتلازمات-: المتضامّات والعبارات المتلازمة والتعابير التلازمية والعبارات المسكوكة والاصطلاحية والجاهزة والمتكلّسة والتجمّعات اللّفظية وما إليها؛ ممّا اختلف لفظه وتقاربت معانيه. ينظر عبد الزاق بن عمر. المتلازمات اللّفظية في اللغة والقواميس العربية. ص 22. نشر مجمّع الأطرش. تونس 2007 م.

2-***on appelle collocation,la distribution etablie entre les morphemes lexicaux d'un enoncé, abstraction faite des relations grammaticales existant entre ces morphemes…J. dubois. dictionnaire linguistique. p93 .***

3- مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص52

4-محمّد محمّد يونس علي. مقدّمة في علمي الدّلالة والتّخاطب. ص30. دار الكتاب الجديد المتّحدة. ط 1. 2004م.

5- عبد القاهرالجرجاني، دلائل الإعجاز. ص 92 .

6- فدم ثدم : أحمق. ولدم، أضيفت لمجرّد الإتباع. ينظر. رفائيل نخلة. غرائب اللّغة. هامش. ص60

7 -عبد الزاق بن عمر. المتلازمات اللّفظية في اللغة والقواميس العربية. ص 22.

وللمتلازمات أنماط، صنّفت حسب ما توفّر في العربية من رصيد، أفرز كثيرا من العبارات تتميّز بخصائص: التركّب والتواتر في الاستعمال وتلازم المكوّنات؛ يندرج فيها الأنماط التالية"[1]": الأمثال، والعبارات التقليدية، منها: الحمد للّه، وعبارات التحيّة، والأقوال السائرة، في مثل ما أثر عن البلغاء والفصحاء، كالحكمة، وفرائد اللّغة"[2]"، وقد تتفرّع عن سابقتها، وتكون من قبيل المجاز، أو تتضمّن حكمة من الحكم الشائعة. و"اللَّسْنيات" (***les expressions ideomatiques***)، تعبير اصطلاحي، المقصود منه استعمال التعبير أو الكلمة بطريقة خاصّة، تخالف الاستعمال العادي"[3]"، وهي العبارات الاصطلاحية أو العبارات المسكوكة (***expressions figées***)"[4] "، ومنها قولهم: "فلان في مثل حدقة البعير"، وهي تختلف عن الأمثال، لأنّها لا تحتاج إلى قصّة تشرحها. والتجمّعات المعجمية، لا تبتعد كثيرا عن المركّبات الشائعة، وهي كثيرة، تتوارد في مركّبات نحوية، ومنها اللاّزمة اللّفظية، "الإتْباع""[5]". وهو أن تتبع الكلمة الكلمة الأخرى على وزنها وقافيتها بصورة دائمة، لتقوية المعنى وتوكيده، فتكوّنان معا مركّبا غالبا ما يعدّ في النحو مركّبا توكيديا، ومن أمثلته الكثيرة في اللغة : حسن بسن، وذهبوا شذَرَ مذَرَ"[6]".

---

1 – عبد الرزّاق بن عمر. م. س. ص23

2– ينظر. الأب هنريكوس لامنس اليسوعي. فرائد اللّغة في الفروق. مط الكاثوليكية للأباء اليسوعيين. طبعة بيروت. 1889م ***al-mostafa. info/data/arabic/depot3/gap. php?file***

3 – مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية ص138

4 -***(Sur le plan semantique, les expressions figees se caracterisent d'abord par leur noncompositionnalite semantique, c'est-a-dire que le sens du tout ne peut se calculer a partir de la signification des parties. Chaque unite lexicale perd donc sa capacite referentielle… Ex: nid d'ange. Dans ce cas, le referent de l'expression ne renvoie ni a celui de nid ni a celui d'ange… l'expression designe un vetement pour enfant). COLLOCATIONS: DEFINITIONS ET PROBLEMATIQUES. Estelle DUBREIL LINA CNRS UMR 6241 / Université de Nantes. Texto ! janvier 2008, vol. XIII, n°1.***

5–عبد الرزاق بن عمر. المتلازمات اللّفظية في اللغة والقواميس العربية. ص26،27 .

6 – ينظر. م. س. ص25،26.

ولكنّ المتلازمات اللّفظية، التي منها الإتْباع، يحدث أن تتداخل مع مفاهيم أخرى قريبة؛ فمن الباحثين « من لا يرى فرقا بين المتلازمات والعبارات الاصطلاحية وبين التجمّعات اللّفظية، التي تتمتّع إلى حدّ ما بحريّة التركيب»"[1]"؛ ففي كتاب الفاخر، مثلا؛ نجد المفضّل بن سلمة، قد قام بإدراج العبارات الجارية، التي كثر ترددها على ألسنة الناس إجراء المثل في مفهومه ودلالته، توسّعا، في مثل "ما يعرف هَرّا من برّا""[2]"؛ أي لا يفقه شيئا. و"أفٌّ وتفٌّ" و"أُفّة وتفّة""[3]"، ويلاحظ أنّ هذه العبارات وغيرها، ظلّت على حالها، تحمل الدّلالة نفسها؛ وإن كان سماعها يدعو إلى التفكّه، ويقول "**لاينـــز**": « إنّ معظم نقوش الكلام اليومية عندنا، ليست جملا؛ فبعضها تعابير جاهزة ذات صيغة ثابتة مثل: يا لَلسّماء !»"[4]". وتجدر الإشارة إلى أنّه قد يستعار تجمّع من التجمّعات المعجمية، المشهورة، لمقام طارئ، أثناء الحديث، ومعنى هذا؛ أنّنا نستطيع أن نوفّق بين عبارة مشهورة، مضى وانقضى مقامها الأصلي الذي قيلت فيه وبين مقام مشابه وجدنا أنفسنا فيه الآن، فنورد الكلام القديم الشهير في المقام الجديد"[5]"؛ في مثل استحضار "شيطان ليطان" في وصف شخص من خلال سلوك سيّء، أو "حيص بيص" في وصف حال حسّية مضطربة، أو "من هبّ ودبّ"، "عفريت نفريت"...الخ.

ونجد نحو هذه العبارات تتوارد في وسط العامّة"[6]"، نحو "لا حَسْ لا مَسْ"، "ساهلْ ماهلْ"، "راشي ماشي"، "حيطْ ميطْ"، "حْلالي مْلالي"...الخ. ومن أسباب بقاء بعض العبارات، إفادتها للإجمال في مثل، عبارة "من هبّ ودبّ"، تعبير إجمالي في المعنى لكنه يشبه الإتباع من حيث التركيب، لأنّ أجزاءه لا تبدو صالحة بشكل منفرد. والأصل في الإتباع، أن يكون التابع، كلمة أو لفظا لا معنى له، حتى يكون الأسلوب مؤثّرا، نظرا لوجود عنصر الغموض والإبهام، وفي غموض بعض العبارات، بلاغة

1- عبد الرزاق بن عمر. المتلازمات اللّفظية في اللغة والقواميس العربية . ص19.

2- ينظر. أبو طالب المفضّل بن سلمة بن عاصم. الفاخر في الأمثال .

3- الأفّ وسخ الأذن والتفّ وسخ الأظفار، و هذا قول في وصف الشّيء القذر. ينظر م. س ص

4- جون لاينز. اللّغة والمعنى والسّياق. ص222.

5- ينظر. م. س. ص224.

6-العامّية الجزائرية – في الغرب الجزائري-

واستمتاع؛ إذ يتحقّق فيها الجمع بين المتقابلات؛ ممّا ينتج عنه ثنائية متوازنة، يسهل حفظها، ويرشّحها أن تكون ضمن العبارات الاصطلاحية .

والإيجاز في تركيب العبارات الإتباعية، بالتّعبير عن الفكرة بأقصر لفظ ممكن، يستشفّ منه أنّ الاعتماد فيه على نفاذ الإدراك عند المخاطَب. والإيجاز كان سمة كلام العرب، وطابعه العامّ، ولا فرق في ذلك بين شعرهم ونثرهم؛ ممّا يدلّ على امتلاكهم الحسّ اللّغوي. و« الحسّ اللّغوي ملكة تتكوّن لدى المتكلّمين بلغة ما تهديهم إلى خصائصها الذّاتية، وطاقاتها التّعبيرية، فيستغلّون تلك الخصائص، ويستثمرون هذه الطّاقات، ليجيء كلامهم مطابقا لأغراضهم ومعبّرا عن مقاصدهم من غير زيادة ولا نقصان»"[1]".

-الطّاقة التعبيرية في مركّب الإتباع :

أ-الوظيفة الانفعالية:

تمتلك العامّة حسّا لغويا، يتكوّن لدى المتكلّمين بلغة ما، تهديهم إلى طاقاتها التعبيرية؛ فيستثمرون هذه الطاقات، ليأتي كلامهم مطابقا لأغراضهم، ومعبّرا عن مقاصدهم. ولهذا تُنتقى حروف دون غيرها، وصيغ صرفية محمّلة بشحنة من الانفعالية الكامنة من الإبلاغية، ما لا طاقة لغيرها به"[2]". ويمكن التأكّد من هذا بالرّجوع إلى المباني الأكثر تواردا، نحو فعيل، وفعْل، وما صيغ من إتباعات وصفية، نحو كثير بثير، وسهد مهْد، لندرك كثافة الطاقة التعبيرية في المبالغة والتضخيم، في توظيف هذه المباني.

1-نعمة رحيم العزّاوي. العربية المعاصرة والحسّ اللّغوي. مجلّة الذخائر ص8،9. العدد 4. الأبحاث والدّراسات. مركز التحقيقات. خريف 1421 هـ -2000م. ***https://uqu.edu.sa/page/ar/93193569***

2- حسين جمعة. في جمالية الكلمة. دراسة جمالية بلاغية نقدية: ص 66. منشورات اتّحاد الكتاب العرب. دمشق 2002 م. ***www.nooreladab.com/vb/showthread.php?p=48070***

ومن هنا يمكن القول؛ إنّه ليس من باب الصّدفة، توارد الإتباعات الوصفية بكثرة، ذلك أنّ « الصّفة أقوى الدّلالات على ضبط الأداء في لغة من اللّغات، وهي أقوى من الاسم دلالة على ضبط الأداء في المفردات وفي تراكيب التعبير ... والأسماء كما هو معلوم قد تكون توقيفية لا إرادة للمتكلّم في وضعها وإطلاقها على مسمّياتها، وقد تكون منقولة عن لغة أخرى بحروفها أو مع شيء قليل من التعديل فيها؛ وقد تكون مع ذلك مطلقة في أصولها لأدنى مناسبة تشير إليها ... أمّا الصفات، فلا بدّ من المطابقة بينها وبين الموصوفات في كلّ كلمة وكلّ مناسبة»"[1]"، ويرجّح أنّ خاصّية المطابقة بين الصفة وموصوفها، هي سبب الاستعانة بها في التّعبير الإتباعي؛ إشباعا لحاجات في وجدان المتكلّم، وإمتاعا للمسْتمع .

ومن خلال تتبّع الأمثلة الواردة، تتجلّى صلة الإتباع بالصّيغ الوصفية، ممّا يدلّ على أنّ الناطق المُنتقي لهذه القوالب الوصفية"[2]"، لا يشبع حاجته، ويتِدُ كلامه إلاّ بها. ومن الملحوظ في بعض التّعابير الشّفاهية، التي ألّفها الناس، أنّه ليس فيها مبْتكر، ومع هذا تبدو طريفة وجذّابة، وكأنّها جديدة، وهي من نسيج لغة العوامّ، حيث يحيا فيها أدب الأذن، لا أدب العين"[3]" في مثل "شيطان ليطان" و"حسن بسن" ؛لأنّها ببساطة، صدرت عن نفس حيّة مفعمة بالشعور والإحساس. فالمعوّل عليه في التعابير، هو حياتها في أنفس قائليها ولا عبرة بالقدم والحدوث. وهذا ما نستشعره عند استحضار بعض المركّبات الإتباعية التي غدت بمثابة كليشيهات (***clichés***)"[4] "، تستحضر حين الحاجة

---

1 – عباس محمود العقاد. تاريخ آداب العرب. ج1. ص86،85 .

2– كما أنّه ليس من الخير الموافقة على قياسية الصّيغ، والمجمع في جلسته الثامنة من الدورة الثلاثين سنة 1964، يقرّ منها ما تقتضيه الحاجة للتوسّع وتيسير الاشتقاق. ينظر. راجي الأسمر. المعجم المفصّل في علم الصّرف. مراجعة إميل بديع يعقوب ص575. دار الكتب العلمية. لبنان. ط 1. 1993. ***http://www. 4shared. com/file/28160057/873f8c8c/____. htm***

3– الأقطش. إتباع الإيقاع. ص166.

4–كلام أو تعبير معاد: هو مجموعة من كلمات أو تراكيب أو تعابير، يعاد، فيعطي انطباعا بأنّه مبتذل. ينظر. مبارك مبارك. معجم المصطلحات الألسنية. ص50.

إليها أو لمجرّد التلميح أو السخرية أو المدح أو محض التصويت والتنغيم"[1]"، أحيانا، وهذا مطلب تركيبي جمالي.

ولا شكّ أنّ الاستعمال يحيي الصور القديمة، فتزداد قوّة ورسوخا، وقد تدرج صور فصيحة في صور عامّية؛ والسّر أنّ التعابير العامّية قد صقلتها الألسنة، فاسْتساغتْها الأذواق"[2]" وهذا دون نسيان التكثيف المشحونة به هذه التعابير ذات الطابع الشّفهي التّلقائي"[3]"، وأثره في التّنفيس والإفصاح عن المشاعر؛ ولذا ترد ألفاظ الإحساس في الإتباع في تعبيرات العامّة، بكثرة، و« الإحساس إدراك الشيء بإحدى الحواس فإن كان الإحساس للحسّ الظاهر فهو المشاهدات وإن كان للحسّ الباطن فهو الوجدانيات»"[4]"، ونجد الكثير من "التّجمّعات المعجمية" التي منها الإتباع، مدرجة في كتب الأمثال، وهذا بحكم التواتر والاستعمال.

وتلازم المكوّنات في مثل: العبارة "لكلّ ساقطة لاقطة"، "من عزّ بزّ لا دريْت ولا تلَيْت""[5]"؛ فهذه العبارات ونحوها تجري مجرى الأمثال. ولنا أن نتساءل عند تلقّينا مركّبات إتباعية، أين يتموقع الإتباع، في مصاف اللغة الأنيقة، أم في اللّغة المعتادة نظرا للطاقة الجمالية الكامنة في إيقاعه وجرس ألفاظه؟ ولما لهذه العبارة تأثير في

---

1 – عباس حسن. النحو الوافي. ج 3. ص453 .

2 –زكي مبارك. النثر الفني ج1. ص230.

3- « la réduplication de mots, lorsqu'ils expriment ce qu'on appelle dans la tradition l' intensification » ou l'« emphase. un phénomène essentiellement usité dans la langue parlée…» Dostie Gaétane, « La réduplication. De la constitution d'un corpus de français parlé au Québec à l'analyse sémantique de données authentiques », revue électronique Texte et corpus, n°3 / août 2008, Actes des Journées de la linguistique de Corpus 2007, p. 221-231. http://web. univ-ubs. fr/corpus/jlc5/ACTES/ACTES_JLC07_dostie. pdf

4– الشريف الجرجاني. التّعريفات. ص11.

5– ينظر. الفاخر في الأمثال. المفضّل بن سلمة. ص 109،46، و أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي468هـ. الوسيط في الأمثال. تح عفيف محمّد عبدالرّحمن. ص 146، 153، 186. مؤسّسة دارالكتاب الثقافية. الكويت 1395هـ– 1975 م. ***http://www.archive.org/download/zsg62/zsg62.pdf***

أنفسنا دون تلك؟ أتراك لو أنّك قلت لإنسان "هذا عملٌ حسنٌ"، أو "حسنٌ جدّا"، كما لو قلت له "حَسَنْ بَسَنْ" أو قلت واصفا: "هذا الرّجلُ قبيحٌ"، كما لو قلت له :"شيطان ليطان" أو "عفريت نفريت"؟ أيكون لها الوقْعُ نفسه؟ ولماذا تبقى الإيقاعات تتردّد في أعماقنا؛ فيكتب لها الحفظ؟ والسرّ في هذا، أنّ « الإتباع ضرب من التأليف اللّغوي الموسيقي، الغاية منه سرعة الحفظ وإمتاع السامع بموسيقى الكلمات مثل القوافي والسجع»"[1]"، وسمّى بعض العلماء هذه الظاهرة "المحاذاة"؛ قال "**ابن فـــارس**" « ومن سنن العرب المحاذاة؛ وذلك أن تجعل كلاما بحذاء كلام، فيؤْتى به على وزنه لفظا، وإن كانا مختلفين، فيقولون: الغدايا والعشايا لانضمامها إلى العشايا»"[2]"؛ وهذا الإجراء الاضطراري في تعديل أصوات الكلمة؛ من أجل إقامة الوزن وتحقيق التوازي، الذي يعني في اللّغة المقابلة والمواجهة"[3]"، يفاد منه؛ أنّ تأثير العبارات الإتباعية بأنواعها، يبقى قائما، على مبدإ التوازي"[4]" الذي يقول فيه "**رومـــان ياكبســـون**": « يتميّز التوازي في فنّ النثر باعتماده على بنية قائمة على مبدإ المجاورة»"[5]"؛ وهذا ما نلمسه في تتابع كلمتيْ الإتباع في كلّ عبارة من عباراته. والإيقاع في العبارة الإتباعية، ما هو إلا أصوات مكرّرة، وهذه الأصوات المكرّرة تثير في النفس انفعالا ما، من خلال الوقع السّجعيّ لها. ومن هنا ندرك، أنّ ضرورة النّظم؛ جعلت النّثر يقاسم الشّعر بعض ملامحه « وألحقوا الكلام المسجوع في ذلك بالشعر، لما كانت ضرورة في النثر أيضا، هي ضرورة النّظم، دليل ذلك قولهم :"شهر ثرى، وشهر ترى، وشهر مرعى""[6]"، فحذفوا التنوين من "ثرى" ومن "مرعى"، إتباعا لقولهم: "ترى"؛ لأنّه فعل، فلم ينوّن

1–زكي مبارك. النثر الفني. ج1. ص95.

2 – ابن فارس. الصاحبي في فقه اللغة. ص 174.

3– ينظر. ابن منظور. لسان العرب. ج 8. ص 809.

4– ينظر. مصطلح "التوازي"، الذي يسمّى "التعادل"، الفصل الأوّل ص 46.

5– رومان ياكبسون. قضايا الشعرية. ترجمة محمّد الولي ومبارك حنوز. ص 23،24.

6– سيبويه. الكتاب. ج1. ص44. وينظر. مجمع الأمثال ج1. ص370. ويعنون شهور الرّبيع، أي يمطر أوّله، ثمّ يطلع النّبات، فتراه، ثمّ يعلو فترعاه الأنعام.

لذلك»"[1]"، وضرورة النّظم في العبارة اللّفظية، نتج عنها التّوازي، قصد الإقناع والإمتاع.

ب-الوظيفة الاجتماعية للإتباع:

اللغة مرآة ينعكس فيها ما يسير عليه الناطقون بها في شؤونهم الاجتماعية العامّة؛ فهي ظاهرة اجتماعية، يتأثر التعبير بها، بمواقف قد تكون من داخل الإنسان، كالإحساس بالرغبة أو الكراهية، وقد تتأثر بمؤثّرات خارجية كالبيئة المحيطة، من حيث المكان والثقافة. والعبارة الإتباعية أسلوب من أساليب الكلام[2] الذي يلجأ إليه في كلّ المجتمعات، في مواقف الاستشهاد. فهي صورة مجسّدة على ألسنة أفراد المجتمع، تعكس خصائصه وعاداته وسلوكياته. ومن هنا يكون فهم معنى المركّب على الظاهر لا يكفي، بل لا بدّ من ربطه بالظروف المحيطة، -وإن كان التراث الإتباعي وصلنا مكتوبا-. وفي ضوء تنوّع العبارات الإتباعية، وما تحمله من طاقات تعبيرية، تمثّل "أدب اللّحظة"، تحضر مقولة الجاحظ « لكلّ مقال مقام»"[3]" وفكرة البلاغيين لكل كلمة مع صاحبتها مقام"[4]" في هذا القول المفصّل **للسكّاكـــي:** « لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة؛ فمقام التشكّر يباين مقام الشّكاية، ومقام الترغيب يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذمّ ومقام التّرغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجدّ في جميع ذلك يباين مقام الهزل ... جميع ذلك معلوم لكلّ لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكيّ يغاير

1- ابن عصفور الإشبيلي . ضرائر الشعر. ص14 ،13 .

2-« ***…la reduplication peut ètre stylistique ex: c'est trés trés peu»- JEANS DUBOIS. dictionnaire de linguistique. p403***.

3- الجاحظ. الحيوان. ج1. ص 201. تحقيق عبد السلام هارون. مطبعة الحلبي. ط2. القاهرة. 1965م. ***:http://www. 4shared/file/52264597. . . _____. html?s=1***

4- كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرتيْ "المقام" و"المقال"، متقدّمين ألف سنة تقريبا على زمانهم؛ لأن الاعتراف بهاتين الفكرتين؛ باعتبارهما أساسين متميّزين من أسس تحليل المعنى، يعتبر "الآن"في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللّغة : ينظر تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها. ص 237.

مقام الكلام مع الغبيّ، ولكلّ ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر. ثمّ إذا شرعت في الكلام، فلكلّ كلمة مع صاحبتها مقام»"[1]".

أمّا الغرض من استعمال هذه القوالب، فقد « رُوِيَ، أنّه بعض العرب، سُئِل عن ذلك، فقال: هو شيءٌ نَتِدُ به كلامَنا. وذلك قولهم: "ساغِبٌ لاغِبٌ، وهو خبٌّ ضبٌّ، وخرابٌ يبابٌ"»"[2]". ومن بين العرب، الشّعراء؛ فقد يلجأ أحدهم إلى أسلوب الإتباع، في مثل، قول أوس بن حجر"[3]"، يصف خصالا حميدة :

مليحٌ نجيحٌ أخو مأزِقٍ نِقابٌ يُحدَّثُ بالغائبِ"[4]".

أراد الشّاعر التأكيد؛ فأتبع كلمة مليح ب"نجيح"، الموافقة لها في الوزن والرويّ، وهذه المؤثّرات الصّوت صرفية، جديرة بالاعتبار، ولها صلة بالمبدع، ثمّ المتلقّي. فهذا التّنويع اللّغوي، المتمثّل في انحراف التّركيب عن مجراه في الاستعمال المألوف، نتج عنه دلالة في التّركيب وبهذا تحقّقت وظيفة الظّاهرة الإتباعية في الإقناع والإمتاع معاً .

وفي الأغلب؛ يكون الإتباع من نسيج العوام، ومن وسائلها التّطريزية؛ فيلجأ إليه العامّي – في قوله مثلا "صامطْ لامَطْ"، تقويةً لفكرته، وتصويرا لعدم استساغته لطعام ما. وكأنّ بأسلوب الإتْباع، تجد فيه العامّة متنفّسا، للتعويض عن قافية الشعروتحقيق

1– السكّاكي. مفتاح العلوم. ص169،168.

2– السيوطي. المزهر. ج1. 414 ص – 425

3– الشاعر هو أوس بن حجر، أشهر شعراء الجاهلية، عرف شعره بالحكمة .ينظر ديوان أوس بن حجر. تح محمّد يوسف نجم. الناشر: دارالكتب العلمية . بيروت. 1980م. ***majles. alukah. net/showthread. php?. . . 3***

4– أخو مأزِق: أي حسن التخلّص من المآزق، النّقاب: الرّجل العالمُ بالأشياء والفطِن. ينظر. الجاحظ. الحيوان. ج3. ص60.

مبتغى المتعة وتبليغ المعنى. ومن المعلوم، أنّ الفنّ اللّفظي الذي هو إبداع اللّحظة، لا يمكن تناوله خارج منظور تواصلي؛ لأنّ لكل رسالة وظيفة تؤدّيها"[1]".

وبالنّظر فيما يتوارد على أسماعنا من عبارات إتباعية، ندرك أنّ المواقف الحياتية تتشابه؛ ومن هنا يمتدّ التراث اللّفظي بما يحمله من أفكار وطباع وعادات متوارثة"[2]"؛ فنجد بعض العبارات الإتباعية الواردة في رصيد التراث الإتباعي، لا زالت سائرة في عصرنا، منها، قوله: "ما سمعت له حسّا ولا بسّا"؛ أي انقطاع خبر شخص ما، وهي عندنا بعبارة "لا حَسْ لا مَسْ"، وقولهم "ما له سارحة ولارائحة"، وما له عافطة ولا نافطة""[3]"، أي لا يملك شيْئا، وعندنا "ماله دارْ ولا دوارْ"، ويقولون "شاط لاط"، بمعنى تعب، وعندنا "شاط ولاط"، و"شايطْ لايطْ" بالمعنى نفسه. و"خرْط مرْط"، وعندنا "سبق الخَرْط قُدام المرْط"، ويقولون "حلّ وبلّ"، وعندنا "حْلالي مْلالي"، ونحو هذه العبارات المتداولة كثْر في وسط العامّة. ومن الإتباعات، ما هو متجدّد مع بعض التغيير في الأصوات والمباني، ولكنّ القالب الثنائي بقي محافظا على شكله؛ للإفصاح عن موقف ذاتي انفعالي تأثّري يعتبر جزءا من الموقف المحدّد اجتماعيا، وهذه وظيفته في الكلام.

وبعد البحث فيما يتعلّق بالجانب المعجمي والدّلالي للعبارة الإتباعية، ومكوّناتها وتناول بعضها بالتّحليل، نسوق فيما يلي أهمّ الاستنتاجات:

1-في المجال المعجمي :

أ- نجد في كثير من نماذج الإتباع، الكلمة الثانية التّابع، لا معنى لها؛ و ليس هناك بديل يمكن أن يحلّ محلّها، غير أنّها تماثل سابقتها في الوزن والرويّ؛ فتكون مجرّد

1 -ينظر رومان جاكبسون. قضايا الشعرية. - بتصرّف - ص22.

2- ينظر عطيّة سليمان أحمد. الإتباع والمزاوجة في ضوء الدرس اللغوي الحديث. ص 206.

3- العافطة : هي العنْز التي تعْفِطُ، والعفط منها كالعطاس من النّاس. ينظر. أبو الطيّب. الإتباع. ص101.

تتمّة صوتية تملأ فراغا، لا يملأه غيرها من الألفاظ لتحقيق الانسجام في العبارة وتقوية المعنى؛ من حيث أنّها توهم السّامع، على أنّها توكيد بالتكرار، وهي تعمل على تثبيت العبارة وتسهيل حفظها. وفي ضوء منهج الإبدال (***substitution***) ليس هناك بديل يمكن أن يحلّ محلّها؛ فليس لها معنى.

ب–من الإتباعات ماله معنى، وهذا قد مثّل بؤرة خلاف للقدامى؛ لأنّ الأصل في التّابع– في نظرهم–؛ ألاّ يكون له معنى. أما عند المهتمّين بظاهرة الإتباع من المحدثين؛ فالتّابع مجرّد تتمّة صوتية، تحقّق الانسجام الصّوتي في العبارة. وتوليد هذه الإتباعات في حلية سجعية عذبة، حكم عليه، بأنّه مجرّد تلعب لغوي، تميل إليه العربية. وكانت الردّ؛ أنّه لا يمكن أن نعدّ التلعّب بالكلمات والتفكير الجادّ أمرين لا يمكن الجمع بينهما"[1]".

ج – تفسير التّابع، ساهم في تضخّم المادّة اللّغوية في المعجم العربي، وهذه الظاهرة آلت إلى نقاشات العلماء في قضيّة الترادف؛ فمنهم من يرى، أنّها دليل على سعة العربية وتوسّعها، بينما أنكر وجودها بعض منهم، ورأى أنّها مجرّد تلعّب لغوي وبذخ لغوي، لا يخدم المعنى، ولا جدوى منه.

د – تعدّد التّابع بالزّيادة، بمثابة أصداء لأصداء، يسعى به المتكلّم إلى ملْء فراغ نفسي، بتوليد إتباعات متوالية، تتوافق أغلب أصواتها؛ إشباعا لحاجة في نفسه، كحاجة المبالغة والتّفخيم وتأكيد الفكرة أو الصّورة المنقولة في حينها.

هـ– فكرة علماء اللّغة عن الإتباع؛ أنّه من غرائب وعجائب اللّغة؛ تتجاوز ارتجال التّابع الذي لا معنى له، إلى مخالفة المركّب الإتباعي للمألوف، وإيجاز العبارة الإتباعية وقصرها، رغم حمولتها من الطّاقة التعبيرية المكثّفة، ونقلها لهذه الطّاقة في لحظة

1– ينظر. ص 10 من هذا الفصل.

تتزامن مع الحدث. كانت هذه أهمّ العناصر المستخلصة من حديث التّابع، المكوّن الثاني للعبارة الإتباعية. وفيما يلي عرض أبرز ما تمّ استخلاصه فيما يتعلّق بدلالة هذه العبارة.

2- **الدّلالة في العبارة الإتباعية:**

أ-المعنى في العبارة الإتباعية، ناتج عن مكوّنات، صوتية صرفية وتركيبية نحوية دلالية؛ تتعاون كلّها في إنتاج معنى العبارة الإتباعية.

ب- أهملت ألفاظ العامّة من النّاس، ومعها أشكال تعبيرية عامّية، ومنها "العبارة الإتباعية"؛ بدعوى أنّها لم ترْقَ إلى مستوى الفصحى، وهذه النّظرة الدّونية لقدرة العامّة على الإبداع اللّغوي التّلقائي؛ قلّل من الاهتمام بالجانب النّفسي والتّنغيمي للّغة أثناء الأداء الفعلي للكلام.

ج-العبارة الإتباعية، مسْتغنِية عن علامات ترقيمية؛ إذ تتجسّد دلالتها في شكلها؛ وبالوقْف على السّاكن، يكون لها وقع يكون للعبارة وقْع، يستوقف الانتباه؛ فيكون التردّد مستمرّا، ممّا يرسخّ العبارة في الذهن؛ فيكتب لها البقاء .

د- للعبارة الإتباعية طابع شفهي تلقائي"[1]"، له أثره في التّنفيس والإفصاح عن المشاعر؛ ولذا ترد ألفاظ الإحساس في الإتباع، بكثرة، ممّا يقويّ أثرها و يسهم في استمرارها. ونجد الكثير من هذه العبارات، مدرجة في كتب الأمثال، وهذا بحكم التواتر والاستعمال وتلازم المكوّنات؛ فهذه العبارات ونحوها تجري مجرى الأمثال.

1 -« ***Il serait difficile de déterminer avec certitude pourquoi ce phénomène surgit à l'oral, plutôt qu'à l'écrit et pourquoi il apparaît surtout dans l'oral spontané plutôt que, par exemple, dans l'oral « posé » ou planifié du conférencier... » , Dostie Gaétane, « La réduplication. De la constitution d'un corpus de français parlé au Québec à l'analyse sémantique de données authentiques », revue électronique Texte et corpus, p. 221-.***

هـ- تتداخل المتلازمات والعبارات الاصطلاحية والتجمّعات اللّفظية، التي منها "الإتباع"، وهذه الأخيرة، تتمتّع إلى حدّ ما بحرّية التركيب. وقد يستعار تجمّع من التجمّعات المعجمية، المشهورة، لمقام طارئ، أثناء الحديث. ومثل هذه العبارات؛ يتحقّق فيها الجمع بين المتقابلات، ممّا ينتج عنه ثنائية متوازنة، يسهل حفظها، ويرشّحها أن تكون ضمن العبارات الاصطلاحية. كما أنّ الإيجاز في تركيب العبارات الإتباعية، بالتّعبير عن الفكرة بأقصر لفظ ممكن، يستشفّ منه أنّ الاعتماد فيه على نفاذ الإدراك عند المخاطَب.

و- للإتباع وظيفة الإفصاح عمّا يختلج في الوجدان، وما الموروث الإتباعي ، إلاّ دليل على حفظ عباراته ورسوخها في الذاكرة الجماعية . وهذا في كلّ اللّغات . ثمّ إنّ الظّاهرة، لا زالت مجال ابتكار وإبداع، اللّحظة في وسط العامّة خاصّة ؛ ممّا أكسب بعض المركّبات الإتباعية المتداولة ، طابع الكليشيهات (clichés) ، التي نستحضرها حين الحاجة إليها أو لمجرّد التلميح أو السخرية أو للتّصويت والتنغيم ، أحيانا.

وعلى ألسنة العامّة في الجزائر-مثلا -، تجري، مركّبات من هذا النوع، ينفّس بها العامّة عن مكبوتاتهم، بالتفكّه حينا، وبالسّخرية حينا آخر، مثل "حُطْ بُط"، "حاردوس ماردوس"، "سارة بارة"، "علاش بلاش"، "حيط ميط" وهكذا تنساب مركّبات من هذا النمط، على الألسنة، تستدعيها مواقف نفسية واجتماعية. تتبّع تراكيب العبارات من ألفاظ لها الجرس ذاته؛ ألفاظ متجانسة، أثر سمعي متجانس، لكلمتين ليستا من جذر واحد ولا تعني المعنى نفسه، في مثل: "الهِياطُ والمِياط"، الهياط، بمعنى الصّياح، والمِياط، وهو الدّفع، أي الشدّة والأذى"[1].

1 - ينظر أبو الطيّب. الإتباع. ص53.

خاتمـة

بعد تحليل ودراسة الظاهرة الإتباعية اللّغوية على مستويات الدرس اللّساني، من خلال تتبّع نماذج إتباعية، توصّل البحث إلى ما يلي من نتائج:

- ❖ الإتباع اللّفظي ظاهرة صوتية، صرفية تركيبية؛ واسعة النّطاق، متعدّدة الألوان والأشكال؛ تجمع بين الجانب الجمالي و الدّلالي. وأسباب وجودها كثيرة، منها التّناسب والتّعادل وتحقيق الانسجام داخل التركيب. وإن كان الغرض الأوّل من الإتيان بالتّابع على نسق الكلمة الأولى الأساس، في الوزن والرويّ؛ تحقيق الانسجام الصّوتي والزينة اللّفظية مع توتيد الكلام؛ فإنّ تفسيرها في ضوء المناسبة الصّوتية لا يشمل كلّ عباراتها؛ فالتّابع قد يُؤْتى به لغرض صوتي محض؛ كونه مجرّد تتمّة صوتية؛ وهذا لا تتجاوز وظيفته تحقيق المناسبة الصوتية في المركّب؛ فالإتباع في هذه الحال، ظاهرةٌ جَماليّةٌ تُحدثُ إيقاعاً حسناً لدى السّامع .

أمّا التّابع الذي يحمل معنى، ويكون له في العبارة أثر؛ فيمنحها لونا دلاليا، كما يتجلّى في كثير من عبارات الإتباع؛ فهذا النّوع، يضاف إلى تحقيقه الانسجام الصّوتي، مساهمته في تكوين معنى العبارة؛ فهو يخدم الصّوت والمعنى معا.

- ❖ إنّ حروفا معيّنة كان لها صدى في توليد إتباعات أثْرت المعجم العربي، بينما غابت أخرى في البدايات وحضرت في مواقع النّهايات، كحروف رويّ. ويعود هذا التّفاوت، لأسباب تكمن في طبيعة الحروف نفسها، وتآلفها أو تنافرها مع غيرها.

أمّا حرف الخاء، الغائب في الفاصلة القرآنية، فلم يستسِغْه المُتكلّم العربيّ في عبارات الإتباع، لا في موقعية صدارة التّابع –حسب ترتيب أبي الطيّب– ولا في موقعية نهايته كحرف رويّ –تبعا لترتيب "**ابن فـــارس**".

❖ ومن حيث المباني الصّرفية؛ فقد ظهر من خلال تتبّع المادّة الإتباعية وإحصاء مبانيها؛ أنّ عبارات الإتباع؛ قد آثرت مباني معيّنة، تخدم الدّلالات الانفعالية بألوانها؛ فكانت مباني الصّفات، هي الأكثر استعمالا من غيرها، في مواقف التفكّه والسّخرية، ومحاولة التّخفيف من حدّة شعور ما. إنّ مركّبات الإتباع، المحمّلة بطاقة تعبيرية انفعالية، تنتقي من المباني الصرفية، ما يسعها ويؤدّيها، بنغمة إيقاعية جمالية. فالتشكّل الجمالي للإتباع، يتمثّل في هذه القوالب المهيّأة في وجدان الناطق اللّغوي، وهي التي تختار من الألفاظ، ما يتناغم وتلقائيته في إبداع مركّبات بسيطة. وقد خضعت بعض هذه المباني لحركية التّحويل الدّاخلي، فكان نشاطها أكثر فعالية من غيرها في تلوين الدّلالة.

❖ الكلمة الثانية في كلّ مركّب – التابع–، صيغت على نسق الأولى؛ فهي تحوم في فلكها وتأتي على شاكلتها؛ فالوزن يغني عن الحركة، و به تفهم المعاني؛ ومن هنا تشكّل الإيقاع في الإتباع اللّفظي الإيقاعي"[1]"؛ فالإجراء على المستوى الصّرفي، سبيل من سبل اللّغة ووسيلة من وسائلها، في توليد تراكيب جديدة و ليس ألفاظا فحسب؛ فمباني الإتباع، لن تكون فعّالة، ما لم ترتكز على نشاط التّركيب أو فاعلية السّياق .

يتولّد المركّب الإتباعي عن زيادة لفظ تابع، ومثلما تكون الزّيادة في الكلمة لأغراض، كذلك تكون في الإتباع. وهذه الزّيادة، لا يؤْتى بها سدى؛ فمن دواعيها، توكيد الفكرة، والإلحاح في العبارة أو ترديد صوتي للإمتاع؛ فالزيادة تعبّر عن حاجة المتكلّم في إشباع رغبة ملحّة، وملء فراغ نفسي يتزامن ولحظة جريان الحدث. كما أنّها تعويض من حيث الطّاقة لما حُذف، فمن ضرورة السّياق أن يراعى فيها التّكثيف ***intensité***، وهذا تفسير قولهم عن الإتباع "شيء نتِدُ به كلامنا؛ أي نشدّه".

1– ودلالة في المجال الصّوتي : تعدّ جزءا من الانسجام الصّوتي – في الحركات–

❖ من الإتباع ما ورد متّصلا؛ بدون رابط أو فاصل بين كلمتيْه، ومنه ما ورد منفصلا وهذا الأخير قسمان: قسم منه، بقيت مركّباته، محتفظة بشكلها التركيبي، ومنه ما وقع فيه تغيير عن طريق الحذف، فصار ركناه بمثابة الواحد، نحو: حيص بيص وشذر مذر، فأصلها العطف، وهي تقتصر على الواو دون حروف العطف الأخرى، وقد حذفت الواو، للإيجاز والتّخفيف. ومنه، ما كان أصله شبه جملة "جار ومجرور". وقد حذف حرف الجرّ، للغرض نفسه. وقد تبيّن أنّ لهذه المركّبات الإتباعية، علاقة وثيقة بمركّبات أخرى، قد خضعت لإجراء تحويلي، فتشكّل تركيبها، وفْق مقتضيات السّياق. ونرجّح الرّأي القائل بأنّ الإتباع الحقيقي هو الإتباع المتّصل بلا فاصل بين ركنيه.

❖ تبيّن من خلال النّظر في علاقة المركّب الإتباعي –بنوعيْه المتّصل والمنفصل–، بمركّبات أخرى؛ أنّ ثمّة علاقات خفيّة لا يمكن استكشافها إلاّ بإمعان النّظر والبحث في التراكيب الإسنادية وغير الإسنادية ككلّ. وهذه العلاقات من أهمّ ما ينبغي إدراكه والوقوف عليه، في تأصيل المركّب الإتباعي، وغيره من المركّبات التي تصنّف في منظور النّحاة، على أنّها مركّبات إضافية؛ لأنّ السؤال الذي يفرض نفسه؟ ما أصل هذا المركّب أو ذاك؟ وما علاقته بغيره من المركّبات؟ أليس بمراعاة الوقوف عند هذا النّظام من العلاقات الرّابطة بين المركّبات ببعضها؛ يكون من السّهل التعرّف على المركّب، موضع الاهتمام، وإحلاله محلّه بين غيره من المركّبات؟

❖ فمن أهمّ المسائل التّركيبية التي توصّل البحث إلى إثارتها، مسألتان هامّتان؛ تتمثّلان في علاقة المركّبات غير الإسنادية بالمركّبات الإسنادية وعلاقة المركّبات غير الإسنادية مع بعضها. وهذا المبحث جدير بأن يفرد له بحث خاصّ؛ لاستكشاف العلاقات القائمة بينها، والوقوف على هذه

العلاقات المتشابكة الرّابطة، بين الظواهر التركيبية؛ فكم من سؤال يفرض نفسه في تأصل هذا المركّب أو ذاك، و ما علاقته بالتراكيب الأخرى؟

❖ أما المركّب الإتباعي فعلاقته ببعض المركّبات غير الإسنادية؛ أنّه مُتَضَمَّن في بعض من أنواعها، من حيث الدّلالة على الحالية في المركّب الحالي وكذا بعض الظروف الدّالة على الحال. وفي المركّب العطفي، تضمّن التابع لمعنى الواو العاطفة المحذوفة وفي شبه الجملة من الجار والمجرور، تضمّن التابع لمعنى حرف الجرّ المحذوف؛ فالتركّيب الذي لا إسناد فيه، "أسلوب خاصّ"، وكلّ تركيب غير إسنادي مفيد، هو مركّب لفظي، تتآلف فيه الكلمة مع غيرها؛ فيحمل في ثناياه فكرة تامّة و به يعبّر المتكلّم عما في نفسه من أفكار ويخالج نفسه من مشاعر.

❖ وبإدراك وفهم هذه العلاقات التركيبية الخفيّة، التي أدركها القدامى، نتعرّف على أنّه تمّ اشتقاق أو توليد المركّب الإتباعي –مثلا– التضمُّني، بفضل عملية التّحويل الجارية في المركّبين السابقين، والمتمثّلة في حذف أحد عناصر المركّب –الواو أو حرف الجرّ–؛ تخفيفا و إيجازا، بحيث صار طرفا المركّب، بمنزلة الاسم الواحد، في مثل "حيص بيص"، و"كفّة كفّة". وبناء على هذه العلاقات التركيبية، نستنتج أنّ تصنيف هذا العبارة المتشكّلة، مركّبا إتباعيا، الحاكم الموجّه فيها، هو النّمط التركيبي، "متبوع + تابع = مركّب إتباعي.

❖ ومن الفوائد المستخلصة؛ أنّ التّركيب الاسميّ، قد يكون سببا في أداء نوع من الأسماء، وظيفةً نحويةً، لا يؤدّيها لو جاء مفرداً. كما أنّ اللّفظ، قد يكون مُفرغا من أيّ معنى، فلا يُفرد في الكلام، وبعد تركّبه تابعا للفظ سابق له في الرّتبة– المتبوع–، يكتسب معنى، وتندرج هذه الفائدة في حديث، أثر البنية التركيبية في المعنى.

❖ من أسباب التّغيير في التّركيب؛ الميل الطّبيعي لدى سائر البشر في بذل الجهد الأقلّ والاتّصال الأوضح. كما أنّ التغيّر استجابة لحاجة في السلوك الإنساني؛ الناتج عن حركية التمدّن و الاتّصال. ونُدرة العبارة الإتباعية في الاستعمال؛ – وهي عبارة قصيرة موجزة–؛ وحتّى المثل والعبارات المأثورة والحكم، مرجعه إلى انفصال الخَلَف عن السّلف؛ وغياب الحسّ اللّغوي والابتعاد عن اللّغة الأمّ، وهي اللّغة العربية؛ وهذه الهوّة الواسعة، ينبغي السّعي إلى رأبها.

❖ الزّيادة في الإتباع، تتمّ عن طريق آلية توليد لفظ على نسق لفظ سابق. وكما يتمّ التحويل في الألفاظ بالزيادة ،فكذلك في التّركيب. لأنّ اللغة ليست جامدة، وفعالية النشاط اللّغوي وحاجة التعبير تتوافق ونفسية المتكلّم والميل إلى التّكرار فطرة، والجمع بين بنيتين أو صيغتين صرفيتين، تتعايشان في تآلف وتزاوج، لتأدية معنى دلالي واحد؛ إحداهما، وهي السابقة المتبوعة، تمثّل البنية الأساس، وهي ذات معنى، أما الثانية، التابعة لها، فهي صورة سمعية لها، مجرّدة من المعنى. فهل تزيد العرب شيئا سدى؟ وكيف تسعى اللّغة للاقتصاد في الأداء وتزاد في هذا المركّب كلمة لا معنى لها؟ والتّفسير الذي توصّل إليه البحث، لهذه الزّيادة في المركّب الإتباعي، أنّها بمثابة تعويض عمّا حذف؛ أي عمّا كان يمكن أن تكون عليه صياغة التّركيب، لو لم تقتضِ حاجة المتكلّم، هذا النّمط من الأسلوب الذي هو سنّة من سنن العرب في كلامها.

❖ ومن خلال تتبّع الأمثلة الإتباعية، تبيّن أنّ أغلبها وصفية؛ والموصوف ليس فردا معيّنا؛ والمُخاطَب غير موجود في دائرة الحسّ ولذا شاعت النّكرة في الاستعمال، وبقيت بعض المركّبات، محفوظة في الذّاكرة؛ مثلها مثل العبارات المسكوكة؛ فكم من عبارات إتباعية، غامضة التّعيين، يقاس عليها؛ فتتجدّد بتجدّد المواقف.

❖ من الملاحظ أنّ عبارة "همزة لمزة"، لم تذكر فيما ورد من الإتباع، على اعتبار أنّها ظاهرة من إبداع العامّة من الناس؛ وأنّ التّابع لفظ زائد، لا معنى له –في الأصل– بينما وردت عبارة "هنيئا مريئا"، إتباعا عند بعضهم؛ ونفي ورود الظّاهرة في القرآن، قد يكون سببه؛ أنّ الأصل في التّابع لا معنى له "شيء نتِدُ به كلامَنا"، لفظ زائد ولا يمكن أن تكون ألفاظ زائدة في القرآن؛ ومنه الحكم بخلوّ القرآن من الإتباع.

❖ من الملاحظ، أنّ ارتباط أسلوب الإتباع بمستوى العامّة، يقلّل من اهتمام المثقفين به؛ ممّا ينجم عنه التّعالي عن الكلام التّلقائي. وبسبب هذا، ضاعت كثير من الابتكارات اللّفظية الجارية على الألسنة؛ فقد يكون الكثير من هذه الألفاظ العامّية، ممتدّ الجذور إلى الفصحى.

❖ يلاحظ المتتبّع لهذه الابتكارات اللفظية، أنّ التغيّر المعجمي عملية تكاد تكون مستمرة وظاهرة؛ بظهور كلمات جديدة، وهجران أخرى.

❖ العبارة الإتباعية متلازمة لفظية محفوظة، متواترة؛ فمنها ما يستحضر في مواقف من الحياة اليومية، للاستشهاد بمدلولها، فهي بمنزلة المثل والعبارة المسكوكة. وهي محفوظة، لازمة متواترة؛ يمكن استحضارها، والنّسج على منوالها.

❖ والإتباعُ ظاهرةٌ صوتيّة صرفيّة معجميّة، من مقاصدها تحقيق التأكيد والتثبيت للفظ الأوّل، ومن المقاصد أيضاً المقصد البلاغيّ والجماليّ والإتباع نوع من القياس اللفظي (***Analogie***) يُراد منه توكيد اللفظِ الأوّل وتثبيتُه في سمعِ السامع وذهنِ المُخاطَب.

❖ وفي نظري الإتْباع إجْراء، حركة آلية في مكوّنات اللّغة على ألسنة أبنائها، يلجؤون إليه، لأغراض، منها التوكيد والتّخفيف بأسلوب ممتع، ذي نغم عذب، ملفت.

- ❖ اقتراح معجم يضمّ هذه العبارات والتجمّعات المعجمية، التي هي متلازمات لفظية، من العامّيّة الجزائرية، تتوافر فيها مظاهر صوتية، كالقياس الصّوتي التّلقائي، و مظاهر صرفية، كالصّيع وأكثرها استعمالا والتركيبية، وتتمثّل في احترام القالب الثّنائي، المتواتر الثّابت؛ فالإجراء الإتباعي في هذا كلّه، يبقى خاضعا لمبدأي الثبّات و التغيّر.

كانت هذه بعض النّتائج التي تمّ استكشافها من خلال استنطاق الظّاهرة نفسها، وتبقى أخرى جزئية في ثنايا فصوله و مباحثه.

فهرس

الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ ولَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ولَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾	البقرة	145	03
﴿وبَرَزُواْ للَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾	إبراهيم	21	03
﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾	الإسراء	69	03
﴿ وَآتُواْ النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾	النساء	04	230
﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾	الذاريات	49	25
﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	فصّلت	03	65
﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾	الإسراء	36	69
﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾	الهمزة	01	265/145/85

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾	الشعراء	63	
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	التوبة	28	154
﴿ الرّحمنْ، علَّمَ القرآنْ، خلَقَ الإنسان، علَّمَهُ البيانْ، الشّمسُ والقمرُ بحُسْبانْ، والنَّجْمُ والشَّجرُ يسْجُدانْ﴾	الرحمن	05-01	65

فهرس

غريب الحديث

فهرس غريب الحديث

فهرس غريب الحديث	الصفحة
(أبْغِني ناقةً حلْبانة ركْبانة)	271
(إنّه حارّ يار)	160
(أعوذ بكلمات الله التامّه ، من كل شيطان وهامه، ومن كل عين لامّه)	67
(خيرُ المال مهرة مأمورة و سكّة مأبورة)	67
(ارْجعْن مأزوراتٍ غيرَ مأجوراتٍ)	155
(نرى الحطائِط و نرِد المطائطَ)	84
(لست أُحلِّها لمغتسِل ، وهي لشاربٍ حِلٌّ و بلّ.)	111/50
(حيّاك اللّه و بيّاك)	128/94

فهرس

الأبيات الشعرية

فهرس الأبيات الشعرية

الشاعر	البيت الشعري	الصفحة
امرؤ القيس	بلادٌ عريضةٌ أريضةٌ * مَدافعُ غيْثٍ في فضاء عريض.	57
	وعينٌ لها حَدْرة بدْرَةٌ * وشُقَّت مآقيهِما من أُخُر	263/199
الأشعر الرّقبان:	سليخٌ مليخٌ كلحمِ الحُوار * فلا أنت حُلْوٌ و لا أنت مُرْ	53
أوس بن حجر:	مليحٌ نجيحٌ أخو مأزِقٍ * نِقابٌ يُحدَّثُ بالغائبِ.	291
حسّان بن ثابت:	فنُحْكِمُ بالقوافي من هجانا * ونضربُ حينَ تخْتلِطُ الدّماءُ	71
خالد بن زهير بن محرث الهذلي:	يا قوم ما بالُ أبي ذؤيبٍ * كنْتُ إذا أتَوْتُه من غيْبِ	238
زياد الأعجم:	إذا لقيتكَ، تبدي لي مكاشرةً * وإنْ أغِبْ، فأنت الهامز اللّمزه.	145
لبيد بن ربيعة العامري:	عفَتِ الدِّيارُ محلّها فمُقامُها * بمنىً تأبّد غَوْلُها فرِجامُها	63
النّمر بن تولب:	هلاّ سألْتِ بعادِياءَ و بيْتِهِ * والخلُّ و الخمْرُ لم يُمْنَعِ	256

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم

-أ-

﴿الكتب المطبوعة﴾

الأب أنستاس ماري الكرملي:

❖ نشوء اللّغة العربية ونموّها واكتهالها. مط. العصرية. القاهرة. 1938.

الأب رفائيل نخلة اليسوعي.

❖ غرائب اللّغة العربية. مقدّمة المؤلّف. مط. الكاتوليكية. ط2. بيروت. 1960.
lisaanularab. blogspot. com/. . . /blog-post_5683. htm

الأب هنريكوس لامنس اليسوعي.

❖ فرائد اللّغة في الفروق. مط الكاتوليكية للأباء اليسوعيين. طبعة بيروت. 1889م. ***al-mostafa. info/data/arabic/depot3/gap. php?file***

إبراهيم السامرّائي.

❖ فقه اللغة المقارن. دار العلم للملايين. ط3. 1983. ***http://www. archive. org/download/yyrr4/yyrr4. pdf***

إبراهيم أنيس.

❖ الأصوات اللغوية. دار الطباعة الحديثة. الناشر مكتبة الأنجلو المصرية. ط5. 1979 م.

❖ دلالة الألفاظ. مكتبة الأنجلو المصرية. مط محمد عبد الكريم حسان. القاهرة. د. ت. ***majles.alukah.net/showthread.php?47206***

❖ في اللّهجات العربية. مط الرسالة. دار الفكر العربي. د. ت. ***majles.alukah.net/showthread.php***

❖ من أسرار اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. ط8. 2003

إبراهيم مصطفى.

❖ إحياء النحو. القاهرة. ط1. 1992م. ***majles.alukah.net/showthread.php?9934***

ابن عبد الله محمّد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي.

❖ مفاتيح العلوم. تحقيق إبراهيم الأنباري. دار الكتاب العربي. بيروت. دت. ***al-mostafa.info/data/arabic/depot3/gap.php?file=i002810.pdf***

ابن عصفور الإشبيلي.

❖ الممتع في التصريف. تحقيق فخر الدين قباوة. الدار العربية للكتاب. ط5. 1984م.

❖ ضرائر الشعر. تحقيق السيّد إبراهيم محمّد. دار الأندلس للطباعة والنشر ط1. 1980م. ***majles. alukah. net/showthread. php***

❖ شرح جمل. أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، البغدادي النحوي الزجّاجي. تحقيق صاحب أبو جناح. د.ت. ***www.alkersh.com/vb/showthread.php?t=337***

أبو الحسين أحمد بن بن زكريا بن فارس .

❖ الإتباع والمزاوجة. تحقيق وضبط كمال مصطفى. مكتبة الخانجي. مصر. مكتبة المثنى. بغداد. 1947م. ***www.ahlalloghah.com/showthread.php?t=4364***

❖ الصّاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. تعليق أحمد حسن بسبح. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 1997.
❖ معجم المقاييس في اللغة. تحقيق شهاب الدين أبي عمرو. دار الفكر للطباعة والنّشر. بيروت لبنان. دت.

ابن منظور جمال الدّين أبو الفضل محمّد بن مكرم ابن منظور الأنصاري.
❖ لسان العرب. تحقيق عامر أحمد حيدر. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط01. 2005.

أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا، موفق الدين
❖ شرح الملوكي في التّصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية بحلب، ط.1، 1973م. ***majles.alukah.net/showthread.php?17692***

أبو بكر محمد بن الحسن الزّبيدي الأندلسي .
❖ طبقات النحويين واللّغويين .تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .دار المعارف .مصر ط2. د.ت . ***www.4shared.com/file/96652592/a0d2100cl***

أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري المصري
❖ الإعراب عن قواعد الإعراب. تحقيق علي فودة نيل. جامعة الرّياض. المملكة العربية السعودية. ط1. ***1981 www. waqfeya. com/book. php?bid=6231.***
❖ شرح قطر النّدى وبلّ الصدى. تحقيق محمد خير طعمة حلبي. دار المعرفة. بيروت لبنان. د. ت. ***1981 www. waqfeya. com/book. php?bid=6231.***

أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي.

❖ عجالة الراغب المتمنّي في تخريج عمل اليوم والليلة لابن السنّي. ط1. دار ابن حزم. بيروت.2001م. ***www. waqfeya. com/category. php?cid=52&s***

أبو إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي.

❖ الأمالي. تحقيق . كمال مصطفى. مكتبة الخانجي. د. ت.

أبو البقاء أيّوب بن موسى الحسيني الكفوي.

❖ الكلّيات. معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية. ض عدنان درويش و.محمّد المصري. مؤسّسة الرّسالة.د.ت. ***www.4shared.com/office/.html***

أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي بن سيده.

❖ المخصص. المطبعة الأميرية. بولاق. مصر. ط1 .1333هـــ. د.ت. ***lisaanularab. blogspot. com/. . . /blog-post_9414. htm***

أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي .

❖ الوسيط في الأمثال. تح عفيف محمّد عبد الرّحمن. مؤسّسة دار الكتاب الثقافية. الكويت 1395هـــ- 1975 م.
http://www.archive.org/download/zsg62/zsg62.pdf

أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط .

❖ كتاب القوافي. تحقيق عزة حسن مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم دمشق .1390هـــ -1970م. ***majles.alukah.net/showthread.php?8849***

أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي.

❖ الإتباع. تحقيق عزّ الدين التنوخي. دمشق. 1981. ***pdf. www. attaweel. com***

❖ الإبدال. تحقيق عزّ الدين التنّوخي. نشر مجمع اللغة العربية. دمشق. 1961. ***pdf. www. attaweel. com***

أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب.

❖ مجالس ثعلب. شرح و تحقيق عبد السلام محمّد هارون.مط دار المعارف . 1969.

أبو العباس محمّد بن يزيد "المبـــرّد".

❖ المقتضب. تحقيق محمّد عبد الخالق عضيمة. وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. لجنة إحياء التراث. القاهرة. ط1. 1994.
mostafa. info/data/arabic/depot3. . pdf

أبو الفتح عثمان بن جني.

❖ التصريف الملوكي. مطبعة شركة التمدّن الصناعية بالقربية. مصر. ط1. د.ت.
majles.alukah.net

❖ الخصائص. تحقيق محمّد علي النجار. المكتبة العلمية. دار الكتب المصرية. د. ت.

❖ المنصف. تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد المنعم أمين. الناشر مصطفى البابي الحلبي. إدارة إحياء التراث. ط1. 1954 م. ***www.al-amen.com/vb/...php***.

❖ سر صناعة الإعراب. دراسة وتحقيق حسن هنداوي. دار القلم. دمشق. ط2. 1994م.

أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني،

❖ مجمع الأمثال. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مط السنّة المحمّدية. 1965. ***http://www. 4shared. com/file/70588802. . . /__online. html***

أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، البغدادي النحوي الزجّاجي.

❖ الإيضاح في علل النّحو. تحقيق مازن المبارك. دار النفائس .ط7 .2007. بيروت. لبنان. ***http://www. archive. org/details/aleda7***

أبو القاسم محمد بن عمرو بن أحمد الزّمخشري جار اللّه.

❖ المفصّل في علم العربية. دار الجيل. بيروت. دت. ***al-mostafa. info/data/arabic/depot3/gap. php?. . . pdf.***

❖ أساس البلاغة. تحقيق محمد باسل عيون السود. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. ط 1. 1998م.

❖ شرح المفصّل. منشورات علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 2001. ***-mostafa. info/data/arabic/depot3/gap. php?. . . pdf .***

أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه.

❖ الكتاب. تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون. الناشر مكتبة الخانجي. القاهرة. ط3 . 1988.

أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي.

❖ طبقات النحويين واللغويين. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. مصر. ط2. د. ت. ***www.4shared.com/file/96652592/a0d2100c1***

أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد.

❖ جمهرة اللغة. تحقيق رمزي البعلبكي. دار العلم للملايين. بيروت. ط1. 1987.

أبو طالب المفضّل بن سلمة بن عاصم.

❖ الفاخر في الأمثال. تحقيق عبد العليم الطّحاوي. مراجعة محمد النجّار. الهيئة المصرية للكتاب. 1974. ***html .ebooks.roro44.com/4834***

أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي.

❖ الغريب المصنّف. تحقيق محمد المختار العبيدي. الناشر: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ودار سحنون للنشر. ط2. 1996.
http://www. kabah. info/uploaders/Algh. . . Musannaf_1. rar

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.

❖ البيان والتبيين. وضع حواشيه. ط2. موفّق شهاب الدين. دار الكتب العلمية. بيروت .لبنان. 2003م.

❖ الحيوان. تحقيق عبد السلام هارون. مطبعة الحلبي. ط2. القاهرة. 1965م.
/file/52264597. . . _____. html?s=1:http://www. 4share

أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي.

❖ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. دار الجيل.بيروت. ط5. 1981م.

أبو عمرو الداني الأندلسي.

❖ البيان في عدّ آي القرآن. تحقيق غانم قدوري الحَمد. منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق. ط1. 1994. ***http://www. archive. org/details/bayan_354***

أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري .

❖ الجني الداني في حروف المعاني. تحقيق. فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل. نشر دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. ط1، 1992م. ***www. alfaseeh. com/vb/showthread. php?t=5151***.

أبو محمد سعيد بن المبارك بن الدهّان النحوي.

❖ الفصول في العربية. تحقيق فائز فارس. مؤسّسة الرسالة. بيروت. ط1. 1988م. ***www. 4shared. com/rar/J2Byg69F/____. html*** .

أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل الثعالبي.

❖ فقه اللغة وسرّ العربية. تحقيق ياسين الأيّوبي. المكتبة العصرية. بيروت. ط 2. 1420هـــ. 2000م.

أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمّد بن الخضر بن الحسن الجواليقي البغدادي.

❖ المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم. تحقيق عبد الرّحيم. دار القلم. دمشق. ط1. 1990 م. ***majles.alukah.net/showthread.php?3889***

أبو هلال العسكري.

❖ جمهرة الأمثال. ضبط أحمد عبد السلام أبو هاجر. محمّد بن بسيوني زغلول. ط1. 1988م. ***www.waqfeya.com/book.php?bid=4368***

❖ الفروق اللّغوية. تحقيق حسام الدين القدسي. دار الكب العلمية. بيروت. لبنان. دت.

أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمّد بن علي السكّاكي.

❖ مفتاح العلوم. ضبط نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان ط1. 1983.

أبو يوسف بن إسحق بن السكّيت.

❖ إصلاح المنطق. تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون. دار المعارف. مصر. دت. ***www.4shared.com/office/***

أحمد أحمد بدوي.

❖ من بلاغة القرآن. نهضة مصر للطّباعة والنّشر. 2005.
majles.alukah.net/showthread.php

أحمد عفيفي.

❖ ظاهرة التخفيف في النحو العربي. دار النشر: الدار المصرية اللّبنانية. ط1. 1996. ***majles. alukah. net*** .

أحمد مختار عمر ومصطفى النحاس الزهران ومحمّد حماسة عبد اللطيف.

❖ النحو الأساسي. منشورات ذات السلاسل. الكويت. ط1. 1984.

أحمد مختار عمر.

❖ البحث اللغوي عند العرب. عالم الكتب. القاهرة. ط1. 1998.

❖ دراسة الصوت اللّغوي. عالم الكتب. القاهرة. 1997.
majles.alukah.net/showthread.php

❖ علم الدلالة. عالم الكتب. القاهرة. ط5. 1998 .

بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي.

❖ البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أب والفضل إبراهيم. ط دار التراث. مصر. د. ت. ***www.waqfeya.com/book.php?bid=1493***

تامر سلوم.

❖ نظرية اللغة والجمال في النقد العربي. دار الحوار للنشر والتوزيع. سورية. ط1. 1983 م.

تقي الدين أبو بكر علي المعروف بابن حجّة الحموي.

❖ خزانة الأدب وغاية الأرب. شرح عصام شعيتو. منشورات دار مكتبة الهلال. بيروت. ط1. 1987.
al-mostafa.info/data/arabic/depot2/gap.php?...pdf

تمام حسان.

❖ الأصول، دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو – فقه اللغة – البلاغة. عالم الكتب القاهرة. 2000م ***http://www. archive. org/download/ooso. . . ool_hassan. pdf .***

❖ اللغة العربية معناها ومبناها. عالم الكتب. القاهرة. ط3. 1998م.

❖ مناهج البحث في اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية. 1990. ***http://waqfeya. com/book. php?bid=5159***

جلال الدين السيوطي.

❖ الأشباه والنّظائر في النحو. دار الكتب العلمية. بيروت. د ت.

❖ المزهر في علوم اللّغة وأنواعها. تحقيق. فؤاد علي منصور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط01، 1998م.

❖ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تحقيق أحمد شمس الدين. الناشر دار الكتب العلمية. لبنان. ط1. 1998 م. ***www. waqfeya. com/book. php?bid=4013***

جلال شمس الدين.

❖ الأنماط الشكلية لكلام العرب نظرية وتطبيقا. دراسة بنيوية. توزيع مؤسّسة الثقافة الجامعية. الاسكندرية. 1995. ***www. 4shared. com/rar/. . . /____1. html***

جورجي زيدان.

❖ الألفاظ العربية والفلسفة اللّغوية. مطبعة القديس جارجيوس. بيروت. 1886م.

جون لاينز.

❖ اللّغة والمعنى والسّياق. ترجمة عباس صادق الوهّاب. مراجعة يوئيل عزيز. دار الشؤون الثقافية العامّة. بغداد العراق. 1987م. ***archive.org/search.php?query=subject%3A%22***

حسام البهنساوي.

❖ التوليد الدلالي. مكتبة زهراء الشرق. 2003

حسن ظاظا.

❖ كلام العرب. دار القلم. دمشق. الدار الشامية. بيروت. ط2. 1990م.

الحسين بن أحمد بن خالويه.

❖ ليس في كلام العرب. تحقيق. أحمد عبد الغفور العطار. مكّة المكرمة. ط2. 1979. ***http://www. 4shared. com/file/70601620/3611124/_____. html.***

حسين جمعة.

❖ في جمالية الكلمة. دراسة جمالية بلاغية نقدية: منشورات اتّحاد الكتاب العرب. دمشق 2002 م. ***www.nooreladab.com/vb/showthread.php?p=48070***

حسين نصار.

❖ دراسات لغوية. دار الرائد العربي. لبنان. د. ت.

خالد زين الدين بن عبدالله الأزهري.

❖ شرح التصريح على التوضيح. إعداد محمد باسل عيون السّود. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط1. 2000.
majles.alukah.net/showthread.php

الخليل بن أحمد الفراهيدي.

❖ الجمل في النحو. تحقيق فخر الدين قباوة. مؤسّسة الرّسالة.بيروت . ط1. 1985. ***www. waqfeya. com/book. php?bid=3529***

❖ كتاب العين –مرتّبا على حروف المعجم–. ترتيب وتحقيق. عبد الحميد الهنداوي. منشورات محمّد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ط1. 2003م. ***org/details/alaeen_Farahidi http://www. archive.***

ديفيد جستس.

❖ محاسن العربية في المرآة العربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللّغات الأوروبية. ترجمة حمزة بن قبلان المزيني. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الرياض-***lisaanularab. blogspot. com/. . . /blog post_4210. htm***

رجب عبد الجواد إبراهيم.

❖ موسيقى اللغة. دار الآفاق العربية. القاهرة. ط 2003.

راجي الأسمر .

❖ المعجم المفصّل في علم الصّرف. مراجعة إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية. لبنان. ط1. 1993.
http://www.4shared.com/file/28160057/873f8c8c/____.htm

رفائيل نخلة اليسوعي.

❖ نصوص ودروس. غرائب اللّغة العربية. مقدّمة المؤلّف. مط. الكاتوليكية. بيروت. ط2. 1960.

❖ غرائب اللّهجة اللّبنانية السورية. مط. الكاتوليكية بيروت 1959م.

رمضان عبد التواب.

❖ المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث. ط3. مكتبة الخانجي. القاهرة. 1997.
majles. alukah. net .

❖ فصول في فقه اللّغة. الناشر مكتبة الخانجي. القاهرة. ط3. 1983.

رومان ياكبسون.

❖ قضايا الشعرية. ترجمة محمّد الولي ومبارك حنوز. سلسلة المعرفة الأدبية. دار توبقال للنّشر. الدار البيضاء المغرب. ط1. 1988.
.http://www.4shared.com/get/BlfauY2F/____.html

زكي مبارك.

❖ النّثر الفنّي في القرن الرابع الهجري. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. القاهرة د. ت.

أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السّبكي

❖ الإبهاج في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي. تحقيق أحمد جمال الزمزمي. دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث. دبي. ط.1424 هـــ-2004م . ***http://www. archive. org/details/ibhaj.***

ستيفن أولمان.

❖ دور الكلمة في اللّغة. ترجمة كمال محمّد بشر. مكتبة الشباب. مصر. د. ت ***http://www. 4shared. com/get/9-UXZ4Uj/___. html***

ستيفن بنْكر.

❖ الغريزة اللّغوية. كيف يبدع العقل اللغة. تعريب حمزة بن بقلان المزيني. نشر دار المريخ. دت. ***lisaanularab. blogspot. com/. . . /blog-post_1282. htm.***

سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني

شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني في المعاني والبيان والبديع. ضبط عبد المتعال الصعيدي. المكتبة المحمودية التجارية. الأزهر. مصر. 1356 هـــ ***www. ahlalloghah. Com.***

السيّد خضر.

❖ فواصل الآيات القرآنية. دراسة بلاغية دلالية. مكتبة الآداب. القاهرة. ط2. 2009. ***www. sayedkhedr. net/articles/Fawasel. Pdf***

السيد علي عزّ الدين.

❖ التكرير بين المثير والتأثير، دار الطباعة المحمدية، القاهرة. ط2. 1978. ***www.4shared.com/file/141118734/.../_____.htm***

الأشموني علي بن محمد بن عيسى أبو الحسن نور الدين .

❖ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. "منهج السّالك إلى ألفية ابن مالك". تحقيق محي الدين عبد الحميد. نشر البابي الحلبي و أولاده . مصر. ط2. 1838هـ- 1939م. ***majles.alukah.net/showthread.php?100036***

شوقي حمادة.

❖ معجم عجائب اللّغة. دار صادر. بيروت. ط1. 2000. ***islamport. com/d/1/tfs/1/37/1866. html***

صبحي الصالح.

❖ دراسات في فقه اللّغة. دار العلم للملايين. لبنان. ط1. 1986

عباس حسن.

❖ النحو الوافي. دار المعارف. مصر. ط2 . 1971م.

عباس محمود العقاد.

❖ أشتات مجتمعات في اللغة والأدب. دار المعارف. مصر. 1970م.

❖ تاريخ آداب العرب . دار الكتاب العربي. لبنان. ط4. 1974.

❖ اللّغة الشاعرة. مطبعة الاستقلال الكبرى. القاهرة. دت.

عبد الحميد السيّد.

❖ دراسات في اللّسانيات العربية. المشاكلة – التنغيم-رؤى تحليلية. دار الحامد للنّشر والتوزيع. الأردن. ط1 .2004م.

عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري ، أبو البركات كمال الدين الأنباري

❖ أسرار العربية. تحقيق محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية. لبنان. ط 1. 1997م. ***www.waqfeya.com/book.php?bid=2963***

❖ الإغراب في جدل الإعراب ولُمَعُ الأدلة في أصول النحو. تحقيق سعيد الأفغاني. مطبعة الجامعة السورية.1957م ***www.4shared.com/rar/.html***

❖ الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين.تحقيق جودة مبروك محمد مبروك. مراجعة رمضان عبد التوّاب. نشر مكتبة الخانجي. ط1. دت. ***majles.alukah.net/showthread.php***

عبد الرزاق بن عمر.

❖ المتلازمات اللّفظية في اللغة والقواميس العربية. نشر مجمّع الأطرش. تونس 2007.

عبد الصبور شاهين.

❖ المنهج الصّوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصّرف العربي. مؤسّسة الرّسالة.بيروت. 1980.
. ***http://www. archive. org/details/almanheg_alsouty***

عبد الغفار حامد هلال.

❖ أصوات اللّغة العربية. مط. الجبلاوي. القاهرة. ط2. 1988.

عبد القادر عبد الجليل.

❖ الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي. دار صفاء للنشر عمان. الأردن. ط1. 1997.

❖ علم الصّرف الصّوتي ***morpho-phonology***. شركة الشرق الأوسط للطباعة. ط1. 1998

عبد القاهر الجرجاني.

❖ الجمل. تحقيق علي حيدر. دمشق 1972م. ***http://www. archive. org/download/book. . . th/aljumal. pdf***

❖ المقتصد في شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي. تحقيق كاظم بحرالمرجان. دار الرشيد 1982. ***majles.alukah.net/showthread.php***

عبد الله بن محمّد بن سعيد بن سنان الخفاجي.

❖ سر الفصاحة. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. 1982 . ***http://www. archive. org/details/serrfsahah***

أبو محمّد عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد.

❖ أدب الكاتب. تحقيق وشرح وفهرسة محمّد الفاضلي. دار الجيل. بيروت. 2001م. ***majles.alukah.net/showthread.php?2577***

❖ عيون الأخبار. تحقيق لجنة من دار الكتب المصرية. نشر دار الكتب المصرية بالقاهرة. ط2. 1996م. ***.www.waqfeya.com/book.php?bid=962***

عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري.

❖ قطر النّدى وبلّ الصدى. تحقيق. محمد خير طعمة حلبي. دار المعرفة. بيروت لبنان. د. ت. ***majles. alukah. net***

عبد الواحد حسن الشيخ.

❖ ظاهرة الغريب، تاريخ وتطبيق. مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنّية. ط1. 1999م.

عبده الرّاجحي.

❖ النحو العربي والدّرس الحديث. بحث في المنهج. دار النّهضة العربية للطباعة والنشر. 1979. ***http://www. archive. org/details/naho_dars_manheg***

عبده عبد العزيز قلقيلة.

❖ لغويات. دار الفكر العربي. 1977. مصر

عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس أبو عمرو بن الحاجب.

❖ الكافية في النحو. شرح محمد بن الحسن رضي الدين محمد الرضي الاستراباذي. تحقيق حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي. وزارة التعليم العالي. المملكة العربية السعودية ط1. 1993م. ***www. waqfeya. com/book. php?bid=6584***

عدنان بن ذريل.

❖ اللغة والأسلوب .دراسة. مراجعة وتقديم حسن حميد. دارمجدلاوي . عمان ط2. 2006.

عطيّة سليمان أحمد.

❖ الإتباع والمزاوجة في ضوء الدرس اللّغوي الحديث. دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع. القاهرة.2004م. ***http://www. wikiwebia. com/files/0ML9AFLB/aletbaa wa almozawgah. pdf***

علي أبو المكارم.

❖ الظواهر اللّغوية في التراث النّحوي: الظواهر التركيبية. دار غريب للنشر. ط1. 2006.

علي بن عمر بن محمّد السّحيباني.

❖ التأويل في غريب الحديث من خلال كتاب النّهاية لابن الأثير. مكتبة الرشد ناشرون. ط1. المملكة العربية السعودية. الرّياض. 2009م.
www.waqfeya.com/book.php?bid=3815

علي بن محمد الشريف الجرجاني.

❖ التعريفات. تحقيق غوسطافوس. فلوجل. مكتبة بيروت لبنان. 1985م.
http://www.archive.org/download/ta3r...at_jurjani.pdf

عمار الساسي.

❖ اللّسان العربي وقضايا العصر. دار المعارف للإنتاج والتوزيع. البليدة الجزائر. ط2001.

عودة خليل أبو عودة.

❖ التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم –دراسة مقارنة–. مكتبة المنار. الأردن. ط 1. 1985 .
majles.alukah.net/showthread.php

عوض المرسي جهاوي.

❖ ظاهرة التنوين في اللغة العربية. مكتبة الخانجي القاهرة. دار الرفاعي الرّياض. ***د.ت.***

أحمد فارس الشدياق.

❖ سرّ الليال في القلب و الإبدال . المطبعة العامرة . الأستانة .1284هـ
http://www.archive.org/details/sir-allayal.

فاضل صالح السمرائي.

❖ الجملة العربية والمعنى. دار ابن حزم للطباعة والنّشر. بيروت. لبنان. ط1. 2000. ***majles.alukah.net/showthread.php?10505***

❖ معاني النحو. شركة العاتك لصناعة الكتب. القاهرة. مصر. 2003م. ***http://www.4shared.com/file/234960440/4bf962d6/maany_alnahoo_1.html***

❖ معاني الأبنية في العربية. دار عمار للنّشر. الأردن. ط2 . 2007م.

فخر الدين قباوة

❖ تصريف الأسماء و الأفعال. مطبعة دار المعارف بمصر.1971م.

فاطمة الطبال بركة.

❖ النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت. ط1. 1993.

فايز الدّاية.

❖ علم الدّلالة العربي. النّظرية والتّطبيق. دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر . د. ت.

كريم حسن ناصح الخالدي.

❖ نظرية المعنى في الدّراسات النّحوية. المجمع العربي للنّشر والتّوزيع. دار صفاء. عمان. الأردن. ط1. 2006 ***majles.alukah.net/showthread.php*** .

كريم زكي حسام الدّين.

❖ التحليل الدلالي، إجراءاته ومناهجه. نسخة إلكترونية. إصدار موقع كتب عربية ***majles.alukah.net/showthread.php?52816-***. **د ت .**

كمال محمّد بشر.

❖ علم اللغة العام. قسم الأصوات. ط9 . دار المعارف. مصر. 1986.

المبارك بن محمد الجزري بن الاثير مجد الدين أبو السعادات.

❖ النهاية في غريب الحديث والأثر. المحقق: طاهر أحمد الزاوي –محمود محمد الطناحي. الناشر. المكتبة الإسلامية. ط1. 1963 م.

مبارك مبارك.

❖ معجم المصطلحات الألسنية. فرنسي– انجليزي– عربي. دار الفكر اللّبناني. بيروت ط1. 1995 .

مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمّد الجزري ابن الأثير.

❖ النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق طاهر أحمد الزاوي– محمود محمد الطناجي. ط1. الناشر الحلبي. 1963. ***www. waqfeya. com/book. php?bid=3815***

محمّد محمّد يونس علي.

❖ مقدّمة في علمي الدّلالة والتّخاطب. ص30. دار الكتاب الجديد المتّحدة. ط 1. 2004.

محمد إبراهيم عبادة.

❖ الجملة العربية مكوّناتها –أنواعها– تحليلها. مكتبة الآداب. القاهرة. ط 4. 2007.

محمّد الأنطاكي.

❖ المحيط في أصوات اللّغة ونحوها وصرفها. نشرة دار الشرق العربي. بيروت ط3. دت. ***lisaanularab. blogspot. com/. . . /blog-post_5478. htm***

محمد التونجي.

❖ المعجم المفصّل في تفسير غريب الحديث. ط1. منشورات علي بيضون. دار الكتب العلمية. بلبنان. ط1. 2002 . ***www. waqfeya. com/book. php?bid 3821***

محمّد الرّازي فخر.

❖ التفسير الكبير. مفاتيح الغيب. دار الفكر. بيروت. ط1. 1401هـــ. 1981م. ***islamport. com/d/1/tfs/1/37/1866. html***

محمد المبارك.

❖ فقه اللغة وخصائص العربية. دار الفكر. ط7. 1981م.

محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي ابن النجار.

❖ شرح الكوكب المنير –مختصر التّحرير –تحقيق محمد الزحيلي ونزير حماد.. مكتبة العبيكان. 1993م

al-mostafa.info/data/arabic/depot3/gap.php?...pdf.

محمد بن الحسن الاستراباذي السمنائي النّجفي الرّضي.

❖ شرح الرّضى لكافية ابن الحاجب. تحقيق يحي بشير مصطفى. نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط1. 1997. ***www. waqfeya. com/book. php?bid=6584***

محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجيّاني.

❖ متن الألفية. ضبط وتحقيق عبد اللّطيف بن محمد الخطيب. دار العروبة للنشر والتوزيع. الكويت. ط1. 2006م.
www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=58470

محمد حسن عبد العزيز.

❖ القياس في اللغة العربية. دار الفكر العربي.مصر. ط1. 1995م

محمد حماسة عبد اللّطيف.

❖ النحو والدلالة. دار الشروق. القاهرة. ط1. 2000. ***al-mostafa. info/data/arabic/depot3/gap. php?file=017264. pd***

❖ العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث. مكتبة أمّ القرى. ط1. 1984.

محمّد سعيد أسبر وبلال جنيدي.

❖ المعجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها. بيروت لبنان. ط 1. 2004. ***majles.alukah.net/showthread.php?93540***

محمّد سمير نجيب اللّبدي.

❖ معجم المصطلحات النحوية والصرفية. مؤسّسة الرسالة. دار الثقافة. مط أمزيان. الجزائر. دت.

محمّد علي التهناوي.

❖ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. مراجعة رفيق العجم. تحقيق علي دحروج. مكتبة لبنان ناشرون. ط1. 1996. ***www. 4shared. com/office/. . . /____2. html***

محمّد علي الصّابوني.

❖ إيجاز البيان في سور القرآن. مكتبة الغزالي. دمشق ط2. 1399هـ-1979م.

محمّد محمّد يونس علي.

❖ مقدّمة في علمي الدّلالة والتّخاطب. دار الكتاب الجديد المتّحدة. ط 1. 2004.

محمد مفتاح.

❖ تحليل الخطاب الشعري. استراتيجية التناص. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. ط 2. 1986. ***www. mediafire. com***

محمود السعران.

❖ علم اللغة. مقدّمة للقارئ العربي. دار النّهضة العربية للطباعة والنّشر. بيروت. د. ت.

محمود عكاشة.

❖ الدلالة اللّفظية. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. دت.

مصطفى الغلاييني.

❖ جامع الدروس. مراجعة عبد المنعم خفاجة. المكتبة العصرية. بيروت ط1. 1993. ***majles. alukah. net***

مهدي المخزومي.

❖ في النحو العربي. نقد وتوجيه. منشورات المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. ط1. 1964. ***lisaanularab. blogspot. com/. . . /blog-post_8409. htm***

موفّق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش.

❖ شرح المفصّل للزّمخشري. وضع حواشيه وفهارسه إميل بديع يعقوب. منشورات علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 2001. ***http://www. archive. org/download/ShMfslYsh/ShMfslYsh03. pdf***

نورة الشملان.

❖ أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره. نشر عمادة شؤون المكتبات. جامعة الرياض. ط 1. 1980م ***http://www. archive. org/details/ThUaYB***

وسمية عبد المحسن المنصور.

❖ وقفات مع النوادر والملح العربية. نشر جامعة الكويت – كلية الآداب –قسم اللغة العربية الطبعة الأولى .2006م. ***faculty. ksu. edu. sa/. . .***

يوسف محمود.

❖ المنطق الصوري. التصورات والتصديقات. دار الحكمة. ط1. 1994. ***www.p48bac.com/vb/.../22496***

-ب-

﴿الكتب غير المطبوعة﴾

جميل أحمد اشتية.

❖ العلاقات النحوية بين الخبر والصّفة والحال. دراسة تطبيقية في سورة يوسف. أطروحة ماجستير. إشراف الدكتور أحمد حسن حامد. جامعة النجاح كلّية. الدراسات العليا. نابلس. فلسطين. 2009.

خيرة منصوري.

❖ الحقول الدّلالية لحرف العين في لسان العرب. رسالة ماجستير. 1999م.

مكي درّار.

❖ الحروف العربية وتبدّلاتها الصّوتية في كتاب سيبويه. رسالة ماجستير. 1986.

❖ الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية. رسالة دكتوراه. 2002-2003م

-ج-

﴿الكتب الأجنبية﴾

ALAIN ENDERSON. Gardiner

❖ ***the theory of speech et language. London1932.***

David Justice John Benjamins

❖ ***The Semantics of Form in Arabic in The Mirror of European Languages, 1987 Publishing Company. lisaanularab. blogspot. com/. . . /blog-post_4210. htm.***

❖ **Dictionnaire**

www. lexilogos. com/francais_langue_dictionnaires. Htm

FERDINANd DE SAUSSURE

- ***.cours de linguistique generale. edition Talantikit. Bejaia. 2002 .***

JEANS DUBOIS.

- ***dictionnaire de linguistique. la Tipografica Varese. Italie. 2002.***

–د–

﴿الدوريات باللغة العربية﴾

إبراهيم محمد أنبب.

- ملامح التوليد في التراث اللّغوي. مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية. سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية. المجلّد27. العدد1. 2005 .
shamela.ws/rep.php/book/2203 - Égypte

الأقطش عبد الحميد.

- توليد الألفاظ بالمختصر الرّمزي الأوائلي في العربية. مجلة جامعة اربد الأهلية 1431هـ ***almaktabah.net/vb/showthread.php?t=36433***
- إتباع الإيقاع في اللغة العربية. مقاربة ألسنية في حركية اللغة. مجلة أبحاث اليرموك. المجلد 12. العدد2. 1994. ***http://img832. imageshack. us/content_round. php?page=done&l=img832/1149/66975207. pdf***

آمنة صالح الزعبي.

- التراكيب الثابتة في اللغة العربية الفصحى في باب المفاعيل. مجلة جامعة دمشق. المجلد28. العدد 1. 2012.

جزاء مصاروة.

❖ ظاهرة الازدواج في العربية. المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها. المجلد1. العدد1. 2005. ***www. pdffactory. Com***

خليل خلف بشير.

❖ من الظواهر الأسلوبية في سورة القمر. مجلة آداب البصرة .كلية الآداب جامعة البصرة . العدد44 .2007 ***aldhiaa. com/arabic/magazine/maab/03/1. pdf***

سهى كناوي حسن.

❖ الإتباع النحوي. مجلة آداب ذي قار. المجلّد 2. العدد. 2. كانون الأول 2010.

عزّة حسن.

❖ إتباعات العرب. مجلّة مجمع اللّغة العربية بدمشق. المجلة 83. ج1. ***www. reefnet. gov. sy/booksproject/mojama/. . . /1. pd.***

عطيّة الصوالحي

❖ اطّراد صيغة "فُعَلَة . اتحاد الكتاب العرب– دمشق العددان: 11 – جمادى الآخر 1403 نيسان "أبريل" السنة الثالثة والعدد 12–رمضان 1403 تموز "يوليو" 1983. ***www.awu-dam.org/trath/12.../turath12-11-012.ht***

محمود حسن الجاسم.

❖ أسباب التعدّد في التحليل النحوي. جامعة حلب كلية الآداب. قسم اللغة العربية. عن داود عبده. التقدير وظاهر اللّفظ. مجلة الفكر العربي، العدد8–9، معهد الإنماء العربي. بيروت، 1978–1979م. ***uqu. edu. sa/files2/tiny_mce/plugins/. . . /4. pdf***

نعمة رحيم العزّاوي.

❖ العربية المعاصرة والحسّ اللّغوي. مجلّة الذخائر العدد 4. الأبحاث والدّراسات. مركز التحقيقات. خريف 1421 هـــ -2000م.

-هـــ-

﴿بحـــوث لغـــوية﴾

عبد الكريم مجاهد عبد الرحمن

❖ الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني. بحوث لغوية ***majles.alukah.net/showthread.php***

حسن غازي السعدي.

❖ الاحتمال الصّرفي. ***www.uobabylon.edu.iq/uobcoleges***

سليمان بن إبراهيم العايد.

❖ علاقة اللغة المنطوقة باللغة المكتوبة في اللغة العربية - **نادي مكّة الثقافي الأدبي. 18-10-1417هـــ**. جامعة أم القرى .
https://uqu.edu.sa/files2/tiny_mce/plugins/filemanager/files/.../r18.pdf

حسين جمعة.

❖ في جمالية الكلمة. دراسة جمالية بلاغية نقدية: منشورات اتّحاد الكتاب العرب. دمشق 2002م.
www.nooreladab.com/vb/showthread.php?p=48070

-و-

﴿الدوريات باللّغة الأجنبية﴾

Estelle DUBREIL

- ***COLLOCATIONS DEFINITIONS ET PROBLEMATIQUES. LINA CNRS UMR 6241 / Université de Nantes. Texto ! janvier 2008, vol. XIII, n°1***

Henri van hoof.

- ***Rime et allitérrations dans les langues française et anglaise.www. erudit. org/revue/meta/2008/v53/n4/019654ar. pdf http://www. persee. fr/web/revues/home/prescript/article/flang_1244-5460_1998_num_6_11_1220***

Kaboré Raphaël.

- ***La réduplication. In: Faits de langues n°11-12, Octobre 1998 pp. 359-376. doi: 10. 3406/flang. 1998. 1220 revue électronique Texte et corpus, n°3 / août 2008, Actes des Journées de la linguistique de Corpus 2007, p. 221-231. http://web. univ-ubs.***

Dostie Gaétane.

- ***La réduplication. De la constitution d'un corpus de français parlé au Québec à l'analyse sémantique de données authentiques », revue électronique Texte et corpus, n°3 / août 2008, Actes des Journées de la linguistique de Corpus 2007, p. 221-231. http://web. univ-ubs. fr/corpus/jlc5/ACTES/ACTES_JLC07_dostie. pdf***

-ز-

﴿الدواوين الشعرية﴾

- ديوان أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك العامري. الديوان ***www. imamu. edu. sa/DContent/. . . /page_2178. Pdf***
- ديوان امرئ القيس. تحقيق مصطفى عبد الشافي. دار الكتب العلمية. ط5. 2004 م. ***majles.alukah.net/showthread***
- ديوان أوس بن حجر. تحقيق محمّد يوسف نجم. دار الكتب العلمية بيروت. 1980م. ***majles. alukah. net/showthread. php?. . . 3***
- ديوان جرير بن عطيّة بن كليب .شرح محمد بن حبيب .تحقيق نعمام محمد أمين طه .ط3 دار المعارف .مصر.***د.ت.*** ***majles.alukah.net/showthread.php?26008***
- ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري. شرحه وقدّم له :عبدا علي مهنا. دار الكتب العلمية بيروت. ط 2. 1994 م. ***www.waqfeya.com/book.php?bid=3100***
- شعر زياد الأعجم . جمع و تحقيق و دراسة يوسف حسين بكار .دار المسيرة .ط1 . 1403 هـــ- 1983م. ***majles.alukah.net/showthread.php?51942***
- ديوان النّمِر بن تولب العُكلي .تحقيق محمد نبيل طريفي . دار صادر. بيروت.ط 1 .2000 م. ***majles.alukah.net/showthread.php?...4***

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المحتويات..... الصفحة
مقدّمة..... أ-ح .
مدخل تمهيدي..... 02-47

الفصل الأوّل
المستوى الصوتي

توطئة..... 49

المبحث الأوّل: حروف البدايات في الإتباع 50

أ-التحليل الصوتي:..... 50
ب-الحروف الأكثر استعمالا في توليد الإتباعات : الباء – اللام-الميم-الراء- 50
الواو-الهمزة- التاء والدال .....
ب-الحروف الأقلّ استعمالا في توليد الإتباع : الصاد – الذال – الزّاي- الغين- 58
الخاء.....
ج-الحروف الغائبة : الضاد والطاء و الظاء 59
د-نتائج الإحصاء و التّحليل الصوتي..... 60

المبحث الثاني: حرف الرويّ في الإتباع 62

أ–الفاصلة في القرآن الكريم..... 64
ب–السّجع في الحديث النبوي الشريف..... 66
ج–الوظيفة الصوتية للإتباع 68

المبحث الثالث : الحروف الأكثر استعمالا في رويّ الإتباع 72

أ–الإحصاء..... 72
ب– التحليل الصوتي..... 73
حروف الأقلّ تواردا في النّهايات–حروف رويّ–..... 83
نتائج الإحصاء والتحليل الصوتي لحروف الرويّ:..... 90
التكرار الصّوتي وأثره في موسيقى الإتباع..... 91

الوقف على الأواخر بالسكون..... 94
المبحث الرابع : أثر اللّغة المنطوقة في ثنائية الإتباع 99

أمثلة إتباعية من العامّية الجزائرية..... 100
خلاصة..... 104

الفصل الثاني
المستوى الصّرفي

توطئة..... 106

المبحث الأوّل: تشكّل الإتباع 108

توليد التّابع..... 108

المبحث الثاني : الشكل الصرفي المورفولوجي للإتباع 113

جدول إحصائي لمباني الإتباع : حروف الإتباع–مباني الإتباع–الإتباع الفعلي .
تحليل محتوى الجدول : الأسماء –الصّفات –الأفعال..... 122-114

جدول توضيحي : مركّبات وصفية – اسمية فعلية..... 123

أ–المركبات الوصفية:..... 126

ب–المركبات الاسمية:..... 128

ج–المركبات الفعلية:..... 128

المبحث الثالث: الدّلالة الصّرفية المحتملة للمباني الإتباعية 129

دلالة المزاوجات الفعلية:..... 133

آلية التحويل الداخلي في الصّيغ و أثرها في تلوين الدّلالة..... 134
تحليل بعض الصّيغ الوصفية: "فعيل"- "فَعْل"..... 137-143
نتائج التحليل:..... 147
نتائج تحليل التلوين الصّوتي..... 146
دلالة كثرة استعمال المركّبات الوصفية: أمثلة..... 149
مباني إتباعية غير واردة في الجدول..... 149
حرف الميم في الإتباع القياسي..... 150

المبحث الرابع: ظواهر التحوّلات اللّغوية في الإتباع أو الملاءمة 153

مجيء المشتق على غير قياس: المحاذاة الصّرفية -حذف الهمزة –القلب- الإبدال -دواعي الملاءمة الصوتية والصّرفية-..... 153
خلاصة..... 162

الفصل الثالث:
المستوى التركيبي النحوي

توطئة..... 166

المبحث الأوّل: التركيب النحوي 168

التركيب لغة و اصطلاحا..... 168

معنى المركّب 170
التراكيب الجملية الإسنادية..... 172
أقسام المركّبات..... 175
علاقة المركبات غير الإسنادية بالمركّبات الإسنادية..... 177
علاقة المركّبات غير الإسنادية ببعضها..... 179
اشتقاق المركّب الإتباعي..... 183

المبحث الثاني: أشكال مركب الإتباع – تقسيم عزّ الدين التنوخي– إتباع اسمي – إتباع فعلي . 185

أ–الإتباع الاسمي..... 185
ب–الإتباع الفعلي..... 186

المبحث الثالث: ظواهر لغوية في مركّب الإتباع 188

الرّتبة و التّلازم..... 188
التضامّ..... 189
تعدّد التّابع..... 190
التّنكير والتّنوين في الإتباع..... 192

المبحث الرّابع : الإتباع و العطف 196

إتباع متّصل – بلا رابط–..... 198
إتباع منفصل–إتباع برابط–..... 198
حذف الواو في المركّب العطفي و أثره على التركيب..... 200
الوقوف على بعض أسرار الحذف و أثره في الشكل التركيبي..... 201
مركّبات أصلها العطف: خمسة عشر، حيص بيص – صباح مساء–..... 202
تعدّد الشّكل في أصل بعض المركّبات الإتباعية : العطف – مضاف و مضاف إليه –ظرف –جار و مجرور..... 203
حذف الواو في المركّب العددي..... 204

المبحث الخامس: إعراب المركّب الإتباعي 205

الإعراب و البناء..... 205
تأصيل إعراب المركّب العددي..... 209
البناء على فتح الجزأين..... 209
جدول توضيحي لخلاصة أقوال العلماء في إعراب حيص بيص..... 212
إجراء تطبيقي في إعراب بعض المركّبات الإتباعية: حيص بيص: إعرابه– لغاته– 213
جدول توضيحي..... 214
إعراب بعض المركّبات على منوال "حيص بيص"..... 214
تفرّق مباحث الإتباع على أبواب نحوية..... 217

إعراب التّابع –التَّبع–: تطبيق..... 217
التّمييز بين الأَتِباع و التّوابع..... 218
خلاصة..... 219

الفصل الرابع :
الإتباع والدّلالة

توطئة..... 226

المبحث الأوّل: الكلمة –التّابع– 228

أ–نبذة عن مفهوم الكلمة وتحديد معالمها..... 228
ب–التابع..... 230
ج– أنواع التّابع..... 230
د–مساهمة التابع في تكثير الثروة المعجمية..... 231
أ– توليد التابع وتعدده..... 232
ب–دلالة الزيادة في العبارة الاتباعية..... 234
ج– تفسير التابع..... 236
د– معجمة التابع..... 240
هـــ–التصحيف في التابع..... 241

المبحث الثاني: مساهمة الإتباع في إثراء- المعجم . 243

أ-الإتباع والترادف..... 243
ب- الارتجال في ألفاظ الإتباع..... 244
ج-ظاهرة الغرابة في ألفاظ الإتباع..... 248

المبحث الثالث: العبارة الإتباعية
252

أ- مفهوم العبارة..... 252
ب-الدلالة في العبارة الاتباعية..... 253
أنماط الإتباع: مزاوجة، منفصل، متّصل..... 256
الإتباع المنفصل بالواو أو بحرف الجرّ 258

المبحث الرّابع: الإتباع المتّصل
263

المبحث الخامس: قضايا لغوية في الإتباع
276

علاقة الإتباع بالظّاهرة الصّوتية:..... 276
الوقف على الساكن..... 278
حذف التّنوين..... 279
التّنكير في الإتباع..... 280

التلازم وثبات الرتبة..... 280
علاقة العبارة الاتباعية بالمتلازمة اللفظية..... 282
الطّاقة التّعبيرية في مركب الإتباع..... 286
أ-الوظيفة الانفعالية..... 286
ب-الوظيفة الاجتماعية للإتباع..... 290
الدلالة في العبارة الاتباعية..... 294
خلاصة..... 295
خاتمة البحث..... 297
فهارس البحث.....
فهرس المصادر و المراجع..... 305
فهرس الآيات القرآنية..... 337
فهرس غريب الحديث..... 340
فهرس الأبيات الشعرية..... 342
فهرس الموضوعات..... 344